سلسلة
عندما نطق السُراة

نداء السُراة

اختطاف جغرافيا الأنبياء

قسم الدراسات والبحوث

جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية





بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيْمِ

نداءُ السُّراة

اختطاف جغرافيا الأنبياء



الكتاب: نداء السراة .. اختطاف جغرافيا الأنبياء

سلسلة: عندما نطق السراة

تأليف: قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية

الطبعة الأولى

٢٠٠٩



Tel: (+973) 17273787
Fax: (+973) 17274787
P.O.BOX 10493
Manama-Kingdom of Bahrain
www.tajdeed.org
E-mail: tajdeed@tajdeed.org

دار كيوان

للطباعة والنشر والتوزيع

الحلبوني – دمشق – سورية – تلفاكس: ٠٠٩٦٣ ١١ ٢٢١٧٢٤٠

E- Mail: Kiwanhouse@mail.sy

سلسلة عندما نطق السراة

نداءُ السُّراة

اختطاف جغرافيا الأنبياء

قسم الدراسات والبحوث

جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية

مملكة البحرين

ملاحظة هامة

تم الانتهاء من تأليف هذا الكتاب في سبتمبر ٢٠٠٥، ووزعت نسخ إلكترونية تجريبية منه عبر موقع جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية في مملكة البحرين عبر الرابط **www.tajdeed.org**

المقدّمة

"فالعلوم كثيرة والحكماء في أمم النوع الإنساني متعددون وما لم يصل إلينا من العلوم أكثر مما وصل. فأين علوم الفرس. وأين علوم الكلدانيين. والسريانيين. وأهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها ونتائجها. وأين علوم القبط ومن قبلهم وإنما وصل إلينا علوم أمة واحدة وهم يونان خاصة . ولم نقف على شيء من علوم غيرهم"[١].

ابن خلدون٧٣٢- ٨٠٨ هجرية

تلك صرخة أطلقها عالم عربي قبل ٦٠٠ سنة وما سمعها ووعاها إلا القليل حتى يومنا هذا. تلك صرخة من أدرك أنه لم يكن في الوجود وحده ولم تبدأ رحلة الإنسانية على ظهر الأرض يوم مهده. تلك صرخة من حار بما ناءت به الأرض من حوله، فأبصر شواهد وآثاراً شامخة تحكي قصة من سبقه إليها من بني جنسه. تلك صرخة من وعى أن العلم والعلماء والحكمة والحكماء لم يكونوا قط حكراً على بني جلدته، فعجب كيف لم يصله من علوم من صال وجال في الأرض من الأمم الغابرة إلا ما قلَّ عده، وعجب كيف اُختزلت كلّ الأمم الغابرة بعلومها وتراكم معارفها من قبط وكلدان وفرس ورومان وبابل وسريان، اُختزلت جميعها بمخازن علومها في أمّة واحدة تسمى يونان. فصارت تلك الأمّة قبلة العلم العالمي الأوحد بقضه وقضيضه وصحيحه

---

[١] - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص٣٨.

وخطئه؟!! فهل هذا الواقع النشاز محض صدفة؟ أم أن ثمة قاطع طريق تمرس في بثّ ظلام الجهل الأممي بين بني الإنسان، فاحترف العمل على قطع الإمداد المعرفي المتراكم والمتصل بين أجيال الأمم الإنسانية قاطبة في شتى بقاع الأرض الواسعة؟ فلو تدبرنا كتاب الله لأدركنا أن هذا الواقع المستشري في زماننا والذي شكا من تبعاته ابن خلدون وغيره من علماء الأمم العالميّة المتأخرين منهم والمتقدمين، إن هو إلا فعل فاعل، بدأ عمله الهدّام مع نشأة الخليقة الإنسانية. وما كان له أن ينجح في رسالته ويحقق رؤاه لولا تحالفه مع مجموعات من بني الإنسان باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، فكشف لنا كتاب الله أمره وأمرهم، وتفاصيل آلياتهم، وأدوات عملهم واستراتيجيات خططهم البعيدة المدى.

كما كشف لنا كتاب الله أن العمل على قطع خطوط الإمداد المعرفي بين الأمم الإنسانية ضاربٌ في القدم وأكثر تعقيداً مما يخطر على البال، وما زال مستمراً حتى آتى بعضاً من أُكُله. والحكاية كلها تبدأ بآية: (**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً**)(الإنسان:١)، فما كان للإنسان بعد ذلك الحين الغابر من الزمان أن ينشط ويتسامى ويتّميز بين المخلوقات على وجه البسيطة ليرقى إلى مستوى القدرة على خلافة كوكب الأرض واستعماره لولا ربطه بخطوط معارف السماء حيث مستقر كنوز العلم، لينهل منها ما جهل (**عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)(العلق:٥). ومن أجل ذلك التعليم القدسي، تكّفلت السماء بوضع نواميس الاتصال ومستلزماته وأقطابه وآلياته وأنظمته، من إنزال وتنزيل ووحي وكتب وأنبياء ومرسلين وحفظة، ليبزغ في غمرة ظلام الجهل أبو الإنسانية آدمُ العاقل. وأول ما عُلّم آدم مع بدايات هطول غيث السماء المعرفي، حقيقة أنّه لم يكن قط المخلوق الوحيد الراقي في الوجود، بل هناك مخلوقات أخرى تشاركه وتشاطره نعمة الإدراك والإرادة والاختيار. كما علّمته معارف السماء أنّ من بين المخلوقات التي يعج بها هذا الفضاء اللامتناهي، هناك مخلوق عالم، فاعل وقادر، قد شطن عن أمر ربه بعد تكريم السماء له، فحزم أمره على أمر عظيم (**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً**)(الإسراء:٦٢). كما عُلّم الإنسان أن هذه القوة الشاطنة جادة في أمرها فأقسمت بأغلظ الأيمان لتغوّين كلَّ من ينتمي لهذا الجنس الجديد (**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ**

أَجْمَعِينَ)(ص:٨٢). فغدا هذا المخلوق قوّة متمرّدة مطرودة من رحمة الرحيم لا تريد للجنس البشري هذا التميز، جحوداً وعلواً واستكباراً من ذات نفسها . وبما حوت هذه القوة المتكبرة من علوم علوية مختزنة، أدركت الأهميّة الإستراتيجية لخط الإمداد المعرفي السماوي المتصل بهذا الإنسان والذي أشبه ما يكون بالحبل السري للجنين، فبدونه لن يكون هذا الإنسان المفضّل عليه سوى دابة ترعى كالبهائم على وجه الكوكب إن لم يغدُ أضل سبيلاً.

كما كشفت السماء للإنسان العاقل تحركات ومناورات وأهداف هذه القوة الشاطنة لاختراق قنوات الاتصال الممتدة بينه وبين منبع الغيث العلوي بغية عرقلة مصدر رقي وتطور هذا الجنس الجديد (**إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ* وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ* لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ* دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ* إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ**) (الصافات:٦- ١٠). فأيقن الإنسان الفقير للعلم أنّ هناك من تكفل بحفظ خطوط الإمدادات المعرفية في طبقات السماء العليا ضد الاستراق، ناهيك عن الاختراق، لضمان وصول الوحي المعرفي صافياً نقياً إلى سكان الأرض. فعجّت السماوات بجنودها تَرصّداً لكل عابث وهيبةً وإجلالاً لمواكب وحي السماء، فنقل لنا من شهد مشهد تنزل تلك الوفود القدسية لسكان الأرض فأوجز القول (**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً* وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً* وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً**)(الجن:٨- ١٠). ولم تردع تلك الإجراءات الأمنية الصارمة القوة الشاطنة العازمة على إجهاض مشروع خلافة الإنسان للأرض، فلجأت إلى محاولة فاشلة للعبث بالوحي بعد وصوله مرحلة الإنزال على قلوب الأنبياء والمرسلين والذين يمثلون إحدى المحطات الرئيسية لتنقلات الوحي المرحلية، من اللوح المحفوظ انتهاءً إلى وعي أفراد بني آدم (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**)(الحج:٥٢). كما ضمنت السماء توصيل محتويات علوم الوحي نطقاً من وعي الأنبياء والمرسلين إلى دائرة من أفراد المستمعين تمهيداً لنقله إلى باقي التجمعات

الإنسانية المتلاحقة (**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**)(النجم:٢- ٤).

كل تلك المراحل الانتقالية الأنفة الذكر للوحي القدسي المعرفي كانت محصّنة ضد التجسس والاختراقات كما أكد الكتاب. ولكن هناك مرحلة أخيرة في خط الإمداد السماوي لم يرِد ذكرٌ لضمان حمايتها من الاختراق أو حتى الاستراق أو الانقطاع بين الأمم، وهي مرحلة انتقال الوحي ومعانيه ومقاصده من وعي الناس المتقدمين إلى الوعي التراكمي للأجيال الأممية المتلاحقة في صيغة تراث عقائدي وتاريخي أممي. وهنا كمنت الطامّة، وتجمهرت شياطين الإنس بمساندة مباشرة من شياطين الجن، حيث تربّع شيخ الكفر والجحود عرش القيادة إلى طريق الإضلال. ففي هذه المرحلة، تنافس المتنافسون من جند إبليس بشتى أجناسهم لتحقيق انتصارات شيطانية متوالية ومشهودة عبر امتداد تاريخ الإنسانية، لا يزال كل من ينتمي إلى العائلة الإنسانية يتجرع آثار مآسيها حتى يومنا هذا. فقد تمَّ بنجاح منقطع النظير وفي حقب متلاحقة من عمر الجنس الإنساني تقطيعُ خطوط تبادل المخزون المعرفي بين الأمم واختزال بعضها فيما هو أشبه بأوكار غواية معرفية. كما تمَّ بنجاح باهر تزوير نصوص وحي السماء وتحريفها وحذفها وتحويرها ونقلها من جيل إلى جيل من أقبية تلك الأوكار ممسوخةً ومبتورةً بين طيات قراطيس تزيد قارئها ضلالاً (**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**)(الأنعام:٩١). فدخل بذلك الكثير من بني آدم في غيبوبة معرفية فتاهوا عن أمر ربهم إلى يومنا هذا. إلا أن مداد الوحي بقي متصلاً رحمة بالعباد حتى تمام الحجة. فحفظت السماء نصَّ الوحي الأخير من عبث العابثين (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) (الحجر:٩). فجنّ لذلك جنون شيخ الكفر والجحود، فأعاد مخططاته لتتناسب مع التدبير الأمني الجديد، فعمد من خلال هذه المرحلة الانتقالية الأخيرة للوحي المتمثلة في تراث وتواريخ الأمم إلى وضع خطة محكمة لتفريغ المحفوظ نصاً من مضمونه المعرفي وحرفه عن مدلولاته ومقاصده بغية حجب نور هديه عن وعي

بـني آدم (**وَقَـالَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا لا تَسْـمَعُوا لِهَـذَا الْقُـرْآنِ وَالْغَـوْا فِيـهِ لَعَلَّكُـمْ تَغْلِبُـونَ**) (فصلت:٢٦).

ولـن نـأتي علـى أسـباب امتنـاع حمايـة السـماء للمرحلـة الأخـيرة مـن خـط الإمـداد المعرفي في ما نحن مقبلـون عليـه في هـذا البحـث، بـل نشـير فقـط إلى أن السـبب يتعلـق بمنهج الحريات الذي سنته السماء. ولكن ما نذكره هنا هو أن الـوحي قد شـدّد مـراراً وتكـراراً، علـى لسـان الأنبيـاء والمرسـلين، علـى ضـرورة تحصـين هـذه المرحلـة المعرفيّـة الأخيرة فهي أضعف الثغور. ومثال علـى ذلـك، فقـد نبّهنـا خـاتم المرسـلين (ص) والـذي يمثل القطب الظاهر لمدد السـماء المعرفي في مراحله الأخيرة، إلى أنه سـوف تكثـر عليـه القوّالة من بعده بقصد التعتيم على مقاصد الوحي ومدلولاته ولن يستطيع هـو تبديد ذلك التعتيم والتشويش بعد رحيله إلى الرفيـق الأعلـى، ولـن تتـدخل السـماء لمنـع ذلـك بعد أن دخل الوحي المحفوظ نصاً حيز البيئة الإنسانية العاقلة، فأوكل الأمـر إلى تـدبر المتدبرين في نصوص الوحي المحفوظ. كما أنـذر العـابثين بتحـذير صـارم، فقـال (ص) في مـا ورد عنـه وبألفـاظ مختلفـة وفي مناسـبات عـدة "**مـن تعمـد علـيّ كـذبا فليتبـوأ مقعده من النار**"[٢]. كما أتقـن عملـه بالتفاتـه إلى مـن هـم في موضـع التلقـي عبر آليـة التراث، ونحن من ضمنهم، منبهاً وهادياً إذ قال (ص)" **ما من نبي إلا وقد كُذّب عليه من بعده، ألا وسيكذّب عليّ من بعدي كما كذّب على من كان قبلي، فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فهو عني وما خالفه فليس عني**"[٣]. ونحـن اليوم نعـي تمامـاً نبـوءة الرسـول الأكـرم (ص) وتحذيراتـه الأبويـة بعـد أن تراكمـت شـوائك الإسـرائيليات المعرقلـة في كتـب الـتراث علـى مـرأى ومسـمعٍ مـن جمعنـا، فنسـبت كـلَّ عجيب وغريب بل منكر إلى قطـب الـوحي الأرضـي المتمثـل في شـخص الرسـول الأكـرم (ص) ومن كان من قبله من الرسل والصالحين.

وما كان الوحي ليترك الإنسان السالف والمعاصر دون أن يرشـده إلى وكـر الخيانـة ومصدر نقض العهود الربانية، حيث لا تزال أقلام وقراطيس تزوير المقدسات متنـاثرة

---

(٢) البخاري، الصحيح، ج ١، ص ٣٥.

(٣) الربيع بن حبيب الأزدي البصري، مسند الربيع، ج ١، ص ٣٦٥.

على منضدة الفتنة العالمية بانتظار من يكشف أمرها ويمهّد لعودة الحق المضيّع إلى نصابه. فبلغ الإنسان من لدن السماء أنه تمَّ تجنيد مجموعات اختراق من اليهود تحديداً قد قست قلوبهم فبايعوا شيخ المرَدة (**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**)(سبأ:٢٠). فدلهم سيدهم بعلمه على مأكل الكتف، ومنافذ الإضلال الأممي، فأقبلوا على المحظور وامتهنوا صناعة تزوير المقّدسات المعرفية ابتداءً بالتوراة وهو الكتاب المنزل بينهم (**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) (آل عمران:٧٨). ليس هذا فحسب بل فصَّل كتاب الله أنواع التزوير الذي أعملوه. فهو إمَا إخفاء حقائق (**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**)(المائدة:١٥). أو ذكر الحقائق والأخبار ولكن بعد تحريفها عن مقاصدها ودسّ هذا التحريف بين جموع الناس ليستقر مشوشاً في وعيهم وتوجيههم عقائدياً إلى بضاعتهم المزيفة وإيقافهم على السماع لما شابه رأيهم ومناوأة من خالفهم (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) (المائدة:٤١). بل بلغ التجرؤ مداه، فعندما لا تتوفر عناصر التحريف لدسّ الضلال باسم السماء، تراهم يلجئون إلى فكرة شيطانية غاية في الخطورة، وهي اختلاق نافذة يمكن من خلالها استحداث الخبر الظلامي المراد دسّه من خارج التوراة وذلك بادعاء بعضهم النبوة يستقبل الوحي المكمّل لما بين أيدي الناس. وهذه نافذة واسعة لفنون التزوير جاء ذكرها في كتاب الله (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ**

أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ)(الأنعام:٩٣).

ولكن ما الذي يهمنا نحن أتباع خاتم المرسلين (ص) من هذا كله؟ فنحن نعلم أنّ التوراة التي بين أيدي الناس اليوم محّرفة. فما الجديد في الأمر حتى نعيد إثارته في هذا البحث؟ الجديد هو أننا تعاملنا مع ما جاء في كتاب الله تعالى وتحذيرات رسوله (ص) بشأن أخبار تحريف المقدسات وتزويرها كما لو كانت معلومات عامّة نتداولها في المجالس الفكرية ونحشو بها متون الكتب. فلم نعِ أبعاد آثارها الحقيقية على وجودنا وكياننا وحاضرنا ومستقبلنا. لذا فإن علمنا بهذه الحقيقة لم ينفعنا، فغدت وبالاً وحجة علينا. فلم نحّرك لا في الماضي ولا في الحاضر ما يليق ويتناسب مع التحذيرات القرآنية والنبوية المتعددة بشأن خطورة التحريف والاختراق التراثي الذي نبأت السماء بحدوثه وتفشت قراطيسه بين الناس تارة تحت قناع "**هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**" وتارة أخرى بعنوان "**هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**" كما أخبر جلَّ وعلا (**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**)(البقرة:٧٩). ومحصلة هذا التقصير من جانبنا هو أن بعض أخطر ما دُسّ في التوراة- التي نعلم سلفا أنها محرفة- قد اخترقنا ثقافياً نحن أبناء اليوم مروراً بالكثير من أجدادنا وكتّابنا ومؤّرخينا السابقين والمعاصرين على السواء. الجديد في الأمر هو أن الكثير من مفكرينا ونخبنا ورجال ديننا القدماء والمعاصرين تم احتواؤهم ثقافياً وأصبحوا يسّوقون لبضاعة مزوري التوراة ويستشهدون بها عن حسن نية وبدون وعي. الجديد هو أننا حتى هذه اللحظة نسّطر المناهج التعليمية في الدول العربية والإسلامية لنُدرّس أولادنا في الجامعات والمدارس أخطر ما زُور ودُسّ في التوراة المحّرفة دون وعيٍ منا. الجديد هو أنّ هناك من كتب لنا تاريخنا وأحداث منطقتنا وسمانا بما يريد ونسبنا إلى من يشتهي وقال لنا خذوا ما آتيناكم من تراث بقوة فهو "**. مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** "؟! فصّدقه منا من صّدقه بحسن نيّة رغم تحذير السماء الصريح والمباشر بوجوب التحقيق والحذر فصار من صّدق منا هذه الأخبار المحّرفة جسراً لتأسيس ثقافتنا المعاصرة. فاستُعبدت بذلك عقولنا بعد أن دخل التحريف عقر دارنا واستقر في ثقافة بعض أجدادنا وآبائنا فمكّنه

ذلك من انتزاعنا عرقياً ومعرفياً وثقافياً من أنبيائنا وفرّق بيننا وبينهم فأدخلنا متاهة التيه معه، ولا نزال نرتع فيها حتى اللحظة ليشتري هو ثمناً قليلاً بالمقارنة مع حجم الحرمان والضرر الذي أوقعه بالجنس الإنساني قاطبة. كلّ ذلك حدث تحت قناع " **هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّه**". الجديد في الأمر أنّ مادة التحريف التي استشرت فينا حتى النخاع قد استبدلت مقدساتنا الربانية وأدخلت في وعينا ما لم يكن مقدسًا قط، فظللنا وبعض من أبائنا عليها عاكفين لتتغلل الصنمية مجدداً إلى عقولنا من نافذة التراث بعد أن اجتهد بعض من أجدادنا في حصرها واقتلاعها من عقولنا وقلوبنا.

فهل ما سطّرنا أعلاه مجرد تهويل وتضخيم لوهم لا واقع له على ساحة الأمّة؟ هذا ما يسعى للإجابة عليه هذا البحث الذي خُصص للتحقيق في قضية واحدة من مجموعة قضايا طالتها أيدي المزورين من اليهود المتأخرين فأحدثوا بذلك أعظم إرباك وأفظع تشويش بعد أن عبثوا وعتّموا على الحقائق التي جاءت بها حقائب الوحي عبر العصور. فلا يمكن لبحث واحد أن يغطي كل ما حرّفه وأخفاه وأضافه أئمة اليهود إلى التوراة القادمة من يونان تحت عباءة "**هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّه**". لذا خصصنا هذا البحث لدراسة ما يخص جغرافيا الأنبياء عليهم السلام، الذين جالوا أرض الجزيرة العربية بعلوم السماء في الحقبة ما بين الخليل إبراهيم (ع) وخاتم المرسلين (ص) تحديداً. واختيارنا لهذه الحقبة بالتحديد ليس تزكية لما سلفها من الحقب، وإنما لزيادة اهتمام أئمة التزوير بشؤون إبراهيم وتحركاته الجغرافية، فأكثروا في شأنه التحريف والتزوير والدسّ ليشتروا بما كتبت أيديهم ثمناً قليلاً ولو أدى ذلك إلى ضلال الإنسانية بأجيالها من بعد. وآليتنا في البحث عن الحقائق المطمورة تحت ركام جغرافيا الأنبياء المزورة هي أولاً التحرر من أسر شعار "**هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّه**" القائم اليوم بين المسلمين بعد أن أوضح لنا جلَّ وعلا أنّ هذه المقولة حقٌ يراد به باطل. فُزرعت وتجذرت بنجاح في وعي المسلمين والكثير ممن سبقهم من النصارى واليهود على السواء، وذلك بهدف صرفهم عن النظر في التراث الذي فيه ما يكفي لكشف الجريمة الكبرى في حقّ الإنسانية قاطبة، وليصمّوا آذان الناس عن سماع نداء جبال السَّراة بعسير الجزيرة العربية المغيّب ذكرها، ويحجبونهم عن معرفة ما حفلت من أحداث. وبعد التحرر من قيود الأسر القديم، نغوص وإياك عزيزي القارئ

للتنقيب في بطون كتب التراث العربي بشكل خاص، والتوراة المحّرفة بشكل عام، لتجميع وتحليل المتناقضات الجغرافية المهملة طوال هذه القرون بعقل معاصر حرٍ متجرد ومتجدد كما أراد لنا الله جلَّ وعلا، ومن ثمَّ مقابلة النتائج مع منطق العقل وما كشفه العلم من شواهد ملموسة. سنغوص معك عزيزي القارئ في بحر تراثنا لنكتشف التزوير المتعّمد ونتتبع مصادره ونقف على تبعاته. لنكتشف معاً كيف تمّ بسلطان "**هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**" مسح مملكة القبط العظمى بعلومها وأمجادها من وعينا الثقافي، ولنكتشف كيف تم تحويلها إلى مصر النكرة. ولنكتشف معاً كيف شُطب شعب الأقباط العريق بعلومه ونبيه إدريس (ع) وملوكه الموّحدين ليحولهم التزوير "المقدّس" إلى مصريين وثنيين يحكمهم فراعنة ملعونون. لنكتشف معاً كيف فرّق أئمة اليهود بين إبراهيم (ع) وبنيه، فجعلوا الأبناء عرباً والآباء غير عرب وحشروا هذا التناقض الصارخ في ثقافة أبناء المسلمين. لنكتشف معاً كيف تمَّ بنجاح تمرير خط رحلة أبينا إبراهيم عبر القارات مشياً على الأقدام أو على ظهر حمار وبغنمات قصيرة النجعة بعد أن اشتعل الرأس منه شيباً وهو يناهز التسعين من العمر، ليرسموا بخطى أرجل غنماته حدود أرض عبر القارات لمن هادوا من الناس، ثم جعلونا نصفق ونطبّل ونرّوج لأضحوكاتهم على العقل السوي بعد أن لفعّوا دسهم بعباءة "**هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**". لنكتشف معاً كيف شطبوا مكة المشرّفة وسلسلة جبال السراة بعسير الممتدة من شمال مكة إلى أقصى اليمن وما دار فيها وما كان منها وما تحويه من بيت رب العالمين الذي لا وجود لمثيله على وجه الأرض، شطبوا كلَّ ذلك من وجدان أكثر بني آدم ووجهوا ببوصلة " **هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّه** " أكثر الناس إلى الشام حيث لم يكن هناك قط شيء مذكورا. لنكتشف معاً، كيف تم بعثرة أسماء الأنبياء والمرسلين في القارات فقطّعوا أوصال ذكراهم وعلومهم الربانية وحجبوها عن الناس ونصبوا أنفسهم بعد إخفاء الحق مُعّلمين ربانيين وأوقفوا الأمم السالفة والمعاصرة على ما يصب في مصالحهم القومية. لنكتشف معاً عزيزي القارئ جزئية يسيرة من الجريمة الكبرى بحق الإنسانية والوهم الماثل في ما يخص جغرافيا الأنبياء والمرسلين وكيف ساهمنا نحن المسلمين تحت تأثير حقنة من عقار "**هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**" اليهودية في انتشار هذا الوهم الأممي حتى كاد الله أن يستبدل بنا غيرنا بعد أن أطلنا الغيبة في صحراء التيه اليهودية.

نموذج لتزوير مقّدس قيد التنفيذ

"وسوف يأتي الزمان الذي يدرك فيه أبناؤنا من (الهنود الحمر) أنهم ينحدرون من بيت إسرائيل وإنهم أبناء الله وعندها سوف يتّعرفون على تراث أجدادهم وينتهلون منه" [٤]

(١٤:١٥- كتاب مورمون المقّدس)

قبل الولوج في التراث العربي للبحث في مصاديق تزوير جغرافيا الأنبياء عليهم السلام، نضع بين يديك تزويراً "مقدساً" معاصراً يتصل بالجغرافيا أيضا ويمكن تتبع أخباره وتاريخه على صفحات الشبكة العنكبوتية العالمية والكتب المعاصرة والمقالات المنتشرة في العالم. وما نضعه هنا بين يدي القارئ الكريم هو مجرد نموذج ملموس لتزوير نعتبره قيد التنفيذ، نكشف لك تفاصيله كمثال حيّ لما حدث لسكان الجزيرة العربية من تزوير في الماضي السحيق والذي يبدأ أول ما يبدأ كحكاية أو طرفة ساخرة لينتهي بعد قرون إلى كارثة معاشة.

في سنة ١٨٣٠ م نشر جوزف سميث (Joseph Smith) كتابه المقدس الذي يُعرف إلى اليوم بكتاب مورمون–The BOOK OF MORMON[٥]. وهذا الكتاب "الرباني"[٦] هو

---

[4]- The Book of Mormon : I Nephi : 15 (كتاب مورمون المقّدس ١٤:١٥)
http://www.2think.org/hundredsheep/annotated/inep15.shtml

[5]- BOOK OF MORMON-Another Testament of Jesus Christ-
http://scriptures.lds.org/bm/contents

[6]- What is the Book of Mormon About?
http://www.mormonchallenge.com/bomabout.htm

نتاج ترجمة جوزف لنقوش وكتابات أثرية محفورة في ألواح ذهبية تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد وذلك حسب رواية جوزف نفسه. وما كان لجوزف أن يستدل على مكان تلك الألواح "المقدّسة"، حيث بقيت مطمورة تحت الأرض قروناً عديدة قرب بلدته بضواحي مدينة نيويورك الأمريكية، لولا هداية ملك سماوي يدعى مورمون، ظهر له بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٨٢٣ تحديداً وألهمه شفرة ترجمة النقوش المصرية العتيقة المنقوشة على الألواح. هكذا بدأت الحكاية كما رواها جوزف سميث حين أصدر أول طبعة من كتابه "المقدس" للشعب الأمريكي. ومن ضمن ما يحكيه الكتاب المصاغ بأسلوب توراتي راقي قصة أحداث الجزيرة العربية في الحقبة بين سنة ٤٠٠ و ٦٠٠ قبل الميلاد، وذلك حين هاجرت مجموعة من يهود القدس وأخرى من أرض بابل إلى "الأرض الجديدة" المعروفة اليوم بأمريكا الشمالية.

ويروي كتاب مورمون الذي جاء بهذا الخبر المثير أن المجموعة البابلية اندثرت مع الزمن وبقيت المجموعة الإسرائيلية تتكاثر ليُعرف نسلها اليوم "بالهنود الحمر"[٧]. كما أطلق على بعض الأراضي في أمريكا أسماء توراتية قديمة، منها أرض صهيون. ولم يستطع أحد أن يرى الألواح الذهبية التي ترجم جوزف نقوشها وذلك لأن الملك الرباني قد استعادها[٨]. إلا أن ذلك لم يحل دون تأسيس جوزف كنيسة اليسوع قدّيسي اليوم الآخر[٩] Church of Jesus Christ Latter-day Saints- والتي قامت دعائمها على الوحي الجديد المصاغ بكتاب مورمون المقدس، ويرمز لهذه الكنيسة اختصاراً بـ LDS.

ولم تنتهِ الحكاية هنا. ففي سنة ١٨٤٢ خرج جوزف على الأمريكيين بكتاب آخر لا يقلّ إثارة وغرابة عن سابقه، وهو "كتاب إبراهيم" The Book of Abraham[١٠]. والمثير في هذا الكتاب أن جوزف وقعت عيناه- كما يروي- على برديات مصرية قديمة

---

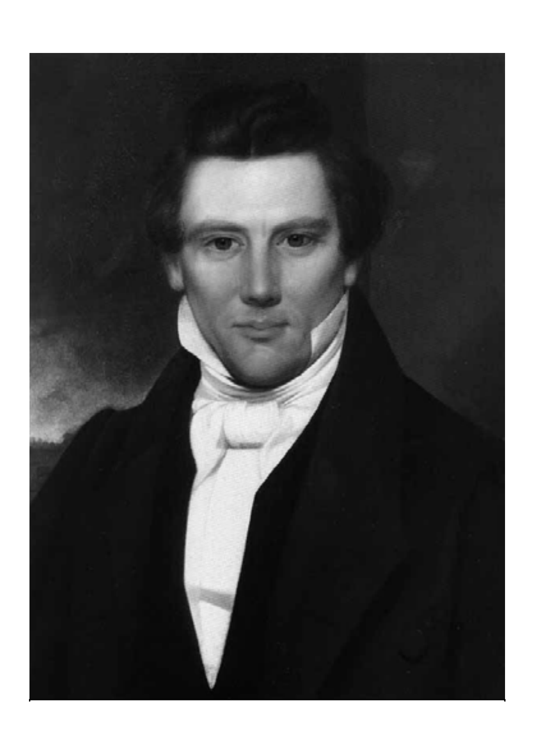
(7)- Mormonism's History http://www.carm.org/lds/beginning.htm

(8)- Joseph Smith and the Gold Plates-
http://www.hismin.com/gold_plates.htm

(9) – Church of Jesus Christ Latter-day Saints –Utah، USA -
http://www.lds.org/

(10) – THE BOOK OF ABRAHAM TRANSLATED FROM THE PAPYRUS، BY JOSEPH SMITH- http://scriptures.lds.org/abr/contents

كانت برفقة موميات معروضة للجمهور في مدينة كيرتلاند بولاية أوهايو الأمريكية. وفي الحال التفت جوزف إلى أهميّة البرديات التي تحوي كتابات هيروغليفية بخط متميز لكونها - كما وقع في قلب جوزف- مخطوطة بيد نبي الله إبراهيم عليه السلام شخصياً وذلك أثناء إقامته بمصر ضمن رحلاته المتعددة الشهيرة بين قارتي آسيا وأفريقيا. فاشترى جوزف البرديات وقام بترجمة كتابات النبي الكريم بعون ومدد مباشر من السماء وضمّنها كتابه المقدس الثاني. وضمن هذا الكتاب، سطّر جوزف ملحمة أحداث نبي الله إبراهيم كما كتبها النبي الجليلِ على البرديات ليؤكد كماً من الأحداث التي وردت في التوراة المحرّفة ويضيف عليها ما غاب عن التوراة والعالم أجمع. وضّمن جوزف كتابه الأخير ثلاث رسومات منسوخة من البرديات الأصل.



صورة رقم ١: جوزيف سميث مؤلف كتاب مورمون وكتاب إبراهيم

ومن ضمن هذه الرسومات صورة (انظر لوحة ١) تُظهر، كما جاء في الترجمة، نبي الله إبراهيم مطروحاً على مذبح المصريين بحضور فرعون شخصياً حيث هّم الأخير بالتضحية بإبراهيم (ع) للآلهة الوثنية[١١]. ولم يكن بمقدور أحد أن يُجادل جوزف حول صحة مضمون الترجمة التي خرج بها إلى العالم، إذ لم تكن علوم الألسن القديمة متطوّرة كما هي اليوم. ولم يكن الوصول إلى القلة التي كانت تفقه تلك اللغة متيسراً حينئذ. فأتاح ذلك لجوزف أن يكتب بيده ما يشاء دون معارضٍ أو منكر بعد أن دثر مزاعمه بعباءة "**هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**".

[11]- Church of LDS - FACSIMILE FROM THE BOOK OF ABRAHAM
http://scriptures.lds.org/abr/fac_1

TIMES AND SEASONS.

"Truth will prevail."

Vol. III. No. 9.] CITY OF NAUVOO, ILL. MARCH, 1, 1842. [Whole No. 45.

A FAC-SIMILE FROM THE BOOK OF ABRAHAM.
NO. 1.

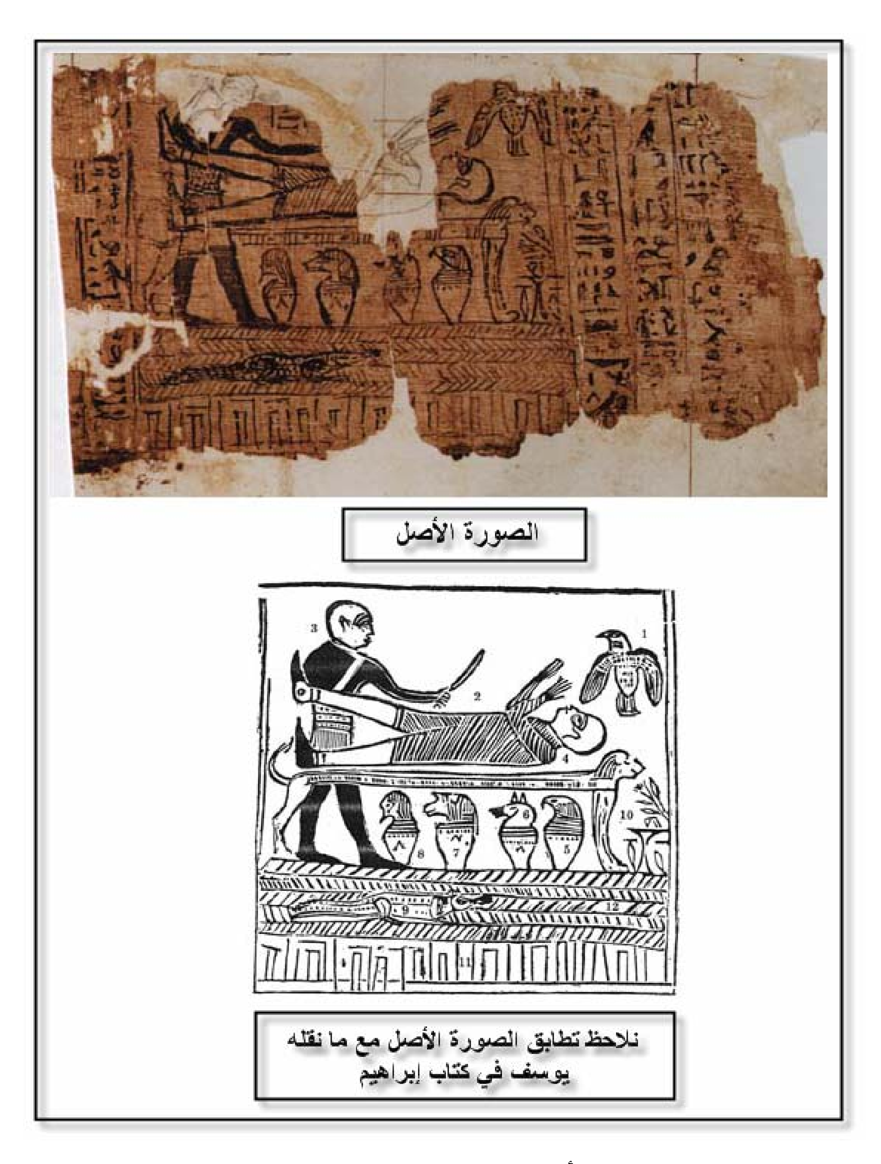


لوحة رقم ١: رسم ضمّنه جوزيف سميث كتابه "كتاب إبراهيم" تُظهر- كما يدّعي جوزيف - النبي إبراهيم (ع) مطروحاً على المذبح جنب فرعون.

ثم احترقت البرديات الأصل كما أُشيع سنة ١٨٧١ في حريق شيكاغو الشهير، ليبقى كتاب إبراهيم شأنه شأن كتاب مورمون، قائمين بين الناس من غير دليل على صحة محتوياتهما. وبقي الحال كما هو عدد سنين يتكاثر فيها أتباع الكنيسة الجديدة

وتتشكل بما جاء في الكتابين ثقافتهم ومعتقداتهم الأساسية كونهم يعتقدون أن ما يتناقلونه بينهم "**هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّه**" وكفى بذلك دليلاً. ثم جاءت سنة ١٩٦٦ لتحمل مفاجأتين للكنيسة الجديدة. الأولى تمثلت في اكتشاف برديات مركونة في مخازن متحف نيويورك متروبلوتين للفنون- New York's Metropolitan Museum of Art[١٢] وكان من بينها برديات تحمل إحدى الصور التي أقحمها جوزف في كتابه الثاني (انظر لوحة ٢)[١٣].

[12]- The Book of Abraham Papyri and Joseph Smith - http://www.carm.org/lds/ldspapyri.htm
[13] – Mormons in Transition http://www.irr.org/mit/pjs1.html



لوحة رقم ٢: اكتشاف البرديات الأصل والتي نقل منها يوسف الرسم المرفق في كتاب إبراهيم

أما المفاجأة الثانية فتمثلت في تطور علم الألسن المصرية إلى درجة أمكن معها فك الخط الهيروغليفي بدقة متناهية. وكما كان متوقعاً، ما أن تأكد العثور على البرديات الأصل عينها التي يُفترض أن جوزف قد ترجمها إلى اللغة الانكليزية حتى

أبدى علماء الألسن المصرية اهتمامهم بدراسة تلك البرديات لينكشف على الفور أنّ ما خطّه جوزف في كتاب إبراهيم كان محض افتراء وتزوير ومخالفاً تماماً لما هو مكتوب في البرديات الأصل[١٤].

فقد كانت البرديات تسرد مراسيم وطقوس موتى قدماء المصريين مع ذكر أسماء شخصيات معروفة في تاريخ مصر مثل أوزيريس وحورس وغيرهم، في حين ألبس "كتاب إبراهيم" البرديات ثوباً مغايراً تماماً عمّا جاء فيها[١٥]، ودسَّ فيها أسماء أخرى غريبة عنها، مثل إبراهيم وفرعون والملائكة وآلهة وثنية!! فأثار هذا الاكتشاف عاصفة من النقد والتسقيط والدراسات التحليلية[١٦] المختلفة، وكتبت مئات المقالات والكتب في نقد هذا التزوير الخطير، وعبّر العلماء عن استيائهم وامتعاضهم من هذه الجرأة على تزوير وثائق حضارة أمّة عظيمة كحضارة مصر العريقة، رغم ما تضمنه هذا التزوير من أسماء مقدسة كاسم الخليل إبراهيم (ع). وأسقط هذا الكشف ما بقي من مصداقية معوّقة لكتاب مورمون أيضا[١٧] ولم يزل النقد لاذعاً حتى اللحظة التي تقرأ فيها هذا البحث. مع ذلك ورغم اكتشاف التزوير بطرق علميّة لا تقبل الشك، وإثبات أنّ الهنود الحمر لا ينتمون جينياً إلى ما يسمى بالعرق السامي[١٨]، إلاّ أن مائة وعشرين سنة التي مضت منذ إصدار كتابي مورمون وإبراهيم إلى حين اكتشاف البرديات الأصل كانت مدة كافية لانتشار أتباع الكنيسة عالمياً حتى بلغ عددهم في العقد الأخير أكثر من ١٢ مليون نسمة، يقيم أكثر من خمسة ملايين منهم في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، ويشكلون سابع، وفي تقارير أخرى خامس، أكبر تجمع سياسي ديني ضاغط في هذا البلد العملاق. كما تشير الإحصاءات والتقديرات

---

(14)- Book of Abraham Hoax - http://www.foxgrape.com/deveria.htm
(15)-Fall of the Book of Abraham
http://www.utlm.org/onlineresources/fallofbookabraham.htm
(16)- Mormons in Transition http://www.irr.org/mit/boamss1.html
(17)- The Book of Abraham Revisited-
http://www.xmission.com/~research/about/abraham.htm
(18) – Mormons in Transition http://www.irr.org/mit/Lamanites-DNA-Book-of-Mormon.html

إلى نمو أتباع الكنيسة بمعدل ٩٠٠ فرد تقريباً في اليوم(١٩) وتشير التوقعات إلى نموّ تراكمي لعددهم حتى يناهز ٢٧٠ إلى ٢٨٠ مليون نسمة بحلول سنة ٢٠٨٠ م(٢٠). كلّ هؤلاء يعتقدون، في جملة ما يعتقدونه، أنّ سكان أمريكا الأصليين- الهنود الحمر- ينحدرون من سلالة بني إسرائيل. مما يعنى في المضمون العام أن بني إسرائيل هم من أوائل من سكن أمريكا الشمالية في العصور الغابرة التي ترجع إلى أكثر من ٢٦٠٠ سنة خلت!! ودليل هؤلاء المعتقدين محصور في فلك "**هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّه**". ومن تداعيات هذا الدسّ المدروس وضع اليد على أرض قارة أمريكا الشمالية لصالح شعب اللّه المختار عقائدياً في المرحلة الأولى، تمهيداً لأجيال المستقبل كي تسيطر وتفرض سيادتها السياسية الشاملة على القارة الغنية تحت سلطان وغلبة "**هذا مِنْ عِنْدِ اللَّه**". لذا يمكن القول إنّ هذا التزوير قيد التنفيذ حتى يأتي بكامل ثماره في غضون بضع عقود أو قرون قادمة.

ونحن إنما نقول بهذا الاستنتاج من منطلق تجربة سابقة لم يزل المسلمون اليوم يتجرعون غصصها، وهي تحمل من الشبه الشيء الكثير مع تجربة التزوير السائرة التي أطلقها جوزف سميث. والفرق أننا لم نشهد حقبة منشئي تزوير مقدسات الوطن العربي في العهود المنصرمة والذي لعله كان أشبه بالطرفة أول ما طُرح على الناس حينذاك، كما كان الحال مع تزوير جوزف سميث، ولكننا شهدنا مرحلة اقتطاف بعض ثماره بعد اكتمال نضجه، ومنها أرض فلسطين. فمنهجية عمل جوزف سميث تقودنا تلقائياً إلى أطروحة الأرض الموعودة التي برهنت عن نجاح منقطع النظير في انتزاع فلسطين من أصحابها أمام مرأى العالم بل بمباركته، فهل يا ترى زرع جوزف سميث أيضاً أطروحة الأرض الموعودة في أمريكا من خلال كتابه المقدس الجديد؟ الجواب نجده في هذا المقتبس من كتاب مورمون المقدّس: "**وأثناء تجوالنا في بقاع**

---

(19) – USA Today - http://www.usatoday.com/news/religion/2004-04-26-mormon-usat_x.htm

(20)- Church Growth-Roger Loomis: http://www.lds4u.com/growth2/Index.htm

أرض الوعود (أمريكا) وجدنا بغاباتها الحيوانات المفترسة بكل أنواعها، وكذلك وجدنا الأبقار والثيران والبغال والخيول والماعز ـ"[٢١].

وعلى صعيد آخر، صار كتاب إبراهيم المزوّر، كما كان متوقعاً، مصدر معلومات ينهل الناس من معارفه الجوزفية بعد أن اعتمدت بعض المصادر العلمية[٢٢] المعلومات التي جاءت فيه، فأصبح بذلك مصدراً آخر لتعريف هوية فرعون وأحداث إبراهيم (ع) وبني إسرائيل وغيرها الكثير مما جاء في التوراة المحرّفة. وهكذا تبدأ حكاية تزوير المقدسات عادةً، والله جل وعلا وحده العالم كيف تكون النهاية.

العرب واليهود – أوّل ضحايا صناعة تزوير المقدّسات

من الواضح أن غرض جوزف سميث من نسبة "الهنود الحمر" إلى شعب الله المختار لم يكن بدافع محبته لهم، بل كي ينفذ من خلال استغلال جذورهم العريقة في أمريكا إلى الإدعاء بأن لبني إسرائيل وجوداً قديماً في هذه القارة. وللهروب من المطالبة العلمية بما يثبت هذا الادعاء الخطير، لجأ إلى ادعاء أكبر من سابقه وذلك بنسب هذا الخبر إلى السماء، فنقل بذلك الجدل من إطار المطالبة بالحجة والبرهان إلى محكمة الاستبداد العقائدي والتي ترتكز موازينها على ترجيح المتسائلين بين كفّتي الكفر والإيمان. ولطالما أثبتت آلية الهروب هذه نجاحاً منقطع النظير في اختراق حصون العقل الإنساني. فبواسطة سلطان هذه المحكمة الاستبدادية أمكن تكميم أفواه المتكلمين، وتجميد عقول المفكرين، وتهميش آراء الآخرين، وإخماد فضول المتسائلين. وهذه الجرأة على الله ليست وليدة عهد جوزف سميث بل هي صناعة قديمة أنشأها بعض كهنة اليهود في بداية الألفية الأولى السابقة لمولد المسيح (ع)، أي بعد نزول التوراة ببضع قرون فقط، واستمر العمل بهذه الصنعة إلى اليوم بعد أن

---

(21)- The Book of Mormon : I Nephi : 18 (كتاب مورمون المقدّس- ١٨:٢٥)
http://www.2think.org/hundredsheep/annotated/inep18.shtml

(22)- National Master Encyclopedia -
http://www.nationmaster.com/encyclopedia/Pharoah

أثبتت فاعليتها في تحقيق مكاسب غير مشروعة على مستويات أمميّة. وقد كشفت السماء حقيقة وقوع تزوير لمقدسات للمؤمنين مع كل وحي منّزل منذ القرون التالية لعهد موسى (ع) وصولاً إلى عهد خاتم المرسلين (ص). فقد جاء في العهد الجديد (الإنجيل) الكثير من التوبيخ واللعن لبعض كهنة اليهود القدماء بسبب تزويرهم وعبثهم بتراث المقدسات وافتراء الكثير منهم أخباراً وعلوماً نسبوها إلى السماء بعد ادعائهم النبوة. والحدث عينه أُوحي أيضاً إلى رسول الله (ص) في عدة آيات تحذيرية جاءت لتنبئ بحقيقة أنّ هناك تزويراً منسوباً إلى السماء قد وقع قبل زمن الرسول الأكرم (ص) بقرون عديدة وتفشى نتاجه واستمرت تبعاته (**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) (البقرة:٧٥). فهذه الآية بالإضافة إلى الآيات السالفة الذكر تجمل في المعنى وتُعلم الرسول الأكرم (ص) والعالم أجمع بأن تحريفاً قد وقع ووُثق وأُخرج للناس على أنّه من عند الله، وأن الذي قام بهذا العمل الكارثي هو فريق من اليهود وليس كل اليهود، وعن قصد وتعّمد وليس باجتهاد خاطئ (**ـ يُحَرِّفُونَهُ من بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**). وما يهمنا من تداعيات هذه الحقيقة التي كشفها القرآن الكريم ومن قبله الإنجيل أنّ هناك ومن قبل حتى عهد عيسى (ع) ما لا يُعرف حجمه من المعلومات المزوّرة المنسوبة إلى السماء والتي تفشت بين اليهود أنفسهم ومَن يحيط بهم من شتى قبائل العرب الأميين[٢٣] حتى بعث الله في الأميين رسولاً ليعيد التعاليم السماوية إلى نصابها ويزيد عليها ويكون بذلك رحمة للعالمين (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**) (سبأ:٢٨).

ما نود تأكيده هنا هو أنّ الحقبة التي زوّر فيها أئمّة اليهود التوراة تقع ضمن مدة زمنية طولها ١٩٠٠ سنة. وهي عدد السنين التقريبية بين زمن نزول التوراة وزمن نزول القرآن الكريم. وهذه الفترة، كما أظهرت لنا تجربة تزوير جوزف سميث، هي مدة زمنية أكثر من كافية لتوغل واستقرار التعاليم المزوّرة في الوعي الثقافي لعموم

---

[٢٣] - في هذا البحث ترد مفردة "أمي وأميين" دوماً بمعني الفرد أو الأمّة غير الكتابية وليس بالمعنى الشائع المراد به من لا يفقه الكتابة والقراءة. فكل من يهتدي بعلوم السماء عن طريق اتباع أحد المرسلين فهو كتابي وكل من يهتدي بعلوم تلقفها من أمّه وأبيه فحسب فهو أمي.

أجيال اليهود أنفسهم ناهيك عن وعي الكثير من قبائل العرب المحيطين بهم والذين كانوا يعتبرون البيت اليهودي مصدراً معرفياً ربانياً يتلقفون منه ما ينضح من علوم كتابية. لذا يمكن القول إن أجيال العرب بشقيهم الكتابي والأمي قد تأثرت بشكل مباشر وغير مباشر بهدي التوراة حين نزولها كما تأثرت بضلالها منذ يوم تحريفها.

كما لا يفوتنا التأكيد على أنّه ليس كل اليهود من الغابرين والمعاصرين يهون عليهم اكتشاف حقيقة أنّ كتابهم المقدس- التوراة- منقوص ويحوي بين دفتيه إضافات وتعديلات وتحويرات وتحريفات، فمنهم من يروم الحقّ ويعمل به (**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**)(الأعراف:١٥٩). بل ومنهم الصالحون كما أخبر القرآن الكريم (**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**)(الأعراف:١٦٨). وما من شك أنّه سيأتي زمان تنكشف فيه الحقيقة المغيبة، ويدرك الصالحون منهم عظم المصيبة التي أحدثها بعض من فسد من كهنتهم الغابرين، وسيكون لهم دور فعّال في إعادة الحق إلى نصابه.

ويبدو أننا على مشارف هذا الزمن الموعود حيث بدأت الأصوات تتعالى من هنا وهناك لتطرح حقيقة أنّ ما جاء في التوراة من أقاويل مؤسسة لثقافة العالم اليوم بما فيهم المسلمون ليست بالضرورة من عند الله كما هو مشاع بين الناس. وهذا ما حدا بأحد أساتذة جامعة تل أبيب لعلوم الآثار، البروفيسور نيل سبلرمن ((Neil Asher Silberman وزميله البروفسور إسرائيل فينكلستين (Israel Finkelstein)، إلى إطلاق صرختهما الشهيرة في كتابهما الصادم "التوراة بدون أقنعة" (The Bible Unearthed)[٢٤] وذلك بعد أن تبيّن لهما وجود تضارب عميق بين ما تسطره التوراة في ما يخص تفاصيل المواقع الجغرافية لأنبياء وممالك بني إسرائيل وبين ما تشهد به الأرض بعد أن استنطقتها علوم الآثار. ولم تكن تلك الصرخة الأولى، بل سبقتها صرخة البروفيسور اليهودي نداف نئمان، كما نشرتها جريدة هآرتس في مقالة بعنوان

---

[24]- The Bible Unearthed : Archaeology's New Vision of Ancient Israel and the Origin of Its Sacred Texts- by Neil Asher Silberman، Israel Finkelstein

"أخرجوا التوراة من خزانة الكتب اليهودية"، حسبما نقل البروفسور زئيف هرتسوغ الذي كتب هو نفسه مقالة صادمة للثقافة اليهودية السائدة في نفس الجريدة سنة ١٩٩٩ تحت عنوان "علم الآثار يكشف زيف الحقّ التاريخي الإسرائيلي"[٢٥]. ثم تلتها كتب[٢٦] وكتابات ومقالات عديدة لعلماء مختلفين كلهم يثير ما سكت آباؤهم وغضّوا الطرف عنه من تناقضات وتنازع بين العقل والمنطق وبين ما سُطر في التوراة التي بين أيديهم، حتى تداعت المقولة المشاعة بين أهل الكتاب منذ القدم والتي مفادها أن التوراة التي بين أيديهم كُتبت في عهد موسى (ع). وما كان سكوتهم كل هذه المدة إلا إشفاقا من سطوة رجالات الجهاز الاستبدادي العقائدي القائم على مقولة "هذا من عند اللّه" اليهودية، فتجاوزوا هذا الحاجز العنكبوتي وأخذوا يسّطرون النظريات الموضوعية بحثاً عن كُتّاب أسفار التوراة الحقيقيين وأزمان وأماكن كتابتهم ناهيك عن دراسة الدوافع التي حدت بهم إلى وضع كتاب ينسبون كتابته إلى موسى (ع) وهم يعلمون خلاف ذلك.

---

(٢٥) – زئيف هرتسوغ، علم الآثار يكشف زيف الحق التاريخي "الإسرائيلي"، هآرتس ١٩٩٩/١١/٢٨ :

http://216.239.59.104/search?q=cache:gwceSXuBu30J:www.moqawama.net/arabic/articles/zaif.htm

(٢٦)- تجد هنا قائمة بعينة من هذه الكتب:

- Who Wrote the Bible? by Richard E. Friedman
- Who Were the Early Israelites and Where Did They Come From? by William G. Dever
- Who Wrote the New Testament? : The Making of the Christian Myth by Burton L. Mack
- What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It?: What Archaeology Can Tell Us About the Reality of Ancient Israel by William G. Dever
- The Early History of God: Yahweh and the Other Deities in Ancient Israel (Biblical Resource Series) by Mark S. Smith
- 101 Myths of the Bible: How Ancient Scribes Invented Biblical History by Gary Greenberg

ولنا أن نتساءل: لماذا تأخر اكتشاف وإعلان تبعات التزوير القديم حتى الآن رغم تقدم علوم الآثار خلال القرنين الماضيين؟ والجواب يعود إلى عاملين رئيسين: الأول هو هيمنة وتوغل المعلومات المزورة في بنية الثقافة العقائدية لمعظم علماء الآثار، مما سبب تنازعاً وتناقضاً ذاتياً بين مفارقات ما تجهر به الأرض من حقائق وبين ما هو متراكم في ثقافتهم الموروثة من الكنيسة والمسجد والآباء والمجتمع. فهذه المعلومات الأخيرة التوراتية المصدر تسلب عالم الآثار حرية الاستنتاج العلمي الذي يتناقض في معظم الحالات مع ما تعلّمه في الكنيسة أو حتى المسجد كما سيتضح لنا من خلال هذا البحث. وقد فطن بيير روسي لتأثير الثقافة المسبقة على المخرجات العلميّة فأعلنها صراحة حين قال لنظرائه من العلماء "... **إنّ اليوم الذي يتوقف فيه العهد القديم (التوراة) عن تغذية علمنا التاريخي، يغدو فيه شرحنا لأمور الشرق محرراً من إمبراطورية الأفكار المسبقة**"[٢٧]

أما العامل الثاني فهو متعلق بثقل الإرث الاجتماعي الذي يرزح علماء الأديان و الآثار تحت وطأته على السواء. فطالما اضطر العلماء أثناء عملهم العلمي الموضوعي إلى إعطاء الكثير من الاعتبار للمعلومات المختزنة في ثقافة المجتمعات التراثية خصوصاً المتعلقة بجغرافيا الأماكن والأشخاص المقدسة. فلا يستطيع الكثير من العلماء التصريح، على سبيل المثال، بأنّه ما من دليل على صحة معلومة ما يتناقلها الناس أباً عن جد، خصوصاً إذا كانت هذه المعلومة تتعلق بحيثية دينية، فذلك كفيل بإسقاط العالم مهنياً واجتماعياً بل لا قدر الله قد تحتوشه رجالات أجهزة الاستبداد العقائدي في مجتمعه فترميه بالكفر أو الشرك أو ما شابه، مما يجعل العالم يمعن في التفكير ليس مرتين بل عشرات المرات قبل أن يعلن عن الاستنتاجات العلمية التي توصل إليها. كما اضطر العالم إلى حل معادلات عصية على الحلّ وذلك بأن يفسر ويشرح التناقض القائم بين المكتشفات العلمية وبين ما يتناقله الناس في كنائسهم ومساجدهم ومحافلهم من موروث بغية المحافظة على الأمانة العلمية والانصياع في الوقت ذاته لمقتضيات التسليم الاجتماعي.

---

[٢٧]- بيير روسي، مدينة إيزيس – التاريخ الحقيقي للعرب، ص٥٣.

ففـي ظـل هكـذا معـادلات ينسـحب العـالم مـن دوره الحقيقـي لا محالـة، لـيترك المجتمع وحيداً مع المصدر المعلوماتي القديم الأوحد، ألا وهو ما جاء في التراث الديني التقليدي الذي لا منافس له ولا مجادل لطرحه كونه تحصن بعد تعتقه بحصن "هذا من عند الله". ولكن يمكن القول أنّ علماء الأديان والألسن والآثار قد بدءوا جميعهم بعلاج العامل الأول وذلك من خلال التحدث بلغة العلم المجردة فيما بينهم بعد توفر وسائل الاتصالات في العالم، وذلك بغية التوصل إلى قواعد مشتركة نتيجة الاكتشافات التي تراكمت عبر أبحاث ميدانية مستفيضة خلال العقود الماضية. وسوف يرشح نتاج اكتشافاتهم واستنتاجاتهم لا محالة إلى الناس عاجلا أم آجلا. أما العامل الثاني فظل دون علاج حقيقي حيث بقيت الكثير من المجتمعات العالمية محرومة من سماع أي خطاب غير ذاك الذي اعتادت تلقفه من غياهب الماضي، ومن خلال قنوات محددة فرضت نفسها مصدراً وافترضت دوماً تسليم المتلقي للخبر المنقول. وما هذا البحث الذي نضعه بين يدي القارئ الكريم إلاّ الصوت الآخر، بل هو الرأي الآخر المنافس للطرح التقليدي لبعض حقائق التراث والتاريخ. هو صوت قد يصنفه البعض على أنّه ديني الطابع أيضاً، ولكن ما نود أن نتميز به هو أن هذا الصوت، ومن خلال هذا البحث، لا يستمد قوامه من مقولة "هذا من عند الله" الاستبدادية بل يستمده من (... **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**)(البقرة:١١١) وأملنا أن الكثير من الأصوات الشرقية سوف تتبع النهج ذاته لتجد المجتمعات أمامها تنوعاً في الطرح فتختار ما تراه صوابا وتذر ما لا يستقيم مع الفطرة السوية.

الفصل الأول

كشف الحقائق المغيّبة عن الوعي العالمي

كما أسلفنا الذكر، فقد بدأت نخب العلماء الغربيين المعاصرين في النقد والتشكيك في الكثير مما جاء في تراثهم المؤسس على التوراة وذلك بعد أن طفح الكيل بسبب كثرة التناقضات بين أقاويل التراث التوراتي والشواهد العلمية الملموسة. وما ذكرنا السالف لكتاب "التوراة من دون أقنعة" وجملة أخرى من الكتب المعنية إلا أمثلة غير حصرية لظاهرة نقد التوراة المعاصرة والتي يصعب إيقافها الآن بعد أن أفلتت من عقالها. فمن ضمن ما توّصل إليه علماء الآثار المعاصرون، الغربيون منهم والشرقيون، ما أوجزه كمال الصليبي في هذا المقتبس "... **إن الدراسات والأبحاث الضخمة التي أنتجها علماء الآثار والباحثون التوراتيون خلال المائة سنة الأخيرة، تلفت النظر إلى أمر في غاية الغرابة. ففي حين أنّ تاريخية عدد من الروايات التوراتية بقيت عرضة للنقاش الحاد، فإنّ جغرافية هذه الروايات استمرت معتبرة من المسلمات. والحقيقة الساطعة هي أنّ الأراضي الشمالية للشرق الأدنى (الشام) قد مسحت وحفرت من قبل أجيال من علماء الآثار، من أقصاها إلى أقصاها، وإن بقايا العديد من الحضارات المنسية قد نبشت من تحت الأرض ودرست وأرخت، في حين أنّه لم يعثر في أي مكان على أثر واحد يمكنه أن يصنف جدياً على أنّه يتعلق مباشرة إلى أي حدّ بالتاريخ التوراتي. وأكثر من ذلك فإن التوراة العبرية تذكر الآلاف من أسماء الأمكنة، وليس بين هذه أكثر من قلة قليلة تماثلت لغويا مع أسماء أمكنة في فلسطين. وحتى في هذه الحالة فإن الإحداثيات المعطاة في النصوص التوراتية لا تنطبق على المواقع الفلسطينية**"[٢٨] هذه واقعاً هي محصلة الحقيقة المغيبة عن وعي الكثير من الناس والتي أدركها الكثير من العلماء الغربيين على

---

[٢٨] – كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص٥٠.

الخصوص. ولكن ما يهمنا هنا هو أنّ ما بدأ ينكشف للعلماء الغربيين والشرقيين على السواء من حقيقة وجود تناقض مبهم بين جغرافيا التوراة وبين ما نطقت به الأرض بعد تقدم علوم الآثار، هو بمثابة ناقوس تحذير تراثي بدأ يُطرق مؤخراً بين العلماء الشرقيين والغربيين المعاصرين ولو بشكل تدريجي. وهذا الناقوس عينه قد سبق وأن دقَّه رسول الرحمة العالمية محمد بن عبد اللّه (ص)، وذلك مع بواكير نزول الوحي. وطرقه من قبله أيضا روح اللّه عيسى بن مريم (ع) وذلك إبان تنّزل الإنجيل، كما طرقه جملة من أنبياء بني إسرائيل قبل زمن عيسى (ع). فلنا أن نتساءل هنا، لماذا طرق القرآن الكريم ناقوس التحذير في أمة لم ينزل فيها كتاب من قبل ليُعلمهم بحقيقة وقوع تحريف تراثي قديم في أمة اليهود الكتابية؟ لماذا يتوجب على أتباع خاتم المرسلين(ص) الالتفات والحذر من شأن يخص تراث من سبقهم من الكتابيين من أتباع موسى وعيسى عليهم السلام؟ فالقرآن الكريم بالنسبة للعرب الأميين هو بمثابة نقطة بداية جديدة على سياق "الإسلام يجّب ما قبله"، فيطوي بتعاليمه كل ما تسلل من الماضي من دسّ وتزوير وتحريف منسوب إلى اللّه تعالى ويبدأ من جديد مع أمّة جديدة لم يسبق نزول كتاب سماوي فيها. فهي حسب الظاهر للكثيرين، ليست معنية بما انقضى وكان في أمّة غيرها وقبلها، فطبيعة الحال هو (**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) (البقرة:١٤١).

هذا هو ظاهر الحال على الأقل لمن شاء تبسيط الأمور. ولكن الواقع هو أن ثقافة الأميين لم تكن قط مبنيّة على تعاليم القرآن الكريم وحده، وليتها كانت كذلك. ولكن الحقيقة هي انهم سبق وأن اطلعوا بل وتشبعوا بثقافة وأحاديث وأقاويل وعقائد الكتابيين. فهم أي الكتابيون، كانوا دوما حاضرين بين ظهرانيهم بل وفي أراضيهم وفي أسواقهم وأحلافهم وجيرتهم وذلك منذ زمن نزول التوراة وبعدها الإنجيل إلى أن بعث اللّه فيهم رسولا. لذا نجد القرآن يخاطب الكتابيين إلى جانب الأميين أيام الرسول (ص) وكأنهم جزء أساسي من البنية المجتمعية آنذاك (**ـ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**)(آل عمران:٢٠). فيمكن القول أنّ ما علق بثقافة الكتابيين من تحريف وتزوير، والذي يرجع مصدره إلى ما قبل عهد خاتم المرسلين (ص) أو حتى قبل عهد

عيسى (ع)، قد علق بالضرورة بثقافة الأميين العامّة أيضا بسبب انتقاله إليهم بشكل عفوي من نظرائهم الكتابيين. وهنا جاء القرآن الكريم محذراً الأميين من أنّه ليس كلما علق بثقافتهم العامّة سابقاً من علوم مصدرها تراث الكتابيين يمكن أن يعتبر تلقائياً من أخبار وشرائع السماء المعتمده، كما أن هذه العلوم الكتابية المصدر ليست بالضرورة دقيقة أو حتى أصلا صحيحة. وعلّل ذلك بكشف حقيقة التحريفات التي وقعت في تاريخ الكتابيين أنفسهم بجرأة بلغت أن فريقاً (بمعنى مؤسسة بمفهومنا الحديث) كان يكتب الكتاب بيده ويقول للناس إنّه التوراة المنزلة على موسى (ع)، أو إنّه تراث الأنبياء وأحاديثهم وشرائعهم، فيخلطون بذلك الحق بالباطل في وعي الناس وثقافتهم عبر الزمان والمكان لأغراض ومصالح سياسية قومية. فكان لزاماً تحذير وتوبيخ القرآن المباشر لهم على تلك الأفعال المضللة لمن وثق بهم ممن جاء بعدهم من أجيال الأمم المختلفة (**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**)(آل عمران:٧١). كما يمكننا معرفة عظم الجرأة على كتمان الحقيقة المنزّلة ليحل محلها الضلال بالتدبر في طبيعة العقاب الموعود لمن انتهج منهج الإضلال الأممي (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)(البقرة:١٧٤).

ما يحزننا هو أنّه رغم كل التحذيرات السماوية المتتالية وتعليلات هذه التحذيرات، إلا أنه يمكن القول إن التراث العربي المكتوب بعد نزول القرآن قد تلوث بأوهام غاية في الخطورة مصدرها التحريفات الكتابية المتوالية ومنها ما يُعرف اليوم بالإسرائيليات، والتي مازال الكثير منها يرتع في كتبنا التراثية حتى المعتبرة منها رغم جهود الكثير من علماء المسلمين عبر حقب مختلفة لفرزها وعزلها جانباً. و"الإسرائيليات" مصطلح انحصر في إدراكنا للتعبير عن تزويرات حديثة نسبياً، وضعت بعد البعثة المحمدية وتتألف من أحاديث وروايات وقصص غريبة مدسوسة تحت غطاء "هذا من عند الله" الإسلامية هذه المرة، وذلك بعد أن نُسبت زوراً لخاتم المرسلين (ص) أو إلى آله أو إلى أحد أصحابه. ومعظم الإسرائيليات الحديثة يمكن استشعارها بسهولة لما تثير في النفس من تقزز ونفور وتصادم مع العقل والفطرة.

ولكن ما يصعب التعرف عليه هو الإسرائيليات العتيقة التي وضعت قبل البعثة المحمدية بزمن بعيد، فترسخت وأسست حيزاً مهماً من ثقافة العرب بجناحيها الكتابي والأمي. فهذا النوع من الإسرائيليات هو الذي تمكن من العبور إلى وعي الأجيال المتلاحقة القديمة منها والمعاصرة على شكل حقائق مسّلم بها بعد أن هيمن على وعي وثقافة الأجداد والآباء الأوائل وتحول عبر الأزمان إلى طوفان ثقافي كاسح يستمد طاقته الجارفة والمتجددة من نظام منهج المسلمات الشائعة العالمية، فعبر بذلك إلى وعي الأجيال المتلاحقة دون حاجة للحجة والبرهان، فالشائع هو حجته وكفى بذلك دليلاً على صحته. هذا النوع من الإسرائيليات يصعب التعرف عليه لصعوبة كشفه إذ توارى عن عدسات الفحص والتدقيق بعد أن تغلغل في البنية التحتية لثقافة الناس كمسّلمات يكاد يحرم النظر والتدقيق فيها بعد أن تعتقت في الذاكرة الإنسانية. هذا النوع من الإسرائيليات هو المعني بتحذيرات الأنبياء والمرسلين والكتب السماوية قاطبة، ولا يزال هو الخطر الأكبر والذي لن يزول شره عن رقاب بني آدم شرقيهم وغربيهم ما لم تُرفع عنه حصانة التقديس المفتعلة ويُخضع للتدقيق والتمحيص من جديد. فبذلك يستحق التقديس ما يصمد كالجبال ويُجتث من ثقافة الأمم ما يتضعضع ويتهاوى كخيوط العنكبوت.

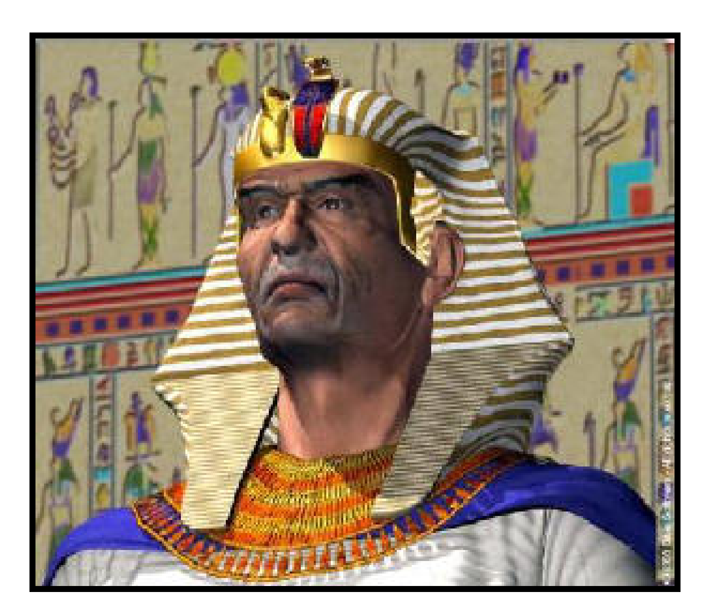
بعد هذه المقدمة نصطحبك عزيزي القارئ في رحلة تحقيقيه تراثية لنكتشف معاً بعض ما أحدثه التزوير القديم الموضوع قبل عهد رسول الله (ص) بل قبل حتى عهد عيسى (ع)، فنرى ما أحدثه من إرباك وتحريف في المفاهيم والحقائق والمسلمات التراثية المهيمنة اليوم على وعي وثقافات الأمم. وسوف نبدأ رحلتنا التحقيقية في التراث العربي، وبالتحديد فيما يخص تزوير جغرافيا الأنبياء، برأس خيط تاريخي نستله على هون من بين تراكم خفايا الماضي المسكوت عنها، لتتكشف لنا في مسيرتنا التحقيقية مع فصول هذا البحث الثلاثة جملة من الحقائق أشد خطورة من تلك التي قصدنا البحث عنها بادئ ذي بدء. ورأس الخيط الذي سنستله هنا يتمثل في سؤال واحد ننفذ من خلاله إلى صفحات الماضي السحيق. والسؤال بكل بساطة هو:

من هو فرعون موسى؟

إن من أعظم التحريفات خطورة والتي تمكن عصبة من أئمة اليهود من تمريرها بنجاح متميز، ليس على أمّة اليهود نفسها وحسب بل على العالم بأسره بما فيه المسلمون، هو تزوير البطاقة الشخصية لهوية فرعون. هذه الشخصية التي عاصرت نبي اللّه موسى (ع) والذي خصها اللّه تعالى بالذكر دون الآلاف من جبابرة الأرض عبر الأزمان. وقبل أن نتناول أسباب لجوء أئمة اليهود إلى تزوير بطاقة فرعون الشخصية سوف نركّز في هذا الفصل من البحث على إماطة اللثام عن التزوير المتّعمد عينه، والذي مازلنا نعيش في ظلام تبعاته ونتعثر بتداعياته حتى يومنا هذا وبكل فئاتنا من مثقفين ورجال دين وأكاديميين وآباء وأمهات وطلاب مدارس.

ومدخلنا لكشف اللثام عن تزوير بطاقة فرعون الشخصية هو سؤال نطرحه على القارئ الكريم. والسؤال هو: إلام سيتبادر ذهنك لو طُلب منك أن ترسم صورة تخيلية للمظهر العام لفرعون موسى حسب المعلومات المتراكمة التي تختزنها في وعيك عن هذه الشخصية؟ هل أول ما سيتبادر إلى ذهنك تصور أقرب للصورة ٢؟ أم أن تصورك سيكون أقرب للصورة ٣؟

ليس من المستغرب أنّ أول ما يتبادر إلى ذهن السواد الأعظم منا أو حتى الكثرة من الذين سيُطرح عليهم نفس السؤال في مجتمعاتنا بل حتى في غيرها بغض النظر عن ديانتهم أو جنسيتهم أو عرقهم، هو اختيارهم للصورة التي تعكس المظهر العام لأحد ملوك وادي النيل، أي الصورة ٢. وفي المقابل، فإن من يختار الصورة ٣ التي تعكس شخصية يمنية أو حجازية تقليدية، وإن كانت لشخص من سنخ أبي جهل أو أبي لهب أو الوليد بن المغيرة، سيكون هو الاستثناء للتصور الغالب في أذهان عموم الناس.



صورة رقم ٢ : صورة تخيلية لفرعون



صورة رقم ٣: صورة تخيلية لفرعون

بل يمكن القول لعل هناك قلة نادرة في عالم اليوم ممن يجزمون بعد التمحيص والتدقيق في دهاليز التراث بأن فرعون موسى واقعًا هو أقرب للصورة التي استثناها عموم الخلق، وما هو حقيقة إلا شخصية حجازية أو نجدية خالصة، وأنّ الصورة التي تعكس هيئة ملك من ملوك وادي النيل بريئة براءة الذئب من دم يوسف من أن تمّت لفرعون موسى بأيّ صلة، لا من قريب ولا من بعيد . ولعل أحد أسباب كتمانهم لمعرفتهم بهذه الحقيقة المغيبة عن وعي معظم الناس هو خشية استهزاء المستهزئين بهم أو تهميشهم أو لعله إشفاقهم من الوقوف أمام سادات وأكابر المجتمعات المعاصرة في المحافل كوقوف جاليليو في محنته أمام رجالات الكنيسة بعد أن أفضى باستنتاجه العلمي الذي مفاده بأن الأرض هي التي تدور حول الشمس وليس العكس رغم أنف المسلّمة الخاطئة المتفشية في العالم آنذاك. وأما الذين تجرءوا وأعلنوا هذه الحقيقة المغيّبة، فلم ينل إعلانهم نصيبه لا من وسائل الإعلام ولا من الجهات الثقافية والأكاديمية المهتمة بشؤون التراث المغّيب. فبقي بذلك طرحهم مطموراً تحت ثقل ثقافة الشائع العامة.

عودًا على السؤال المحوري المذكور أعلاه، وبعد أن سلّمنا بفرضية أن السواد الأعظم من الناس سوف تكون إجابتهم دون شكّ أو تردد هي أنّ فرعون موسى هو أحد ملوك وادي النيل وليس كتلك الشخصية الحجازية المستوحاة في الصورة رقم ٣، فإن ذلك يجرنا تلقائياً إلى أن نطرح السؤال الثاني على القارئ الكريم، والسؤال بشكل تفصيلي هو: إذا كنت من الذين اختاروا الصورة رقم ٢، فما هي المصادر المعلوماتية والمعرفية التي استندت إليها في إجابتك؟ وما هي القواعد التي استوحيت منها هذه الإجابة؟ وما هي أدلتك التي ارتكزت عليها واستلهمت منها إجابتك؟ وكي نختصر الطريق سوف ندرج هنا معظم المصادر المعرفية التي اعتمدتها عيّنة عشوائية بحجم ١٠٠ شخص من مجتمع عربي مسلم طرحنا عليها الصور فاختار جميع أفرادها الصورة رقم ٢، ووجدنا أن إجاباتهم على السؤال الثاني كانت مستندة ومبنية حصراً على المصادر المعرفية والمعلوماتية التالية المرتبة بدءاً بأكثر المصادر تكراراً في إجابات العينة:

١- الشائع العام - حكايات الوالدين وثقافة مسلّمة بين جمهور المسلمين.

٢- أقوال أئمة المساجد والعلماء المعاصرين.

٣- تفاسير القرآن الكريم.

٤- روايات منقولة عن مؤرخين إسلاميين.

٥- توافق أممي- مسيحي / يهودي.

٦- الترابط المنطقي بين الجغرافيا والأحداث التاريخية- مصر/ فراعنة/ نهر النيل..الخ

٧- مناهج المدارس والبرامج الإعلامية (مسلسلات تلفزيونية- أفلام سينمائية).

المصادر المؤسسة لهوية فرعون

لكي نستطيع أن نؤّيد أو نفنّد الجواب العمومي للسؤال الأول المطروح أعلاه، لا بدَّ لنا من تمحيص جميع المصادر التي ارتكز عليها الجواب المشاع، وتعيين ما يستحق التحقيق فيه مّما لا يرقى إلى ذلك أصلاً. فإذا صمدت المصادر التي تستحق التحقيق والتدقيق أمام النقد والتحليل، كنا عندها جميعاً على بينة من أمرنا. وفي المقابل، إذا تهاوت تلك المصادر أمام الحجة والبرهان، عندها ما من طريق أمامنا إلا مراجعة المعلومات المختزنة في وعينا وإعادة ترتيبها بما نراه حقاً وأن تكون لدينا الشجاعة والصبر على محنة مواجهة عاصفة التبعات التي سوف تتمخض عنها مكتشفات جديدة لأخبار تراثية كنا نحسبها منضبطة ومحسومة.

١- المسلمات الشائعة بين عامة المسلمين

كل من سُئلوا عن هوية فرعون توافقوا جميعاً على أنّه كان أحد ملوك وادي النيل، واختاروا الصورة رقم ٢ أعلاه كتصور تقريبي لما تبادر إلى أذهانهم. واستبعدوا وبكل ثقة بل وبعضهم بسخرية الصورة رقم ٣ مستندين حسب اجتهادهم إلى أن ذلك ما هو مشاع ومسلّم به بين المسلمين اليوم. ومنهم من لم يزد على هذا التبرير واكتفى بذلك دليلاً وحجة دامغة على مصداقية جوابه.

تساؤلنا هنا، هل كل ما هو شائع بين كتلة مجتمعية، بغض النظر عن حجمها أو جنسيتها أو ديانتها، يعني بالضرورة أنّه حقيقة يمكن اعتمادها وتزكيتها عند الفحص والتمحيص؟ أي هل يمكن اعتماد المتناقل الشائع كدليل معتمد على صحة الخبر المشاع؟ سوف نذكر هنا بعض الأمثلة لمشاعات ثبت أنّها خطأ، بل ثبت أنها خطأ فادح رغم شيوعها وتجذرها لحقبة زمنية ولكنها مع ذلك تمكنت من احتلال مساحة من وعي مجتمع أو حتى أمّة بأكملها، بل تمَّ تناقلها من جيل إلى آخر دون رقابة أو تصفية إلى أن تحول جزء منها إلى عادات وتقاليد وعقائد تفتك بالمجتمعات على هون. فمن المشاع بين الكثير من الأمم منذ العهود السحيقة إلى يومنا هذا أنّ الأصنام والمجسمات على شاكلة **وَدًّا وسُوَاعًا وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرا** تُقرب إلى الله زلفى. فتجد بسطاء أفراد تلك المجتمعات المبتلاة بهذا الداء عاكفين على ما وجدوه شائعاً بينهم، ولهم في شيوعه بين كبارهم وساداتهم وأئمتهم وأجدادهم حجة ودليل على صحة معتقدهم الموروث وسلوى عن الحاجة إلى تكرار صدمات نتائج التدبر في ما ورثوا من عقيدة حجرية. وما أهون إسقاط ما هو مستند إلى المُشاع وليس إلى الحجة والبرهان.

ولنا في قصة إبراهيم (ع) عبرة. فما أن حطم أصنام القوم ليعينهم بصعقة نفسية على انتهاج منهج التعقل في العقيدة لا الموروثات المستندة إلى دليل المتناقل المُشاع حتى بلغ الأمر أن (**قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ* فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ* ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ* قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ* أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**)(الأنبياء:٦٢- ٦٧). طالب الخليل إبراهيم تحكيم العقل المغّيب في ذلك الوضع القائم الذي لا يستند إلى منطق يُعقل، بينما لا دليل عند القوم على سلامة وضعهم غير الواقع المُشاع المستلهم من الأجداد والجيران، واستمر هذا المنهج بين الناس ليصطدم به كل مرسل ونبي ومصلح عبر تاريخ الإنسانية إلى يومنا هذا.

ومن المشاعات أيضاً ما كان شائعاً بشأن مصداقية نبوة روح الله عيسى (ع) بين اليهود تحديداً، وامتد أثرها منذ بدايات القرن الأول إلى يومنا هذا. فلقد أفتى بعض فقهاء وعلماء اليهود في مطلع القرن الأول بأن عيسى بن مريم (ع) كان دجالاً مفسداً

خرج عن ملة بني إسرائيل، وأن المسيح المنتظر لم يأت بعد. فتلقف العوام هذه الفتوى تقليداً لا تدبراً، فانتشرت بينهم دون دليل ولا برهان، فساهم ذلك الشائع المنافي للحقيقة في حرمان الكثير من عوام بني إسرائيل من هدي ما نزل على عيسى بن مريم (ع). بل إن منهم من تفاخر بقتل النبي المرسل تطبيقاً لفتوى سادات القوم كما نقل لنا القرآن الكريم (**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**)(النساء:١٥٧). ومن يومها لا يزال عموم اليهود يهيمون في وهم المنقول المُشاع بانتظار المسيح الموعود في ظهوره الأول! وهذه عاقبة من اتخذ من الشائع دليلاً على صدق الخبر المشاع. فلك عزيزي القارئ أن تقدّر حجم الخسارة والضرر الذي لحق بمن جعل من المُشاع حجةً وبرهاناً وهم واقفون أمام القدرة يوم الفزع الأكبر وعذرهم المردود هو (**ـ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا**)(الأحزاب:٦٧).

من المشاعات أيضاً حتى عهد جاليليو (توفي سنة ١٦٤٢م) أنّ الأرض هي مركز الكون، وعليه فإن الشمس تدور حول الأرض. وبقي هذا الاعتقاد، الذي كان مصدره أرسطو (توفي سنة ٣٢٢ ق.م) وأيّده فيه بطليموس (توفي سنة ١٦٥ م)، شائعاً بين الناس أكثر من ألف وثلاثمائة سنة. فتأخر اكتشاف الكثير من قوانين الفلك والحركة الكونية بسبب هذا الشائع العلمي الخاطئ لتدفع الحضارة البشرية فاتورة مُشاعات لا أساس لها سوى أنّها صدرت من أحد كبار القوم وأيدها كبير آخر. ومادمنا مع جاليليو فلنا أن نذكر مسلّمة علمية شائعة خاطئة آخر كان مصدرها أرسطو أيضا وصححها جاليليو، ومفادها أن الأجسام الأثقل وزناً تهوي إلى الأرض بتأثير الجاذبية في زمن أقصر من تلك الأخف وزناً. فاستقر هذا القانون الوهمي بين المثقفين والأكاديميين ناهيك عن العامّة، ولم يعبأ أحدٌ بالتحقق من هذا القانون، فشيوعه بين الأكاديميين وانتشاره في المؤسسات العلمية كالجامعات والمكتبات كان دليلاً وهمياً على صحته. ثم جاء جاليليو ليثبت نقيضه بالتجربة العلمية خلاف المروي المُشاع، حيث أجرى تجربته الشهيرة بإسقاط مطرقة معدنية وقذيفة مدفع معدنية سوياً من أعلى برج "بيسا" فأثبت حينها بأن الأجسام المختلفة الأوزان تهوي إلى الأرض بنفس

الزمن، وفتح الباب بذلك على مصراعيه لاكتشاف معامل الجاذبية الثابت- ج=٩,٨١ م/ث[٢] - وهو ثابت فيزيائي مهم، بل ضروري لفهم القوانين الديناميكية التي ساهمت بشكل فعّال في الدفع نحو تحليق الطائرات في السماء بل وفي إطلاق الأقمار الصناعية وبقائها في حركة مدارية حول الأرض. فكم ساهم هذا التسليم للشائع في تأخر الركب العلمي الإنساني؟ ولولا مخافة الإطالة لسّطرنا هنا الكثير من المشاعات القديمة والمعاصرة التي أدت إلى ضلال أمم أو تأخر مجتمعات عن ركب التقدم والتطور ناهيك عن تلك التي أسست لعادات وتقاليد بالية تفشت في المجتمعات الصغيرة والكبيرة دون معرفة الحكمة ولا المنطق وراء تفشيها أو استمرار العمل بها. ويمكن للقارئ الكريم إضافة العديد من المشاعات المبهمة، علمية كانت أو اجتماعية أو عقائدية يجدها في مجتمعه، ذلك أن المشاعات ليست حكراً على مجتمع أو أمّة أو زمان أو مكان. وما ذكرنا أعلاه مجرد أمثلة لبعض المشاعات الخاطئة بعضها غاية في الخطورة بسبب انتشاره بين الناس وتمكنه من العبور إلى مخزون وعيهم دون الحاجة إلى تأشيرة مرور هي شرط توفير الحجة.

فعليه يمكن القول إنّ كل من ارتضى أن يتبنى الشيوع دليلاً على صحة عادة أو خبر أو عقيدة، وخاصة الموروث منها من دون تدبر ولا نظر ولا تريث، فإنه ينتهج بذلك نهجاً يسير به في مسار تصادمي مع ما حذر منه القرآن الكريم ورسول اللّه (ص)، فلا يتحسر إذا حاق به ما لا يرتضيه. فأين نحن من قول اللّه جلَّ جلاله في أمر الشائع الموروث بين الأمم إذ يخاطب الناس على لسان المرسلين فيكون جوابهم (**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ**)(المائدة:١٠٤). أين نحن من دعوة المرسلين إلى النظر والتعقل في أمر عبادة أقوامهم لأصنام يصنعونها بأيديهم فكان جواب أقوامهم من منطلق المنهج الاستدلالي الذي اتبعوه (**قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ**)(الأنبياء:٥٣). أين نحن من معاناة المرسلين وهم يجاهدون لتغيير ثقافات بالية تجذرت في مجتمعاتهم فكان دليل اتباع الشائع حجرَ عثرة على طريق التجديد والتغيير وهو المنطق السائد وفحواه (**ـ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ**)(الزخرف:٢٣). كما أن لرسول اللّه (ص) والراسخين في العلم أقوالاً كثيرة

تحذرنا من الانجرار دون تدبر وتفكر وراء المشاعات والإشاعات. فقد ورد عن الرسول (ص) قوله" **لا يكونن أحدكم إمعة، قيل: وما الإمعة؟ قال: الذي يقول: أنا مع الناس**"[(٢٩)]. وفي حديث آخر قال " **لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا.**"[(٣٠)] لذا لا نرى أن شيوع خبر أو عادة أو معتقد دليل على صحة المشاع، ولا يمكن أصلاً اعتبار هذا مصدراً علمياً يجوز للعاقل أن يركن إليه وكفى. ولا يفوتنا أن نذكر أن هناك الكثير من المشاعات السليمة لأنها مرتكزة على براهين وحجج واضحة مصداقا لقوله تعالى (ـ **قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**)(البقرة:١١١). فهذا النوع من المشاعات هي حقائق خضعت ولا تزال تخضع وبشكل متجدد للتحليل والنقد ولكنها دائما تصمد عبر الأزمان.

خلاصة القول هو أن أفراد العينة التي أجابت بأن شخص فرعون حسب ما يتبادر إلى أذهانهم هو أقرب إلى الصورة رقم ٢ والتي تمثل هيئة أحد ملوك وادي النيل، والذين استندوا في إجابتهم إلى المروي الشائع كمصدر معلوماتي كافٍ، هم بحاجة لمراجعة منهجهم الاستدلالي كونه مستنداً على قاعدة قاصرة وتكاد تكون خاوية ولا يمكن أن يُعْتَدَّ بها في إثبات أو نفي قطعيين.

٢- أقوال أئمة وخطباء المساجد والعلماء المعاصرين

بعد الشائع النافي للشكّ حسب معتقد معظم العينة التي تم استفتاؤها في السؤال المطروح أعلاه، جاء في المرتبة الثانية أقوال أئمة وخطباء المساجد والعلماء المعاصرين كمصدر معلوماتي يسند إجابتهم. ولنا هنا وقفة مع هذا المصدر وعلاقته بالسؤال.

يجب التنبيه إلى أننا بحضورنا واستماعنا إلى معظم الخطب والدروس في المساجد والمؤسسات الدينية بشكل عام فنحن واقعاً نتلقى علوماً غدت اليوم ذات

[(٢٩)] – محمدي الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٣ ، ص٢٦٢٠.

[(30)]- الترمذي، السنن، ج٣، ص ٢٤٦.

طابع وعظي نقلي في الغالب وليس تحقيقياً أو تنظيرياً. بمعنى آخر يمكن القول إنّ دروس ومحاضرات المساجد المعاصرة بقيادة الخطباء الكرام، والتي تعتبر مصدراً معلوماتياً مؤثراً وفعّالاً، لا تكاد تتعدى اليوم النقل عن السلف والتابعين وذلك حسب المدرسة أو المذهب الذي ينتمي إليه الخطيب أو الإمام أو المؤسسة الوعظية. لذلك فإن الطابع العام لهذا المصدر المعلوماتي المهم بات يتسم بالعنعنة (عن فلان عن فلان) إلى جانب نقل متن الرواية أو الحديث مع تبيان ارتباطه ببعض حيثيات أحداث الساحة المعاصرة. أما التحقيق في المنقولات والطرح التنظيري لشؤون المسلمين المعاصرة أو التاريخيّة فيكاد يكون معدوماً من خلال هذه النافذة التعليمية المهمة. وهذا ليس مستغرباً بالنظر إلى طبيعة الحضور واختلاف مستوياتهم واهتماماتهم إلى جانب ضغط الوقت المتاح للمحاضرة أو الخطبة الواحدة والذي قلما يتعدى الساعة من الزمان. أما التحقيق والتنظير فمكانهما في عصرنا بات حكراً على الحوزات العلميّة والجامعات التشريعيّة التي لم تثر الموضوع الذي نحن بصدده، وهو التحقق من هوية فرعون الشخصية وما لذلك من تبعات جسيمة وبعثرة لقضايا نورانية كنا نعتقد أنّها مرتبة ومنضبطة في وعينا. لذا لا يمكن اعتماد أي مصدر نقلي أو وعظي لإثبات أو نفي موضوع تحقيقي كالذي نحن بصدده الآن.

أما اعتبار أقوال العلماء المعاصرين مصدراً معلوماتياً للسؤال المطروح فلنا أيضاً وقفة معه. فالحجة تقام إذا وضع العلماء المعاصرون تحقيقاً في الموضوع المطروح في هذا البحث، ولكن الواقع هو أن معظم العلماء المعاصرين والسالفين لم يدرجوا موضوع هويّة فرعون بشكل تحقيقي جاد في جدول أبحاثهم. والمتمعن في كتابات وتعليقات العلماء والمفكرين في ما يخصّ الموضوع يجد أنه يُذكر ذكراً عابراً وليس تحقيقاً في هوية فرعون المشاعة، وذلك ضمن سياق مواضيع تحقيقية مختلفة بعيدة عن بحر الموضوع، مما ألهم القارئ ضمناً ومن غير قصد أن هويّة فرعون المشاعة محسومة لدى العلماء الأفاضل وليست موضع نقاش، بل إنها على العكس محلّ توافق وتسليم من قبل هؤلاء العلماء، سواء أكانوا علماء شرقيين أم غربيين. فغلب بذلك تأثير تسليم كثرة العلماء على تحقيق القلة منهم، مما ساهم في خفاء الحقيقة عن

كثير من الناس في الشرق والغرب على السواء، كما انعكس جلياً في إجابات أفراد العينة ومبرراتهم.

خلاصة القول في هذا الصدد هي: أولاً، من غير الصحيح علمياً اعتماد مقال نقلي أو وعظي -كخطب ومحاضرات المساجد- مصدراً لإثبات موضوع تحقيقي أثير بسبب المصدر النقلي نفسه. ثانياً، تسليم العلماء المعاصرين والسالفين بنقل أو سرد هوية فرعون المشاعة في معرض أبحاثهم أو خطبهم أو تحقيقاتهم في مواضيع مختلفة، لا يعني أنهم قد حققوا في أمر هوية فرعون نفسه فهو مجرد استشهاد بمّسلم. لذا لا يكمن اعتبار هذا النوع من الاستشهاد مصدراً علمياً يعتد به. وعليه، كما يستشف القارئ الكريم، لا يوجد مبرر لاعتبار مثل هذا النقل والاستشهاد مصدراً جديراً بالتحقيق.

٣- تفاسير القرآن الكريم

جاءت تفاسير القرآن الكريم كمصدر معرفي للتحقق من هوية فرعون في المرتبة الثالثة حسب العينة التي تمَّ استبيانها وذلك لعدم إلمام جميع أفراد العينة بحقيقة أنّ كتاب الله ذكر ما يمكن أن يعتبره الكثيرون دليلاً تحقيقياً في هوية فرعون الشائعة. فقد جاء في كتاب الله أن "مصر" كانت الأرض التي شهدت أحداث فرعون وبني إسرائيل. ولأنّ الراسخ في وعينا هو أنّ "مصر" التي ورد ذكرها في كتاب الله هي عينها بلاد وادي النيل، التي نعرفها اليوم بجمهورية مصر العربية، فقد استدل المفسرون بذلك على أنّ فرعون كان بالضرورة أحد ملوك وادي النيل، وأسهم هذا التفسير في تعزيز التصور الشائع بشأن انتماء فرعون لبلاد وادي النيل، إذ جُعل لهذا الطرح المشاع أساس قرآني يرتكز عليه. وفيما يلي مجمل الآيات التي نزلت في هذا السياق:

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(يونس:٨٧).

(وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)(يوسف:٢١).

(فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ)(يوسف:٩٩).

(وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ)(الزخرف:٥١).

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ)(البقرة:٦١).

وهناك أيضا آيات اليم الذي أخبر جلَّ وعلا عن إلقاء موسى (ع) فيه وهو رضيع، والذي انفلق أيضاً لموسى بإذن الله حين خروجه عليه السلام من مصر ببني إسرائيل متجهاً نحو الأرض المقدسة. و"اليم" كلمة تستخدم في اللسان العربي السرياني والعربي الفصيح على السواء وتعني النهر أو البحر الكبير. ولأنّه يوجد فعلاً نهر كبير ببلاد وادي النيل، فمن المنطقي أن هناك من استدل عقلياً على أن نهر النيل هو اليم المذكور في كتاب الله، مما يعني أن القرآن الكريم يؤكد ضمناً أن موسى (ع) وفرعون كانا واقعاً في بلاد وادي النيل. وهذا الفهم لآيات الذكر الحكيم بشأن تحديد اليم جغرافيا هو أيضاً أحد أسباب شيوع الاعتقاد بأنّ فرعون هو واقعاً أحد ملوك وادي النيل. وإليك بعضاً من الآيات التي تتحدث عن هذا اليم:

(فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ)(الأعراف:١٣٦).

(أَن اقْذفيه في التَّابُوت فَاقْذفيه في الْيَمِّ فَلْيُلْقه الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)(طه:٣٩).

(فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِه فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ)(طه:٧٨).

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضعيه فَإِذَا خفْت عَلَيْه فَأَلْقيه في الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)(القصص:٧).

خلاصة القول أنّ هذا المرتكز المعرفي العظيم الذي أسهم ظاهراً في تفشي الاعتقاد بأن فرعون هو أحد ملوك وادي النيل جدير بالتحقيق والتدقيق. ويجب التأكيد هنا على أنّ ما نروم التحقيق فيه هو ليس الآيات النورانية نفسها قطعاً، فهي مزّكاة ومترفعة عن تحقيق الإنس والجن، وإنما نسعى للتحقيق في فهمنا لهذه الآيات وما استقرَّ في وعينا حولها وطريقة تعاطينا معها وكيف أسهم فهمنا وتفسيرنا هذا في تشكيل وعينا ورؤانا بخصوص الموضوع الذي يتناوله هذا البحث.

٤- روايات المؤرخين المسلمين

يتضمن هذا المصدر المعلوماتي الكثير من الروايات والمنقولات التي توضح بأن الأحداث التي دارت بين فرعون وبني إسرائيل حدثت فعلاً في بلاد وادي النيل حيث يرد ذكر اسم نهر النيل مرادفاً لذكر كلٍ من موسى (ع) وفرعون وبشكل متكرر. ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في معرض ذكر موسى (ع) وفرعون في كتاب البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي "**ـ ثم أخبر تعالى عن تبجح فرعون بملكه وعظمة بلده وحسنها وتخرق الأنهار فيها وهي الخلجانات التي يكسرونها أمام زيادة النيل ثم تبجح بنفسه وحليته وأخذ ينتقص رسول الله موسى عليه السلام ويزدريه بكونه..**"[(٣١)].

ليس هذا فحسب، بل ورد أيضا ذكر نبي اللّه موسى (ع) وفرعون رديفاً للأقباط، أي شعب وادي النيل العريق، ومثال ذلك ما نقرأه في المقتبس التالي من كلام

[(31)]- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص٣٠٩.

الشيباني"- **فلما طال الأمر على موسى أوحى الله إليه يأمره بالمسير ببني إسرائيل وأن يحمل معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالأرض المقدسة فسأل موسى عنه فلم يعرفه إلا امرأة عجوز فأرتـه مكانـه في النيل فاستخرجه موسى وهو في صندوق مرمر فأخذه معه فسار وأمر بني إسرائيل أن يستعيروا من حلي القبط ما أمكنهم ففعلوا ذلك وأخذوا شيئا كثيرًا وخرج موسى ببني إسرائيل ليلاً والقبط لا يعلمون** -"[٣٢].

ولا تقف الدلائل في المرويات التراثية العربية عند هذا الحد، بل إن هناك روايات كثيرة عن مؤرخينا الأوائل تصّرح بأن الأحداث وقعت في بلاد وادي النيل أي "مصر" التي تُعرف اليوم بجمهورية مصر العربية، وفيما يلي مقتطف من هذا التصريح كما ورد في كتاب الكامل في التاريخ "... **وكان شأن فرعون قبل ولادة موسى أنه رأى في منامه كأن نارًا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل وأخربت بيوت مصر فدعا السحرة والحزاة والكهنة فسألهم عن رؤياه فقالوا يخرج من هذا البلد يعنون بيت المقدس الذي جاء بنو إسرائيل منه رجل يكون على وجهه هلاك مصر**..."[٣٣].

إن هذه الروايات من الكثرة والإصرار بحيث تستدعي إدخال مصادرها في آلية التدقيق والتحقيق لكونها مصدراً مؤسساً للإجابة الشائعة بيننا اليوم والتي تصرح بيقين لا يداخله شك بأنّ فرعون موسى هو واقعاً أحد ملوك وادي النيل.

٥- التوافق الأممي- المسيحي اليهودي

إن لهذا المرتكز المعلوماتي دوراً لا يستهان به في تشكيل الاعتقاد الشائع بيننا اليوم في ما يخص هويّة فرعون. فليس سراً أن المسيحيين ومن قبلهم اليهود كانوا يلقنون نشأهم بعقيدة أن فرعون كان أحد ملوك وادي النيل، وأن بني إسرائيل كانوا

---

[32]- الشيباني، الكامل في التاريخ، ج١، ص١٤٣.

[٣٣] – الشيباني، الكامل في التاريخ، ج١، ص١٣١.

يستوطنون وادي النيل بعد أن هاجر نبي الله يعقوب (ع) وبنوه إلى" مصر" حيث تمكّن ابنه نبي اللّه يوسف (ع) من الأرض هناك وأصبح شخصية بارزة في الدولة "المصرية". وهذه المقولة المترسخة في ثقافة المسيح واليهود لم تأت من فراغ وإنما استُمدت من التوراة المحّرفة كما هو واضح من المقتبس التوراتي التالي:"١ **هَا هُوَ الرَّبُّ قَادِمٌ إِلَى مِصْرَ يَرْكَبُ سَحَابَةً سَرِيعَةً، فَتَرْتَجِفُ أَوْثَانُ مِصْرَ فِي حَضْرَتِه، وَتَذُوبُ قُلُوبُ الْمِصْرِيِّينَ فِي دَاخِلِهِمْ ٢ أُثِيرُ مِصْرِيِّينَ عَلَى مِصْرِيِّينَ فَيَتَحَارَبُونَ، وَيَقُومُ الْوَاحِدُ عَلَى أَخِيهِ، وَالْمَدِينَةُ عَلَى الْمَدِينَةِ وَالْمَمْلَكَةُ عَلَى الْمَمْلَكَةِ، ٣ فَتَذُوبُ أَرْوَاحُ الْمِصْرِيِّينَ فِي دَاخِلِهِمْ، وَأُبْطِلُ مَشُورَتَهُمْ، فَيَسْأَلُونَ الأَوْثَانَ وَالسَّحَرَةَ وَأَصْحَابَ التَّوَابِعِ وَالْعَرَّافِينَ ٤ وَأُسَلِّطُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ مَوْلىً قَاسٍ، فَيَسُودُ مَلِكٌ عَنِيفٌ عَلَيْهِم هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ ٥وَتَنْضُبُ مِيَاهُ النِّيلِ وَتَجِفُّ الأَحْوَاضُ وَتَيْبَسُ ٦ تُنْتِنُ الْقَنَوَاتُ، وَتَتَنَاقَصُ تَفَرُّعَاتُ النِّيلِ وَتَجِفُّ، وَيَتْلَفُ الْقَصَبُ وَالأَسَلُ..**"[٣٤]

وفي مكان آخر من التوراة نقرأ خبراً أكثر تحديدا حيث نجد أنّ ثمة شخصاً يلقب بفرعون أيضاً:

"**١ وَبَعْدَ انقضَاءِ سَنَتَيْنِ رَأَى فِرْعَوْنُ حُلْماً، وَإِذَا بِهِ وَاقِفٌ بِجُوَارِ نَهْرِ النِّيلِ ٢ وَإِذَا بِسَبْعِ بَقَرَاتٍ حِسَانِ الْمَنْظَرِ وَسَمِينَاتِ الأَبْدَانِ، صَاعِدَاتٍ مِنَ النَّهْرِ أَخَذَتْ تَرْعَى فِي الْمَرْجِ، ٣ ثُمَّ إِذَا بِسَبْعِ بَقَرَاتٍ أُخْرَى قَبِيحَاتِ الْمَنْظَرِ وَهَزِيلاَتٍ تَصْعَدُ وَرَاءَهَا مِنَ النَّهْرِ وَتَقِفُ إِلَى جُوَارِ الْبَقَرَاتِ الأُولَى عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ ٤ وَالْتَهَمَتِ الْبَقَرَاتُ الْقَبِيحَاتُ الْبَقَرَاتِ السَّبْعَ الْحَسَنَاتِ الْمَنْظَرِ وَالسَّمِينَاتِ وَأَفَاقَ فِرْعَوْنُ ٥ ثُمَّ نَامَ، فَحَلُمَ ثَانِيَةً، وَإِذَا بِسَبْعِ سَنَابِلَ نَابِتَةٍ مِنْ سَاقٍ وَاحِدَةٍ زَاهِيَةٍ وَمُمْتَلِئَةٍ ٦ ثُمَّ رَأَى سَبْعَ سَنَابِلَ عَجْفَاءَ قَدْ لَفَحَتْهَا الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ نَابِتَةً وَرَاءَهَا، ٧ فَابْتَلَعَتِ السَّنَابِلُ الْعَجْفَاءُ السَّبْعَ السَّنَابِلَ الزَّاهِيَةَ الْمُمْتَلِئَةَ وَأَفَاقَ فِرْعَوْنُ، وَأَدْرَكَ انهُ حُلْمٌ.**"[٣٥]

هذه النصوص التوراتية وشبيهاتها المنتشرة في العالم بكل اللغات الحية كانت ولا تزال البنية التحتية لآلاف المؤلفات والمقالات والقصص ناهيك عن المسرحيات

---

[٣٤] - سفر أشعياء ١٩، دار الكتاب المقدس الدولية: http://www.ibs.org/bibles/arabic

[35]- سفر التكوين ٤١، دار الكتاب المقدس الدولية: http://www.ibs.org/bibles/arabic

والمسلسلات التلفزيونية والأفلام السينمائية التبشيرية منها والثقافية أو الوثائقية، والتي تملأ المكتبات الغربية والشاشات الإعلامية المدبلجة والمترجمة. إن هذا الكم الإعلامي الهائل القديم والحديث الذي يعتقد أن نهر "النيل" لعب دوراً هاماً في مسيرة بني إسرائيل بقيادة نبي الله موسى (ع) وبخاصة في إعجاز شقّ البحر، قد حسم الموقع الجغرافي لأحداث فرعون ونبي الله موسى (ع) لصالح بلاد وادي النيل، كما حسم الأمر في وعي الأجيال المسيحية واليهودية لصالح أن فرعون هو أحد ملوك وادي النيل. وبذلك أُقفل أو كاد يُقفل الباب على هذه الفرضية التي بدت حقيقةً محسومة في ثقافة الأمم العالميّة. ولكن من خلال هذا البحث، سيتبين لنا أن الأمر ليس محسوماً كما يُراد له أن يكون. فهذا الباب وغيره من الأبواب الموصدة يجب أن تفتح على مصراعيها للنظر في ما خفي وطُمر وراءها. أما المحسوم فعلاً فلا يتعدى التأثير المباشر لهذا المصدر المعلوماتي في شيوع هوية فرعون الخاطئة على المستوى العالمي كما سيتضح من خلال هذا البحث. لذا يتوجب إخضاع هذا المصدر المعلوماتي للتحقيق والنظر.

٦- الترابط المنطقي بين الجغرافيا والأحداث التاريخية

لن يجد العقل السوي أي تضارب منطقي من ظاهر جزئيات قصة فرعون الشهيرة التي شكلت هويته الشخصية في أذهاننا. فكما نصّ كتاب الله، فإن فرعون حسب فهمنا للآيات المعنية كان بأرض تدعى "مصر" وأنه كان شخصية ذات سطوة وأنه ادّعى ملكية هذه الأرض التي تمتاز بوجود نهر كبير فيها. إلى جانب ذلك ذكر مؤرخونا أن أرض "مصر" هذه كان يقطنها شعب الأقباط إلى جانب بني إسرائيل ونبي الله موسى وأخيه هارون عليهم السلام. وتُعرف بلاد وادي النيل اليوم بمصر، مما يعني أن كل هذه الجزئيات الجغرافية التاريخية (الجغروتاريخية) تتوالى بنسقٍ منطقي لتشير إلى أن فرعون كان فعلا أحد ملوك وادي النيل. فلا توجد أرض أخرى تتميز بكل هذه الجزئيات مجتمعة إلا جمهورية مصر العربية. هذا ناهيك عن توافق اليهود والمسيحيين على هذا التوجه الذي يبدو منطقياً.

فعلى ضوء هذه المعطيات المتنوعة التي يشد بعضها إزر بعض، يصعب أن يشكك أحد في هوية فرعون النيلية المشاعة، أو يستغرب شيوع هذه "الحقيقة" الضاربة في القدم بين الناس والتي يتناقلها جيلٌ بعد جيل. ولكن رغم ذلك كله لا يمكننا اعتبار هذا الترابط المنطقي بين تلك الجزئيات دليلاً على صحة هوية فرعون المشاعة! والسبب هو أن الترابط الذي يبدو منطقياً قد لا يعود كذلك بعد التدبر فيه، وذلك ما حدث على سبيل المثال في قصة جاليليو ودوران الأرض حول الشمس. فظاهر الحركة الفلكية هو أن الشمس هي التي تدور حول الأرض كما يظهر جلياً للناظر من على سطح الأرض، بينما تبدو الحقيقة عكس ظاهرها في عين المتدبر. ومن جهة أخرى يمكن بسهولة ربط الجزئيات والمظاهر لتبدو منطقية للناظر. وهذا ما برع فيه بعض أمهر المجرمين، حيث يتركون خلفهم جزئيات مترابطة منطقيا لتؤدّي بأجهزة التحقيقات الجنائية إلى استنتاجات تُبعد المجرم الحقيقي عن الإدانة وتوقع آخرين لا ذنب لهم بالجرم. فكم من قتيل أُعتبر في عين القانون منتحراً بعد أن ترك القاتل جزئيات مترابطة منطقياً في مسرح الجريمة تشير إلى أن المجني عليه مات منتحراً لا قتيلاً؟ لذا لن نعتبر هذا الترابط مهما بدا منطقياً دليلاً أو مصدراً معلوماتياً جديراً بالاعتبار بل هو مؤشر ونتاج لواقع يجب تفسيره بعد التحقيق في الواقع نفسه.

٧- المناهج الدراسية ومنتجات وسائل الإعلام

إن هذه المصادر تعليمية في الكثير من برامجها. ولكنها ما أن تعالج مواضيع تراثية أو دينية حتى تتحول تلقائياً إلى جهات نقلية لا تحقيقية، تستقي مادتها العلمية من الشائع والمذهب وتوجهات السلطة القائمة عليها. لذا لا نجد في هذه الأجهزة النقلية التلقينية ما يمكن التحقيق فيه بشأن موضوع هوية فرعون الشخصية. ولكن ما من شك أنها تساهم بشكل فعّال في نقل وترسيخ المعلومات، صحيحة كانت أم خاطئة في ثقافة المشاهد أو المستمع.

التحقيق في هويّة فرعون الشخصيّة

إن تمحيص المصادر أعلاه يقودنا إلى ضرورة حصر التحقيق في هوية فرعون في نطاق ما جاء في كتاب الله والتراث العربي والغربي (اليهودي-المسيحي). وسنرجع إلى كتاب الله لاستيضاح الفهم القائم وتفسيره على ضوء ما جاء في آياته بينما سنرجع للتراث العربي والغربي للتعرف على فهمهما واستنتاجاتهما بهذا الشأن. وكما لاحظنا من السرد السابق للآيات ذات العلاقة، فإنّ القرآن الكريم أكد علاقة فرعون بمصر، ومن جانب آخر فإن الثابت في ثقافتنا (اليوم) هو أن "مصر" الوارد ذكرها في القرآن الكريم هي عينها بلاد وادي النيل والتي تعرف اليوم جغرافيا بجمهورية مصر العربية. فلنبدأ تحقيقنا بدراسة هذه العلاقة الثنائية القرآنية — الثقافية، كخطوة أولية في رحلتنا التحقيقية في هويّة فرعون.

هل "مصر" القرآن هي حقّاً جمهورية مصر العربية؟

لقد ورد في كتاب الله أن فرعون موسى كان يدّعي مُلك مصر (**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ**)(الزخرف:٥١). ولا توجد بلاد تُعرف اليوم باسم مصر، غير جمهورية مصر العربية. وهذا في ظاهره دليل قوي على أنّ فرعون كان أحد ملوك وادي النيل كما هو شائع بيننا اليوم. فهل هناك داعٍ لمزيد من التحقيق بعد أن حسم القرآن الكريم الأمر؟ ما نقوله بهذا الصدد هو أننا على قناعة بأنّ القرآن الكريم قد حسم موضوع ارتباط فرعون بمنطقة تعرف باسم "مصر" كما يتبين في الآية أعلاه، ولكن هل جاء في القرآن الكريم أيضا ما يؤكد أن "مصر" التي ادّعى فرعون مُلكها هي عينها جمهورية مصر العربية جغرافياً؟ أم أن مصر القرآن هي اسم لموقع آخر عناه فرعون وأن ثمة تشابهاً في الأسماء أدى بنا إلى الاعتقاد بأن بلاد وادي النيل هي المعنية بـ"مصر" الوارد ذكرها في التنزيل؟ هذا الأمر هو فقط ما نود التحقق منه.

يتمثل منهجنا في التحقيق هنا بكل بساطة في توجيه السؤال لأصحاب الأرض المفترضين، وهم حسب الشائع في العالم أجداد الشعب "المصري" العريق، كي يعرّفوننا

على اسم بلادهم كما كانت تُسمى أيام فرعون. ولا تقبل شهادة غيرهم من الشعوب في هذا الشأن، ذلك أنه حسب ما ورد في الآية الشريفة أعلاه، فإنّ فرعون نادى في مَن كان يسمعه من قومه بأنّه هو المالك "لمصر". ولم يكن تصريحه ذاك موجهاً لشعوب وأقوام العالم كلّهم السابق منهم واللاحق لزمانه. فهو وقومه يعون جيداً ومتفقون في ما بينهم على ما تعني "مصر" من حيز جغرافي معروف الموقع ومحدد الأبعاد. أما أن يكون هناك قوم أو شعب آخر، قريب أو بعيد مكانيًا أو زمانياً من قوم فرعون، يطلق على المكان الذي يعنيه فرعون وقومه اسماً آخر غير "مصر" فذلك لا قيمة له في تحقيقنا هنا. لأن القرآن الكريم نقل لنا ما كان فرعون وقومه يسمونه "مصر" وهو، كما أوضح القرآن الكريم، موقع جغرافي عبّر عنه بالقرية كما جاء على لسان إخوان يوسف في حوارهم مع أبيهم يعقوب (ع) (**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**)(يوسف:٨٢).

ولأننا نعلم أن الأراضي والبلدان قد تتغير أسماؤها عبر الأزمان، ومثال على ذلك مكة التي كانت تسمى في العصور السحيقة بمكربة والمدينة المنورة التي كان اسمها قبل البعثة المحمدية يثرب، والبحرين التي كانت تسمى أوال وتايلوس، وأشبانيا[٣٦] أو أسبانيا التي كانت تسمى مدةً الأندلس إلى آخره، لذا توّجب أن يكون سؤالنا الموجه لأجداد الشعب "المصري" دقيقًا ومقيداً بشرط آخر هو تحديد الفترة المتزامنة مع الحدث. وللتأكّد من شمولية التغطية الزمنية نقترح مسح الفترة الزمنية الواقعة ما بين نزول القرآن الكريم حيث هو مصدر استشهادنا رجوعاً إلى ما قبل عهد فرعون. فإذا ثبت أن بلاد وادي النيل كانت فعلا تسمى "مصر" أو على الأقل كان هذا أحد أسمائها التي سماها بها أصحابها قبل نزول القرآن، يتعين حينئذ الانتقال إلى الخطوة التالية وهي تحديد زمن هذه التسمية لنرى إن كان هناك توافقٌ بين زمن فرعون وزمن تسمية بلاد وادي النيل "بمصر". فإذا ثبت هذا التوافق علمنا يقيناً أنه لم يقع تشابه في الأسماء، ومن ثم ننتقل لإثبات أو نفي باقي المعطيات. فليكن سؤالنا

---

[36]- ينقل الحميري "إن أسبانيا كانت تعرف بلغة الإغريق بأشبانيا" — الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٠.

التحقيقي الموّجه لأجداد شعب جمهورية مصر العربية تحديداً ووفقاً لشرط الفترة الزمنية هو: **هل كان اسم "مصر" من بين الأسماء التي سميتم بها بلادكم في الفترة التي سبقت مباشرة نزول القرآن الكريم والذي نزل حوالي سنة ٦٠٠ للميلاد؟**

إن الكثير منا يعتقد أن الإجابة على السؤال التحقيقي أعلاه متوفرة في التراث العربي وبكثرة وتنوع وقوة، وكلها تشير لصالح المُشاع العام الذي مفاده أن بلاد وادي النيل هي عينها "مصر" الوارد ذكرها في القرآن الكريم، فما الداعي لهذا التحقيق وافتعال قضية محسومة تاريخيًا!؟ وجوابنا هنا أن منهج التحقيق هو الذي يجب أن يحدد ما إذا كانت قضايانا التراثية محسومة أم مسكوتاً عنها. فبقليل من التركيز والتفكيك نجد أن هذا الاعتقاد السائد واقعاً لا يجيب على السؤال المطروح أعلاه، بل يجيب على سؤال آخر لسنا معنيين به هنا ومفاده "**ما هو الاسم المتعارف عليه بين المسلمين لبلاد وادي النيل قبل نزول القرآن وبعد نزول القرآن؟**". والجواب على هذا السؤال جزماً هو "مصر". ويمكن إثبات ذلك بكل سهولة ويسر بالرجوع إلى مصادر التراث العربي التي تعج بذكر مصر كمسمى لبلاد وادي النيل. ولكن معرفة جواب لسؤال غير مطروح في سياق هذا التحقيق لن يغني عن الحق شيئاً. فكثرة ورود اسم مصر في كتبنا التراثية يتناول في معظمه الإجابة على أسئلة مختلفة تحددها صيغة السؤال نفسه، ونادراً ما طرح أحد السؤال التحقيقي المصاغ أعلاه والذي نسعى إلى الإجابة عنه في هذا البحث.

ويقيننا أن هذا الالتباس بين السؤال المحدد المطروح والجواب المتوفر الخاطئ هو أحد أهم الأسباب التي أدت إلى صياغة هذه الثقافة الشائعة بيننا اليوم. لذا نجد أن من الضروري قبل البحث عن الإجابة على السؤال التحقيقي المصاغ أعلاه، أن نعرض نموذجاً من مرويات تراثية عربية يرد فيها ذكر مصر دون أن يجيب على سؤالنا بشروطه، بل يفيد فقط بأن اسم "مصر" هو الاسم المتعارف عليه لبلاد وادي النيل بين العرب أثناء الحقب الإسلامية المختلفة ابتداء بصدر الإسلام الأول وانتهاءً بحقبتنا المعاصرة.

ما اسم بلاد وادي النيل ـ في تراث العرب؟

إن المتصفح للكتب التاريخية العربية التي تعنى بنقل أحداث الرحالة وحواراتهم وكتاباتهم ووصفهم للبلدان أيام الدول الإسلامية المتلاحقة، سيجد دلائل كثيرة تجيب على السؤال أعلاه. فتكرار اسم مصر كمسمى لبلاد وادي النيل يصعب حصره بسبب كثرة وروده في التراث العربي. ولكن هل تواتر اسم مصر بهذه الكثرة في متون الكتب التراثية يجيب على سؤالنا التحقيقي أعلاه؟ لننظر في هذا المقتبس التراثي لابن بطوطة كنموذج لما نعني: " ... **والنيل يفترق بعد مسافة من مصر على ثلاثة أقسام ولا يعبر نهر منها إلا في السفن شتاء وصيفا وأهل كل بلد لهم خلجان تخرج من النيل فإذا مد أترعها وفاضت على المزارع. الأهرام والبرابي من العجائب المذكورة على مر الدهور وللناس فيها كلام كثير وخوض في شانها وأولية بنائها ويزعمون أن العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت من هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى ويسمى الخنوج وهو إدريس عليه السلام وأنه أول من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية وأول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى وفيها أنه أنذر الناس بالطوفان وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الأهرام والبرابي وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة ويقال أن دار العلم والملك بمصر مدينة منوف وهي على بريد من الفسطاط فلما بنيت الإسكندرية انتقل الناس إليها وصارت دار العلم والملك إلى أن أتى الإسلام فاختط عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة الفسطاط فهي قاعدة مصر إلى هذا العهد والأهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت متناهي السمو مستدير متسع الأسفل ضيق الأعلى كالشكل المخروط ولا أبواب لها ولا تعلم كيفية بنائها ومما يذكر في شانها أن ملكًا من ملوك مصر قبل الطوفان ...**"[٣٧].

كما هو واضح من المقطع المقتبس أعلاه، فإن ابن بطوطة ينقل وصفاً ومعلومات عن بلاد وادي النيل التي يسميها "مصر". ولم يعنيه في هذا المقتبس مناقشة اسم بلاد وادي النيل حين أورد اسم "مصر" في وصفه لمشاهداته التي نقلها لقرائه العرب. فكل

---

[٣٧] – محمد اللواتي، رحلة ابن بطوطة ، ج١ ، ص٥٧.

ما أورده من مسميات هو ما كان متعارفًا عليه ثقافياً بين الناس في زمان تأليف كتابه. فهمّه كان نقل مشاهداته مع التعليق عليها لا مناقشة الأسماء الواردة فيها. ولو سألنا ابن بطوطة عن حقيقة ما إذا كان الاسم الذي أورده في كلامه، أي "مصر"، هو عينه الاسم الذي كان شائعاً في بلاد وادي النيل أيام فرعون أم لا؟ وما الدليل على ذلك؟ لأمكن أن يكون له كلام آخر. فلا يجوز أن ندعي أن ابن بطوطة والعشرات أمثاله من المؤرخين الكبار يجزمون كلما ذكروا اسم "مصر" في معرض رواياتهم وأخبارهم وقصصهم أن هذا دليل على أن شعب بلاد وادي النيل كانوا يسمون أرضهم "مصر" أيام فرعون! ولكن ما نستطيع الجزم به هو أن ابن بطوطة وبني قومه (في زمانه) كانوا متعارفين في ما بينهم على أن بلاد وادي النيل تدعى "مصر" ولكن، بمنأى عن فرعون وقومه، هل يعترف كل شعب وادي النيل حتى في زمن ابن بطوطة بما تعارف عليه ابن بطوطة وقومه أيام حكم المماليك البحرية لوادي النيل؟ ولتقريب الصورة أكثر، بعد فتح أشبانيا[٣٨] أطلق المسلمون اسم الأندلس على الأرض التي فتحوها وأصبح هذا الاسم متعارفاً عليه بين عموم المسلمين في شتى أصقاعهم وبلدانهم وملأ هذا الاسم كتب التاريخ عندنا كلما ورد ذكر أحداث فتح وعموميات شؤون أسبانيا. ولكن هل كان شعب أسبانيا آنذاك يعترف بهذا الاسم الذي جاءهم من الخارج رغم كثرة ذكره في كتبنا التاريخية؟ وهل احتفظوا به بعد أن استعادوا السيطرة على ارض أسبانيا رغم إنهم يعلمون أن تلك الأرض كانت تدعى في شتى أصقاع دول المسلمين المترامية بالأندلس؟ الجواب دون شكٍ هو كلا! فقد استبدلوا اسم الأندلس بالاسم الأصل وهو أشبانيا. لذا نؤكد للقارئ الكريم أن كثرة تردد اسم "مصر" كمسمى لبلاد وادي النيل في كتب التاريخ لا يعني شيئًا عندنا مادام هذا التكرار ليس لمناقشة أصل الاسم وتاريخه والتدليل على اعتراف قاطني الأرض بهذا الاسم وتبنيهم له في زمن كتابة المؤلف ناهيك عن زمن فرعون. فكثرة هذه المرويات التي تورد اسم "مصر" مرادفاً لبلاد وادي النيل في تراثنا إنما تبين تعارف المسلمين على اسم بلاد وادي والنيل بين المسلمين فقط، كما ساهم ذلك في تأصيل شيوع هذا

---

[٣٨] – كانت أسبانيا تلفظ أشبانيا على بعض الألسن بسبب تبادل حرف السين والشين في اللغة العربية القديمة.

الاسم بين أجيال المسلمين اللاحقة دون التحقيق في صحة انتمائه الأصيل لوادي النيل. ولكن هل هذا الشيوع على حجمه وقوة شوكته يجيب على سؤالنا التحقيقي المطروح أعلاه؟ كلا! فالاسم الذي نطلقه على مكان ما، ليس بالضرورة الاسم الذي يسميه به أصحابه.

وبعد أن تأكد لنا أن مسمى "مصر" كان شائعاً ومتعارفاً عليه بين المسلمين أيام المماليك، وهو زمن ابن بطوطة، كرديف لاسم بلاد وادي النيل، فإن علينا أن نرجع ٧٠٠ سنة تقريباً إلى الوراء لنصل قريبا من عهد رسول الله (ص) لنتحقق بأنفسنا ما إذا كان اسم بلاد وادي النيل مختلفاً آنذاك بين المسلمين أم مازال معروفاً باسم "مصر" أيضاً؟

ففي كتاب كنز العمال أورد المتقي الهندي نص كتاب الخليفة عمر بن الخطاب (رض) إلى قائد جيوش المسلمين عمرو بن العاص والذي فتح بلاد وادي النيل سنة ٢٠ هجرية. وجاء في كتاب الخليفة لعمرو بعد فتحه بلاد النيل ما نصه " ... **ثم انظر فيما فضل بعد ذلك فاحمله إلي واعلم أن ما قبلك من أرض مصر ليس فيها خمس وإنما هي أرض صلح وما فيها للمسلمين فئ تبدأ بمن أغنى عنهم في ثغورهم وأجزأ عنهم في أعمالهم ثم تفيض ما فضل بعد ذلك على من سمى الله واعلم يا عمرو أن الله يراك ويرى عملك فإنه قال تبارك وتعالى في كتابه: (واجعلنا للمتقين إماما) يريد أن يقتدى به، وإن معك أهل ذمة وعهد وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأوصى بالقبط ...**"[٣٩]

فهذا المقطع المقتبس من هذا الخطاب القيّم ورد فيه اسم "مصر" على لسان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) أيضا كمرادف لاسم وادي النيل، كما جاء أيضا اسم القبط كمسمى لشعب ذلك الوادي، مما يؤكد أن بلاد وادي النيل هي المعنية في الخطاب. هذا يعني أن الشائع المتعارف عليه بين المسلمين يصل لعهد صدر الإسلام الأول. ومرة أخرى، كما هو الحال مع نقل ابن بطوطة السابق الذكر، لا نستطيع أن نعتد بورود اسم " مصر" في هذا الخطاب ولا في غيره من المكاتبات الإدارية بين

---

[٣٩] – المتقي الهندي، كنز العمال، ج٥، ص٧٥٩.

الخلفاء والولاة والقادة المسلمين ما دام ورود هذا الاسم يكتسي طابعاً تعارفياً لا تحقيقياً. وهو ما يتجلى بوضوح في كتاب الخليفة عمر (رض) حيث جاء موضوع الكتاب ليعظ ويوجه ابن العاص في شؤون شعب وادي النيل لا لمناقشة اسم بلاد وادي النيل وما إذا كان مُشتقاً من عهد فرعون. فلو طرحنا سؤالنا بشكل محدد على الخليفة الراشد ليبيّن لنا ما إذا كان اسم "مصر" هو ما تعارف عليه عرب الجزيرة فقط أم هو أيضاً ما تعارف عليه فرعون وقومه، فلا يبعد أن يكون للخليفة الراشد قولٌ آخر.

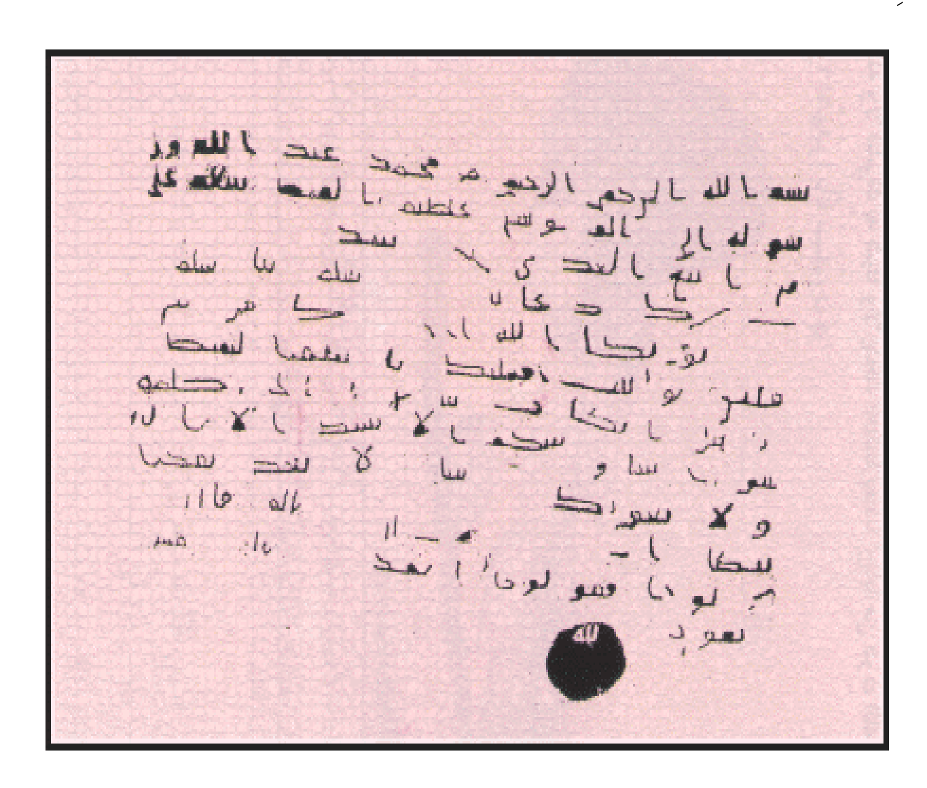
إن النصين المقتبسين أعلاه مجرد نماذج لمئات من المقتبسات المتناثرة في تراثنا العربي والتي من فرط كثرتها وتنوعها تجعل القارئ يسلّم دون وعي بأن "مصر" اسم أصيل لبلاد وادي النيل، وأنه بالفعل اسمٌ محسوم ومحقق فيه ومفروغ منه. ولكن ما أن تطرح هذه المقتبسات الكثيرة كإجابة على سؤالنا التحقيقي، حتى تراها على كثرتها تتهاوى الواحدة تلو الأخرى.

اسم بلاد وادي النيل عند رسول الله (ص)

كي نحصل على ما ينسجم مع مطلبنا التحقيقي من قرينة، يجب أن نتحصل على وثيقة جاء فيها ذكر لاسم بلاد وادي النيل في محضر زعماء أو ممثلين عن كلٍ من سكان الجزيرة العربية وسكان وادي النيل. فإن وثيقة كهذه من شأنها أن تكشف لنا عن الاسم الذي يسمي به سكان وادي النيل بلادهم. لذا سنلجأ إلى مكاتبات رسول الله (ص) إلى بلاد وادي النيل لنرى بأي اسم خاطب الرسول (ص) هذا الشعب العريق عن طريق حاكمهم الرسمي في ذلك الزمان. فقد بعث الرسول الأكرم (ص) برسالة إلى المقوقس حاكم بلاد وادي النيل يدعوه فيها إلى الإسلام وقد احتفظ التراث العربي بنص تلك الرسالة ووصلنا نقشها كما هو معروض في اللوحة رقم ٣ التي جاء فيها ما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم

تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط ، قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"[٤٠].



لوحة رقم ٣: كتاب خطي من رسول الله (ص) إلى حاكم بلاد وادي النيل المدعو بالمقوقس[٤١].

---

[٤٠] – الزيعلي، نصب الراية، ج٦، ص٥٦٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢، ص٣٨٣.

[٤١] – موقع الإسلام، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد:

http://sirah.al-islam.com/map-pic.asp?f=pica5؛

وأنظر أيضاً:

http://www.khayma.com/fahad1390/din/sirh/4.htm

كما هو واضح، نقرأ أن رسول الله قد وصف المقوقس حاكم بلاد القبط تحت الوصايا الرومانية بـ "عظيم القبط". والقبط هو اسم بلاد وادي النيل والأقباط هم شعب وادي النيل، فناداه بعظيم البلاد وعظيم شعبه وكبيرهم. فلا نرى هنا ذكراً "لمصر" أو "مصريين". فلو كان اسم بلاد وادي النيل في عهد الرسول الأكرم (ص) "مصر" لكان نعت شعب هذه الأرض "بالمصريين" فتوجب حينئذ أن ينادي رسول الله (ص) كبير هذا الشعب "بعظيم المصريين أو "عظيم مصر". ولتأكيد ما نرمي إليه نجد أن رسول الله (ص) كان منسجماً مع البروتوكولات والأخلاقيات الدولية المتعارف عليها في زمانه، وذلك ما فعله مع جميع الأمم في عهده. فقد نعت هرقل إمبراطور روما في رسائله إليه "بعظيم الروم"[٤٢] وشعب الروم ينعتون بالرومان. وكذلك الحال مع كسرى فارس إذ نعته في كتابه إليه "بكسرى ملك الفرس"[٤٣] وشعب فارس يعرفون بالفرس. والأمر نفسه مع النجاشي حيث ناداه "بعظيم الحبشة"[٤٤] وشعب الحبشة كما هو معروف ينعتون بالأحباش. وكذلك كان الحال مع بلاد القبط حيث كان شعب القبط يُعرف بالأقباط. فما علمناه من مكاتبات الرسول الكريم (ص) للمقوقس أنه نعته بعظيم القبط فهل صّرح المقوقس بأنه فعلاً عظيم القبط؟ فلنقرأ ردَّ المقوقس على كتاب رسول الله (ص) كما نقله لنا الميانجي وصاحب الطبقات الكبرى " **بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيًا قد بقى، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام[٤٥]، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم، وبثياب، وأهديت إليك بغلة لتركبها.**

---

(42)- أحمد بن حنبل، المسند، ج١، ص٢٦٣.

(43)- ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، ج٢، ص٢٩٦.

(44)- اليوسفي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج١، ص٥٧٣.

(٤٥) – وهذا مثال آخر على حجم الخسارة التي يمكن للمتناقل المشاع غير القائم على دليل أن يلحقها بصاحبه. فهنا نجد أن المقوقس على علم بخروج نبي، ووصله وكاتبه هذا النبي الموعود إلا أن شيوع ظهوره بالشام في ذلك الزمان حرم المقوقس وغيره من نعمة اتباع خاتم المرسلين.

والسلام عليك"[٤٦]. فإلى جانب أنه لم يرد ذكر "مصر" ولا "مصريين" في خطاب المقوقس الذي يفترض أنه مصري، فإننا وجدنا ما كنا نبحث عنه، حيث صرح المقوقس في رده كتابياً بأن بلاده تسمى عندهم "قبط" وذلك في معرض كلامه حين كتب "**وبعثت إليك بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم**". إضافة لذلك، نحن نعلم أن إحدى هاتين الجاريتين المعنيتين غدت لاحقاً أماً للمؤمنين بعد أن تزوجها الرسول الأكرم (ص)، واسمها مارية (أم إبراهيم) والتي كانت تلقب أيام الرسول (ص) وإلى يومنا هذا بـ"مارية القبطية"، أي السيدة التي تنتمي لأرض "القبط" وليس المعنى المشاع اليوم والذي يحصر مفردة قبط على نصارى بلاد وادي النيل. ودليل ذلك أن مارية بقيت معروفة بين المسلمين بمارية القبطية حتى بعد إسلامها، بل وحتى بعد أن غدت أماً لكل المؤمنين بفضل زواجها من خاتم المرسلين (ص) ولم يرد قط في تراثنا تغيير لقبها بعد إسلامها إلى لقب يرفع عنها أثر الديانة المسيحية كما هو اعتقادنا اليوم، فبقيت تحمل لقب بلادها القبط، كما بقي الصحابي صهيب يحمل لقب بلاده الروم وبلال يحمل لقب بلاده الحبشة وسلمان يحمل لقب بلاده فارس. هذا ولم يرد اسمها الشريف منعوتاً "بالمصرية" أي بهذه الصيغة "أم المؤمنين مارية المصرية".

خلاصة القول هنا، أنّ المسلمين في صدر الإسلام كانوا يسمون بلاد وادي النيل بخلاف ما كان شعب وادي النيل يسمي بلاده وينعت نفسه، كما كشف لنا ذلك رسول الله (ص) من خلال مكاتباته مع الأقباط. وهذا أمر غريب سُكت عنه دهراً في حين يستدعي المزيد من التحقيق لمعرفة عمر هذا الاسم أي "القبط" في بلاد وادي النيل. فلا يمكن لفرعون أن يقف وسط قومه مناديا (**يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ**) كما جاء في كتاب الله وهو في بلاد يسميها هو وقومه "قبط"؟! وما انكشف لنا هو أنّ أهل بلاد وادي النيل كانوا من زمنٍ ما وحتى عهد رسول الله (ص) في القرن السابع للميلاد، يسمون بلادهم القبط. وهذا ما يفسر لنا أن شعب بلاد وادي النيل ينعتون تاريخياً "بالأقباط". كما تدعونا هذه الحقيقة للتيقن من أن الأقباط لم يسموا بلادهم مصر

---

[46]- الأحمدي الميانجي، مكاتيب الرسول، ج٢، ص٤٢٤؛ محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٦٠.

ولم ينعتوا أنفسهم بالمصريين حتى زمن الخلفاء الراشدين وذلك لقرب الزمن بين كتاب الرسول (ص) وحقبة الخلفاء الراشدين، وهذا الطرح يؤيده ما جاء في كتاب الخليفة عمر (رض) الآنف الذكر حيث نعت شعب وادي النيل بالأقباط. مع ذلك لا نستطيع أن نعتمد ما جاء في مكاتبات خاتم المرسلين (ص) وعظيم الأقباط وذلك لتحقق شرط واحد فقط من السؤال التحقيقي وهو معرفة ماذا كان يُسمي الأقباط بلادهم قبل نزول القرآن الكريم. ولكن لا يزال شرط الزمن مفقوداً، لكون عظيم الأقباط كشف لنا عن اسم بلاده في زمانه وليس في زمن فرعون الذي يسبقه بحوالي ١٩٠٠ سنة. ومع ذلك فإن هذا الكشف أحدث نقله هامة في التحقيق تتمثل في انكشاف أن ثمة تنازعاً بين اسمين لبلاد وادي النيل أحدهما "القبط" والآخر "مصر". حيث رجّح المسلمون اسم مصر على اسم القبط بينما رجّح الأقباط القبط على مصر لذا لزمنا المزيد من التحقيق في الأمر.

من هم الأقباط؟

أطلق المقوقس اسم القبط على بلاده، ويملأ هذا الاسم والنعت المشتق منه "الأقباط" كتب التراث العربي بشتى أنواعها كدلالة على شعب وادي النيل، وكتاب رسول الله (ص) للمقوقس يؤكد هذه الحقيقة ويزكيها. فلماذا لا نسّمي نحن اليوم شعب جمهورية مصر العربية "بالأقباط" واستبدلناه وأجدادنا بلفظ "المصريين"؟ متى انحسر هذا الاسم التاريخي ومتى استبدل إلى ما أصبحنا نتداوله اليوم؟ من هم الأقباط الذين اختفوا عن وعي مسلمي اليوم بعد أن كانت تعج بهم وديان بلاد النيل؟ إن ما ورد في تراثنا هو أن أكثر الناس بوادي النيل كانوا الأقباط كما ينقل المقدسي"... **وقد جعلنا إقليم مصر على سبع كور ست منها عامرة ولها أيضا أعمال واسعة ذات ضياع جليلة ولم تكثر مدائن (مصر) لأن أكثر أهل السواد قبط.**"[٤٧] والمقرزي يؤكد نفس الحقيقة ويذكر أسماء الجنسيات الدخيلة على بلاد الأقباط فها هو يقول ".. **وقال أبو الصلت: وأما سكان أرض (مصر) فأخلاط من الناس**

[٤٧] – المقدسي، أحسن التقاسيم، ج١، ص ١٧٥. موقع الوراق: http://www.alwaraq.com

مختلفو الأصناف والأجناس من قبط وروم وعرب وأكراد وديلم وحبشان، وغير ذلك من الأصناف إلا أن جمهورهم قبط .."[٤٨] بل إن تعداد الأقباط كان يقارب أو يضاهي عشرة ملايين نسمة أيام عمرو بن العاص، وذلك ما نستخلصه من دفاتر الخراج. فقد نقل صاحب النجوم الزاهرة هذا الخبر "**.. وقال عبد الله بن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمي لما فتح عمرو مصر صالح أهلها عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبي فأحصوا بذلك على دينارين دينارين فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف.**"[٤٩] وهذا يعني أن الشباب والرجال من الأقباط كان تعدادهم أربعة ملايين نسمة أيام الفتح الإسلامي. أضف إلى ذلك عدد النساء والشيوخ والأطفال وهم بطبيعة الحال أكثر من الرجال والشباب فيبلغ التعداد الإجمالي تقديرا زهاء عشرة ملايين. أضف إلى ذلك أن المسلمين لم يفتحوا جميع أقاليم بلاد وادي النيل إبان فتوحاتهم، لذا بقي من الأقباط جمعٌ خارج دائرة الخراج مما يعني أن تعداد النفوس كان أكثر من عشرة ملايين بكثير. فأين ذهبت كل هذه الملايين من شعب الأقباط منذ الفتح الإسلامي إلى اليوم؟

تلك كانت تركيبة شعب وادي النيل بغالبيته القبطية كما ذكر المقرزي. أما اليوم فلو سألت السواد الأعظم من المسلمين والعرب عن هوية الأقباط، لوجدتهم يكادون يجزمون أن الأقباط هم نصارى جمهورية مصر العربية والذين لا يتجاوز تعدادهم ١٥٪ من مجموع شعب الجمهورية. فهل هذا المفهوم الشائع بيننا حقيقة أم تعارفاً مضلاً بحاجة ملحة إلى المراجعة والتقويم؟

لكي نحقق في هذا الموضوع ينبغي أن نرجع أولاً إلى تراثنا لمعرفة ماذا يوجد في ذاكرة العرب بشأن شعب القبط وإلى أي زمن تمتد جذور هذا النعت في هذا البلد العريق. فهذا ابن خلدون في تاريخه يقول " **... وكذلك أيضا القبط دام ملكهم في الخليقة ثلاثة آلاف من السنين فرسخت عوائد الحضارة في بلدهم (مصر)**

---

[٤٨] – المقرزي، المواعظ والاعتبار، ص ٦١.

[٤٩] – جمال الدين الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج١ ، ص١٨ .

وأعقبهم بها ملك اليونان والروم ثم ملك الإسلام الناسخ للكل فلم تزل عوائد الحضارة بها متصلة . . ."[٥٠]. هذا المقتبس من أقوال ابن خلدون يدل على أن شعب الأقباط عريق ويمتد واقعاً إلى عصور الأهرامات. وبمعنى آخر أن ملوك "الفراعنة" وبناة أهرامات الجيزة من خو- فو ومن- قرع وخف- رع وغيرهم من مشاهير الملوك الذين تملأ أسماؤهم كتب التاريخ وصولاً إلى المناهج الدراسية الحديثة، هم واقعاً الأقباط، فهم شعب القبط. و يؤكد ابن خلدون هذه الحقيقة في مقطع آخر حين يذكر الأهرامات في معرض حديثه بقوله " **. . . وأما ما وقع في (مصر) من أمر المطالب والكنوز فسببه أن (مصر) في ملكة القبط منذ آلاف أو يزيد من السنين وكان موتاهم يدفنون بموجودهم من الذهب والفضة والجوهر واللآلئ على مذهب من تقدم من أهل الدول فلما انقضت دولة القبط وملك الفرس بلادهم نقروا على ذلك في قبورهم فكشفوا عنه فأخذوا من قبورهم ما لا يوصف كالأهرام من قبور الملوك وغيرها وكذا فعل اليونانيون من بعدهم وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد ويعثر على الدفين فيها كثيراً من الأوقات أما ما يدفنونه من أموالهم أو ما يكرمون به موتاهم في الدفن من أوعية وتوابيت من الذهب والفضة معدة لذلك فصارت قبور القبط منذ آلاف من السنين مظنة . . ."**[٥١]. هذا يعني أن مفردة أقباط هي النعت الصحيح لشعب وادي النيل حتى عهد غزو الفرس الأول للقبط سنة ٥٢٥ ق.م، وذلك حسب كلام ابن خلدون الذي أكد أن مملكة الأقباط كانت قائمه منذ فترة ما قبل الأهرامات. ولنا أن نتساءل هاهنا هل كان بناة الأهرامات بالضرورة نصارى لأنهم كانوا يدعون بالأقباط؟ والإجابة بالنفي قطعاً، ذلك أن المسيحية بل وحتى اليهودية لم يكن لهما وجود أيام بناء الأهرامات. فمتى تمَّ ربط مفردة قبط وأقباط بالدين المسيحي والمسيحية وحصر هذا النعت على متبعي هذه الديانة في حين كان يستخدم للتعبير عن جنسية يمكن أن تكون متعددة الأديان؟ ولماذا تخلت مناهج المدارس عندنا عن ذكر حقيقة أن ملوك بلاد وادي النيل كانوا ينعتون بالأقباط

---

[٥٠] – ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص ٣٦٩.

[٥١] – ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص ٣٨٨.

واستبدل هذه المسمى الأصيل بـ "مصريين"؟ هذا ما سوف ندقق فيه عبر أقسام هذا البحث لنطلع على حقيقة شعب الأقباط العريق الذي لم يعد له ذكر في وعينا المعاصر بما يتناسب مع آثاره وحجمه السكاني وعراقته الضاربة في القدم.

بالاستناد إلى خطاب المقوقس في رده على كتاب رسول الله (ص) وكذلك كلام ابن خلدون يتبين لنا أن تسمية الأقباط لم يقتصر ذكرها كنعت لشعب وادي النيل عند عهد الإمبراطورية الفارسية، بل امتد حتى عهد رسول الله (ص). ولكن صياغة مقتبسات ابن خلدون أعلاه أضفت ضبابية على الموضوع حين فرّق في كلامه بين اسم البلد ونعت شعبها! فسمّى البلاد "مصراً" وسمى شعبها "القبط" وهو منطق متناقض وغير مفهوم ويُعدّ من جملة المتناقضات المسكوت عنها حتى الآن، والتي تتكرر في الكثير من صياغات مؤرخينا القدماء! فهل هذا التناقض هو كما أسلفنا ناتج عن تعارف عرب الجزيرة العربية على تسمية بلاد وادي النيل فيما بينهم بمصر في حين يسميها أهلها بالقبط؟ أم أن ثمة أمراً نجهله هو سبب هذا التناقض!؟ كي نتحقق من هذا الأمر الغريب، يتوجب علينا التحقيق في سجلات جميع الحقب السياسية التي حكمت بلاد النيل وهي في مجموعها خمس حقب رئيسية:

١- مملكة الأقباط.

٢ - حقبة الحكم الفارسي.

٣ - حقبة الحكم اليوناني.

٤ - حقبة الحكم الروماني.

٥ - حقبة الحكم العربي الإسلامي.

والهدف من هذا التحقيق التاريخي هو البحث عن مسميات بلاد وادي النيل، والتي اتضح لنا حتى الآن أنها محصورة في القبط أو قبط من غير ال التعريف، وذلك منذ عهد الأهرامات كما يشير ابن خلدون حتى عهد التنزيل. فهذه الدراسة ستعيننا على تتبع كيف ومتى دخل مسمى "مصر" إلى بلاد وادي النيل، فلعل ذلك يفسر لنا

لماذا اختار العرب تسمية أرض مملكة عريقة بخلاف ما كان يسميها أهلها. فلنبدأ بأقدم وأطول حقبة حاكمة في عمر وادي النيل وهي مملكة الأقباط.

اسم وادي النيل في حقبة مملكة الأقباط

اليوم، وبعد تراكم معرفي هائل نتيجة الدراسات الميدانية العلمية المحايدة، قطعت علوم الحفريات وعلوم اللغات القديمة شوطاً لا يستهان به في فهم الكتابات الهيروغليفية التي تملأ جدران المعابد والمدافن الملكية في بقاع شتى من بلاد وادي النيل، أي القبط، والتي تغطي مساحة زمنية ضاربة في القدم، إذ ترجع إلى عصور المملكة القديمة. هذا إلى جانب العديد من السجلات الملكية والحكومية التي كانت تُكتب على أوراق البردى. فبالرجوع إلى هذه الآثار والسجلات يمكن لنا اليوم أن نستنطق الأقباط القدماء لنستطلع منهم ما يهمنا في هذا البحث، وهو الاسم أو الأسماء التي أطلقوها على بلدهم تحديداً.

لقد أجمع علماء حضارة بلاد وادي النيل القديمة على قبول نظام تقسيم تاريخ هذه الحضارة العريقة عرفاً إلى عدة عصور متباينة ولكن مترابطة. ويمكن القول إن المؤرخ مانيتو القبطي[٥٢] هو أول من بدأ بعملية تقسيم التاريخ القبطي إلى حقب مبتدئاً بالعصر التاريخي يتبعه أخر سُمي بعهد الأسر الملكية. وقد قسم مانيتو ملوك الأسر الملكية إلى ٣٠ أسرة حاكمة تنتهي عند الغزو الفارسي الثاني لبلاد وادي النيل وذلك في سنة ٣٤٣ ق.م[٥٣]، والذي سبقه الغزو الفارسي الأول سنة ٥٢٥ ق. م. هذا التصنيف ساعد الباحثين كثيراً على فهم تاريخ القبط القديم حتى يومنا هذا. ذاك بالنسبة لحكام الوادي، أما بالنسبة للأرض فقد كان وادي النيل الممتد من الدلتا

---

(٥٢) – مانيتو هو مؤرخ وكاهن سمنودى عاش أيام بطليموس الأول والذي حكم مصر من سنة ٣٠٥ إلى سنة ٢٨٥ ق.م. جيمس هنري برستد، تاريخ مصر، ص١٧ .

(٥٣) – جيمس هنري برستد، تاريخ مصر، ص٥٦١ :

Digital Egypt http://www.digitalegypt.ucl.ac.uk/chronology/

قبالة البحر الأبيض المتوسط إلى بلاد النوبة جنوباً ينقسم إلى عدة إمارات صغيرة مستقلة أخذت تلتئم تدريجياً حتى تكونت منها مملكتان عظيمتان إحداهما في الوجه أو الإقليم العلوي أو الصعيد . كما أن هذا التقسيم كان معروفاً أيضاً في الغرب القديم كما جاء في خرائطهم السياسية القديمة حيث كان يعرف هذا الوجه بـ Superior Egypt)) أو (Upper Egypt). والوجه الآخر كان يعرف بالإقليم البحري أو السفلي ويعرف في الغرب بـ (Lower Egypt)أو (Inferior Egypt). (انظر الخريطة[٥٤] رقم ١). وبقي هذا التقسيم قائماً إلى ما بعد عهد رسول الله (ص) في القرن السابع الميلادي. وكان هناك على ما يبدو ملكٌ لكل إقليم على حدة، ولكن في حوالي عام ٣٠٢٠ ق.م نجح مينا، ملك الإقليم القبلي، من توحيد المملكتين تحت سلطته، فكان هذا الملك أول من حكم أرض القبط مجتمعة وأول ملوك الأسرة الأولى.

[٥٤] -خارطة العالم القديم للرسام الأسباني (Beato di Liebana) أصدرها في القرن الثامن أي قريباً من عهد الرسول (ص) وتمَّ نسخه في حوالي سنة ١٠٦٠ م Gianni ,The Discovery of the Nile –Guadalupi- map 31



خريطة رقم ١: خريطة تعود للقرن الثامن الميلادي توضح تقسيم الإقليمين العلوي والسفلي للرسام الإسباني بيتوليبانا

Beato di Liebana

فصار الملك مينا هو الحد الفاصل بين عهدين؛ العهد القديم أو العهد التاريخي وهو ما قبل الأسر الملكية والعهد الثاني وهو ما بعد الأسر الملكية[٥٥].

فماذا كان الأقباط يسمون بلادهم في حقبة ما قبل الأسر الملكية، أي قبل عام ٣٠٢٠ ق.م؟ الإجابة تتلخص في أن العلماء لم يتعرفوا بعد على اسم سياسي موحّد لبلاد وادي النيل في الحقبة التي سبقت عام التوحيد بين المملكتين. ولعل سبب ذلك هو أنه لم تكن هناك مملكة موّحدة قبل هذا التاريخ حتى يُطلق عليها اسم معيّن، مع العلم بأن تاريخ هذا الوادي يمتد إلى ما قبل سنة ٥٠٠٠ ق.م. فكانت بلاد وادي النيل في ذلك الوقت وكما سبقت الإشارة عبارة عن مدن وقرى متناثرة على امتداد ضفتي نهر النيل من البحر الأبيض المتوسط حتى بلاد النوبة جنوباً.

ولكن كان هناك اسم أسطوري قديم للوادي جاء ذكره في أساطير حضارة وادي النيل ولم يلتفت له الباحثون، وهو في يقيننا اسم الوادي حتى في الحقبة السابقة للأسر الملكية، وسوف نأتي على ذكره في المكان المناسب من هذا البحث.

أما بالنسبة لاسم الوادي بعد قيام مملكة الأقباط، وهي الحقبة الأطول في عمر أقاليم وادي النيل والتي تُعرف بعهد الأسر الملكية وتمتد من ٣٠٢٠ إلى ٣٤٣ ق.م، فالمتداول بين المتخصصين في علوم آثار وادي النيل أن أقدم اسم موحّد سمّى به شعب وادي النيل بلده كان يُلفظ (كيمي) (Keme) أو (كيمت) (Kemet) أو (كمت) (Kmt)[٥٦] والذي يعني الأرض السوداء. ويُعتقد أن هذا الاسم اختير للتعبير عن

---

[٥٥] -جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر، ص ١٨ .

[٥٦] - موقع مصر القديمة:

http://www.geocities.com/wally_mo/why_egypt.html

خصوبة الأرض النيلية. وهناك من ينطقها (كام) (Kam) أو (خام) (Kham)[٥٧] لأغراض تخدم مصالح الطرح اليهودي[٥٨].

ما يعنينا هنا هو أن جميع الأسماء الوارد ذكرها أعلاه، على اختلاف ألفاظها، وبفرض أن أحدها كان فعلاً الاسم الرسمي العريق الذي أطلقه شعب القبط على بلدهم، فإنها جميعاً لا تزال لا تمت إلى لفظة "مصر" بأية صلة. ويضيف المتكلمون في علم آثار بلاد وادي النيل أن الوادي تغير اسمه لاحقًا إلى هت – كا- بتاح[٥٩] (Ht-ka-Ptah). وهو المسمى الذي اشتق منه اسم مدينة منف أو منفيسMemphis والتي كانت تُعرف قديماً بين الأقباط بمدينة "الحائط الأبيض". وهذا محط خلاف فهناك من يختلف مع هذا الرأي ويؤكد أن هت-كا-بتاح أطلقه الأقباط فقط على المدينة التي تعرف بمنفس وليس على كلّ الوادي[٦٠]. ولم يجد العلماء ذكراً لأي أسماء أخرى يمكن النظر فيها غير مجموع تلك السالف ذكرها.

أما بالنسبة لاسم "مصر" فقد حاول بعض المتخصصين في علوم آثار وادي النيل أن يتتبع أثره في أدبيات شعب الوادي القديم لتفسير سبب إطلاق هذا الاسم المتعارف عليه بين شعوب المسلمين دون باقي شعوب العالم كاسمٍ لوادي النيل حتى يومنا هذا رغم عدم وجود أي ذكر لهذا الاسم الغامض في تاريخ القبط العريق. والطرح الوحيد المُتاح اليوم هو ما طرحه العالم الإنجليزي باج (E. Budge)، حيث اقترح أن مسمى

---

(57) - Wisdom of the Egyptians- Brian Brown، p 5 ،New York: Brentano's [1923]- http://www.sacred-texts.com/egy/woe/woe00.htm

(٥٨) - تحوير اللفظ من كمت أو كيمت إلى خام يسهل على مروجي الطرح اليهودي دفع اللفظ باتجاه "حام" وهو ابن نبي الله نوح (ع) ليثبتوا أن شعب بلاد وادي النيل (حسب تقسيم كتّاب التوراة لأعراق الناس) حامي وليس سامي وذلك بسبب وجود ذكر حام كاسم لبلاد وادي النيل كدليل تاريخي على طرحهم. وهذا اللفظ أي خام جاء في كتاب إبراهيم لمؤلفه جوزيف سميث وبدأ يشق طريقه في كلام المثقفين الغربيين.

(59) - The Origin of the Word, "Egypt" by Nermin Sami and Jimmy Dunn http://www.touregypt.net/featurestories/kmt.htm.

(60)- A Look into David Persuitte's Analysis of the Book of Abraham-by Kerry A. Shirts- http://www2.ida.net/graphics/shirtail/bookof.htm.

"مصر" قد يكون تحويراً للفظة "مدجر" (Medjr) والتي تعني بلغة شعب وادي النيل الحصن أو البرج أو القلعة ومنها اشتق تعبير "مصر المحروسة"[٦١] الذي كان متداولاً بين سكان القاهرة أيام الدولة الفاطمية ثم اختفى بعد ذلك. ويحتمل باج أن اليهود والعرب حين وصلوا إلى الوادي حوروا الكلمة نطقاً إلى "مصر" و"مصريم"[٦٢] بسبب تغاير الألسن. ولكن هذا التحليل حتى لو صحّ بعد ليّه وحشره في ما لا طاقة له به، فهو لا يخدم مرادنا حيث ينسب هذا الاشتقاق لا لشعب وادي النيل أنفسهم بل إلى من فتح بلادهم من المسلمين. أما ذكر اليهود فليس ذو قيمة إذ لم يكن لليهود قطّ سلطة على بلاد وادي النيل كي يقحموا اسماً غير الذي اتفقت عليه ملايين الأنفس من أهل الديار الأصليين من الأقباط. هذا إلى جانب أن "مصر المحروسة" هو تعبير منقرض كان يُطلق على القاهرة فقط، والقاهرة مدينة جديدة نشأت في العهد الإسلامي. وقد حدد لنا السيد عبد الوهاب الشعراني موقع "مصر المحروسة" هذه بقوله في سياق كلام له في كتابه "العهود المحمدية "**... ونزل الشيخ مرة هو والفقراء تحت شجرة جميز بنواحي المطرية خارج مصر المحروسة فجاء جماعة من مماليك السلطان فنزلوا ...**"[٦٣] والمطرية الوارد ذكرها في سياق الكلام هي اليوم منطقة من ضواحي العاصمة تقع شمال شرقي القاهرة. هذا يعني أن القاهرة المستحدثة في العصر الإسلامي هي المعنية بمصر المحروسة لذا فإن هذا اللقب ليس عريقاً ولذلك لا نجد لهذا الطرح ما يعتد به في هذا التحقيق.

---

[٦١] – تنفرد أدبيات الدولة الفاطمية بهذا التعبير في التراث العربي، من قبيل"...عثرت من رجال التواضع الخلقي بجماعة في مصر المحروسة وصحبتهم ، وانتفعت بصحبتهم ، منهم شيخ الإسلام الشيخ نور الدين والطرابلسي والحنفي والشيخ..." هذا كما جاء في العهود المحمدية للشعراني، ص٤٩٢ .

[62]-The Origin of the Word، "Egypt"-by Nermin Sami and Jimmy Dunn : http://www.touregypt.net/featurestories/kmt.htm ؛ The Origin of the Name، "Egypt" http://www.geocities.com/wally_mo/why_egypt.html

[63]-الشعراني، العهود المحمدية، ص٤٠٢ .

ويمكن القول إن تلك هي مجمل الأسماء القبطية التي يحتمل المتكلمون في علوم "المصريات" القديمة أن شعب وادي النيل أطلقها على بلاده الموّحدة في عصر الأسر الملكية. وفيما عدا ذلك بقي اسما الوجه القبلي والوجه البحري كما هما، وصار الملك على القسمين عبر السنين يُسمى بعدة ألقاب من ضمنها "ملك الوجهين" وليس ملك بلد واحد(٦٤).

والخلاصة أن ما أتينا به من أسماء قبطية هي جلّ ما يطرحه العلماء كمسمى لوادي النيل أيام حكم الأقباط، ولا يوجد من بينها اسم مصر ولا أي لفظ قريب من هذا الاسم! وهذا يعني بلاد وادي النيل في الزمن الذي عاش فيه فرعون لم تكن تسمى مصر. ومع ذلك سنواصل البحث عن اسم مصر في بلاد وادي النيل في الحقب التالية لحكم الأقباط عسى نتحصل على معلومات مفيدة في هذا الصدد.

اسم وادي النيل في حقبة الفرس

بالنسبة للحقبة الفارسية فقد حكم الفرس بلاد وادي النيل أثناء فترتين منفصلتين. بدأت الفترة الأولى مع الأسرة القبطية السابعة والعشرين: وتمتد من سنة ٥٢٥ ق.م إلى سنة ٤٠٤ ق.م، وتتكون من ٥ ملوك من الفرس هم:

١- قمبيز.

٢ - دارا الأول.

٣ - جزركسس الأول.

٤ - ارتكز ركسس.

٥ - دارا الثاني.

---

(64)- The Ancient Egypt site http://www.ancient-egypt.org/language/titulary/index.html#Prenomen

أما الفترة الثانية فبدأت مع الأسرة القبطية الحادية والثلاثين من سنة ٣٤١ ق.م إلى سنة ٣٣٢ ق.م، وتألفت من ٣ ملوك من الفرس هم[٦٥] :

١ - ارتكزرسس الثالث.

٢ — ارسيس.

٣ - دارا الثالث.

وطوال فترتي حكم الفرس للقبط لا يوجد أي سجل أو وثيقة تذكر أنهم غيّروا أسماء الأقاليم أو تركوا وراءهم تراثاً مكتوباً في أدبيات فارس تفيد بأنهم أدخلوا أسماء جديدة على الوادي. ولعل سبب ذلك هو أن حكم الفرس للوادي في مجمله لم يتعد ١٣٠ سنة متقطعة فلم يسعهم خلال تلك الفترة ترك أي أثر في مجال بحثنا ولو قصدوا ذلك. فحتى لو غيّروا اسم القبط أو أضافوا اسماً آخر، فإن الفترة الوجيزة التي استلموا فيها مقاليد القبط كفيلة بأن يعيد أهل الديار أسماء مناطقهم إلى سابق عهدها بعد زوال الاحتلال[٦٦]. كما أن تداول اسم القبط في عهد المقوقس دليلٌ على صحة ما نذهب إليه حيث وصل اسم "القبط" إلى عهد رسول الله (ص). لذا يمكن القول إن حقبة الحكم الفارسي للوادي لم يسعها إحداث تغيير يذكر في اسم الوادي الذي لم يتخلله ذكر "مصر" حين احتلوا البلاد.

اسم وادي النيل إبان حقبة اليونان والرومان

بدأت حقبة البطالمة أو اليونانيين على يد الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ ق.م، وتلاه بطليموس بن لاجوس وأسرته التي امتدت حتى سنة ٣٠ ق.م حيث كان آخر

---

(٦٥) - موسوعة حكام مصر:

http://www.rainbownet.com.eg/koll%20masry/Egypt%20Governor/Default.htm#7

(٦٦) - على سبيل المثال، وبعد أكثر من ٢٠٠ سنة، أعاد شعب الهند مؤخراً اسم عاصمتهم إلى صيغته القديمة "مومباي" وذلك بعد أن غيره الإنجليز أثناء الاحتلال إلى بمبي.

ملوك هذه الحقبة كيلوباترا القبطية التي حكمت القبط تحت الوصاية البطلمية. أما حقبة الرومان التي قامت على أنقاض الحقبة اليونانية، فقد بدأت سنة ٣٠ ق.م على يد الإمبراطور أغسطس وانشقت منها الدولة الرومانية البيزنطية لاحقاً وامتدت إلى عهد رسول الله (ص) سنة ٦٤٠ م قبل أن تنهار مع الفتح الإسلامي. وقد جمعنا الحقبتين في تحقيقنا لأن لكلتيهما تأثيراً متشابهاً على وادي النيل من ناحية تغيير أو تحوير أسماء الأقاليم. فقد غيرت السلطة اليونانية بعض أسماء الأقاليم والمدن أيام حكمها لوادي النيل بسبب تعذر نطق مخارج بعض الحروف القبطية أو لأغراض سياسية. ومثال على ذلك مدينة من - نوفر القبطية، التي سماها اليونانيون "منفيس"، بينما لفظها العرب "منف"[٦٧]. فإضافة حرف السين إلى أواخر الكلمات من مميزات اللغة اليونانية كقولهم بطليموس، أغسطس، لاجوس، انطونيوس، ماركوس، كارلوس، اوريليوس..الخ[٦٨]، وكذلك تحولت "خيم" إلى ليتوبوليس وتحوّرت "هيثرب" إلى اثريبس. ويمكن للقارئ الكريم الرجوع إلى عدة مواقع منها ما ذُكر أعلاه[٦٩].

---

[٦٧]- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر، ص١٤٦.

[٦٨]- يذكر ابن أبي أصبعة أن إضافة حرف السين عند اليونان هو أشبه بالتنوين في اللسان العربي"..قال حدثني ابن غاثون المطران بشوبك وإنه أعلم أهل زمانه بمعرفة لغة الروم القديمة وهي اليونانية إن في لغة اليونان كل ما كان من الأسماء الموضوعة من أسماء الناس وغيرهم، فآخرها سين مثل جالينوس وديسقوريدس وإنكساغورس وأرسطوطاليس ديوجانيس وأريباسيوس، وغير ذلك، وكذلك مثل قولهم قاطيغورياس وباريمينياس، ومثل أسطوخودس، وأناغالس، فإن السين التي في آخر كل كلمة حكمها في لغة اليونانيين مثل التنوين في لغة العرب الذي هو في آخر الكلمة، مثل قولك زيدٌ وعمرٌ وخالدٌ وبكرٌ وكتابٌ وشجرٌ، فتكون النون التي تتبين في آخر التنوين مثل السين في لغة أولئك"- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٧٤.

[69]-Akhet http://www.philae.nu/akhet/Nomes.html، The Nomes (Provinces) of Ancient Egypt :http://www.touregypt.net/featurestories/nomes.htm & THE NOMES OF EGYPT: http://www.coinsofromanegypt.org/html/library/petrie/petrie_nomes.htm & Map of Egypt - Ancient & Modern Site Names http://www.kendall-

ليتبين له أن حكام البطالمة اليونانيين قد أحدثوا تغيرات جمة في مسميات الأقاليم والمدن والقرى التي كانت تحمل أسماء قبطية أصلية. وبدراسة كل الأسماء قبل التغيير وبعده يمكن الوصول إلى نتيجة واحدة وهي أن اسم "مصر" لم يكن ضمن الأسماء التي أُدخلت على أي إقليم أو قرية أو مدينة قبطية إبان الحكم اليوناني (انظر خريطة رقم ٢[٧٠] التي تحوي أسماء أهم مدن وادي النيل كما جاءت باللسان اليوناني).

أما الرومان فقد ثبت أنهم أبقوا على المسميات التي ورثوها من البطالمة رغم اختلاف اللسان اليوناني عن اللسان اللاتيني. ويبدو أن سبب ذلك هو أن الحقبة البطليمية خلفت الكثير من السجلات الإدارية والسياسية والمالية والتخطيطية بعد انهيارها مما أسهم في بقاء المسميات كما هي[٧١]، وبخاصة أن الخط اليوناني الذي أدخله حكام البطالمة كبديل للخط القبطي بقي معمولاً به في شؤون إدارة القبط حتى بعد عهد دخول المسلمين إلى القبط[٧٢]، كما أن اللغة اليونانية غدت اللغة الرسمية في كلّ الدول التي قبعت تحت الاحتلال اليوناني بما فيها القبط.

أما بالنسبة للوادي نفسه فقد ترك اليونانيون والرومان اسماً واحداً موّحداً في سجلاتهم الأدبية والبيانية يدل عليه وهو ما يمكن أن نقرأه على الخرائط الرسمية الصادرة في الحقبتين. ففي العهد اليوناني وضع هومر (Homer) وسترابوا (Strabo) وهيكتوس (Hecateus) خرائط مستنسخة[٧٣] تعود إلى حقبة ما قبل الميلاد وهي جميعاً تظهر اسماً موّحداً لوادي النيل تحت لفظ إجبتوس (Agyptus)، (انظر خريطة

bioresearch.co.uk/egyptmap.htm & The house of life- http://www.philae.nu/PerAnkh/mappage.html

[70] - Map of Egypt - Ancient & Modern Site Names http://www.kendall-bioresearch.co.uk/egyptmap.htm.

[71] – nome (Egypt) – Wikipedia http://www.answers.com/topic/nome-egypt

[72] - Writing in Egypt under Greek and Roman Rule -http://scriptorium.lib.duke.edu/papyrus/texts/rule.html

[73]- Henry davis- http://www.henry-davis.com/MAPS/AncientWebPages/106D.html

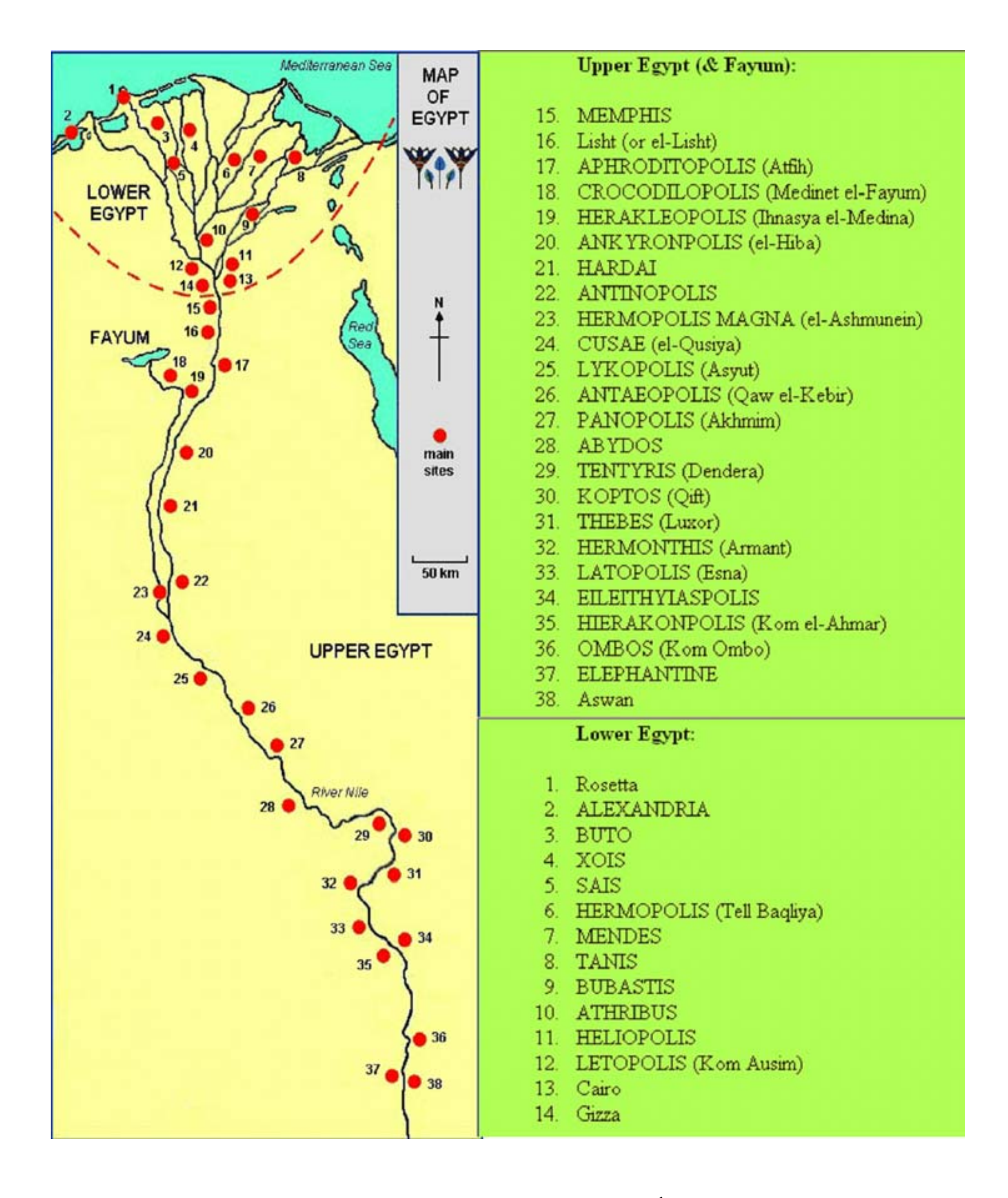
رقم ٣) والذي تعطيه أحد خرائطها تاريخاً يعود إلى سنة ٩٠٠ ق.م، أي ما يقارب ٦٠٠ سنة قبل الاحتلال اليوناني للقبط. أما الرومان فقد تركوا نفس الاسم على خرائطهم ولكن تحت رسم (Aegyptvs[٧٤]) (انظر خريطة رقم ٤) للرسام مركوس (Marcus) والتي وضعها سنة ٢٠ ميلادية أي أيام الاحتلال الروماني للقبط[٧٥].

---

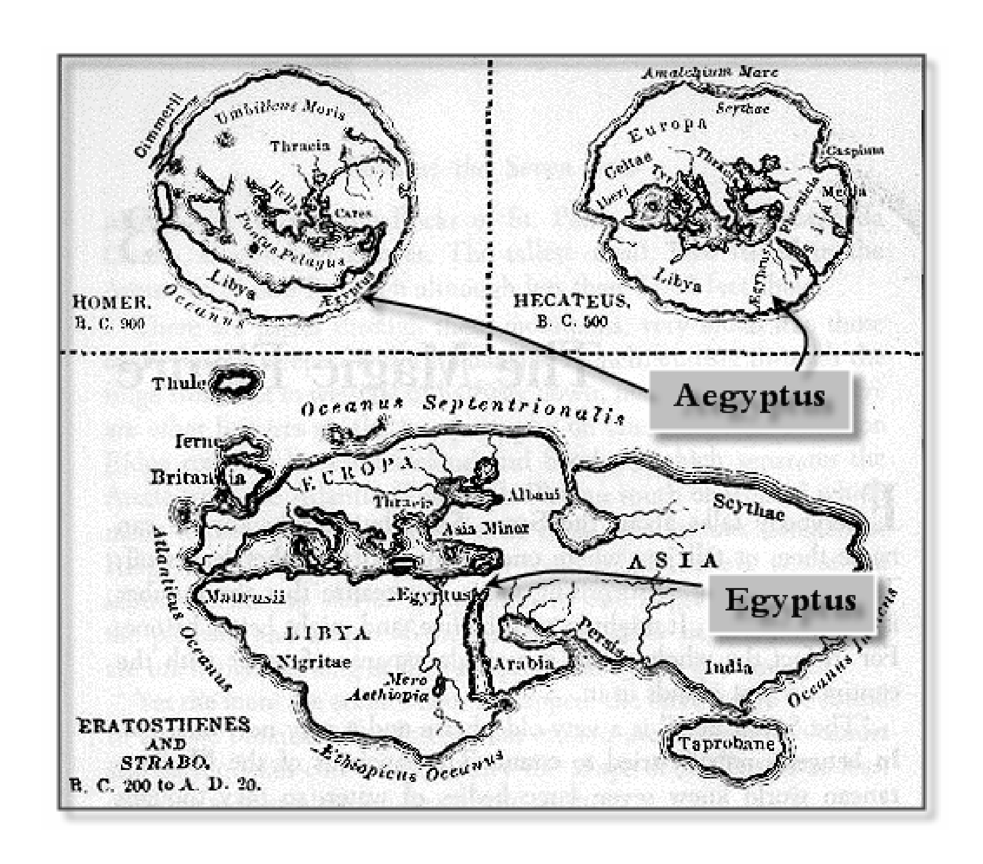
(٧٤) - وهناك من يعتقد أن هذا الاسم مشتق من (Ht-ka-Ptah) هات – كا – بتاح الوارد ذكره مسبقاً. ولكن لم نجد طرحهم هذا مقنعًا لما يحوي من تكلف ولي للحروف لكي تنتهي بلفظ إجيبتوس. ويمكن للقارئ الكريم أن يرجع لعدة مصادر تتبنى هذا الطرح بعد أن فشلوا في تحديد منشأ اسم إجبتوس الملازم لوادي النيل منذ القدم. ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

EGYPTIAN LOAN-WORDS IN ENGLISH- Aayko Eyma- http://www.geocities.com/TimesSquare/Alley/4482/AEloans.html

(75)-Henry Davis Consulting http://www.henry-davis.com/MAPS/AncientWebPages/118.html

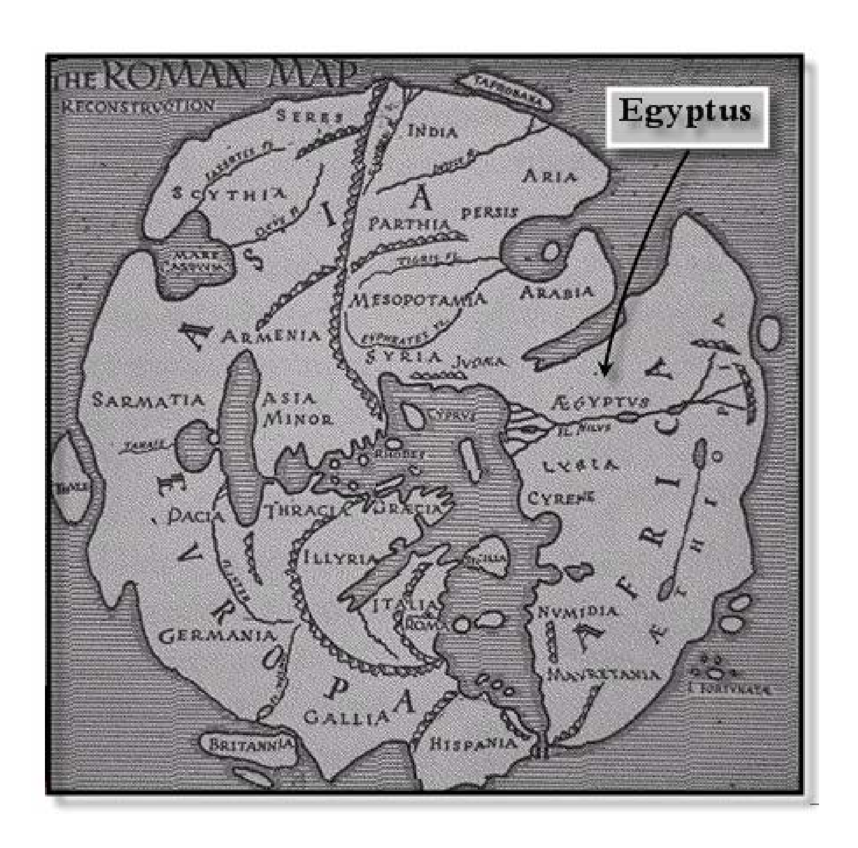


خريطة رقم ٢: أهم الأسماء لمدن وادي النيل كما جاءت على اللسان اليوناني



خريطة رقم ٣: خرائط من العهد اليوناني تظهر اسم إجيبتوس كاسم موحّد لوادي النيل للرسّامين

Hecateus B.C 500- Homer B.C 900 - Eratosthenes & Strabo B.C 200 to A.D 20



خريطة رقم ٤: تعود هذه الخريطة إلى العهد الروماني-للرسّام

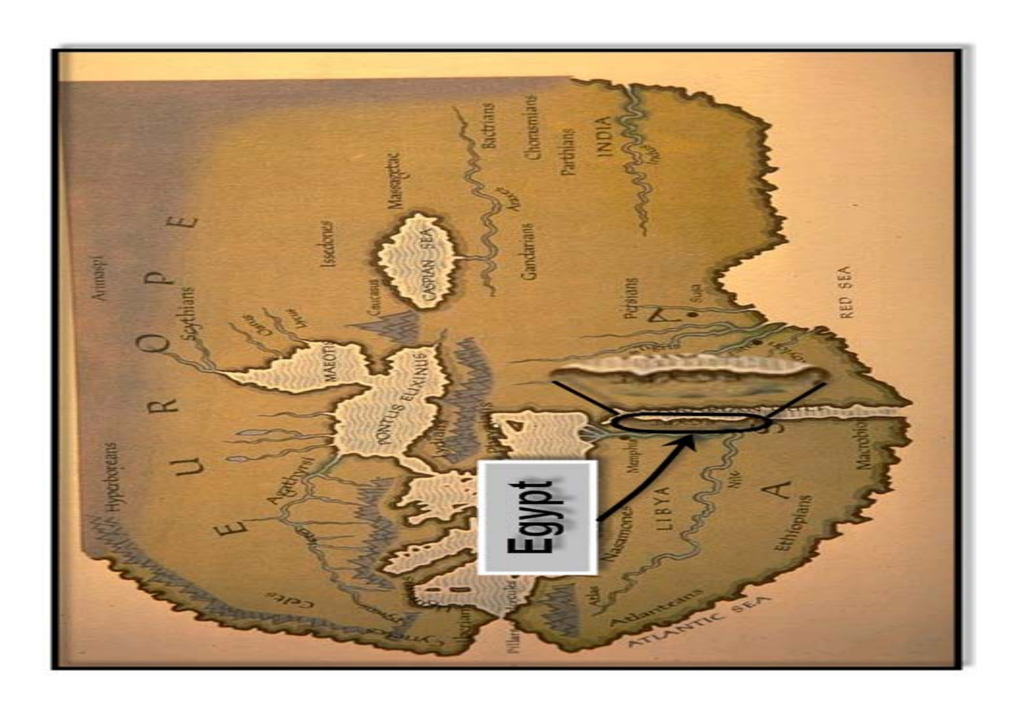
Marcus Vipsanius Agrippa -20 AD

أما هـرودوس (Huroduse) المؤرخ الإغريقي المعروف فقد ترك لنا خريطة تظهر اسم الوادي من غير حرف السين كما هو واضح في (خريطة[٧٦] رقم ٥) حيث ذُكر اسم الوادي بلفظ إجيبت (Egypt). وهناك خريطة تظهر عدة أسماء ونعوت للوادي كـإجبتوس وگبتي وگبتوا كما جاء في (خريطة[٧٧] رقم ٦) للرسام

---

[76]-Henry Davis Consulting http://www.henry-davis.com/MAPS/AncientWebPages/109.html
[77]- Antique Maps http://www.helmink.com/Antique_Map_Gastaldi_Ptolemy_Egypt/

جالستالدي (Gastaldi) الروماني. ولم يكن هذا الاسم مقتصراً على الرومان واليونان بل نقله أيضا رسامون آخرون ينتمون إلى جنسيات أوربية أخرى مثل الأسبان. فالخريطة رقم ١ تحتوي اسم (إگبت)، (Egipt) أي من غير إضافة حرف السين اليوناني الروماني، وهي لرسّام اسباني. أما بقية الخرائط الغربية التي تلت العهد النبوي حتى يومنا هذا (انظر خريطة ٧[٧٨]، ٨) فهي جميعاً تحمل اسماً واحداً هو (إجيبت) أو اجيبتوس ((Egyptvs - Egypt وهو الاسم عينه الذي تتبعنا أثره إلى ما قبل العهد اليوناني.



خريطة رقم ٥: خريطة لهردوس تظهر اسم إجيبت كاسم للوادي للرسّام

Herodotus B.C 450

[78]- The Discovery of the Nile-Guadalupi- map 44.

أما بالنسبة لاسم "مصر" فلم نجد له حتى هذه الحقبة أي أثر على الأرض المعروفة بالقبط. لم نجد له أي أثر في تاريخ بلاد ضارب في القدم تمتد حضارته إلى ما قبل سنة ٥٠٠٠ ق.م. لم نجد إقليماً يحمله ولا مدينة ولا حتى قرية، ولم نجد أي اعتراف من دول العالم القديم بهذا الاسم!

فكيف يمكن لبلاد عريقة أن يُشاع لها اسم لا أثر له في تاريخها المديد؟! بينما نلاحظ، كما جاء في الخرائط ٣ ، ٤، ٥، أن ليبيا احتفظت باسمها القديم إلى اليوم وهي أقل تأثيراً على العالم القديم من بلاد وادي النيل، في حين أن اضطربت تسمية بلاد وادي النيل وتنازعها اسمان أحدهما عريق والآخر يبدو أنه حديث نسبياً.

اسم وادي النيل في الحقبة الإسلامية

ونصل إلى الحقبة الإسلامية، وهي الحقبة الأخيرة التي امتدت من سنة ٢٠ هجرية حين فتح عمرو بن العاص آخر حصون بلاد وادي النيل إلى يومنا هذا. وقد سبق أن تبين لنا من مراسلات الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وعمرو بن العاص، إلى جانب روايات التراث العربي، أن المسلمين كانوا يطلقون على بلاد وادي النيل اسم مصر بينما كان شعب الوادي نفسه يسمون أنفسهم بالأقباط ويسمون بلادهم قبط أو القبط. إن المعضلة التي تواجه الباحث هي معرفة أسباب تسمية المسلمين لبلاد القبط بمصر مع أنه لا يوجد على ارض القبط أي منطقة أو مدينة أو كورة أو قرية أو حتى ضيعة تسمى مصر أيام فتح المسلمين. فكل ما جاء في التراث العربي لتلك الحقبة يشير إلى أن التقسيمات الإقليمية التي كانت على عهد اليونانيين والرومان ومن قبلهم مملكة القبط بقيت كما هي مع تغير ألفاظ أسماء بعض الكور لتتناسب مع اللسان العربي. ولكن ما من وجود لاسم مصر في مجمل الأسماء المذكورة أيام الفتح الإسلامي. فها هو اليعقوبي يذكر في تاريخه أهم أسماء مناطق القبط التي تخلو من ذكر اسم مصر:" **وكانت مملكة القبط (أرض مصر) من كور الصعيد: منف، ووسيم، والشرقية، والقيس، والبهنسا، وأهناس، ودلاص، والفيوم، وأشمون، وطحا، وأبشاية، وهو، وقفط، والاقصر، وأرمنت، ومن كور أسفل الأرض: أتري، وعين شمس، وتنوا،**

وتمـي، وبنـا، وبوصـير، وسمنـود، ونوسـا، والاوسـية، والبجـوم، وبسـطة، وطرابيـة، وقـربيط، وصـان، وإبليـل، وسـخا، وتيـدة، والافراحـون، ونقيـزة، والبشـرود، وطـوة، ومنوف العليا، ومنوف السفلى، ودمسيس، وصا، وشباس، والبـذقون، وإخنـا، ورشـيد، وقرطسا، وخربتا، وترنوط، ومصيل، ومليدش"[٧٩] ولنـا أن نتسـاءل هنـا عمـا جـاء في مطلع هذا المقتبس حيث يقول اليعقوبي "**وكانت مملكة القبط أرض مصر**" لماذا يضطر اليعقوبي إلى لصق عبارة "أرض مصر" بعد "مملكة القبط" العريقة في كلامه؟! هـل مملكـة القبـط الضـاربة في عمـق الـزمن نكـرة كـي تحتـاج إلى تعريفهـا بأنّهـا أرض "مصـر"؟ في حين يكتفي أي فرد في الغرب بمفـردة "إجيبـت" للدلالـة علـى بـلاد القـبط. هـل قُـرّاء كُتـب اليعقـوبي مـن العـرب بحاجـة إلى هـذا التوضـيح ليـدركوا الأرض الـتي يقصـدها اليعقـوبي بتقسـيمات الأرض المعنيـة في حديثـه؟ أم أن اليعقـوبي اضـطر إلى وضع هذا الترادف، الذي يبدو أشبه بالحشو، للربط بين ثقافة قائمـة في أذهـان قرّائـه وواقع مغاير على الأرض؟ هذا ما سيتضح لنا لاحقاً.

أمـا الحمـوي في معجـم البلـدان فينقـل لنـا حقيقـة أنـه كانـت هنـاك "مصـر" في تقسيمات مملكة القبط مضيفاً بمزيد من التفصيل أن القرى كانت تعد بالآلاف وذكـر أسماء مدن أخرى في وادي النيل لم يأت على ذكرها اليعقوبي، إذ يقـول "... **وذكـر مـن له معرفة بالخراج وأمر الدواوين أنـه وقـف علـى جريـدة عتيقـة بخـط أبـي عيسـى المعروف بالنويس متولي خراج مصر يتضـمن قـرى مصـر والصـعيد وأسـفل الأرض ألفان وثلاثمائـة وخمـس وتسـعون قريـة، منـها: الصـعيد تسـعمائة وسـبع وخمسـون قرية، وأسفل أرض مصر ألف وأربعمائة وتسع وثلاثون قرية، والآن فقد تغير ذلـك وخرب كثير منه فلا تبلغ هذه العدة، وقال القضـاعي: أرض مصـر تنقسـم قسـمين فمـن ذلـك صـعيدها وهـو يلـي مهـب الجنـوب منـها وأسـفل أرضـها وهـو يلـي مهـب الشـمال منـها، فقسـم الصـعيد عشـرون كـورة وقسـم أسـفل الأرض ثـلاث وثلاثـون كـورة، فأمـا كـور الصـعيد: فأولاهـا كـورة الفيـوم، وكـورة منـف، وكـورة وسـيم، وكـورة الشرقية، وكورة دلاص، وكورة بوصير، وكورة أهنـاس، وكـورة الفشـن، وكـورة البهنسـا،**

---

[٧٩] – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص١٨٩.

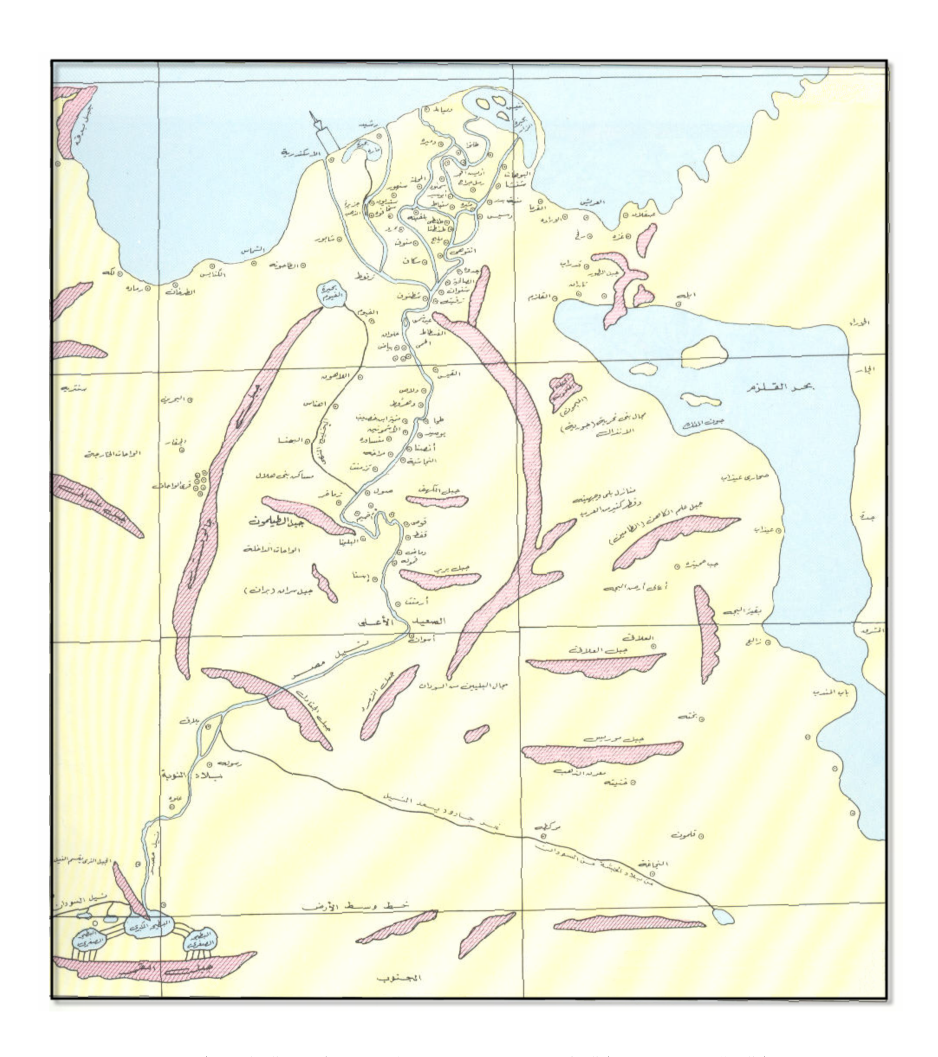
وكورة طحا، وكورة جير، وكورة السمنودية، وكورة بويط، وكورة الاشمونين، وكورة أسفل أنصنا وأعلاها، وكورة قوص وقاو، وكورة شطب، وكورة أسيوط، وكورة قهقوة، وكورة إخميم، وكورة دير أبشيا، وكورة هو، وكورة إقنا، وكورة فاو، وكورة دندرا، وكورة قفط،وكورة الاقصر، وكورة إسنا، وكورة أرمنت، وكورة أسوان"[٨٠] وإذا نظرنا في مقتبس الحموي نجد أن ذكر "مصر" كتقسيم أرضي أضاف تعقيداً لا غاية له وذلك حين قال "**-خراج مصر يتضمن قرى مصر والصعيد وأسفل الأرض-**" فهنا نقرأ ٣ تقسيمات: "مصر" و"الصعيد" و"أسفل الأرض" بينما يُعرف على الأرض تقسيمان فقط منذ عهد مملكة الأقباط، كما نقل اليعقوبي في المقتبس السابق، وهما الصعيد وأسفل الأرض. وهذا ما تداركه الحموي نفسه في ما جاء في باقي المقتبس أعلاه حين أورد كلام القضاعي "**- وقال القضاعي: أرض مصر تنقسم قسمين فمن ذلك صعيدها وهو يلي مهب الجنوب منها وأسفل أرضها وهو يلي مهب الشمال منها -**"، وهذان القسمان هما الوجهان اللذان وحدّهما الملك مينا القبطي وصار ملوك القبط من يومها يلقبون بملوك الوجهين. فلماذا يضطر المؤرخون لإقحام مفردة "مصر" في مكان لا تنتمي إليه جغرافياً لأغراض تبدو توضيحية أكثر منها تعريفية أو تحقيقية؟

فضلاً عما جاء أعلاه، فقد ترك لنا الأدريسي (المتوفى سنة ١١٦٥ م) خريطة عربية (انظر الخريطة ٩)[٨١] لمدن وأقاليم حوض النيل وهي تحوي الكثير من أسماء المدن التي ذكرها الحموي واليعقوبي ولا يوجد بها ذكر لأرض أو مدينة تسمّى مصر.

---

[٨٠]- الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٣٩ .

[٨١]- حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص١٧ .



خريطة رقم ٩: خريطة للإدريسي توضح المدن الرئيسية للقبط ١١٤٠ م

خلاصة القول هو أنّ المسلمين كانوا يعرفون وادي النيل باسم مصر. ولكن على الأرض لا يعرف المؤرخون العرب أي أرض أو مدينة أو قرية تُعرف باسم "مصر" لا حديثاً ولا قديماً؟ فلا أثر لهذا الاسم لا في القوائم التراثية ولا في الخرائط، عدا تسمية نهر النيل بنيل "مصر" في خارطة الإدريسي وهذا لا يُعتد به لكونه إضافة توضيحية وليست تحقيقية من الرّسام. فلو حذفت "مصر" من عبارة "نيل مصر" لما تأثر المعنى في وعي المطلع على الخريطة، ولكن هل تستطيع أن تحذف كلمة نيل ويبقى المعنى؟

ما هو اسم بلاد وادي النيل العريق إذن؟

ما توصلنا إليه حتى الآن هو أن الأقباط كانوا يدعون بلادهم "كمت" (Kemt) أو هت – كا- بتاح (Ht-ka-Ptah) وهذا لا يزال محط خلاف بين علماء الآثار وعلماء اللغات القديمة ومصدر كلامهم هو ما توفر بين أيديهم حتى الآن من آثار وبرديات. أما في عهد الإغريق أو اليونان فكان اسم بلاد وادي النيل يُعرف بـ (إكبت) (Egipt) وفي عهد الرومان كان الوادي يعرف بـ(إجبت) (Agypt) من غير إضافة حرف السين – ومصدر هذا الخبر هو شيوع هذا الاسم في الغرب القديم وانتشاره في أدبيات الإغريق والرومان القديمة حتى قبل احتلالهم للقبط كما سيتضح لنا لاحقاً. أما في عهد المسلمين ومنذ فجر الإسلام فإن اسم الوادي هو مصر، رغم أنهم ينادون شعب الوادي بالأقباط ويعترفون بوجود بلاد القبط ولكن بدون تحديد واضحٍ لأراضي هذا البلد. وأما عند خاتم المرسلين رسول الله محمد بن عبد الله (ص)، فاسم بلاد وادي النيل هو القبط وشعبها الأقباط وحدود هذه البلاد هي الحيز الذي كان تحت سلطة المقوقس حاكم القبط باسم الرومان. فما هو إذن اسم بلاد الوادي العريق الذي امتدَّ حتى عهد فرعون وموسى (ع)؟ هل هو "كمت" أو "هت –كا – بتاح" أو "إكبت" أو "إجبت" أو "مصر" أو "قبط"؟

عرفنا مما سبق أن رسول الله (ص) سمّى بلاد وادي النيل بمسمى القبط وليس "مصر". وذكرنا أن المقوقس أكد أن بلاده تُدعى القبط في سياق رده على خطاب الرسول (ص). فلماذا نطلق نحن معشر المسلمين اسماً آخر على بلاد سماها الرسول الأكرم (ص) شخصياً ورسمياً باسمها الذي سماها به أهلها؟ وهل ثمة تداعيات لهذا التغاير بين ما تبناه المسلمون من اسمٍ وما اعتمده نبيهم (ص)؟ هذا ما نروم البحث فيه، ولكن كي يكتمل البحث في هذه الجزئية ونقف على هوية فرعون الحقيقة لا بدَّ لنا أن نكمل مسيرة البحث ولكن تحت مظلة هداية الرسول الأكرم (ص) الذي وجهنا للنظر في القضية من منطلق أن اسم بلاد وادي النيل العريق هو القبط. وجلّ ما نريد التحقق منه هو هل يمتد هذا الاسم إلى عهد موسى وفرعون أم لا؟

دلائل مسمى القبط وأصوله

من المعروف أن شعب جمهورية مصر العربية عندما يعّرفون جنسيتهم للعرب والمسلمين فإنهم ينعتون أنفسهم بالـ "مصريين"، ولكن إذا قدّموا أنفسهم لغير العرب، أو بالأصح غير المسلمين، فإنهم يضطرون إلى نعت أنفسهم بـ"إجيبشن"، لأن أبناء العالم الغربي لا يعرفون جنسية تدعى "مصري". لذا يضطر "مصريو" اليوم لاختيار لفظة "إجيبشن" وهي اشتقاق من كلمة "إجيبت" (Egypt) كي يفهم المستمع الأجنبي من أي البلاد هذا المتكلم. ويمكنك التحقق من ذلك بسهولة لو سألت مجموعة من الأشخاص غير العرب، شريطة ألا يكونوا مسلمين، عن أين تقع "مصر (Mizer)" ؟ فلا تتفاجأ إذا تبين لك أن معظمهم لم يسمعوا بها. ثم لو سألت أين تقع إجيبت (Egypt)؟ فسوف تكتشف أن معظمهم إن لم يكن جميعهم لن يكتفون بتعيين موقعها فحسب، بل سيوردون لك مقتطفات من تاريخها العريق أيضاً. ووجود اللفظين "مصري" و"إجيبشن" لتعيين نفس الجنسية، وهي ظاهرة يكاد ينفرد بها إخوتنا "المصريون"، هي إحدى التبعات اليسيرة التي ترتبت على إقحام الاسم المستحدث "مصر" على بلاد القبط العريق، كما سيتبين في معرض هذا البحث. والسؤال هو: لماذا لا يعرف العالم الغربي وحتى الشرقي غير العربي جنسية اسمها "مصري"؟! لماذا يستخدمون جنسيةً تدعى "إجيبشن" (Egyptian) للدلالة على أبناء نفس البلد. هل ذلك ناشئ من كونهم أعداء الإسلام؟ أهو معاندة ومكابرة منهم؟ كلا ليس الأمر كذلك! بل الواقع أنهم لا يعرفون جنسية اسمها "مصري" ولا يعترفون بها لأن القبط بلد عريق ذي تاريخ ضارب في القدم وحضارة شامخة، شأنه شأن الهند والصين وفارس واليمن، وليس بلداً قليل الشأن أو إمارة مستحدثة أو مستعمرة. فهذا البلد معروف ومشهور في تاريخ الأمم القديمة في شتى بقاع العالم، وقد دخل بكل ثقله عن جدارة في تراثهم وأدبياتهم وثقافتهم وأسواقهم، وأسهم في تقدم علومهم من طبّ وعمارة وفنّ وهندسة وفلك، وساهم في تطورهم خلال مئات السنين. كيف لا وهو يكبر معظمهم بمئات السنين! وقد عرفت أمم العالم الغربي القديم هذا البلد الأسطوري منذ القدم باسم القبط أو ما يشابه هذا اللفظ، فترسخ في ذاكرتهم وتوثق في تراثهم بكل قوة وعمق. ولذلك، لا يعني هؤلاء تغيير اسمه إلى اسم آخر حديث

عمره بضع مئات من السنين بالمقارنة مع اسمه الأصلي الذي يقارب عمره ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد . فعدم اعترافهم بمسمى "مصري" كبديل لقبطي ناشئ من استمرارهم على الاسم الأصل وعدم استطاعتهم أو رغبتهم في اقتلاع هذا المسمى المترسخ في ذاكرتهم خصوصاً أن لا مصلحه لهم في هذا التغيير الذي فاجأهم وهم في أوطانهم في الغرب والشرق الأقصى. فضع نفسك موضعهم ثم انظر في الأمر. هل توافق أن تلغي أو تستبدل اسم أمة أو وحضارة تاريخية عريقة كالصين أو الهند أو فارس[٨٢] مثلا لأن هناك من غيّر هذا المسمى في سجلاته؟ فما القبط إلا واحدة من هذه الحضارات العظمى باعترافنا نحن، فالمسعودي وغيره يذكرون القبط في مصاف الحضارات الكبرى في سياق كلامهم، كهذا المثال: "... **جميع ما تؤرخ به الأمم من السنين شمسية على ذلك عمل سائرهم من السريانيين والفرس واليونانيين والروم والقبط والهند والصين .**"[٨٣] فهنا نجد أن اسم القبط هو السائد ولا توجد في ذاكرة العالم القديم بلاد اسمها مصر حتى في ذاكرة العرب الأصيلة! والأمر كذلك بالنسبة للغة القبطية حيث يضع المؤرخون القبط في مصاف الأمم العريقة في حين لا يرد ذكرٌ لمصر في هذه التصنيفات ".. **فجميع كتابات الأمم اثنتا عشرة كتابة وهي العربية والحميرية واليونانية والفارسية والرومية والسريانية والقبطية والبربرية والأندلسية والهندية والصينية والعبرانية فخمس منها ذهبت الحميرية واليونانية والقبطية والبربرية والأندلسية وثلاث لا تعرف ببلاد الإسلام الرومية والصينية والهندية ..**"[٨٤].

---

[٨٢] – رغم أن اسم فارس اليوم استبدل باسم قديم أخر هو إيران إلا أن اسم فارس مازال يستخدم إلى اليوم لنعت الإقليم الجنوبي الساحلي لجمهورية إيران الإسلامية حيث لا يزال يسمى رسميا بإقليم فارس كما أن العالم الغربي لا زال يدعو الخليج العربي باسم خليج فارس.

[٨٣] – المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٨٣ .

[٨٤] – أبو محمد اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص٤٣ ؛ صديق القنوجي، أبجد العلوم، ج٢، ص٢٦٥ ؛ محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣١٩ .

وفعلاً ذهبت اللغة القبطية واندرس الخط الهيروغليفي ومن قبله الهيراطيقي منذ احتلال اليونان للقبط. فإذا كانت ذاكرة العرب تحفظ اسم القبط وتعيه وتتناقله وتؤرخه فلماذا هذا الإصرار على استبداله باسم مصر بدل الاسم الأصلي لهذا البلد العريق؟ ولنا أن نتساءل ما الدليل على أن اسم القبط هو فعلاً الاسم الأصلي الذي رافق هذا البلد العريق؟ وفي الإجابة نقول إن اللفظة اللاتينية الأصل والمتداولة في الغرب لمفردة Egypt أو Egipt (اگيبت)، كما جاءت في الخرائط المعروضة في هذا البحث، هي واقعاً عينها مفردة "القبط" كما تلفظ باللسان العربي. فلو حُذفت "أل" التعريف من مفردة "القبط" لتصبح قبط، ثم طلب منك أن تنطقها بالأحرف اللاتينية، أي من غير استخدام حرف القاف والطاء حيث لا وجود لهذين الحرفين في اللغة اللاتينية، فكيف ستنطق مفردة "قبط"؟ جرب بنفسك، سوف تنتهي بهذا النطق: "گبت" أو "جبت"وسوف تكتبها لاتينياً Gept أو Jept . والمعروف أن إخوتنا "المصريين" لهم نطق خاص لحرف الجيم متداول بينهم تاريخياً وحتى يومنا هذا فينطقون حرف الجيم گيم كنطقهم للجماد گماد وللجبنة گبنة... الخ. فهذا يقودنا لترجيح لفظة Gept (گبت) فهي أصل اللفظ لمفردة قبط. ثم أضف الآن "أل" التعريف للمفردة المعنية لتتحول إلى "القبط" ثم الفظها لاتينياً، فسوف تنتهي بلفظ "آلگبت" وتكتبها Algept .

والآن أدخل هذه المفردة في قطار الزمن السحيق فهل تعجب إذا خُففت على ألسن الناطقين بها من شعوب العالم فحُذفت منها اللام لتتحول من "الگبت" إلى "إگبت"؟ اكتب الآن "إگبت" لاتينياً فستنتهي إلى Egipt أو Egypt أي "إجيبت" واشتقاق النعت من هذا الاسم يلفظ لاتينياً "إجيبشن" وهو اللفظ الذي يتداوله الغرب إلى اليوم. وقد أضاف كذلك الإغريق أو اليونانيون والرومان حرف السين لهذا الاسم العريق في لغتهم وكان النتاجEgiptous أو Egyptous "إجيبتوس" وهو الاسم الذي نجده منقوشاً في أدبياتهم القديمة.

فخلاصة القول هو أن مفردة "القبط" و"إجيبت" هما لفظان لاسم واحد كان متداولاً بين الغرب والشرق القديم، وهو الامر الطبيعي المتوقع الذي يرقى لمقام

حضارة ضاربة في تاريخ الامم كحضارة القبط العريقة. وفي المقابل، حاول أن تحلل مفردة "مصر" كما فعلنا مع مفردة "القبط" و"إجيبت"، فهل تستطيع أن تصل إلى نتيجة مرضية تؤدي بك للتعرف على اسم موّحد على لسان الشرق والغرب لبلاد وادي النيل العريق دون أن تلوي الحروف لياً أو تحشرها في ما لا طاقة لها به؟

يتضح مما سبق أن التراث العربي متفق تماماً مع ما هو محفوظ في ذاكرة وممارسة الغرب القديم والمعاصر فيما يخص اسم بلاد وادي النيل، حيث كان الجميع يعرف ذلك البلد العريق بـ "القبط" أو "إجيبت". بيد أن الغرب استمر في استخدام الاسم القديم في حين توقف الشرق المسلم وحده عن ذلك واستبدله باسم مصر دون معرفة السبب، في هذه المرحلة من بحثنا على الأقل! فلماذا فعل المسلمون ذلك؟ هل السبب أن اسم "القبط" غريب على بلاد وادي النيل؟ أي هل هو اسم أقحمه اليونانيون أو الرومان عنوة على هذا البلد العريق إبان احتلاله دون رضا الأقباط فيستحق بذلك استبداله بما هو خير منه أو إرجاعه بواسطة المسلمين لما كان عليه من قبل؟ والجواب هو أن القبط بلد عريق فآخر شيء يمكن حدوثه لهذا العملاق الأسطوري هو أن يسمه أحد باسم لا يرضى عنه شعبه. فاسم القبط ضارب في أعماق التاريخ القبطيِ السحيق، بل يصل إلى عهد نبي اللّٰه إدريس (ع) قبل أكثر من ٥٠٠٠ سنة حين ذهب إلى بلاد وادي النيل من جزيرة العرب لدعوتهم إلى عبادة اللّٰه سبحانه، وإليه ترجع أصول التوحيد التي يقرؤها علماء اللغات اليوم في البرديات القديمة عبر عصور مختلفة من تاريخ القبط. ولعل القارئ الكريم يتساءل: ما دخل نبي اللّٰه إدريس (ع) وما شأنه وبلاد القبط؟ والجواب: إن ما يُعرف بالإله أوزيريس (Osiris) أو الإله خنوخ (تحوت) (Touth)، وهما اسمان راسخان في ثقافة شعب القبط كثر ذكرهما في البرديات (انظر لوحة ٤)[٨٥] وكتب الأساطير القبطية وتركا بصماتهما جلية على أرض القبط وثقافة شعبها، فإن أحدهما هو نبي اللّٰه إدريس (ع) كما أشار بن بطوطة في مقتبسه السالف الذكر من هذا البحث، حيث كانت هذه الحقيقة معلومة لدى سكان وادي النيل وسكان الجزيرة العربية على السواء. وإذا كان

---

[85]-Papyrus of Ani http://web.ukonline.co.uk/gavin.egypt/papyrus.htm

هناك من يستشكل هذا الطرح لكون هذه الشخصيات الأسطورية عُرفت بأنّها آله لشعب القبط الوثني القديم، فجوابنا هو أنه حتى لو صح هذا الادعاء، فهل هو النبي الوحيد الذي انتهى به المطاف إلى تأليهه؟ أليس ثمة نبي مرسل قد ألهه أتباعه منذ مئات السنين وحتى يومنا هذا بعد أن حارت عقولهم بعلمه وفعله وتقواه فقال له ربه **(... يَا عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ للنَّاس اتَّخذُوني وَأُمِّيَ إلَهَيْن من دُون اللّه قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لي بحَقٍّ إن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلمْتَهُ تَعْلَمُ مَا في نَفْسي وَلاَ أَعْلَمُ مَا في نَفْسكَ إنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوب)**(المائدة:١١٦) ؟



لوحة رقم ٤: بردية قبطية من الكتاب المسمى في الغرب "بكتاب الموتى" تكشف تعاليم ربانية ليوم النشور والحساب بعد الموت كما جاء في تعاليم أدريس (ع) لشعب الأقباط العريق

بيد أن هذه الجزئية وغيرها، فيما يتعلق بأوزيريس أو خنوخ وأحدهما هو عينه نبي الله إدريس (ع)، قد أُفرغ لها بحث خاص ومتكامل لإثبات هذه الحقيقة المغيبة عن وعي المسلمين والعالم. وما هذا المطمور عن وعي العالم إلا نتيجة من نتائج التزوير التراثي الذي نسعى إلى إماطة اللثام عنه في هذا البحث. وما يهمنا في بحثنا هنا هو أن نذكر ما تدل عليه الكثير من المؤشرات فنرجع ما يعنينا من أقوال وأساطير[٨٦] أوزيريس أو خنوج إلى شخصه الحقيقي وهو نبي الله إدريس (ع) فنحن ملزمون بالقول والعمل بما نعلم.

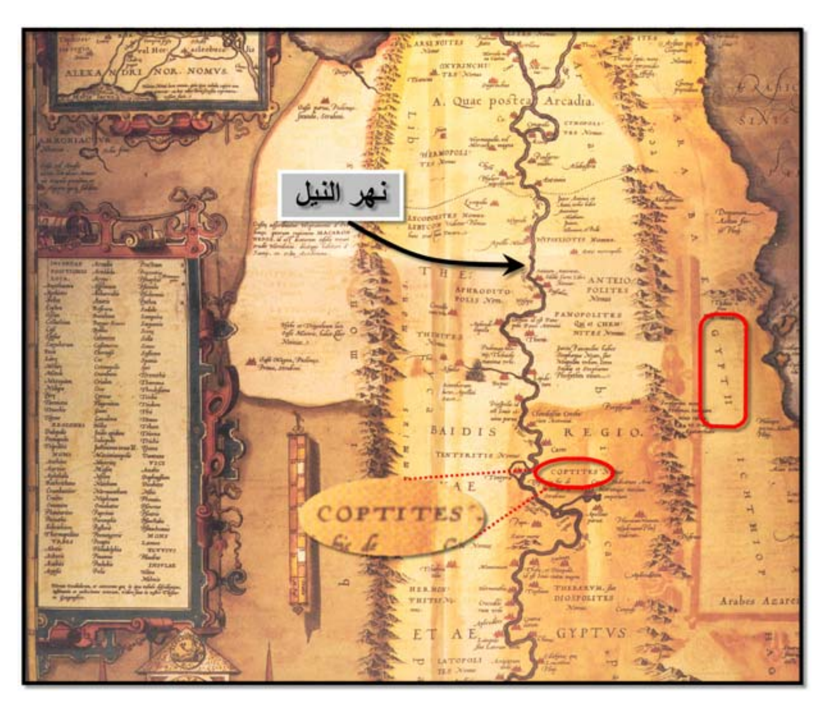
وعوداً إلى البحث في أصالة اسم القبط في بلاد الأقباط، نقول إن اسم القبط قد ورد في أسطورة نبي الله إدريس (Osiris) (ع) والتي يعود تاريخها إلى ما قبل عهد الأسر الملكية أي قبل سنة ٣٠٢٠ ق.م بكثير. فقد ورد في الأسطورة الشهيرة التي نقلها إلى الغرب المؤرخ الإغريقي بلترك (Plutarch) ما نصه: " ... **بعد أن علمت أيزيس (Isis) بنبأ مقتل زوجها الملك (Osiris) نتيجة لمؤامرة سيث ((Seth لبست ثوب الحداد وحزنت عليه حزناً شديداً وقصت جدائل شعرها من أثر المصيبة فسميت تلك الأرض كبتوس (Koptos) أي أرض الكآبة والحداد وهمت بالبحث عن جثمان زوجها حيث رماه سيث في نهر النيل.**"[٨٧] أرض كبتوس (Koptos) الواردة في هذه الأسطورة القبطية الضاربة في القدم هي ما نبحث عنه. فبعد حذف حرف السين من الكلمة، لعلمنا أنها يونانية النقل، نخلص إلى الكلمة الأصل وهي (Kopto) أو (Copto) أي "كبتو". وأرض كبتو أو كبتوس هذه التي هزت أحداثها أركان شعب وادي النيل لفقد مخلصهم وهاديهم وملكهم، لا تزال موجودة على الأرض حتى اليوم وهي تسمى في الوقت المعاصر "قفط" (Gift) أو (Qift) وكان شعب وادي النيل

---

[٨٦] - للتعرف على أهمية الأساطير كنظام لتعليم الشعوب يرجى الرجوع لبحث: الأسطورة- توثيق حضاري، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

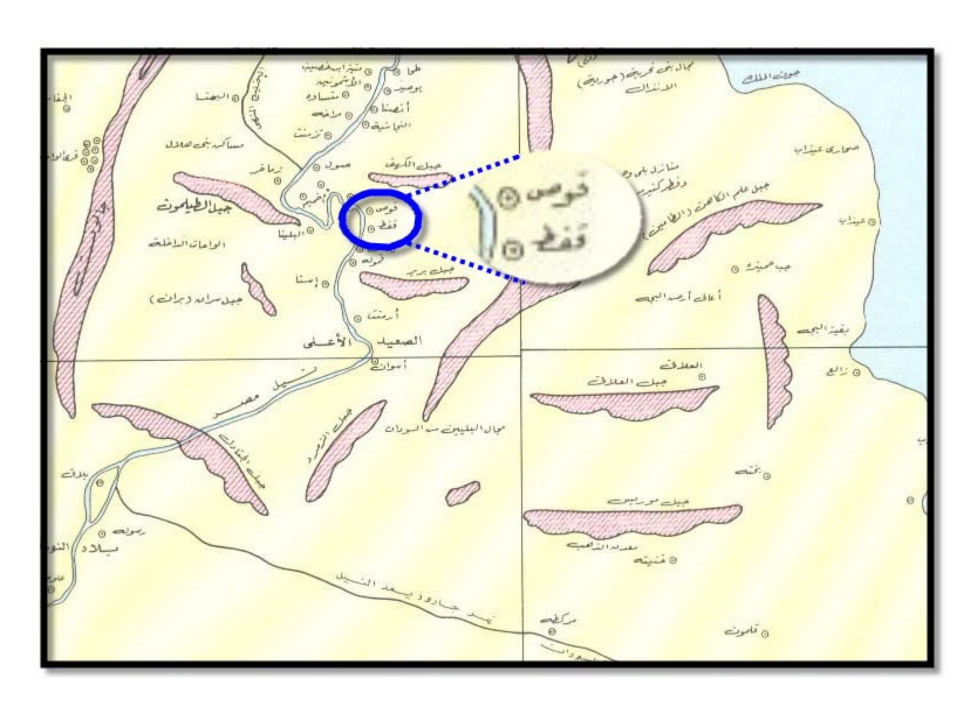
[87]- Legends of the Gods-The Egyptian Texts، edited with Translations- p220- E. A. Wallis Budge-[1912]. http://www.sacred-texts.com/egy/leg/leg42.htm

يسميها گبتوا ((Gebtu)[88] ويسميها الإغريق كما جاء على لسان (Plutarch) بـ ((Koptos أي كبتوس[89] كما أسلفنا. وكذلك يرد لفظ اسم مدينة "قفط" في الغرب اليوم بألفاظ وكتابات مختلفة منها (Coptos، Koptos، Gebti) أي قبطي وكلّها تشترك في نفس المنطوق الصوتي. كما أن رسومات الخرائط الغربية القديمة تظهر هذا الاسم ميدانياً في نفس الموقع الذي تظهر فيه مدينة "قفط" على خريطة الإدريسي (انظر خريطة ١٠، ١١). وقفط لها وجود أيضاً في ذاكرة العرب كما نقلها الحموي واليعقوبي ضمن تقسيمات كور وادي النيل- راجع مقتبس قوائم كوّر الحموي واليعقوبي السالف ذكرها.

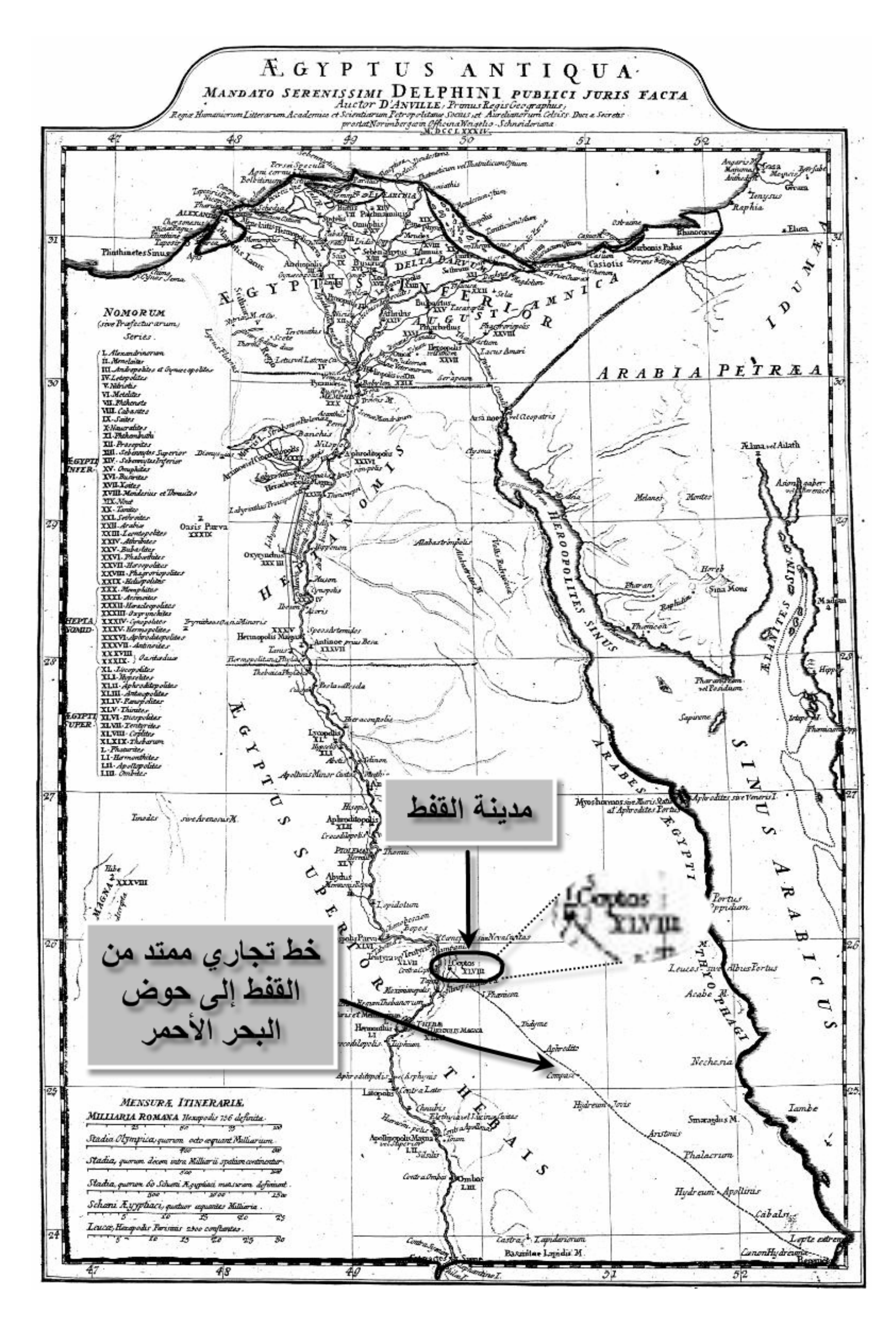


خريطة رقم ١٠: مدينة القفط تظهر في خرائط الغرب تحت مسمى كبتوس- للرسام أورتيلوس

(88)- Temple Ruins In and Near-Qift and Qus by John Watson
http://www.touregypt.net/featurestories/qiftkoptos.htm
(89)- http://www.koptos.com/background_information.htm



خريطة رقم ١١: مدينة القفط كما جاءت على خريطة الإدريسي لبلاد القبط



خريطة رقم ١٢: خريطة رومانية توّضح امتداد خط تجاري بين مدينة القفط وحوض البحر الأحمر

وقد كان لهذه الأرض التي بدأت تسميتها في أحداث أسطورية غائرة في أعماق الزمن أهمية كبيرة في عصور مختلفة، مما يفسر هيمنة اسمها منذ القدم على جميع أقاليم ومدن وادي النيل حتى غدا اسمها اسماً للوادي. فيوجد بقفط معبد "مين" (Min) الذي يعد من أقدم المعابد ويحوي ضريحاً رمزياً لأوزيريس (Osiris) يعود إلى عهد المملكة القديمة[٩٠]. ولا تنتهي أهمية قفط أو ((Kopto في هذه الأسطورة بل تنعكس في أساطير أخرى لا تقل أهمية عنها، ففي مدينة قفط يوجد "كتاب تحوت" الأسطوري المعروف في الغرب باسم (The Book of Thoth)[٩١] وهو جزء من الأسطورة الإدريسية الشهيرة باسم "كتاب الأموات" (The book of the Dead)[٩٢]. وكان الأجدى تسمية هذا الكتاب بكتاب "البعث والنشور والحساب" لما يحوي من تعاليم نبوية إدريسية تكشف ما يمرّ به الإنسان من حساب وميزان للأعمال والجزاء بعد الموت (انظر الطابع العام لمحتوى البردية القبطية السابقة). ولكن ماذا نفعل إذا كتب لنا غيرنا تاريخنا وفهّمنا محتوياته من منظوره وثقافته التوراتية بعد أن ألصقنا تهمة الوثنية بتاريخنا وأسلافنا، لجهلنا بما كان يقصده الآباء مّما خلفوه لنا من رموز وتعابير توحيدية تعلموها من الأنبياء المتأخرين. وقد كان لهذه المدينة أهمية اقتصادية إلى جانب أهميتها الأسطورية الدينية، فقد كانت نقطة تقاطع تجاري بين مدن الوادي وخطوط القوافل التجارية القادمة من وإلى حوض البحر الأحمر حتى أيام الاحتلال الأوربي كما هو واضح في الخريطة[٩٣] رقم ١٢. ليس هذا فحسب بل إن أسطورة أحداث قفط أو قبط امتدت إلى التراث اليوناني والإغريقي القديم لتترك بصماتها في الأدبيات الأسطورية اليونانية حتى تحير المتكلمون في مجال

---

(90)-Digital Egypt for Universities
http://www.digitalegypt.ucl.ac.uk/koptos/index.html

(91) – Ancient Egypt Mythology
http://www.egyptianmyths.net/mythbookthoth.htm

(92) – THE BOOK OF THE DEAD-E. A. WALLIS BUDGE-[1895]- http://www.sacred-texts.com/egy/ebod/

(93)- Coins of Roman Egypt –
http://www.coinsofromanegypt.org/html/topics/maps/danville.htm

الأساطير كيف وقع هذا التشابه الكبير في المسميات بين أساطير أمتين مختلفتين مثل القبط واليونان؟ إلى درجة أن بعضاً من علماء الأساطير الغربيين أخذ يستشف أن الإغريق هم أصلاً مهاجرون من القبط إلى الأرض الجديدة التي عرفت في ما بعد باليونان[٩٤]. فقد أدهش علماء الأساطير ورود اسم "إجبيوس" (Egyptous) كملك لبلاد وادي النيل في الأسطورة اليونانية الشهيرة "بنات دانوس"[٩٥] (Danaos' daughters)[٩٦] (انظر اللوحة رقم ٥)، هذا إلى جانب تشابه الجو العام من غدر وكآبة وأمل بين أسطورة أوزيريس القبطية وبنات دانوس الإغريقية.

---

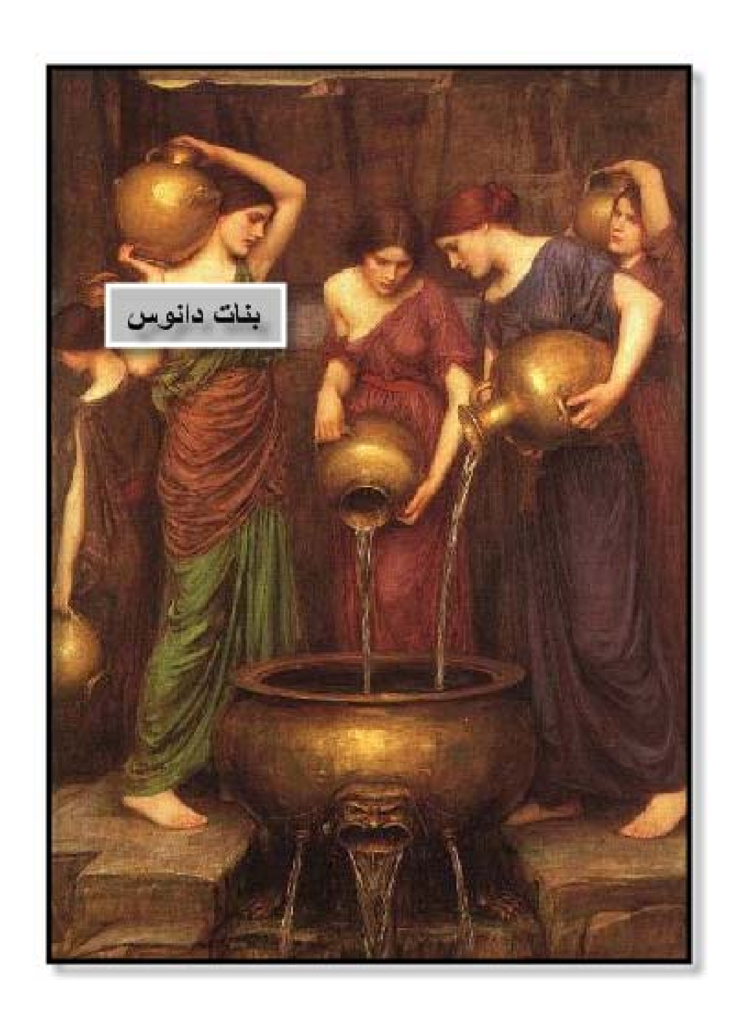
(94)- The Origins Of Greek Tragedy - Dance And Theatre http://www.oldandsold.com/articles06/dance-16.shtml & Egypt the Birthplace of Greek Decorative Art." by Amelia Ann Blanford Edwards (1831-1892)
Publication: *Pharaohs Fellahs and Explorers.* by Amelia Edwards. New York: Harper & Brothers، 1891. (First edition.) pp. 158-192. -

http://digital.library.upenn.edu/women/edwards/pharaohs/pharaohs-5.html & Egypt: origin of the Greek culture- Philip Coppens - http://www.philipcoppens.com/egyptgreece.html

(٩٥) – أوردها المؤرخ الإغريقي "هومر" (Homer) في ملحمته الاوديسية (Odyssey).

(96) – The free dictionary

http://encyclopedia.thefreedictionary.com/Danaus



لوحة رقم ٥: لوحة فنية لأسطورة بنات دأنوس الإغريقية الشهيرة والتي تذكر من ضمن سياقها اسم مملكة اكبتوس أي (القبط)

ما يعنينا هنا هو أن مشتقات قبط كانت معروفة حتى خارج بلاد وادي النيل فهذا الاسم لم يكن قط مجهولاً في العالم القديم وقد امتد حتى أيام خاتم المرسلين محمد (ص) كما أوضحنا سلفاً.

وخلاصة القول أن اسم قبط أو القبط المعروف في الغرب المعاصر بـ "إگبت" (Egypt) وفي الغرب القديم بـ"إكبتوس" (Egyptous) كان في الحقيقة الاسم الرسمي

لبلاد وادي النيل في حقبة ما قبل حكم الأسر الملكية. وقد ورد هذا الاسم في أساطير العالم القديم ومن جهات مختلفة واستمر في العالم الغربي حتى اليوم بينما توقف استخدامه بعد رسول الله (ص) بين المسلمين فقط، وذلك لأسباب ستتضح لنا من خلال هذا البحث. ولم يوجد اسمٌ بلفظ "مصر" في بلاد وادي النيل ولا يعرف شعب ذلك الوادي لنفسه وأرضه اسماً بلفظ "مصر" أو حتى أي لفظ قريب منه. أما القبط فهو اسم عريق وليس مستحدثاً وله امتداد جغرافي حيث انبثق من مدينة عريقة موجودة إلى اليوم على الأرض وتعرف بقفط. وإن هذه الحقيقة لتلحّ علينا بأسئلة مثل متى؟ ولماذا؟ وكيف؟ ومن أسقط اسم "مصر" على هذا البلد العريق، فأزاح اسماً عملاقاً يُعرف بالقبط واستبدله باسم مصر، وهو اسم مجهول عالمياً وتاريخياً بالنسبة لذاكرة أمم العالم الغربي القديم والحديث.

وقبل الإجابة على التساؤلات أعلاه لا بدَّ من الإجابة على سؤالين ملحّين أولاً. الأول هو: إن نعت "الفراعنة" ،جمع فرعون، كان ولا يزال لصيقاً باسم مصر كما جاء في القرآن الكريم. والفراعنة موجودون بالقبط، أي بلاد وادي النيل، بشهادة الغرب والشرق في الماضي والحاضر. وعليه فالقبط هي واقعاً مصر بسبب وجود الفراعنة في تلك الأرض فقط، فكيف يستقيم هذا الطرح؟ والسؤال الثاني: يُنقل أن لرسول الله محمد (ص) نبوءات خاصة بشأن فتح مصر أوردها تراثنا تفيد أن "مصر" هي بلاد وادي النيل، وهو ما لا يستقيم أيضاً مع طرحنا. فلنعالج كل سؤال منهما على حده. فأما جوابنا على السؤال الأول بكل بساطة فهو: هل فعلاً أن الفراعنة موجودون ميدانياً في جمهورية مصر العربية أم هم موجودون هناك حسب ما هو سائد في ثقافتنا فقط؟ ولنستفيض في هذه الجزئية فيما يلي.

من هم الفراعنة؟

أولاً ماذا تعني مفردة فراعنة؟ لقد حيّر هذا السؤال ابن خلدون والمسعودي ومن كان في زمانهم، وذلك بعد أن ألزموا أنفسهم بنسبة هذا اللقب لملوك وادي النيل. فها هو صاحب النجوم الزاهرة ينقل عن المسعودي قوله "... **قال المسعودي وسألت جماعة من أقباط مصر بالصعيد وغيره من أهل الخبرة عن تفسير اسم فرعون**

فلم يخبروني عن معنى ذلك ولا تحصل لي في لغتهم.."[٩٧] وهذا الكلام غاية في الغرابة. فما توصل إليه المسعودي من المسح الاستقصائي الذي أجراه بنفسه في زمانه ومع من وصفهم "بأهل الخبرة" من الأقباط وفي بلاد وادي النيل، كشف لنا أن من ادّعينا دوماً أنهم "شعب الفراعنة" لا يفقهون واقعاً هذا الاسم المشهور، بل لا وجود له في لغتهم كما أكّد المسعودي نفسه. فماذا فعل المسعودي باكتشافه العجيب هذا والمنافي لما كان شائعاً في زمانه؟ هل قرع الناقوس بين المؤرخين وتتبع أصل الخبر وفصله وواصل مشوار التحقيق العلمي الموضوعي ليكشف عن عمق الوهم الثقافي الذي كان يسيطر على زمانه؟ أم أطفأ بصيص النور الذي توهج أمامه في غمرة الظلام الحالك بوضع تبريرٍ عرضي يفسر به عدم التوافق بين ما انكشف له من حقائق مغايرة للثقافة السائدة في زمنه؟ يقول المسعودي، مبرراً الصدمة الثقافية التي اعترضته "**.. فيمكن - والله أعلم - أن هذا الاسم كان سمة لملوك تلك الأعصار وأن تلك اللغة تغيرت كتغير الفهلوية وهي الفارسية الأولى إلى الفارسية الثانية وكاليونانية إلى الرومية وتغير الحميرية وغير ذلك من اللغات**"[٩٨]؟؟

أما ابن خلدون فقال في باب "**الخبر عن القبط وأولية ملكهم ودولهم وتصاريف أحوالهم والإلمام بنسبهم: هذه الأمة أقدم أمم العالم وأطولهم أمدًا في الملك واختصوا بملك مصر وما إليها ملوكها من لدن الخليقة إلى أن صبحهم الإسلام بها فانتزعها المسلمون من أيديهم ولعهدهم كان الفتح وربما غلب عليهم جميع من عاصرهم من الأمم حين يستفحل أمرهم مثل العمالقة والفرس والروم واليونان فيستولون على مصر من أيديهم ثم يتقلص ظلهم فراجع القبط ملكهم هكذا إلى أن انقرضوا في مملكة الإسلام وكانوا يسمون الفراعنة سمة لملوك مصر في اللغة القديمة ثم تغيرت اللغة وبقى هذا الاسم مجهول المعنى كما تغيرت الحميرية إلى المضرية والسريانية إلى الرومية ونسبهم في المشهور إلى حام بن نوح وعند المسعودي إلى بنصر بن حام وليس في التوراة ذكر لبنصر بن حام وإما ذكر**

---

(٩٧) -جمال الدين الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٦١.

(٩٨) -جمال الدين الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٦١.

مصرايم وكوش وكنعان وقوط وقال.."[٩٩] هنا نجد أن ابن خلدون بدوره يثبت حقيقة عدم انتماء مفردة "فرعون" إلى الأقباط مستعيراً تفسير المسعودي للتناقض السافر بين الثقافة المهيمنة والواقع الميداني. ولو أمكننا لسألنا ابن خلدون والمسعودي، كيف يمكن لشعب مليوني التعداد أن يحكم بلاد وادي النيل منذ القدم ويُسمي ملوكه بالـ "فراعنة" ثم لا يلبث هذا الشعب أن يُضيع معنى هذا الاسم "الفراعنة" رغم أنه احتفظ بلفظ الكلمة عينها حتى وصلتنا نحن أبناء القرن الواحد والعشرين بشقيه الشرقي والغربي؟ ثم كيف يمكن لشعب بنى الأهرامات وهو من أقدم أمم العالم وإليه ترجع الحضارة الأسطورية في بلاد وادي النيل، كيف يمكن لهذا الشعب المعروف بالأقباط منذ القدم، أن يحكم بلاد "المصريين" وليس بلد الأقباط؟ ثم أنّى يكون له أن ينقرض فجأة من وعي المسلمين وثقافتهم بعد أن حكمه عرب الجزيرة العربية كما يشير ابن خلدون في كلامه أعلاه؟ هل فعلاً انقرض أبناء هذا الشعب أم تغير اسمهم من الأقباط إلى المصريين مع دخول الإسلام ديارهم، فانحصر اسمهم العريق في من بقي منهم على دين عيسى (ع)؟ من الواضح أن ثمة إرباكاً وتشويشاً في الحقائق. ولن يعجب المرء إذا علم أن هذا النوع من التشويش دائماً يترافق مع المعلومات المستقاة من التوراة المحّرفة، كما يتضح من ذيل مقتبس ابن خلدون أعلاه، والتي برعت في خلط الحق بالباطل وما فتئت تغذي معلومات أساطين المؤرخين الشرقيين والغربيين. وحقاً كان الأولى بنا أن نتخذ من القرآن مصدراً للمعرفة وليس التوراة، خاصة وأن القرآن الكريم حذر من عبث العابثين بالتوراة.

إذن، من هم الفراعنة ما دام المسعودي وابن خلدون يصرحان بأن هذا الاسم مجهول المعنى بالنسبة لشعب الأقباط حتى زمانهم وزمن من كان قبلهم؟ هذا السؤال نتوجه به إلى القارئ الكريم؛ من هم الفراعنة؟ هل هم ملوك وادي النيل؟ إذا كان الأمر كذلك فلماذا استبدلنا مفردة "ملك" بـ مفردة "فرعون" ومفردة "ملوك" بمفردة "فراعنة" هل نملك سبباً وجيهاً لهذا الاستبدال الخطير لمفردة وردت واضحة

---

[٩٩] – ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٧٤ .

وصريحة في القرآن الكريم؟أجل، لا خلاف أن ذلك ما هو مشاع عالمياً اليوم، ولكن هل المُشاع دليل يعتد به؟

ذكر فرعون في القرآن الكريم

إذا كان أهم مصادرنا المعرفية لشخصية فرعون هو القرآن الكريم، فلنرجع إلى القرآن ونقرؤه مرة أخرى بروية وتدبر. إن الثابت لقراء كتاب الله هو أن هناك شخصية واحدة لا غير، تسمّى أو تلقب- كما نقل لنا كتاب الله العظيم- بفرعون. وإن هذا الطاغوت المسمّى فرعون قد عاصر زمن موسى عليه السلام. هذا ما أثبته القرآن الكريم ولا ينصّ كتاب الله في هذا الصدد على غير هذه الحقيقة. فكيف تعاطينا نحن مع هذه الحقيقة القرآنية؟ هل نشرناها في العالم كي تعلم حضارات الدنيا أن لا "فراعنة" بل فرعون واحد فقط وفقط كما جاء في آخر وحي نزل إلى بني الإنسان؟ كلا، بل قمنا عوضاً عن ذلك بتحويل المفرد إلى الجمع في وعينا ومفاهيمنا وكتاباتنا، فأرسلنا بذلك إشارة خاطئة إلى إدراكنا، بسبب تداولنا لمفردة "الفراعنة"، حتى أصبحت لدينا قناعة بأن هناك أكثر من فرعون كأشخاص وليس كصفات أو نعوت. وذلك ما استقرَّ في وعي السواد الأعظم منا منذ حقبة ما قبل صدر الإسلام إلى اليوم. فلنعاود قراءة القرآن الكريم مرة ثانية ونجعل ما جاء فيه من هدى هو الحق الفصل، ولنعيد ترتيب معلوماتنا وثقافتنا على ضوء القرآن الكريم وليس العكس حتى نجد لنا مخرجاً من هذا المأزق. ففيما يلي بعض الآيات الشريفة التي تبين أن هناك فرعوناً واحداً فقط لا غير:

(**وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**) (الأعراف:١٠٤).

(**وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالْوَاْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ**) (الأعراف:١١٣).

(**قَالَ نَعَمْ وَإَنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**)(الأعراف:١١٤).

(**قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**)(الأعراف:١٢٣).

(**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ**)(يونس:٧٩).

(**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**)(يونس:٩٠).

(**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**)(طه:٢٤).

(**قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**)(الشعراء:٢٣).

(**فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ**)(الشعراء:٤١).

(**قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**)(الشعراء:٤٢).

(**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**)(القصص:٣٨).

(**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**)(غافر:٢٦).

وهناك المزيد من الآيات التي تثبت قطعاً أن فرعون ورد بصيغ المفرد فقط. ودونك القرآن الكريم لتتدبر الأمر بنفسك. فلا حاجة لأن تكون ضليعاً أو متخصصاً في اللسان العربي كي تعي أن القرآن الكريم أفرد اسم "فرعون" لشخص مفرد واحد لا غير ولم يستخدم هذه المفردة التي اشتهرت في عالمنا لغير طاغوت موسى (ع) فقط. ولا تسمح لأحد أن يوهمك أنك غير متخصص حتى في فهم الجمع من المفرد. فذاك هو الإرهاب الفكري لمن تُعجزه الحجة وهو الذي جعلنا لا نميز الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

ولا بدَّ من ذكر ما يمكن أن يتبادر للذهن وهو أن لفرعون آلاً كما جاء في المحكم (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن**

رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)(إبراهيم:٦). فلعل المقصود "بالفراعنة" هم آله، وهم أكثر من شخص لذا لزم الجمع، ولعل هذا هو أصل جمع مفردة "الفراعنة" المتداولة اليوم في العالم. والإجابة على هذا الطرح هو أن المتداول في فهمنا اليوم هو أن أكثر من ١٠٠ ملك من ملوك القبط، ابتداءً بمينا موحّد الوجهين وانتهاءً بكليوباترا آخر ملوك القبط(١٠٠)، هم "الفراعنة" الذين ملكوا زمام القبط ولم يشاركهم أحد في هذا اللقب المختص بمن اعتلى عرش الحكم بالقبط. ولكن آل فرعون لم يملكوا القبط ولا حتى مصر حيث ذكر المحكم أنهم بادوا مع فرعون (**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**)(البقرة:٥٠). وفي سورة الأنفال نقرأ (**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ**)(الأنفال:٥٤). فهل هؤلاء المغرقون حكموا القبط أو أي بلاد صغيرة أو كبيرة بعد تصريح القرآن بفنائهم مع فرعون نفسه؟! فكيف لنا أن نسميهم فراعنة إذن وهم قومٌ مغرقون لم يتسنَ لهم حكم حتى أراضي قبورهم؟ وقد أكد القرآن بصريح العبارة وبما لا يدع مجالاً للتأويل أن بني إسرائيل هم من ورث أرض مصر مباشرة بعد غرق فرعون وآله (**فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ• إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ• وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ• وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ• فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ• وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ• كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**)(الشعراء:٥٩). فهل مرَّ عليك خبرٌ، ولو بشكل عابر، مفاده أن بني إسرائيل اعتلوا وحكموا عرش مملكة القبط العظمى حوالي سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد، وهو تقدير تاريخ خروج موسى (ع) من مصر؟ هذا بالنسبة للحقبة التي تلت غرق فرعون مباشرةً، حيث ثبت لنا أنها يجب أن تخلو من لقب فرعون وفراعنة. إضافة لذلك، لم يوجد لقب "فرعون" في مصر أساساً قبل زمن فرعون. ولتأكيد ذلك نرجع إلى القرآن الكريم حيث أكد لنا الوحي أن كبير القوم في عهد النبي يوسف عليه السلام كان يُنعت بالملك وليس فرعون، علماً أن زمانه يبعد عن زمن موسى (ع) ما يقارب ١٥٠ إلى ٢٠٠ سنة فقط، والثابت حسب الثقافة السائدة بيننا أنه كان في نفس المنطقة التي سكنها بنو إسرائيل في عهد موسى. كما كان هذا

---

(100)- College of Charleston
http://www.cofc.edu/~piccione/graphics/kinglist.html

الملك ينعت مساعده بالعزيز كما أخبر العلي القدير في قصة البقرات. مما يعني أن لقب فرعون لم يكن يُطلق على كل من استلم زمام الحكم في القبط أو في ما نسميها اليوم "بمصر" كما هو شائع في وعينا اليوم. فلو كان الأمر كذلك للُقب كبير قوم يوسف بفرعون أيضا، وذلك ما لم يصرح به القرآن الكريم وإنما تزعمه التوراة فقط، ونحن كما يبدو نصغي للتوراة أكثر مما نصغي للقرآن المجيد. فما يقوله القرآن في هذا الشأن هو التالي: (**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴿ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**)(يوسف:٤٢-٥٠).

ولما استلم نبي الله يوسف (ع) مسؤولية خزائن الأرض في عهد الملك أصبح له منصب "العزيز" كما جاء في هذه الآية الشريفة التي تصور لنا دخول إخوة يوسف (ع) عليه إلى مصر: (**فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ**)(يوسف:٨٨). فكما يتضح من مجمل الآيات أن هناك فرعوناً واحداً فقط وأن هذا الاسم أو اللقب كان حكراً على الشخص المعني الحاكم في زمان موسى (ع) ولم يكن يطلق على كل من كان يحكم "مصر"، لأن لقب "ملك" هو اللقب الذي كان يحمله حاكم المنطقة في عهد يوسف (ع) كما بيّن لنا القرآن الكريم. هذا يعني بنصّ القرآن أنه لم يكن بعد زمن فرعون "فراعنة" كما أنه لم يكن قبل زمن فرعون "فراعنة" أيضا! فعلى أي أساس إذن سطرنا نحن المسلمون والعالم معنا أكثر من ١٠٠ ملك من ملوك القبط قبل وبعد زمن فرعون جميعاً تحت لقب "الفراعنة"، خلافاً لما جاء في

كتاب الله؟ أهي الثقافة المُشاعة مرة أخرى ولو على مستوى عالمي؟ نعم، إنها كذلك! إنه السراب الذي (**يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**)(النور:٣٩).

وإذا تساءلنا من الذي أسس أساس الانحراف والميل عن الجادة فجعل المفرد جمعاً؟ نجد الجواب يشير إلى التوراة المحرّفة. فهي التي جاءت بخبر تعددية لقب فرعون خلافاً لما جاء في القران الكريم، فأسقطت بذلك اللقب على ملك يوسف زوراً وبهتاناً كما نقرأ في هذا المقطع التوراتي "**وَبَعْدَ انقضَاءِ سَنَتَيْنِ رَأَى فِرْعَوْنُ حُلْماً، وَإِذَا بِهِ وَاقِفٌ بِجُوَارِ نَهْرِ النِّيلِ ٢ وَإِذَا بِسَبْعِ بَقَرَاتٍ حِسَانِ الْمَنْظَرِ وَسَمِينَاتِ الأَبْدَانِ، صَاعِدَاتٍ مِنَ النَّهْرِ أَخَذَتْ تَرْعَى فِي الْمَرْجِ، ٣ ثُمَّ إِذَا ـ ٧ فَابْتَلَعَتِ السَّنَابِلُ الْعَجْفَاءُ السَّبْعُ السَّنَابِلَ الزَّاهِيَةَ الْمُمْتَلِئَةَ. وَأَفَاقَ فِرْعَوْنُ، وَأَدْرَكَ انهُ حُلْمٌ.**"[١٠١] وفرعون التوراة المذكور هنا هو عينه ملك يوسف الوارد ذكره في القرآن الكريم. ليس هذا فحسب بل جعلت التوراة فرعوناً آخر في عهد نبي الله إبراهيم وهو ما نقرأه في هذا المقطع التوراتي "**فَضَرَبَ الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَاةِ ابْرَامَ.**"(التكوين: ١٢-١٧). فأي الخبرين نصدق وأيهما نجعل الحاكم؟ فردية فرعون القرآنية، أم تعددية فرعون التوراتية؟ ولنا أن نُرجع البصر على واقع المسلمين والعالم اليوم وننظر أي الخبرين انتشر وهيمن على وعي العالم بمن فيه المسلمون؟! وأي الخبرين بقي حبيس كتاب الله لم يبرحه إلى وعي الناس بعد؟!

من جهة أخرى، هل أن وجود مسمى أو لقب "فرعون" كحاكم على الأرض يعني بالضرورة أن كل من يحكم نفس الأرض يلقب فرعون أيضا؟ السبب في إثارة هذه الإشكالية هو أن مفردة فرعون لم تأت في القرآن كنعت للحكام أو الملوك، بل جاءت نعتاً لشخص واحد فقط. وهذا الشخص قد يكون ملكاً أيضاً ولكن ليس العكس صحيحاً بالضرورة. ولتقريب الصورة، فإن الحجاج بن يوسف الثقفي كان معروفًا بين الناس في أيام عهده وإلى اليوم بالحجاج، رغم أنه تولى منصب ولاية الكوفة. فغلبت مع ذلك شهرة اسمه بين الناس على لقب منصبه السياسي. فهل هذا الواقع يعني أن كل من كان يحكم الكوفة يجب بالضرورة أن يلقب أو يسمى بالحجاج أيضا؟ وهل

---

[١٠١]- سفر التكوين ٤١- دار الكتاب المقدس الدولية: http://www.ibs.org/bibles/arabic

سُمّي ولاة الكوفة من بعد الحجاج جملةً باسم "الحجاجين" لأن فرداً مشهوراً حكم الكوفة قبلهم كان يُعرف بالحجاج؟ بالطبع كلا! ولكن هذا ما قد حصل مع فرعون كما يبدو. إذ تمّ إسقاط اسم أو كنية أو لقب شخصية واحدة معروفة تسلمت زمام الحكم بأرض تسمى مصر، لتنطبق على كلّ من ملك الأرض من بعده أو من قبله. وذلك حقاً أمرٌ عجيب!

نرجو أن نكون قد حسمنا بهدى الآيات السالفة الذكر في وعينا وإدراكنا أنه ما من "فراعنة" بل فرعون واحد لا غير. حينئذ يصبح لزاماً البحث عن هذا الطاغوت الملقب بفرعون. فأين نبحث عنه؟ في مصر أم في القبط؟

نبوءات الرسول الأكرم (ص) بشأن فتح مصر

سنسعى في هذا الباب إلى معالجة السؤال الثاني وهو الاعتقاد بأن لرسول الله (ص) نبوءات سجلها تراثنا بشأن فتح مصر، وأن هذه النبؤات جاءت بصيغة واضحة تشير إلى أن "مصر" التي قصدها الرسول الأكرم (ص) لفظاً هي عينها القبط. فكيف يستقيم هذا مع طرحنا الذي يميز بين القبط وبين مصر القرآن- مع تمسكنا بهدي الرسول الأكرم (ص) ؟ وجوابنا أيضاً بكل بساطة هل فعلا ربط سيدنا الرسول الأكرم (ص) بين القبط ومصر القرآن؟ أم أن هناك لبساً في فهمنا سبّب لنا إرباكاً في إدراك مقاصد خاتم المرسلين (ص)؟

نقطة منهجية

كيف نتعامل مع المرويات المنسوبة إلى الرسول الأكرم (ص) ؟ إن ما يميز القرآن كمصدر معرفي عن قول الرسول (ص) كمصدر معرفي مكّمل هو أن القرآن وصل إلينا كما نزل على الرسول الأكرم (ص) بضمان من الله سبحانه وتعالى حيث قال (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)(الحجر/٩). ولكن كلام الرسول الأكرم (ص) وصلنا بطرق غير مضمونة أصلاً ومنقولة على الألسن والقراطيس وهي معرّضة للخلط مع مفاهيم الناقل لا مقاصد الرسول (ص)، هذا إذا وصلنا الكلام أساساً كما قاله

الرسول (ص). وقد اشتكى الصحابة من تبعات هذه الشائكة المنهجية في زمن الإمام علي ابن أبي طالب (ع)، فارتقى عليٌّ المنبر وخطّ لنا ولهم أصولاً نستشف منها منهاجاً للتعامل مع المرويات المنسوبة إلى الرسول الأكرم. وها نحن نورد الخطبة كاملة كما جاءت في كتاب نهج البلاغة لضرورة التحقيق في هذا البحث وكل بحث يستل استنتاجاته استناداً إلى ما نُقل عن الرسول الأعظم (ص) "... **ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال عليه السلام: " إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً. وصدقاً وكذباً. وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً. ولقد كُذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيبا فقال: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ". وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس: (١) رجل منافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداَ، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله رأى وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده عليه وآله السلام فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا. وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله فهو أحد الأربعة (٢) ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذباً فهو في يديه ويرويه ويعمل به ويقول أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه، ولو علم هو أنه كذلك لرفضه (٣) ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شئ ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه وآخر (٤) رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يهم، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه**

ولم ينقص منه، فحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاص والعام فوضع كل شئ موضعه، وعرف المتشابه ومحكمه. وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان: فكلام خاص وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به ولا ما عنى رسول الله صلى الله عليه وآله، فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله. وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يسأله ويستفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجئ الأعرابي والطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا. وكان لا يمر بي من ذلك شئ إلا سألت عنه وحفظته . فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم"[١٠٢]

نحن في هذا الزمن أكثر ما نخشاه ونحن نتدارس الأحاديث هو ما وصلنا من نقل رجال الفئة الثانية والثالثة الذين اختلطت عليهم المقاصد المحمدية بوهم الناقل أو قصور العلم كما صرح الإمام علي، فتسببوا من دون قصدٍ منهم بانحرافات ثقافية وفكرية ومنهجية امتد بلاؤها إلى زماننا . ففي تدقيقنا هنا سنعمد إلى تفحص المرويات المعنية بقصد تمييز ما قاله الرسول (ص) ممّا اجتهد فيه الناقل. وقد قسمنا ما ورد من أقوال الرسول (ص) بشأن فتح "مصر" إلى فئات حسب صيغة الرواية فيما يعني تحقيقنا :

١ . دوّن الشيخ أحمد الطبري في كتابه ذخائر العقبى ما نصّه "**قال أبو عمر وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا دخلتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً. وروى أنّه صلى الله عليه وسلم قال لو عاش إبراهيم لأعتقت أخواله ولو ضعت الجزية عن كلّ قبطي.**"[١٠٣] وهذا شبيه لما نقله الشيخ النيسابوري في المستدرك مع حذف الشطر الثاني من المروي: "**(أخبرنا) أبو بكر بن إسحاق أنبأ الحسن بن على بن زياد ثنا إبراهيم بن موسى ثنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله**

---

[١٠٢] – الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج٢، ص١٨٨ .

[١٠٣] – الطبري ، ذخائر العقبى، ص١٥٦ .

إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً قال الزهري فالرحم أن أم إسماعيل منهم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"[١٠٤] .

٢ . في مقابل هاتين المرويتين نجد مرويات أخرى لا تستقيم مع ما سبق وما هي بهذا الوضوح والحسم، كما أورد مسلم في صحيحه وغيره حيث لم يصدر عن رسول الله (ص) أنه قال "مصر" بل قال "أرض" وإليك المتن: " (**حدثنى) أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب أخبرني حرملة وحدثني هارون بن سعيد الأيلى حدثنا ابن وهب حدثنى حرملة (وهو ابن عمران التجيبى) عن عبد الرحمن بن شماسة المهرى قال سمعت أبا ذر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً** ..."[١٠٥] .

٣ . وفي مروي آخر عن أبى ذر أيضا أخرجه مسلم في صحيحة والبيهقي في سننه والمتقي الهندي في كنز العمال، نجد نفس الحديث (مع بعض الاختلافات في ما لا يعني تحقيقنا) ولكن مع ذكر "لأرض ومصر" معاً . وإليك المتن:" (**حدثنى) زهير بن حرب وعبيد الله بن سعيد قالا حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبى سمعت حرملة المصرى يحدث عن عبد الرحمن بن شماسة عن أبى بصرة عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فان لهم ذمة ورحماً أو قال ذمة وصهراً**."[١٠٦] .

٤ . وفي مرويات أخرى نجد الحديث جاء مطلقا أي يحتوي على "مصر" ولكن من غير "قبط" أو "قيراط" أو أي استدلال يشير إلى وادي النيل كما جاء في تاريخ الأمم

---

[١٠٤] – الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج ٢، ص ٥٥٣ .

[١٠٥] – ابن حبان، الصحيح، ج١٥ ، ص٦٨ ؛ ابن حنبل، المسند ، ج٥ ، ص١٧٤ ؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ٥، ص٢٠٣ ؛ مسلم، الصحيح، ج٧، ص١٩٠ .

[١٠٦] – البيهقي، السنن الكبرى، ج٩، ص٢٠٦ ؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج١١ ، ص٣٦٨ .

والملوك:"**حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحاق عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحماً. حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحاق قال سألت الزهري ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم قال كانت هاجر أم إسماعيل..**"(١٠٧).

تلك هي مجمل الأحاديث المروية عن رسول الله (ص)، وهي الروايات التي يتمسك بها الكثيرون للتعويل على أن القبط كانت تسمى مصر على لسان رسول الله (ص)، ومن ذلك خلص المفسرون إلى أن القبط هي مصر المذكورة في القرآن. ونحن ندعو هنا إلى فتح هذا الملف لإعادة النظر في الاستنتاجات التي بناها المفسرون على هذه الأحاديث وذلك بقصد مناقشة ما إذا كان هذا الكلام قد ورد أصلاً عن الرسول الأكرم (ص)، ثمَّ ما إذا كان يقصد من كلامه إثبات أن القبط هي مصر القرآن أم كان له غرض آخر غير هذا الذي ذهب إليه المفسرون؟ وسوف ندرج النقاش في عدة نقاط:

١ . هل فعلا رُوي هذا الخبر عن رسول الله (ص) أم هو من المرويات الموضوعة؟ السبب في هذا التساؤل هو أن المسلمين لم يفتحوا بلاد وادي النيل فحسب بعد وفاة الرسول (ص) بل فتحوا أيضا الشام والعراق وأسبانيا وفارس والمغرب وخراسان ..الخ. ولم يرد عنه (ص) توصية بسكان تلك البلدان كما أوصى بالأقباط خاصة- **(فاستوصوا بأهلها خيراً)** (**إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً**)- أليس هذا التخصيص للشعب القبطي بالخير يقابله بالضرورة استثناء للشعوب الأخرى من هذا الخير والترخيص للقادة العسكريين والسياسيين لإنزال الشعوب الأخرى دون منزلة الخير التي اختص بها شعب الأقباط سلفاً، حسبما يُنقل أنه جاء على لسان خاتم المرسلين؟

(١٠٧) - ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، ج١ ، ص١٧٣ .

٢ . بافتراض أن الأقباط كانت لهم خصوصية عند رسول اللّه (ص) دون باقي الشعوب كما جاء في الأحاديث المذكورة أعلاه، أليس لنا أن نسأل عن الحكمة من هذه الخصوصية؟ والجواب هو كما جاء في الأحاديث المعنية (**فإن لهم ذمة ورحماً.**)(**. فإنّ لهم ذمة ورحماً أو قال ذمة وصهراً**) والرحم المذكور هنا هو كما جاء شرحه في أحد الأحاديث(**ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم قال كانت هاجر أم إسماعيل**). ألا يعني أخذنا بهذا التبرير لخصوصية الأقباط أن الرسول الأكرم (ص) جعل منطلقه ليس العدل والمبدأ ومصلحة الدّين والأمّة قدرما هو علاقة النسب والعرق والأسرة والعشيرة كأيّ ملك عشائري أو قبليّ!! فماذا عن الشعوب التي لا رحم لها مع رسول اللّه إذن؟ هل تنقطع وساطة هؤلاء مع السماء فيقعون بذلك خارج دائرة التمّيز والوصاية والخير التي اختُص بها شعب القبط مثلاً؟! ألا يتصادم هذا التبرير الغريب مع قيم ومبادئ السماء التي دعا إليها الرسول (ص) نفسه وأسّس لها من مساواة بين الناس جميعا؟ (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)(الحجرات:١٣).

٣. لتعزيز ما نرمي إليه من الحاجة إلى النظر في مصداقية مجمل الأحاديث الواردة أعلاه والتي عوّل عليها البعض في إثبات مصرية وادي النيل، ندعو للتدبر بتجرد في الشقّ الثاني من أحاديث الفئة الأولى وهو هذا الشقّ تحديداً "**وروى أنّه صلى الله عليه وسلم قال لو عاش إبراهيم لأعتقت أخواله ولوضعت الجزية عن كل قبطي**" هذا الشق واقعاً لا يستحق التحليل لتضاربه الصارخ مع أبسط القيم الفطرية، وهو يهدف إلى تعزيز الأحاديث التي تنسب إلى رسول اللّه (ص) إطلاق اسم "مصر" على أرض القبط، وذلك من خلال سيناريو توصيته بالأقباط من منطلق الرحم والمصاهرة. فهذا الشق واقعاً لا يخلو من مبالغة تمجّها الفطرة السليمة، بيد أنه تمكنه من التسلل إلى بعض كتب المؤرخين العرب يدلّ على أن هناك في الماضي من أراد لـ"تمصير" القبط أن يتوغل في ثقافة الناس لأهداف ستتضح من خلال هذا البحث.

٤ . وأخيراً لو سلمنا جدلاً بأن الأحاديث أعلاه صدرت فعلاً عن رسول اللّه (ص) فهذا لا يعني أن الرسول (ص) قد حسم لنا اسم بلاد وادي النيل لمجرد أنه (ص) أورد

مفردة مصر كاسم لوادي النيل في بعض كلامه. فقد ورد أيضا أنه ذكر اسماً أخر لبلاد وادي النيل كما أسلفنا، وهو اسم القبط، وذلك في معرض مكاتباته مع المقوقس حيث نعته بعظيم القبط. ومفردة "القبط" في مكاتبات الرسول (ص) لا تعني كما هو شائع اليوم بأنه كان نعتاً لنصارى وادي النيل وحدهم. ودليل ذلك أن هاجر التي لم تكن مسيحية كانت تُعرف أيضاً بهاجر القبطية مما يدل على أن "القبط" و"الأقباط" هي مفردة تدل على جنسية ولم تكن قط نعتاً لديانة كما هو شأنها اليوم. لذا حقّ لنا أن نتساءل لماذا وُجد من أجزم أن الرسول (ص) أطلق اسم مصر على بلاد وادي النيل وبنى مفاهيمه لآيات القرآن على هذا الأساس وتناسى أنه (ص) أطلق اسم القبط كذلك على نفس البلاد؟

ما نقوله بهذا الصدد هو أن هذه الأحاديث المنسوبة للرسول (ص) وصحابته تحمل في طياتها ما يسيء للقيم الإسلامية وبالتالي لتعاليم الرسول الأكرم (ص) وصحابته الذين تُنسب تلك الأحاديث إليهم. أضف إلى ذلك أن الرسول (ص) لو استخدم مصر اسماً لوادي النيل في معرض أحاديثه مع أصحابه في أي حديث ثبتت صحته، فإن ذلك لا يدلّ أبداً على أن الرسول (ص) كان يقصد إثبات أو نفي أو مناقشة تاريخ هذا الاسم وأصله وعراقته وامتداده إلى عصر فرعون أو إلى أي حقبة زمنية سحيقة أو حديثة. بل جلّ ما يعنيه هو أنه (ص) كان يتعاطى بشكل طبيعي وواقعي مع زمانه بما تعارفوا عليه من أسماء للبلدان. أما الرأي القائل بأن مجرد أن الرسول (ص) ذكر اسم مصر يعني الجزم بأنه هو الاسم العريق لبلاد وادي النيل، فإن هذا المعيار يعني أن اسم كل بلد أو مدينة أو قرية أو ضيعة ذكرها الرسول (ص) في معرض كلامه وحواراته مع قومه في زمانه هو بالضرورة الاسم الأوحد لتلك الأصقاع عبر الأزمان!! وهذه فرضية مرفوضة متكلفة ولا تستقيم مع الشواهد القائمة، وتنطوي على تكليف لا نعلم لماذا ألزم المفسرون وغير المفسرين أنفسهم به وأقاموا على قواعده صرحاً ثقافياً موهوماً؟! ولذلك فإننا في هذا البحث لم نجزم بأن الرسول (ص) أثبت لنا بأن اسم بلاد وادي النيل كان القبط أيام فرعون وذلك لمجرد ورود مفردة القبط في مكاتباته مع المقوقس. بل تركنا هذا الجزم والإثبات للبحث

والتدقيق وتقصي الحقائق التي لا بد ستكشف لنا الحقيقة مادمنا نقصدها بتجرد وموضوعية وتحرر من العصبية والانحياز الفئوي أو الطائفي.

لذا نخلص بالقول إنه لم يرد عن الرسول (ص) ما يمكن أن يُحتج ويستدل به لإثبات أن اسم مصر كان واقعاً اسم بلاد وادي النيل أيام فرعون، أي قبل ١٩٠٠ سنة من عهد الرسول (ص). ويتبقى كما ثبت لنا أن القبط هو الاسم الأعرق لبلاد وادي النيل بالمقارنة مع اسم مصر المعروف اليوم كمسمى لهذا البلد.

البحث عن فرعون في القبط

إن الثابت بنصّ القرآن هو أن فرعون كان بمصر وهو عين ما جاءت به الآيات السابق ذكرها. فهل نبحث عن فرعون بالقبط؟ كلا! إذ لا يوجد أي دليل لتواجد بني إسرائيل وفرعون بالقبط في أي مصدر قديم سوى ما جاء بالتوراة التي بين أيدينا. ولكن قوة تيار الثقافة المشاعة وعالميتها يصرّان على ذلك، لذا سوف نستسلم لقهر المشاع حتى حين ونتوجه إلى القبط بحثاً عن فرعون الذي نعلم بنصّ القرآن أنّه بأرض يقال لها مصر وليس بأرض يقال لها قبط، ولنرى كيف تكون النتيجة!؟ وسوف نبدأ البحث عن فرعون القبط وفق المعطيات والفرضيات التالية:

١- يُفترض أن يكون أحد ملوك القبط؛

٢- عاش في زمن موسى عليه السلام؛

٣- لقبه أو اسمه فرعون.

فمتى عاش موسى (ع)؟ تشير الكثير من المصادر إلى أن عهد موسى عليه السلام كان في الفترة بين ١٥٠٠ إلى ١٢٠٠ ق.م[١٠٨] وهناك مصادر أخرى تحدد تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر في حوالي ١٢٥٠ ق.م[١٠٩]. ولذلك سنعتبر احتياطاً أن عهد

---

[108]- Exodus Date Testifies of Christ-by John P. Pratt
http://www.johnpratt.com/items/docs/lds/meridian/2003/exodus.html#2
[109]- Parthenon Graphics History Timeline Posters
http://chaos1.hypermart.net/old/tot.html

موسى (ع) كان واقعاً خلال الفترة ١٥٠٠- ١٢٠٠ ق.م، فنغطي بذلك جميع احتمالات المتخصصين في علوم الأديان. وبالرجوع إلى تاريخ القبط في هذه الحقبة نجدها تتفق مع حكم الأسرة الثامنة عشرة والأسرة التاسعة عشرة الواقعتين ضمن حقبة المملكة الحديثة. ولحسن الحظ يمكننا اليوم قراءة أسماء وألقاب ملوك القبط بعد أن تم حصر وتفكيك أبجديات اللسان القبطي القديم. وتجد أدناه أسماء ملوك الحقبة المعنية وهم كالتالي[١١٠]:

الآسرة الثامنة عشرة : ١٥٨٠ ق.م - ١٣١٤ ق.م، وتتكون من ١٤ ملكاُ هم : ١- أحمس الأول ٢- أمنحوتب الأول ٣- تحوتمس الأول ٤- تحوتمس الثانى ٥- حتشبسوت ٦- تحوتمس الثالث ٧- أمنحوتب الثانى ٨- تحوتمس الرابع ٩- أمنحوتب الثالث ١٠- أخناتون ١١- سمنخ كارع ١٢- توت عنخ أمون ١٣- آى ١٤- حور ام محب

الأسرة التاسعة عشرة : ١٣١٤ ق.م - ١٢٠٠ ق.م، وتتكون من ١١ ملكاً هم : ١- رمسيس الأول ٢- سيتى الأول ٣- رمسيس الثانى ٤- مرنبتاح ٥- آمون مس ٦- مون بتاح سبتاح ٧- سيتى الثانى ٨- رمسيس سبتاح ٩- ستخ نخت ١٠- رمسيس العاشر ١١- رمسيس الحادي عشر.

وللمزيد من التأكيد والشمولية فقد أورد جيمس هنري برستد[١١١] أسماء وألقاب كل ملك من ملوك الحقبة المعنية مع اختلاف طفيف في تواريخ الحكم والترتيب، كما هو مبيّن في جدول التالي:

---

(١١٠) - موسوعة حكام مصر القديمة والمعاصرة:

http://www.rainbownet.com.eg/koll%20masry/Egypt%20Governor/Default.htm#6 &

الحضارة المصرية:

http://www.geocities.com/egyptianempires/kings.htm

(١١١) - جيمس هنري برستد، تاريخ مصر، ص٥٥٨.

رقم	اسم الملك	لقب الملك	مدة الحكم (ق.م)
	الآسرة الثامنة عشرة		١٥٥٠-١٣٠٧
١	أحمس الأول	نب - بحتى – رع	١٥٥٠-١٥٢٥
٢	امنحتب الأول	جسر – كارع	١٥٢٥-١٥٠٤
٣	تحتمس الأول	عا – خبر – كارع	١٥٠٤-١٤٩٢
٤	تحتمس الثانى	عا – خبر – ان- رع	١٤٩٢-١٤٧٩
٥	تحتمس الثالث (تداخل مع عهد نحتمس الثالث)	من – خبر – رع	
٦	حتشبسوت	ماعت – كارع	١٤٧٣-١٤٥٨
٧	امنحتب الثاني	عا – خبرو – رع	١٤٢٧-١٤٠١
٨	تحتمس الرابع	من – خبرو – رع	١٤٠١-١٣٩١
٩	امنحتب الثالث	نب – ماعت – رع	١٣٩١-١٣٥٣
١٠	امنحتب الرابع	اخناتون	
١١	نفر خبرو رع	وع – ان – رع	١٣٥٣-١٣٣٥
١٢	سمنخ كارع (شريك في الحكم مع اخناتون)	عنخ – خبرو – رع	١٣٣٥-١٣٣٣
١٣	توت عنخ امون		
١٤	أي	خبرو – رع	١٣٢٣-١٣١٩
١٥	حور محب	جسر – خبرو – رع	١٣١٩-١٣٠٧
	الآسرة التاسعة عشر		١٣٠٧-١١٩٦
١٦	رمسيس الأول	من – بحتى – رع	١٣٠٧-١٣٠٦
١٧	سيتى الأول	من – ماعت – رع	١٣٠٦-١٢٩٠
١٨	رمسيس الثاني	اوسر – ماعت – رع ستب – ان – رع	١٢٩٠-١٢٢٤
١٩	مرن بتاح	بان – رع- حوتب – اير – ماعت	١٢٢٤-١٢١٤

٢٠	سيتى الثاني	اوسر – خبرو- رع- ستب – ان – رع	١٢١٤-١٢٠٤
٢١	امـون مـس (مغتصـب للعـرش أبـان عهـد سيتى الثاني)		
٢٢	سيبتاح		١٢٠٤-١١٩٨
٢٣	تاوسرت (ملكة)		١١٩٨-١١٩٦

أمامنا إذن أسماء وألقاب ٢٣ ملكاً من ملوك بلاد القبط على مدى فترة زمنية واسعة لنضمن تغطية الحقبة التي عاش فيها نبي الله موسى (ع). فهل ترى في القوائم اسم أو لقب "فرعون"؟ بل هل تستطيع أن تحور أحد الأسماء لتشكل منه لفظة "فرعون"؟ رغم أنك لست مضطراً إلى هذا العناء لأن لفظة فرعون نفسها قديمة والأسماء التي أمامك قديمة. وهنا تجدر الإشارة إلى أن اليهود في كتاباتهم يركزون على الملك رمسيس الثاني بدعوى أنه فرعون موسى. فهل ترى في اسم رمسيس أو لقبه " **أوسر – ماعت – رع- ستب – ان – رع**" أي تشابه مع اسم أو لقب "فرعون"؟ علماً بأن لفظ رمسيس ذاته ليس دقيقاً فهو يلفظ عند الأقباط واقعاً رعميس أو رعمسو ويعني "وليد الإله رع". فضلاً عن ذلك، فإن معنى هذا الاسم يحمل معاني الخضوع والتعبد في عقيدة ومفاهيم الأقباط ومثله مثل قول اليهود والمسيح "إننا أبناء الرب"، فهل يعقل أن يحتفظ بهذا اللقب التعبّدي وهو القائل (... **يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**) (القصص:٣٨).

وهناك أيضاً من يقول إن ابن رمسيس الثاني مرنبتاح هو فرعون موسى حيث وجُد أثر كُتب فيه "**لقد خربت إسرائيل وقطعت بذرتها**" فقفز اليهود سريعاً إلى نتائج يتشبثون بها بعد أن كادت تحاصرهم وطأة الحقيقة وقلة الحيلة، ولكن كما قال مختار السويفي " **... وقام بعض المؤرخين بتفسير تلك العبارة بالقول بأن الملك "منفتاح" هو "فرعون موسى" الذي طرد بني إسرائيل من مصر في واقعة الخروج والتي ذكرتها التوراة القديمة وكتب العهد القديم. غير أن هذا القول لا يسنده أي**

سند من التاريخ المصري القديم، ومازال فرعون موسى غير معروف حتى الآن على وجه التحديد"[112]. وفي هذا الصدد يقول فراس السواح متسائلا" **أما عن زمن الخروج، فهناك اتفاق على وضعه قرابة عام ١٢٦٠ ق م إبان حكم الفرعون رمسيس الثاني. إلا أنه رغم الجهود الكبيرة التي بذلها المؤرخون حتى الآن، فقد فشلوا في إيجاد أساس تاريخي لقصة الخروج من مصر، وبقيت النصوص المصرية صامتة صمتاً مطبقاً عن هذا الحدث المركزي في كتاب التوراة. فمن غير المعقول أن يغادر مصر ستمائة ألف مسخر من أشباه العبيد، وينسحبون من الدلتا في قتال تراجعي نحو برزخ السويس حيث يهزمون الفرعون ويتسببون في مقتله، دون أن تأتي سجلات ذلك العصر، الذي يعتبر من أكثر فترات التاريخ المصري توثيقاً، على ذكرهم**"[113]

أما زاهي حواس – عالم الآثار المعاصر والأمين العام للمجلس الأعلى للآثار المصرية- فيؤكد في الكثير من محاضراته أن فرعون موسى لم يتسن تحديده من بين ملوك المصريين حتى الآن، وأنه لا يستطيع الجزم بأي الملوك قد يكون فرعون موسى[114]. وفي إجابته على السؤال -هل كان رمسيس الثاني هو فرعون موسى كما نُقل عن الفرنسيين بعد تحليل مومياء رمسيس؟ - قال الحواس ".. أبداً. **فرعون موسى مات غريقاً، وهم لم يجدوا أي دليل على ذلك في المومياء، كذلك تحليل معظم المومياء الملكية لم يثبت أن أياً منها لفرعون موسى، إذن لا يوجد دليل أثري قاطع إلى الآن.**"[115] وإجابة الحواس وغيره من العلماء العرب التي تجزم بالنفي تمثل رداً على طرح موريس بوكاي- الطبيب الفرنسي- الذي أثبت، كما جاء في

---

(112) – مختار السويفي، أم الحضارات، ج١، ص١٤٣.

(113) – فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص١٩٨.

(114)– زاهي حواس "أسرار الفراعنة"، محاضرة، مركز الشيخ إبراهيم الخليفة الثقافي، المحرق: مملكة البحرين، ابريل ٢٠٠٥.

(115)– زاهي حواس "رمسيس الثاني هل هو فرعون موسى؟" مقابلة، جريدة الأيام، مملكة البحرين، العدد ٥٩١٦، تاريخ ٢٢ مايو ٢٠٠٥.

كتابه "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم"، أن مرنبتاح ابن رمسيس الثاني هو فرعون موسى وأدلة إثباته هي:١- آثار ملح ماء البحر على بدن مرنبتاح. ٢- أظهرت أشعة X كسوراً في العظام دون أثر لتمزق الجلد واللحم مما يدل أن تكّسر العظام كان بسبب ضغط الماء. فأسلم بوكاي لأن بدن فرعون بقي محفوظاً كما جاء في قرآن المسلمين إذ قال تعالى (**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**)(يونس:٩٢). فأخذ بعض من المسلمين المبهورين بإسلام الطبيب الفرنسي الذي أكد لهم إعجاز القرآن وحدّد لهم فرعون بقليل من الملح بعد طول انتظار، أخذوا يهتزون فرحاً لما يبدو كأنه نصر للإسلام. فأسبغوا على بوكاي آيات المديح والتبجيل لا لشيء إلا أنه قال بما قاله القرآن الكريم. وأخذت القصص الدرامية تتكاثر على المواقع الإسلامية والمنتديات الشبابية الفكرية، رغم ما تحوي في جوهرها من تناقضات ومبهمات واستفهامات اعتبرها المتعاطفون أدلة على سلامة استنتاجات بوكاي. وإليك مقتبساً من أكثر المقالات تداولاً بين المهتمين بشؤون فرعون لتتعرف على سيكولوجية القراء المتعطشين للحقيقة وكيف يمكن ترسيخ ثقافة وحسم عظائم الأمور بسرعة مذهلة وبشكل عاطفي لا عقلاني ولا موضوعي "... **كان المعالجون مهتمين في ترميم المومياء، بينما كان اهتمام رئيسهم (موريس بوكاي) عنهم مختلفاً للغاية، كان يحاول أن يكتشف كيف مات هذا الملك الفرعوني، وفي ساعة متأخرة من الليل. ظهرت نتائج تحليلاته النهائية. لقد كان بقايا الملح العالق في جسده أكبر دليل على أنه مات غريقاً.! وأن جُثته استخرجت من البحر بعد غرقه فوراً، ثم أنهم أسرعوا بتحنيط جُثته لينجو بدنه! ولكن ثمة أمر غريب ما زال يُحيره وهو كيف بقت هذه الجثة دون باقي الجثث الفرعونية المحنطة أكثر سلامة من غيرها رغم أنها استخرجت من البحر! كان (موريس بوكاي) يعد تقريراً نهائياً عما كان يعتقده اكتشافاً جديداً في انتشال جثة فرعون من البحر وتحنيطها بعد غرقه مباشرة، حتى همس أحدهم في أذنه قائلاً لا تتعجل فإن المسلمين يتحدثون عن غرق هذه المومياء. ولكنه استنكر بشدة هذا الخبر، واستغربه، فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا بتطور العلم الحديث وعبر أجهزة حاسوبية حديثة بالغة الدقة، فقال له أحدهم إن قرآنهم الذي يؤمنون به**

يــروى قصــة عــن غرقــه وعــن ســلامة جــثته بعــد الغــرقفــازداد ذهــولاً وأخــذ يتساءل:"[116] هناك العديد من الأسئلة الناقدة لهذا الطرح الدرامي ولكن مادام الملح هو الدليل الأكبر على غرق هذا الملك فنسأل المعتقدين باستنتاجات بوكاي عن هذا الملح. فكم كانت نسبة تركيز هذا الملح على بدن مرنبتاح الذي أنجاه الله ببدنه؟ وفي المقابل كم كان معدل تركيز الملح على باقي مئات المومياءات المحفوظة إلى اليوم والتي لم ينجها الله بأبدانها كما يبدو؟ وذلك لكي نقارن هل فعلاً تميزت مومياء مرنبتاح بزيادة الملح عن غيرها من المومياءات؟! فهل يملك المسوّقون لنظرية بوكاي رقماً ذا مصداقية حقيقية؟ ثم هل يعني فعلاً وجود ملح على بدن مومياء أنها جثة غرقت في البحر؟ فهل يوجد الملح في البحر فقط؟ وهل كل جثة غرقت في البحر تعني جزماً أنه "فرعون" موسى؟ وبالنسبة للعظام المكّسرة من غير أثر جراح على الجلد والذي استدل به المعتقدون على أثر ضغط الماء على العظام بعد الغرق، فنسأل أولاً هل هناك فعلا عظام مكّسرة في جثة مرنبتاح؟ أم هو زعمٌ فحسب؟! ثم لو صح ذلك، فهل ضغط الماء فعلا يكّسر عظام الجثث فيزيائياً؟ فالجثث تطفو بعد غرق أصحابها إلى أن يخرج معظم الهواء من تجاويف الجثة لتطمس في الماء بعد أن يحل الماء محل الهواء فيتعادل بذلك الضغط الداخلي للجثة مع الضغط الخارجي لتنتج محصلة قوى تكاد تساوي صفراً، فكيف يمكن لقوة صفر أن تكّسر العظام؟ كما أن الجثة لا تطفو ثانية إلا إذا كثرت بها الغازات نتيجة التحلل والتفسخ، فعند ذلك يراها الناس طافية على السطح بعد انتفاخها لينتشلوها ويحنطوها، فهل ورد أن بدن مرنبتاح كان متفسخاً وهو الذي نجاه الله ببدنه؟ في الواقع هناك عشرات من الأسئلة بحاجة إلى أجوبة، بيد أنك لن تجد لها جواباً شافياً، فهذا السيناريو الدرامي كما جاء في النموذج المقتبس أعلاه، قد انطلى للأسف ولا يزال ينطلي على الكثيرين بحسن نية، فصياغته الدرامية تذكرنا بقصص إسلام الأولين كما تصوره بعض المسلسلات التليفزيونية، فيطربنا تكرار الحدث الذي أصبح يتحقق هذه الأيام ببعدين ظاهر وباطن. فأمّا الظاهر فهو أن إسلام فرنسي يدل بشكل غير مباشر على أن القرآن الكريم حقّ، وأن الإسلام حقّ،

---

(١١٦) – من صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

http://www.islamiyyat.com/eigaz.htm

والدليل هو إسلام من اخترنا أن نبجل ونعظم لهذا الغرض. وهذا بحد ذاته مصيبة عقائدية إذ جعلنا إثبات مصداقية كتاب الله ليس منه وفيه وعليه بل رهناً بإسلام الناس أو شهادتهم، ويفضل أن يكون هؤلاء الناس غربيين، وكأن هناك منة على الله ورسوله إذا أسلم هذا أو ذاك (**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**)(الحجرات:١٧). أما الباطن، وهو مقصد رجال صيانة التحريف المعاصرين، فهو قبول ما جاء في التوراة من أخبار محرفة متناقضة مع العقل والمنطق بل والقرآن دون نقاش ودون وعي منا وذلك بغية مواصلة مسيرة الإضلال الأممي للمحافظة على المكتسبات وإضافة المزيد إليها.

خلاصة القول أنه لا يوجد ما يستدل به ميدانياً على أن فرعون نفسه ناهيك عن اسم فرعون أو لقب فرعون كان له وجود أصلاً في بلاد القبط أيام موسى علية السلام؟! ولو دققت النظر في كل أسماء ملوك القبط منذ نشأة النظام الملكي حوالي سنة ٣٠٢٠ ق.م حين وحّد الملك مينا الوجهين إلى سنة ٣٣٢ ق.م حين انتهى عصر حكم الأقباط باحتلال الإسكندر المقدوني بلاد القبط، فلن تجد لهذا الاسم أدنى إشارة في تراث القبط.

وأخيراً فقد يتبادر إلى ذهن القارئ أن مفردة "فرعون" ربما كانت تعني في ثقافة القبط: الملك أو الزعيم أو العظيم أو ما شابه من ألقاب. فلعل ذلك يفسر المسلّمات الشائعة في هذا الصدد. ولا بأس أن نعود مرة أخرى إلى التراث القبطي القديم ونبحث عن الألقاب التي كانوا ينُادون بها ملوكهم إذ لم تعد تلك المعلومات حكراً على أحد بل غدت متوفرة لكل من يرومها. وسنجد بعد البحث أن هناك ٥ ألقاباً هي[١١٧]:

١- حورس Horus أو حور Her

---

(١١٧) – الحضارة المصرية- اسم الملك وألقابه:

http://www.geocities.com/egyptianempires/logos.htm & Egyptology-Pharaoh's Royal Names-
http://www.egyptologyonline.com/royal_names.htm & Royal Titles for Kings of Egypt-*By Marie Parsons*-
http://www.touregypt.net/featurestories/titles.htm.

٢- نبتي - NEBTI

٣- صا- رع - SA-RA

٤- حر- نوب -HR-NUB

٥- نسو- بيتي- NSO-BTO

ولا يضمّ تراث القبط الملكي غير هذه الألقاب المهيمنة فهل ترى "فرعون" من بينها؟ طبعاً ابتلي المختصون في علوم حضارة القبط بلقب "فرعون" الشهير الذي يقول الناس إنه في بلاد القبط. ومع ذلك فإنهم – أي المختصون – لا يجدون له أثراً لا على الأرض ولا في بطنها ولا في البرديات ولا في الكتابات الحائطية للمعابد والمدافن! فأخذ المختصون يوضحون أنه لا فرعون في بلاد القبط، وأن شعب القبط لم يناد أحداً من ملوكه قط بهذا اللقب، بل إن هذا اللقب، أي "فرعون"، لا ينتمي إلى التركيبات الصوتية لمقاطع الكلمات القبطية أصلاً؛ أي أنه أجنبي على كلام الأقباط ومنطوق عبارتهم الصوتية، وما هذا اللقب إلا لفظة مستوردة ومحشورة في ثقافة وادي النيل، ولكن ما من مجيب! وحاول المختصون العثور هنا أو هناك على كلمة قبطية بروتوكولية قريبة من لفظة "فرعون" لعل وعسى يتسنى لهم تفسير مصدر هذه الكلمة اللغز التي لا يجدون لها أثراً في تراث القبط. فتوصلوا بعد جهد جهيد إلى مخرج شرعي يتيم تشبثت به معظم المؤسسات التراثية، وهذا المخرج من اجتهاد جيمس هنري حيث يقول ". **وهكذا وبمرور الزمن أخذ القوم يلقبون الحكومة أولا "بالبيت الكبير" ثم أطلقوا ذلك على الملك، وهذا اللقب تلفظ بالقبطية "بر-عو"**[١١٨] **وحرفه بعد ذلك الإسرائيليون إلى "فرعون" وبقي مستعملاً كذلك حتى عهدنا هذا. وما أكثر العبارات والمجازات التي كان يستعملها موظفو القصر**

---

(١١٨) – نقل برستد ترجمة per-aa إلى بر-عو في كتابه تاريخ مصر بينما الترجمة السليمة هي بر-عا كما جاء في مصادر أخرى منها هذا الموقع: الحضارة المصرية- اسم الملك وألقابه:

http://www.geocities.com/egyptianempires/logos.htm

الفرعوني[١١٩] **في الإشارة إلى مليكهم المقدس**"[١٢٠]. وبدأ كتّاب كثيرون يتناقلون هذا الرأي منهم ماريا. بارسونس Marie Parsons ولكن مع اختلاف مهم حيث تقول "**ويجب التنويه بأن اللقب الشهير "فرعون" والذي يُطلق على ملوك القبط ليس كلمة قبطية بمعنى إن القبطيين لم ينادوا ملوكهم بفرعون حتى عهد متقدم من تاريخ القبط حيث كانوا يشيرون إلى الملك "بالبيت الكبير" وتلفظ "بي- رى أو بي- رعا" per-aa فحورها غير القبطيين من العبرانيين إلى فرعون**"[١٢١].

هنا نجد أن لفظ البيت الكبير عند بارسون هو "بي-رع" وليس "بر- عو" كما لفظه هنري، وذلك أقرب إلى قول زاهي حواس الذي ذكر لفظة "بر- عا"[١٢٢] للدلالة على البيت الكبير. فأين فرعون من بر-عا التي يحتمل العلماء أنها ربما حرّفت إلى فرعون لاحقاً. مع ذلك لو وجد القارئ الكريم أن الطرح أعلاه مقبول، أي أن بي- ري أو بر- عو أو بي- رعا هي مصدر اسم فرعون رغم إنه تخمين بحت من العلماء الذين حاولوا التوفيق بين الشائع المبهم والواقع الميداني المحسوس، فنود أن نلفت الانتباه إلى الحقيقة التالية التي نتميز بها نحن أتباع محمد بن عبد اللّه (ص) لكوننا نهتدي بوحي القرآن، وهي أن مجاز "البيت الكبير" يقابله في تعبيرنا المعاصر الديوان الملكي أو الأميري أو السلطاني أو مكتب الرئاسة أو ما شابه. وما يعنيه ذلك هو أن فرعون تعبير مجازي عن الديوان الملكي الذي من يقصده فهو يقصد صاحبه في الواقع - أي الملك - وإن لم يُلفظ اسمه تمجيداً لعلو مكانته وشموخ شخصه وقدسية ساحته. فهل

---

[١١٩]- لاحظ أن هنري يصحح خطأ شائعًا تسبب به اليهود حسب قوله وفي نفس الوقت هو يستخدم نفس المفردة التي يخطئها وهو من باب الانسياق وراء الشياع بعد أن تحول لثقافة وما أكثر ما تقرأ هذا النوع من التناقض في كتابات المتكلمين بهذا الشأن.

[120]- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر، ص٨٤.

[121]- Royal Titles for Kings of Egypt-*By M. Parsons*-
http://www.touregypt.net/featurestories/titles.htm

[١٢٢] زاهي حواس "رمسيس الثاني هل هو فرعون موسى؟" مقابلة، جريدة الأيام، مملكة البحرين، العدد ٥٩١٦، تاريخ ٢٢ مايو ٢٠٠٥؛ وانظر:

Egyptology online http://www.egyptologyonline.com/pharaohs.htm.

تعتقد أن الله سبحانه وتعالى عندما أمر رسوله موسى عليه السلام بقوله (**اذْهَبْ إلى فِرْعَوْنَ انهُ طَغَى**)(طه/٢٤). كان يعني بذلك اذهب يا موسى إلى الديوان الملكي أنه طغى؟ أم هل المغزى من خطاب الله إلى موسى (ع) بشأن فرعون في كل الآيات السالفة الذكر هو الرجوع إلى شخص هذا الطاغوت وذاته؟ وهل يُعقل أنه تعالى انحاز عن ذكر اسم فرعون إلى ذكر ديوانه حفظاً لشموخ هذا الطاغية الذي شاء أن ينسفه على يد رسوله موسى (ع)؟ هل ينادي الله تعالى رسوله باسمه المجرد "موسى" وينادي الطاغوت بتعبير مجازي يوحي بالتعظيم؟ إذن، فإن هذا الطرح مرفوض على ضوء هدى القرآن ولا يستقيم عقلاً ولا منطقاً ناهيك عن أن اللفظ يختلف عن فرعون أصلاً، وما جاء العلماء بهذا المخرج اليتيم إلا خضوعاً لمسلّمة مشاعة لم يجدوا لها أصلاً على الميدان ورغبةً في التخلص من الضغط المتزايد عليهم من الناس المطالبين بضرورة تعيين فرعون موسى من بين ملوك الأقباط. فإذ لم يجد العلماء لفرعون موسى أثراً في بلاد الأقباط فإنهم عمدوا إلى هذا المخرج المبتور.

وللمزيد من البراهين على عدم وجود فرعون ولا فراعنة بالقبط، دعنا نتفحص معاً ترجمات المتون الهيروغليفية بأنفسنا والتي تمكن علماء الألسن القديمة من فكّ شفرتها في القرون القليلة الماضية. فهل نجد فيها ما يدلّ على فرعون لفظاً؟ فهذا الأستاذ حسن صابر في كتابه متون مصر قام بترجمة متون الأهرام، وهي مجموعة النصوص التي وجدت مكتوبة باللغة القبطية القديمة وبالخط الهيروغليفي في غرفة الدفن والغرف المجاورة في تسعة من أهرامات المملكة القديمة في الفترة ٢٣٧٥ – ٢١٨١ ق.م إلى جانب أحد أهرامات العصر الوسيط الأول في الفترة ٢١٨١ – ٢٠٥٥ ق. م. فلو قرأت كلَّ المتون الواردة في الكتاب والبالغة ٧٥٩ متناً، لن تجد أي ذكرٍ لفرعون ولا فراعنة. بل تجد الملك، حور، بيبى أو تيتي وغيرها من نعوت وأسماء الملك المتوفى. فهل يكفي هذا لإثبات أنه لم يكن هناك فرعون ولا فراعنة في القبط؟ ولمزيد من التحقيق يمكن الاطلاع على اللفظ القبطي نفسه. بمعنى أن نستمع أو نقرأ اللغة القبطية القديمة لفظاً ومن ثمَّ نتفحص ما إذا كانت هناك لفظة فرعون في اللغة القبطية القديمة أم لا. وتجد في الجدول التالي نموذجاً لترجمة مقتبسات من اللوحتين ٣٤٧ و ٣٦٤ من متون نصوص الأهرامات بالعربية، ويرد فيها ذكر ملك

القـبط بمسـمى تـيتي وآخـر باسـم حـور(١٢٣). وتجـد في المقابـل اللفـظ القبطـي(١٢٤) للمقتبس مكتوباً بالإنجليزية وتركناه دون تعريب لأمانة النقل اللغوي.

النطق اللفظ بالقطبية	ترجمة المتن من القبطية إلى العربية	رقم اللوحة الهيروغليفية
347-563 a. [djed medu re en teti 347-563 em senetjer] sepeti teti em onetiu	فـم الملـك مثـل البخـور، وشفتا الملك مثل المرّ.	٣٤٧- ٥٦٣أ
347-563 b. hhai teti em sekhet ka ek [er sekhet hetep [	اهـبط أيهـا الملـك في حقـل قرينك-"كا" لحقل القرابين.	٣٤٧-٥٦٣ب
347-563 c. [--- en teti her noret] khefat net teti mi netjer depet	الملك علىـ(..)، وطعام الملك مثل طعام سفينة الإله.	٣٤٧-٥٦٣س
347-563 a. [onekh teti ir renepet] aut teti er hep	عمـر الملـك أكثـر مـن عـام، وقرابين طعام الملك أكثر مـن النيل.	٣٤٧-٥٦٤أ
364-609 a. djed medu usir teti pu oho er ek 364-609 b. ii heru ip ef tju em o netjeru imeri en tju heru	يا"أوزير" الملك انهض"، اتى "حور"، ويدعوك بين الإلهة.	٣٦٤-٦٠٩أ

خلاصـة القـول أنّـه لم يكـن هنـاك قـط وجـود لكلمـة فرعـون ولا فراعنـة في بـلاد القبط الـتي نـدعوها اليـوم بجمهوريـة مصـر العربيـة، ولا ينبغـي لـذلك أن يكـون، وفقـاً لنص القرآن الذي كشف لنا أن فرعون ادّعى ملكية مصـر وليس القـبط. ونكاد نجـزم أن تـراكم الآثـار والأدلـة الميدانيـة العلميـة عبر العقـود القادمـة سـوف تـدفع لا محالـة

(123)- حسن صابر، متون الأهرام المصرية القديمة، ص١٨٧، ص١٩٦.

(124)-Pyramid Texts- http://www.pyramidtexts.com/utterance347.htm & Pyramid Texts- http://www.pyramidtexts.com/utterance364.htm

العلماء المنصفين إلى التكتل وإعلان هذه الحقيقة للعالم قاطبة، وسوف يتسابق بعضهم لنيل السبق في الإعلان عن أكبر وهم عاشته الإنسانية. وما أن يستقر هذا الاكتشاف في وعي العالم الحر بعد عناء المقاومة الكارهة للحق، عندها كعادتنا سوف نعلن نحن المسلمون لأنفسنا وللعالم أن ذلك ليس بسبق، بل قد جاءت دلالته في القرآن الكريم قبل ١٤٠٠ سنة. وستجد حينئذ المقالات والمحاضرات تتكاثر بين الناس معلنةً أن "القرآن صحيح، كما أثبت العلم"! فقد اعتدنا أن نجعل القرآن الكريم مؤشراً على صحة الاكتشافات لا هادياً إليها في حين ينبغي له أن يكون هو منبع كل حقيقةٍ واكتشاف. ولكن أنّى له أن يكون كذلك وهو مكّبل بمفاهيم الرجال السالفين.

تساؤلات حول التشويش التاريخي

لقد تبين لك عزيزي القارئ أن جمهورية مصر العربية لم تكن "مصراً" بل كانت "القبط" وأن شعبها لم يكن "المصريين" وإنما الأقباط، وأن حكامها لم يكونوا فراعنة وإنما ملوك. وقد سبّب غياب هذه الحقائق إرباكاً انعكس حتى على كتابات المؤرخين الذين حاروا في حقيقة الأمر. فعلى سبيل المثال تحير ابن كثير في جنسية هاجر وأم المؤمنين مارية. فهناك واقع ملموس ينسبها إلى بلاد القبط وهناك ثقافة مبهمة ولكن مهيمنة تنسبها إلى بلاد مصر. فما كان منه إلا أن نعتهما في بعض الحالات بصيغة "**هاجر القبطية المصرية**"[(١٢٥)] و"**ماريا القبطية المصرية**"[(١٢٦)] وهذا لحل إشكال وتناقض ابتلي به العرب القدماء ولا يُعرف مصدره. ولا نرى هذه الجنسية الثنائية حلاً للتناقض بل استسلاماً للمُشاع وهروباً من شواهد تشير إلى حدوث جريمة تزويرٍ للحقائق في التاريخ القديم وليس مجرد الانتماء لبلاد تحمل اسمين كما أشيع بين الناس حتى اليوم. فنحن الآن أمام عدة تساؤلات، من ضمنها حكاية هذه الثقافة المُشاعة العالمية المنافية للحقيقة؟ من تسبب فيها؟ ومن عبث بالحقيقة وحوّلها إلى وهم أممي عالمي واسع الانتشار؟ ما هي مصلحة هذا العابث؟ وهل من تبعات لهذا

[(١٢٥)] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص١٧٥.

[(١٢٦)] ابن كثير، قصص الأنبياء، ج١، ص١٩٨.

الوهم الذي نعيش آثاره حتى اليوم؟ وأين تقع مصر القرآن إذن؟ ومن هو فرعون؟ وهل البحث عنه سوف يكشف المزيد من الأوهام في مفاهيمنا وثقافتنا التي كنا نحسبها مُحكمة؟ وأين كان موسى عليه السلام إذن؟ وأين كان يوسف وأبوه يعقوب عليهما السلام الذين يقول القرآن إنهما ذهبا إلى مصر؟ وأين كان بنو إسرائيل ؟ ومتى تغير اسم بلاد وادي النيل العريق من القبط إلى مصر كما بات معروفاً اليوم، وتحوّل بذلك شعب وادي النيل من الأقباط إلى "المصريين"؟ مع العلم أن القبط هو اسم بلاد وادي النيل حتى عهد رسول الله (ص) كما أكد لنا المقوقس في ردّ كتابه لرسول الله (ص). هل جاءت سلطة أخرى إلى بلاد وادي النيل في الحقبة التي تلت الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي واستوطنت البلاد وغيرت اسمها من قبط إلى مصر فغدا بذلك الأقباط يعرفون "بالمصريين" حتى يومنا هذا؟ هذا ما سوف نطلع عليه في الفصلين التاليين.

ملخص الفصل

١- إن مصر القرآن ليست هي جمهورية مصر العربية كما هو مشاع بين المسلمين اليوم. فلا يوجد دليل مادي يربط فرعون أو أحداً من الأنبياء عليهم السلام عدا نبي الله إدريس (ع) ببلاد القبط التي غدت في عهود متقدمة تعرف بمصر؛

٢- إن اسم جمهورية مصر العربية العريق حسب ما أطلقه عليها سكان الوادي الأصليون كان دوماً "قبط" كما تُلفظ باللسان العربي، وكبتو (Kopto) كما تُلفظ باللسان الفينيقي القديم (الإغريقي)، وإجبت (Egypt) كما تُلفظ باللسان اللاتيني. ولم تكن بلاد وادي النيل تُعرف بين سكان أهلها بمصر أبداً، وكذلك بقي الحال حتى أيام خاتم المرسلين (ص)؛

٣- إن الأقباط لم يلقبوا ملوكهم بفرعون أو فراعنة. فهذا الاسم أو اللقب غريب على ثقافتهم وغريب على ألفاظهم؛

٤- إن فرعون لم يكن أحد سكان القبط قط؛

٥- إن موسى عليه السلام لم يكن ببلاد القبط قط؛

٦- إن بني إسرائيل لم يكونوا من سكان القبط؛

٧- إنه لا يوجد "فراعنة" أصلاً بل هو "فرعون "واحد فقط.

الفصل الثاني

من حرّف تراث العرب؟

لازلنا نبحث عن هوية فرعون الحقيقية، حيث لم نصل إلى نتيجة بهذا الشأن بعد ولكننا عازمون على مواصلة البحث حتى تتبلور لنا حقيقته. بيد أننا اصطدمنا بعدة مفاجآت في تحقيقنا واكتشفنا أوهاماً كنا نحسبها مسلّمات. لقد تبلورت لنا حقائق عدة أثناء رحلتنا الجغرافية التاريخية للبحث عن هوية فرعون موسى، وعلمنا أن ثقافتنا العامة كمسلمين يعتريها الكثير من اللبس والوهم، وأن الكثير من الأمم وخاصة الكتابية منها، تلتقي معنا في نفس هذه المفاهيم الخاطئة المزيفة. بيد أن خطورة هذا الوهم المستشري مهما اشتدت لا تبلغ خطورة تبعاته التراكمية الكارثية، وهو ما يجعل من المتعذر علينا تجاهل مسببات شيوع هذا الوهم الأممي أو عدم الاكتراث بها. ومن هذا المنطلق يتوجب علينا أن نواصل السير قدماً في البحث عن هويّة فرعون الحقيقية، وهو ما جعلنا نخصص هذا الفصل للنظر في أسباب هذا الوهم القائم ومسبباته قبل أن نواصل رحلتنا لتقصي أصل فرعون وفصله، فمن يدري لعل المزيد من المفاجآت ينتظرنا.

هل حقا فتح المسلمون مصر؟

في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) وفي سنة ٢٠ هجرية تحديداً، منّ الله تعالى على المسلمين بفتح "مصر" التي ندعوها اليوم بجمهورية مصر العربية. ذلك ما تورده مجمل كتب التاريخ العربي على مرّ الحقب السالفة إلى يومنا هذا مع اختلافات طفيفة فيما يتعلق بتحديد سنة الفتح. وهذا ما ندّرسه أبناءنا في المدارس حيث جاء هذا الفتح بعد فتح الشام مباشرة كما تنقل كتبنا التراثية. ولكن بناءً على ما سبق تفصيله في الفصل الأول فإننا لم نتعرّف ميدانياً على منطقة أو إقليم أو مدينة أو قرية أو كور تدعى "مصر" في بلاد القبط لا قبل ملوك القبط ومملكاتهم ولا

أثناءها ولا أيام الاحتلال الفارسي والإغريقي والروماني! فأين تقع "مصر" التي فتحها المسلمون إذن والتي ورد اسمها بكتب التاريخ العربية؟ وأي أرض عّرفها أجدادنا على أنها أرض "مصر" التي فتحوها ميدانياً؟ لا بد من الإجابة على هذه الأسئلة كي يتسنى لنا التدقيق في مسمى هذه الأرض التاريخي والتيقن في ما إذا كانت هي فعلا مصر التي ادعي فرعون ملكيتها في زمانه، ومن ثمَّ نخلص إلى تحديد جنسية فرعون القديمة والأرض التي كان فيها بنو إسرائيل وبالتالي يتسنى لنا تحديد معالمها في عهدنا المعاصر. ولكي يتسنى لنا تحصيل مرادنا، لا بدَّ لنا أن نمتطي الجياد مع جنود المسلمين تحت إمرة القائد عمرو بن العاص ونرافق جيش المسلمين كفرقة كشافة في رحلتهم من الشام إلى بلاد القبط التي كان المسلمون يدعونها آنذاك "بمصر". والهدف من مواكبتنا لهذه الكتيبة هو معرفة أي أرض تحديداً كان يسميها المسلمون "مصر" آنذاك، وهل كان هذا الإسم يطلق على قرية أم مدينة أم وادي أم إقليم؟ ومن ثم علينا أن نسأل قاطنيها الأقباط عن الاسم الحقيقي للأرض التي يسميها المسلمون الفاتحون مصراً. فلعلنا أغفلنا أرضاً ما كان يعرفها المسلمون بهذا الاسم، ومن ثم امتدت التسمية لاحقاً لتشمل كلَّ الأراضي التي نعرفها اليوم بجمهورية مصر العربية. ومن هنا نبدأ رحلتنا التراثية.

أرّخ اليعقوبي والحموي هذه الرواية التي تورد نص مكاتبات وحوارات بين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) وعمرو بن العاص مباشرة بعد فتح الشام " **ـووجه عمرو بن العاص فقال له : يا أمير المؤمنين تأذن لي في أن أصير إلى مصر، فإنا إن فتحناها كانت قوة للمسلمين، وهي من أكثر الأرض أموالا، وأعجزه عن القتال، ولم يزل يعظِّم أمرها في نفسه، ويهون عليه فتحها، حتى عقد له على أربعة آلاف كلّهم من عك، وقال له: سيأتيك كتابي سريعاً، فان لحقك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخل شيئاً من أرضها، فانصرف، فإن دخلتها ثمَّ جاءك كتابي فامض، واستعن بالله. وسار عمرو مسرعاً، فلما كان برفح، وهي آخر عمل فلسطين، أتاه رسول عمر ومعه كتاب، فلم يفض الكتاب، ونفذ حتى صار إلى قرية بالقرب من العريش، وقرأ الكتاب، ثم قال: من أين هذه القرية ؟ قالوا: من مصر ! قال: فإن أمير المؤمنين أمرني إن أتاني كتابه ، وقد**

دخلت شيئاً من أرض مصر أن أمضي لوجهي وأستعين بالله ، حتى أتى الفرما"[(١٢٧)].

وبالنظر إلى خريطة الإدريسي (الخريطة رقم ٩) نجد أن العريش هي أقرب إلى حدود فلسطين الغربية مما يلي غزة الفلسطينية. وحين أُجيب ابن العاص بأنه في إحدى قرى "مصر"، وهي قرية العريش البعيدة عن نهر النيل حيث تجمعات المدن الرئيسية والقرى المترامية على طول نهر النيل، فإن ذلك يعني، إن صحت هذه الرواية، أن مصر في الوعي المعرفي لابن العاص والمجيب عليه هي أرض شاسعة مترامية الأطراف شبيهة بما هي عليه اليوم تخضع لسلطة سياسية واحدة، أي أنها مملكة أو دولة أو بلد مُحتلٌ من دولة عظمى. ولا بدّ أن هذه السلطة كانت قائمة ضمن حدود سياسية معروفة سالفة لعهد ابن العاص، وأنها قد بسطت نفوذها من المركز، المحاذي لنهر النيل، إلى الأطراف حيث العريش واشتهر بذلك اسم هذه المملكة للعالم فعرف بذلك حدودها العرب وغير العرب. بيد أننا أوضحنا سابقاً أنه لم توجد أي سلطة احتلت أو استوطنت بلاد القبط خلال فترة زمنية طويلة سابقة لعهد الإسلام غير الأقباط والأوربيين من يونان ورومان. كما بيّنا أن هذه القوى السياسية التي هيمنت على هذه الأرض لم تُطلق قط اسم "مصر" ولا أي اسم قريب منه على حدود مملكتها أو الأراضي التي احتلتها. وعلمنا أن الاسم الذي أطلقه أول شعب سكن هذه الأرض منذ القدم إلى أن وطأت أقدام المسلمين العرب أرضها هو القبط (Copto) أو اكبتو، والذي تحول على ألسن الأوربيين إلى "إڪبت" ((Egyptous ،Egypt)). فعلى أي أساس حدد المسلمون في ما بينهم وهم بالعريش حدود بلاد "مصر" وهم في بلاد القبط رغم أنهم لم تكن بعد بيدهم السلطة لتغيير اسم البلاد إلى هذا الاسم الجديد؟ ذلك وحده يكفي لتفنيد الأرضية التي اعتمدها المسلمون لترسيم حدود "مصر". ولكننا سنواصل الرحلة حتى نقطع الشك باليقين.

ينقل الحموي أنّه بعد وصول المسلمين إلى العريش فإنهم تحركوا منها إلى الفرما "**فكان أول موضع قوتل فيه الفرما قتالا شديداً نحو شهرين ففتح الله له وتقدم**

---

(١٢٧) – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٦٢.

لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بلبيس فقاتلوه بها نحواً من الشهر حتى فتح الله عز وجل له ثم مضى لا يدافع إلا بأمر خفيف حتى أتى أم دنين وهي المقس فقاتلوه قتالاً شديداً نحو شهرين"[١٢٨] حتى الآن لم يرد ذكر أرض محددة تدعى ميدانيا بمصر، ولكن الاسم يبدأ بالظهور في المعركة التالية كما ينقل ابن كثير وجمال الدين الأتباكي من المؤرخين، حيث نقرأ المقولة التالية التي تشير إلى وجود مصر بالقبط وأن لها باباً أيضاً "**قالوا لما استكمل عمر والمسلمون فتح الشام بعث عمرو بن العاص إلى مصر وزعم سيف أنه بعثه بعد فتح بيت المقدس وأردفه بالزبير بن العوام وفي صحبته بشر بن أرطاة وخارجة بن حذافة وعمير بن وهب الجمحي فاجتمعا على باب مصر فلقيهم أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف أبو مريم في أهل الثبات بعثه المقوقس صاحب إسكندرية لمنع بلادهم"**[١٢٩]، فهل يمكننا القول إننا قد وقعنا أخيراً على ما كنا نبحث عنه؟ كلا، فهناك من المؤرخين من يطلق اسماً آخر على هذه الأرض التي لها بوابة تُعرف بباب مصر. فالطبري والحموي وغيره يصفون الموقع وصفاً مغايراً يزيح مسمى "باب مصر" من الصورة تماماً كما نقرأ في هذا المقتبس "**خرج عمرو بن العاصى إلى مصر بعد ما رجع عمر إلى المدينة حتى انتهى إلى باب اليون واتبعه الزبير فاجتمعا فلقيهم هنالك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف"**[١٣٠]. واليون هذا هو واقعاً أحد أسماء حصن بابليون. فالأحداث التي ورد ذكرها تتطابق مع حصن بابليون الشهير وهذا ما أوضحه الحموي حيث يقول "**اليون بالضم ثم السكون وآخره نون باب اليون ويقال بابليون وهو أصحهما لأنهما يحملهما اسم واحد وقد ذكر في بابه وهو حصن كان بمصر فتحه عمرو بن العاص وبنى في مكانه الفسطاط وهي مدينة مصر اليوم"**[١٣١] فعلى أي

---

[١٢٨] – ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٦٢.

[١٢٩] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص١١١؛ جمال الدين الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٣.

[١٣٠] – ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، ج٣، ص١٩٧؛ البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٢٤٩؛ العصقري، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٠٠.

[١٣١] – ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٥٣.

أساس يطلق بعض المؤرخين اسم "باب مصر" على باب حصن قديم يسمى"اليون" أو بابليون؟

رجوعاً إلى مقتبس الحموي، نجد أنفسنا مضطرين إلى مخاطبة الحموي وغيره من أساطين التأريخ العرب بالقول "يا حموي لا يهمنا ماذا أصبحت بابليون أو اليون تُسمى بعد الفتح، فما يعنينا بوضوح هو ماذا كان اسمها قبل الفتح. ولقد أوضحت مشكوراً كما أوضح باقي المؤرخين الكرام، مثل ابن كثير والطبري والأتابكي وغيرهم، بأن اسمها لم يكن مصر بل بابليون أو اليون. وقد أضفت يا حموي مشكوراً أنه في مكان هذا الحصن المسمى ببابليون بُنيت مدينة الفسطاط الشهيرة التي أصبحت تُعرف لاحقًا في عهدك[١٣٢] "بمصر" وبقيت كذلك حتى يوم كتابتك لمؤلفك". وللمزيد من التحقق بحثنا عن موقع حصن بابليون في خرائط الغرب (انظر الخريطة ١٣) فوجدناه مؤرخاً في تراثهم تحت هذا الاسم ويقع في نفس موقع مدينة الفسطاط مما يفيد أن الحصن لم يُعرف قبل الفتح بمصر.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن "الفرد بتلر" يذكر أن الحصن قد بُني في عهد الإمبراطور الروماني تراجان سنة ١٠٠ ميلادية[١٣٣]. كما يذكر أن اسم الحصن وقت الفتح الإسلامي كان يُلفظ باللسان القبطي (بابلون – ان – خيمي)[١٣٤].

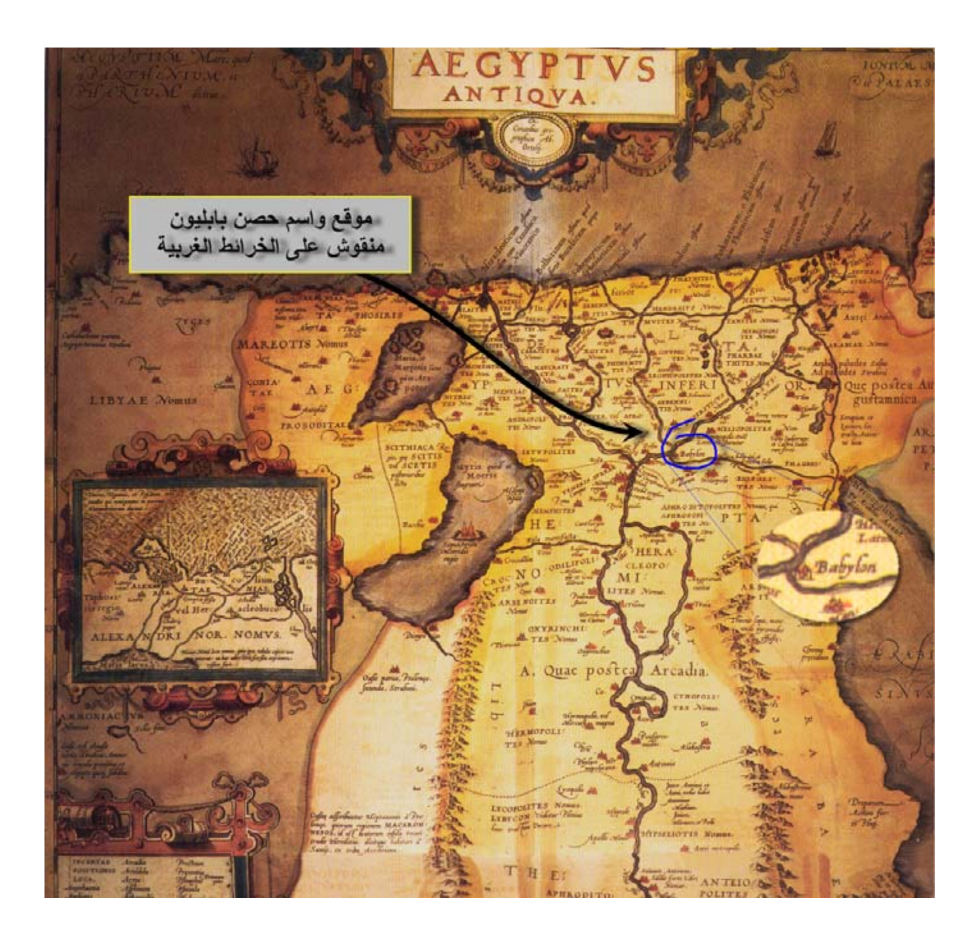
وما أشبه لفظة "خيمي" بـ" كيمي" (Keme) التي ورد ذكرها سابقاً في هذا البحث كاسم مقترح لبلاد القبط في العصور السحيقة. ولعل ذلك يفسر اشتباه العلماء المعاصرين حين افترضوا أن كيمي هو اسم عام للقبط. ويضيف بتلر أن هذه العبارة القبطية أي (بابلون-انخيمي) تعني (حصن مصر). ولا نعلم كيف يمكن أن يُترجم اسم علم وهو "كيمي" إلى اسم علم اخر وهو "مصر" في العبارة المعنية، وذلك ما نتساءل عنه في هذا البحث.

---

[١٣٢] – توفي الحموي رحمة الله عليه سنة ٦٢٦ هجرية أي ما يقارب ٦٠٠ بعد فتح القبط.

[١٣٣] – الفرد ج. بتلر، فتح العرب لمصر، ص٢٧٣.

[١٣٤] – الفرد ج. بتلر، فتح العرب لمصر، ص٢٧٥.



خريطة رقم ١٣ :اسم وموقع حصن بابليون على الخرائط الغربية

ولكنه قطعاً يعني أن الأقباط كانوا ينعتون الحصن باسمٍ أو صفة لمدينتهم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض المؤرخين العرب يذكرون أن الاسم العام لديار القبط بلغة القدماء لم يكن مصر بل بابليون، كما يقول الحموي ونقل عنه ابن عساكر والسمعاني "**بابليون: ـ هو اسم عام لديار مصر بلغة القدماء. وقيل هو اسم لموضع الفسطاط خاصة**"[١٣٥].

---

[١٣٥] – ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٤، ص٣٩٢؛ السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٣١٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣١١.

وبغض النظر عن صحة هذا الخبر، فإن ما يهمنا هنا هو: أولاً أن المؤرخين العرب يعرفون اسماً عاماً قديماً لبلاد وادي النيل غير اسم "مصر" الشهير بينهم. وثانياً أن اسم "مصر" لا وجود له في تاريخ حصن بابليون بغض النظر عن كون كيمي أو خيمي أو بابليون هو الاسم الحقيقي لبلاد وادي النيل أم لا. فقد أثبتنا سلفاً أن إكبتو أو القبط هو الاسم الذي كان متعارفًا عليه محلياً وعالمياً في العصور القديمة كما جاء في الأساطير الشهيرة ومنه اشتق نعت شعب وادي النيل بالأقباط.

فخلاصة القول أنّ ما ورد أنه "باب مصر" في تراثنا العربي، هو أصلا حصن اليون أو حصن بابليون أو حصن كيمي. لذا نخلص إلى أننا لم نجد أثراً لاسم مصر كأحد أسماء حصن بابليون ولا نعرف بعد ما هي الأسس التي استند إليها مؤرخونا لإطلاق اسم مصر على حصن بابليون في تراثنا!؟

لن نحسم الأمر بعد بتثبيت هذه الحقيقة قبل أن نعالج ما ورد في كلام ابن كثير وغيره بشأن عبارة "مصر القديمة" التي يذكر المؤرخون أنها كانت موجودةً في بلاد وادي النيل. فابن كثير وغيره يوردون اسم "مصر القديمة" في سياق ذكر مدينة الفسطاط- التي تحولت اليوم إلى مصر- فها هو يقول "**وإنما سميت ديار مصر بالفسطاط نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص وذلك أنه نصب خيمته وهي الفسطاط موضع مصر اليوم وبنى الناس حوله وتركت مصر القديمة من زمان عمرو بن العاص وإلى اليوم ثم رفع الفسطاط وبنى موضعه جامعًا وهو المنسوب إليه اليوم**"(١٣٦) يفيد كلام ابن كثير بأنه كانت هناك مدينة تعرف بـ "مصر"، ثم أن أهلها هجروها لصالح الفسطاط والتي صارت تعرف ضمناً بمدينة مصر الجديدة في مقابل مدينة مصر الأصلية التي أطلق عليها اسم مصر القديمة لتمييزها عن مصر الفسطاط المستحدثة في عهد عمرو بن العاص. ولكن لم يذكر ابن كثير أين تقع مصر القديمة هذه، وتلك بغيتنا. لذا لزمنا البحث عنها والتنقيب في تاريخ اسمها فلعلها تكون هي مصدر اسم مصر التاريخي المشتهر بين المؤرخين المسلمين الأوائل. ولكن أين تقع مصر القديمة هذه؟ وهذا ما يجيبنا عليه الشيباني حيث يذكر في الكامل

(١٣٦) - ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص١٤٤.

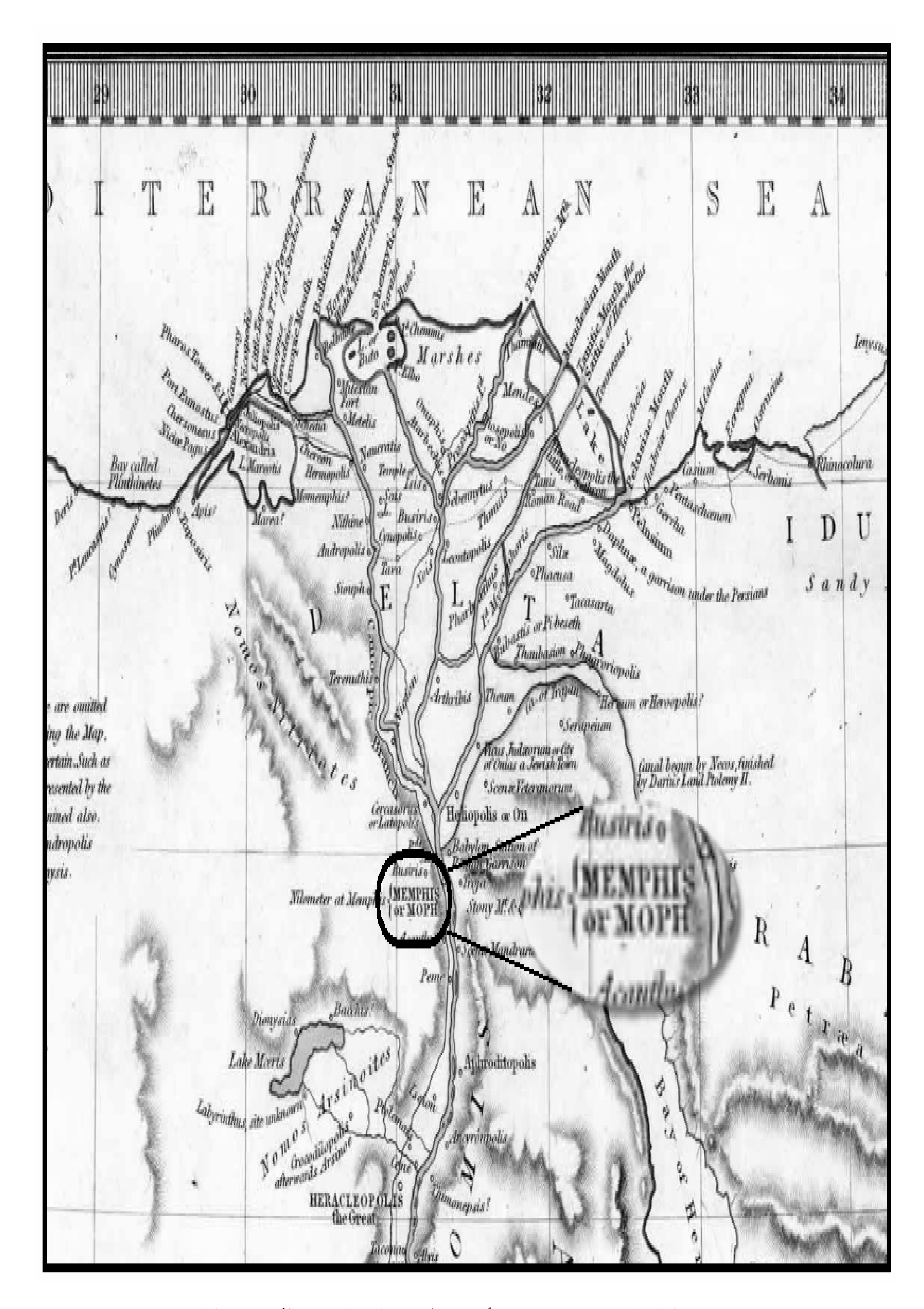
"**فلما جاء موسى قيل له فرعون قد ركب فركب موسى في أثره فأدركته المقيل بأرض يقال لها منف وهذه منف بفتح الميم وسكون النون مصر القديمة التي هي مصر يوسف الصديق وهي الآن قرية كبيرة**"(١٣٧) وأخيراً بلغنا مرادنا . فقد ذكر الشيباني تفاصيل قيمة تحدد مصدر اسم مصر بالقبط. فلنبحث في تاريخ هذه المدينة التي كان بها يوسف الصديق (ع)كما أورد الشيباني. فمدينة منف والتي يفيد الشيباني أنها هي مصر القديمة لا توجد على خريطة الإدريسي. ولكن جمال الدين الأتابكي يذكر في كتابه "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" أن منف كانت تسمى في زمانه "منوف"(١٣٨) مع العلم أن الأتابكي ولد سنة ٨١٣ وتوفي سنة ٨٧٤ هجرية. ومنوف هذه توجد على خريطة الإدريسي وقد حور الإغريق اسمها الأسبق كما أسلفنا من منف إلى منفس Memphis))، ومنف أو منفس هي نفسها تحوير للاسم الأصل، أي الاسم القبطي "من - نوفر" كما سبق ذكره. وقد وثق الرّسام (G. Long) اسم مدينة منفس مع اسمها السابق تحت مسمى "موف" ((Moph في خريطته(١٣٩) لوادي النيل والتي تعود لسنة ١٨٣١ ميلادية (انظر الخريطة رقم ١٤).

---

(١٣٧) - الشيباني، الكامل في التاريخ، ج١، ص١٣٣ .

(١٣٨) - جمال الدين الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٤٩ .

(139)- Coins of Roman Egypt-
http://www.coinsofromanegypt.org/html/topics/maps/long.htm



خريطة رقم ١٤: منفس أو موف كما جاءت في خريطة

G. Long - 1831

ومما سبق ندرك أن مصر القديمة التي ذكر وجودها ابن كثير والشيباني ما هي إلا مدينة منف أو منوف أو كما يعرفها الغرب منفس ويعرفها الأقباط بـ "من – نوفر". فهل هذه المدينة هي "مصر القديمة"؟ وهل كانت تعرف عند شعب الأقباط "بمصر" قديمة كانت أم حديثة؟ إن من يبحث في تاريخ هذه المدينة يجد فعلاً إنها قديمة بل عريقة يصل امتداد عمرها إلى حقبة المملكة القديمة وكانت عاصمة الحكم إبان ازدهارها. ولكن ما يعنينا من شأن هذه المدينة هو الأسماء التي عُرفت بها حتى عهد الفتح الإسلامي. يصرّح المتكلمون في آثار وادي النيل بأن الاسم القديم لهذه المدينة كان "انبو- هدج"- (Inbw-hdj) ، والذي يعني الجدران البيضاء[١٤٠] ثم تحول في عصور لاحقة إلى هات- كا –بتاح (Hwt-ka-pth) ثم أصبح بعد ذلك انخ – تاوي(Ankh-tawy) حتى انتهى إلى من- نوفر الذي حوره الإغريق إلى منفس[١٤١] ونطقه المسلمون بمنف الذي تحول أيضا إلى منوف كما جاء في خرائط الإدريسي.

تلك مجمل أسماء ما يطلق عليه الشيباني "مصر القديمة". فهل تجد من بينها اسم "مصر" أو ما يشبهه؟ وليت الشيباني وابن كثير وغيرهما من المؤرخين الكرام ما زالوا أحياء ليوضحوا لنا من أين أتوا بهذه المعلومة القائلة إن منوف هي مصر القديمة، أي "مصر" يوسف وموسى وبني إسرائيل، في حين أن الواقع الميداني ينفي هذه العلاقة؟! وعلاوة على ذلك فإن أرض منوف لا تحوي أي أثر تاريخي معتمد يُذكر لنبي الله يوسف أو موسى عليهما السلام، ولم يقطنها قط ملك يسمى أو يلقب بفرعون لا من بعيد ولا من قريب؟! فهل نحسم الأمر إذن جازمين أنه لا يوجد دليل ملموس على الأرض يربط بين مصر القرآن وبلاد وادي النيل؟ ليس بعد، فلا تزال هناك إشكالية يجب حلها. وهذه الإشكالية هي أننا رغم إثباتنا عدم وجود أرض ميدانياً تُسمى مصر في وادي النيل قبل الفتح الإسلامي، إلا أن مسمى مصر وُجد على الأرض منذ عهد ما بعد الفتح الإسلامي إلى اليوم، وهو اسم منطقة قديمة بضواحي القاهرة تُعرف اليوم بمصر القديمة. وتلك هي المنطقة التي يعّرفها المؤرخون

---

(140)- Memphis of the White Walls By Marie Parsons
http://touregypt.net/featurestories/memphis.htm
(141)- Memphis، A Special Edition http://www.touregypt.net/memphis.htm

المسلمون في كتاباتهم بمصر القديمة كما مر في المقتبسات السابقة الذكر. ولا ندري هل هذا الاسم أصيل أم مستحدث لهذه المنطقة المحدودة. فما هو تاريخ هذا المسمى؟ وكيف نشأ؟ وهل له علاقة بمصر التي ورد ذكرها في كتاب الله ؟ هذا ما سوف نحقق فيه.

كيف نشأ اسم مصر في جمهورية مصر العربية؟

بالرجوع للمقتبسات السابقة الذكر يتبين أن منشأ اسم مصر المستحدث الذي امتد حتى اليوم يرتبط في الواقع بمنشأ مدينة الفسطاط في عهد عمرو بن العاص. فكل من ذكر تاريخ الفسطاط من المؤرخين المتأخرين يذكر أنّها موضع "مصر اليوم"- أي الموضع الجغرافي لما تعارفوا عليه على بأرض مصر- كما هو واضح من هذا المقتبس من أقوال الحموي وغيره من المؤرخين "... **وكان الروم قد بنوا موضع الفسطاط الذي هو مدينة مصر اليوم حصنًا سموه قصر اليون وقصر الشام وقصر الشمع ولما غزا الروم عمرو بن العاص تحصنوا بهذا الحصن وجرت لهم حروب إلى أن فتحوا البلاد كما نذكره إن شاء الله تعالى في الفسطاط..**"[١٤٢]. أما الفسطاط فموقعها كما فصلنا سابقاً هو حصن اليون أو بابليون، وأثبتنا أن هذا الموقع الجغرافي لم يُعرف قط بمصر قبل أن يدخله المسلمون. والفسطاط هو اسم تولد تلقائياً من دون قصد نتيجة تعسكر جيش ابن العاص بجوار الحصن أثناء العمليات العسكرية التي كانت تهدف لفتحه، وظل قائماً حتى عودته من فتح الإسكندرية حيث اختاره ابن العاص للإقامة وتجنيد المسلمين. ويفصّل المسعودي هذه الحقيقة بذكره المكاتبة بين ابن العاص والخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض): "**فكتب إلى عمر يستأذنه في ذلك، فسأل عمر الرسول " هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟" قال نعم يا أمير المؤمنين النيل، فكتب عمر إلى عمرو "إني لا أحب أن ينزل المسلمون منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف " فتحول عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط. قال عبد الرحمن وغيره، وإنما سميت**

---

[١٤٢] - الشريف الأدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٣٢٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٤٠ .؛

الفسطاط لأن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاط، فإذا فيه يمام قد فرخ فقال عمرو لقد تحرم بمتحرم، فأمر به فأقر كما هو، وأوصى به صاحب قصر الشمع فلما قفل المسلمون من الإسكندرية قالوا أين ننزل، فقال بعضهم الفسطاط لفسطاط عمرو الذي كان خلفه، فنزلوا ووضعوا أيديهم في البناء، ولم يزل عمرو قائمًا حتى وضعوا قبلة المسجد"[١٤٣].

كانت تلك بداية نشأة مدينة الفسطاط التي تحولت في عهد عمرو بن العاص إلى عاصمة المسلمين ببلاد القبط ومركز الولاية التابع لعاصمة الدولة الإسلامية الكبرى بالمدينة المنورة. وبقيت هذه العاصمة الفتية تسمى بالفسطاط منذ عهد نشأتها حتى نهاية الدولة الأموية. ثم في سنة ١٣٢ هجرية استبدلت الدولة العباسية الفسطاط بعاصمة أخرى قريبة من الفسطاط وهي مدينة العسكر. ولا علاقة ميدانية تربط اسم مصر بنشأة مدينة الفسطاط التي كانت تقع شرقي خط يمتد من جامع عمرو إلى قصر الشمع الذي تُعرف بقاياه اليوم بالكنيسة المعلقة. وقد صمدت هذه التسمية حتى آخر القرن السابع الهجري، ثم بدأ اسم الفسطاط ينحسر تدريجياً بعد أن حلّ بها الخراب وذلك بسبب تأسيس عواصم أخرى في حقب متلاحقة. وبعد ذلك حل محلها اسم مدينة مصر التي تُعرف اليوم باسم "مصر القديمة" في إحدى ضواحي القاهرة.[١٤٤] وهذا ما يذهب إليه جملة من المؤرخين حيث يصرحون بأن "**مدينة الفسطاط مصر حماها الله، وهى الآن حى في مدينة القاهرة، ويقال لها مصر القديمة، وهى المدينة التي بناها عمرو بن العاص**"[١٤٥] وهو ما يتناقض قطعاً مع قول الشيباني السالف الذكر حيث سمى منوف بمصر القديمة. وهكذا تحولت الفسطاط إلى "مصر القديمة" بعد أن قامت علي أنقاضها مصر الكبرى التي تمتد اليوم من البحر الأحمر شرقاً إلى ليبيا غرباً ومن البحر الأبيض شمالاً إلى السودان

---

[١٤٣] – المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣١١.

[١٤٤] - http://www.elmesafer.com/egypt/cairo/data/fostat.htm

[١٤٥] – محيى الدين النووي، المجموع في شرح المهذب، ج٩١، ص١٤٣.

جنوباً وهي ما نسميها اليوم بجمهورية مصر العربية. فالفسطاط هي التي أسست اسم مصر في بلاد وادي النيل ومنها نشأ بشكل ميداني، لأول مرة في تاريخ بلاد القبط الممتد في أعماق الزمن.

وذلك يعني أننا نحن المسلمون الذين أدخلنا اسم مصر ميدانياً إلى بلاد القبط! فالقبط لم تعرف اسم "مصر" قط ولا تربطها به صلة من بعيد ولا من قريب. فدونك كلّ مدونات التاريخ الغربي والشرقي معززة بمكتشفات العلم الحديث، ولك أن تبحث وتفكك وتحلل التراث العربي بتجرد فلن تتوصل إلى غير هذه الحقيقة.

ولكن، لماذا أطلق آباؤنا المسلمون الفاتحون اسم مصر على مدينة الفسطاط ابتداءً؟ ومتى حدث ذلك وكيف؟ وما هي المصلحة من هذا الفعل الذي أدخل العالم بأسره في وهمٍ مازلنا نتخبط في تبعاته حتى اليوم؟ بعد البحث في هذه الأسئلة ومدلولاتها وصلنا إلى نتيجة مفادها أن آباءنا المسلمين لم يطلقوا اسم مصر على الفسطاط عن عمدٍ كما قد يبدو لأول وهلة. فليس هناك من سبب عقائدي يدعوهم إلى ذلك، بل على العكس هم أحرص الناس على أن يحددوا البقعة التي يعتقدون أنها مصر الوارد ذكرها في كتاب الله. ولكنهم لم يجدوا آثار "مصر" في بقاع القبط التي كانوا يتوقعون وجودها هناك بناءً على الثقافة التوراتية العالقة في الأذهان منذ أيام الجاهلية، وهو أمرٌ سوف نسهب في شرحه لاحقاً. ولن يجرؤ المسلمون على إطلاق اسم على أرض ليست هي المعنية في كتاب الله، مهما عجزوا عن تحديدها ميدانياً. فذلك عين التزوير والتحريف وتلك صفة أئمة اليهود التي يترفع معظم المسلمين عن الوقوع في حبائلها. ومع ذلك فقد علق اسم مصر بمدينة الفسطاط في عهد المسلمين كما أسلفنا. فكانت تلك بداية رحلتنا في التيه بعد أن تغشت الحقيقة بالوهم. فلو لم يعلق اسم مصر بالفسطاط، لبقي السؤال الملّح – أين تقع مصر التي ورد ذكرها في كتاب الله؟ – قائماً حتى اليوم، خصوصا بعد أن يعجز المسلمون عن العثور على أي أثر لها في بلاد القبط، ولاضطر المسلمون إلى إعادة النظر في هذه المسألة، ولأمكنهم الوصول إلى الإجابة الشافية منذ قرون بعد أن يرجعوا إلى كتاب الله لمزيد من التحقق وبعد أن يرجعوا إلى الائمة الذين وصفهم الله بالراسخين في العلم. ولكن ما كان كان، ووقع المحظور. ولا يسعنا الآن إلا أن نسعى لمعرفة سبب ارتباط اسم مصر

بالفسطاط حتى يتبين لنا الخيط الأبيض من الخيط الأسود. فبعد البحث والتدقيق في هذه المسألة اتضحت الحقيقة التي مفادها أن الفسطاط لم تكن تسمّى مصراً في بداية نشأتها، وإنما كانت توصف بمصر، ولم تلبث هذه الصفة أن تحولت إلى اسم. وفيما يلي تفصل ذلك وبيانه.

تمصير الأمصار

إن المتصفح للمعاجم العربية يجد أن مشتقات مفردة "مصر" كثيرة ومتنوعة[١٤٦]. وأسرع ما يتبادر إلى الذهن من هذه المشتقات المعنى الشائع بيننا وهو أن "مصر" اسمٌ علم يطلق على بلاد القبط. فهذا المعنى غير الأصيل، كما سوف يتضح للقارئ، اختزل كلَّ المعاني الأصيلة لمشتقات هذه المفردة العربية "مصر". فمن بين مشتقات مفردة مصر "التمصير"، وفعل التمصير هذا ينطبق على الأماكن بقصد تحويلها من بقاع مجهولة أو عادية إلى مدن معروفة تُشد إليها الرحال. فيقال " **-مصّروا المكان تمصيراً أي جعلوه مِصراً فتمصّر**"[١٤٧]. ولقد عُرف عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) بأنه ممّصر الأمصار وذلك لأنه مصَّر العديد من الأراضي أثناء الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام. فها هو الحموي يشرح كيف مصَّر الخليفة مصر البصرة أو مدينة البصرة فيقول " **- ثمَّ إن عتبة كتب إلى عمر يستأذنه في تمصير البصرة وقال: إنه لا بدَّ للمسلمين من منزل إذا أشتى شتوا فيه وإذا رجعوا من غزوهم لجئوا إليه، فكتب إليه عمر أن ارتد لهم منزلاً قريباً من المراعي والماء واكتب إلي بصفته، فكتب إلى عمر: إني قد وجدت أرضاً كثيرة القضة في طرف البر إلى الريف ودونها مناقع فيها ماء وفيها قصباء... قال: ولما وصلت الرسالة**

---

[١٤٦] – ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٧٦: (مَصَرَ يَمْصُرُها مَصْراً تَمَصَّرها المَصْرُ مَصُور التَّمَصُّرُ يُمْصَرُ تَمْصُرُ ماصِرٌ مَصُورٌ مصارٌ يُتَمَصَّرُ المَصُورُ مَصَّرَت تَمْصيراً مَصُوراً و مَصَّرَ مُصرَ المُصارَةُ تُمْصَرُ مُتَمَصِّرة و مُمْصرَة امَّصَرَ مُصُور مصْر أمصار مَصَّروا مصْراً تَمَصَّرَ لتَمَصُّرها مَصَّر مُصار مَصارِيٌ مَصْرِيٍّ مِصْرِينَ مَصِّروها مُمَصَّرٌ التَّمْصِيرُ مُمَصَّرانَ و المَصِيرُ أَمْصِرَة و مُصْران مَصارِينُ المصارين المُصْرانَ مَصِير الماصِرُ مُصْران).

[١٤٧] – البستاني، قاموس المحيط

إلى عمر قال: هذه أرض بصرة قريبة من المشارب والمرعى والمحتطب، فكتب إليه أن انزلها، فنزلها وبنى مسجدها من قصب وبنى دار إمارتها دون المسجد في الرحبة . . ، وكان تمصير البصرة في سنة أربع عشرة قبل الكوفة بستة أشهر"[١٤٨]

يتجلى واضحاً من هذا المقتبس أن عملية التمصير هي التي أنشأت مدينة البصرة. فلم تكن البصرة ممدنة أو ممصرة قبل عهد الخليفة عمر، بل كانت أرضاً بأطراف البر شأنها شأن أي أرض أخرى عادية لا شأن لها حتى وضع الممصرون أيديهم عليها فأنفقوا واستثمروا وعمروها فغدت وتداً ومحطَّ رحال للركبان والتجار والرحالة. وقد جرت العملية ذاتها على مصر الكوفة في عهد الخليفة عمر، إذ ينقل البلاذري عملية تمصير الكوفة بقوله "**ما جاء في ذكر تمصير الكوفة. إن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبى وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة، وأن لا يجعل بينه وبينهم بحراً. فأتى الأنبار وأراد أن يتخذها منزلاً. فكثر على الناس الذباب، فتحول إلى موضع آخر فلم يصلح، فتحول إلى الكوفة فاختطها وأقطع الناس المنازل، وأنزل القبائل منازلهم، وبنى مسجدها وذلك في سنة سبع عشرة**"[١٤٩]. أمّا إمام المتقين علي بن أبي طالب (ع)، فيسمي الكوفة مصراً كما جاء في إحدى خطبه "**قال بعضهم إن أمير المؤمنين قال هذا الكلام عند ما كان يغير أهل الشام على المؤمنين - إن سرت سرنا معك، فقال عليه السلام: ما بالكم: لا سددتم لرشد، ولا هديتم لقصد، أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج ؟ إنما يخرج في مثل هذا رجل ممن أرضاه من شجعانكم وذوي بأسكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين**"[١٥٠].

وما البصرة والكوفة إلا مثالين لعملية تحويل بقاع لا شأن لها إلى أمصار أو مدن معروفة عن طريق التمصير. والتمصير عملية تمارس حتى يومنا هذا، فهي مصطلح

---

[١٤٨] - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٣٢.

[١٤٩] - البلاذري، فتوح البلدان، ج٢، ص٣٣٨.

[١٥٠] - الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج١، ص٢٣١.

اقتصادي معماري تخطيطي هام في سياسات الدول العمرانية. فما من مدينة تنشأ هنا أو هناك اليوم أو في الماضي أو في المستقبل إلا وتقع ضمن عنوان التمصير.

وقد أفرد ابن خلدون باباً موسعاً لتمصير الأمصار وشرح فيه أهمية التمصير ومقومات نجاحه وشروطه وأثره في تقدم المجتمعات وتثبيت دعائم الحكم، ومما يقول في هذا الباب إن "**في البلدان والأمصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الأحوال وفيه سوابق ولواحق الفصل الأول في أن الدول من المدن والأمصار وأنها إنما توجد ثانية عن الملك وبيانه أن البناء واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف والدعة كما قدمناه وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها وأيضا فالمدن والأمصار ذات هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير وهي موضوعة للعموم لا للخصوص فتحتاج إلى اجتماع الأيدي وكثرة التعاون وليست من الأمور الضرورية للناس التي تعم بها البلوى حتى يكون نزوعهم إليها اضطرارًا بل لا بدَّ من إكراههم على ذلك وسوقهم إليه مضطهدين بعصا الملك أو مرغبين في الثواب والأجر الذي لا يفي بكثرته إلا الملك والدولة فلا بدَّ في تمصير الأمصار واختطاط المدن من الدولة**"[١٥١].

إذن فالتمصير علم وفن استيطان الأراضي وتخطيط المدن فما إن يتمّ استصلاح أرض وإنشاء البنى التحتية الضرورية فيها لاستقبال السكان وضمان النمو الاقتصادي والتماسك الاجتماعي حتى نطلق على تلك الأرض بالمدينة أو المعمورة. أمّا في الماضي فكانوا يطلقون على تلك المعمورات المستحدثة بعد تمصيرها بـ"مصر" كما ورد في قول اليعقوبي نقلا عن الخليفة عمر بن الخطاب " **ومّصر الأمصار في هذه السنة وقال الأمصار سبعة فالمدينة مصر والشام مصر والجزيرة مصر والكوفة مصر والبصرة مصر**"[١٥٢].

---

[١٥١] – ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص٣٤٢.

[١٥٢] – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٥٤.

وقد قام عمرو بن العاص بتمصير الفسطاط كما مُصّرت البصرة والكوفة وبغداد وسامراء وغيرها من الأمصار المعروفة اليوم. والفسطاط موقع جغرافي كما أسلفنا يقع إلى جانب حصن بابليون أقام جيش المسلمين فيه معسكرهم لأغراض عسكرية لوجستية، ثم لم يلبثوا أن وجدوا فيه مقومات نجاح التمصير لإقامة عاصمة ولاية القبط التابعة لدولة الإسلام الفتية. ويُنقل عن المسعودي في وصف البقاع التي مصّرها الخليفة عمر قوله "**وكان تمصير عمرو بن العاص فسطاط مصر سنة ٢٠ وكان مسيره إليها وحروبه مع أهلها سنة ١٩ على ما في ذلك من التنازع**"[١٥٣] وكانت نتيجة هذا التمصير الطبيعي تحوّل مصر الفسطاط تدريجياً إلى عاصمة سياسية يُحمل إليها خراج القبط قاطبة. كما تحولت إلى مركز تجاري استثماري بحكم تواجد البنية التحتية العمرانية وملتقى خطوط المواصلات الآمنة. وصارت كذلك قبلة الناس أو مصيرهم إلى دار الحكم وبيت المال والتجارة.

وقد أحسن كاتب المقتبس التالي تفصيل ما آل إليه الوضع الاقتصادي بعد تمصير الفسطاط، إذ يقول "**كانت الفسطاط مركزاً اقتصادياً عظيماً وسوقا تجارياً كبيراً بالإضافة إلى أنها قصبة الحكم وعاصمة البلاد ولم تفقد شهرتها كسوق تجارى عظيم حتى بعد بناء القطائع والعسكر بل والقاهرة أيضاً فظلت مركز الحركة التجارية والاقتصادية ذلك لسهولة اتصالها بداخلية البلاد وبالعالم الخارجي أيضاً فقد كانت على اتصال وثيق بداخلية البلاد بواسطة النيل فترد إليها الحاصلات والسلع من كلا الوجهين القبلي والبحري وفى ذلك يقول ابن بطوطة الرحالة المشهور (وإن بنيل مصر من المراكب ستة وثلاثين ألفا للسلطان والرعية تمر صاعدة إلى الصعيد ومنحدرة إلى الإسكندرية ودمياط بأنواع الخيرات والمرافق) كما ذكر ناصر خسرو إنّه (كان للباعة [بالقطاعى] دكاكين بمدينة مصر [الفسطاط] على ساحل النيل وكانت البضائع تفرغ على أبوابهم وكان الازدحام من الشدة بحيث كان يستحيل نقل البضائع على ظهور الدواب) كانت الفسطاط تغص بالأسواق المليئة بمختلف السلع والمتاجر فقد بنى عبد**

---

[١٥٣] – المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٠٩.

العزيز بن مروان قيسارية العسل وقيسارية البال وقيسارية الكباش وقيسارية البز [المنسوجات] وقد أسهب ناصر خسرو في الكلام عن الفسطاط وعظمتها وبيوتها الشاهقة وجوامعها الكبيرة وحدائقها الغناء وصناعاتها الزاهرة ووصف الثروة في أسواقها والازدحام فيها وقال إن الحوانيت مملوءة بالسلع المختلفة والأقمشة الثمينة والذهب وسائر الحلي حتى أن المشترى لا يجد فيها محلاً يجلس فيه وكان شديد الإعجاب بسوق القناديل بجوار جامع عمرو فقال إنه لم يعرف مثله في أي بلد آخر وإن التحف النادرة والثمينة كانت تحمل إليه من أصقاع العالم كلّه وترجع هذه التسمية إلى أن سكان هذا الحي كان لكل منهم قنديل على باب مسكنه كذلك تفد على الفسطاط السلع والمتاجر من بحر الروم (البحر المتوسط) بواسطة النيل أيضاً ومن بحر القلزم (البحر الأحمر) بواسطة الدواب أو خليج أمير المؤمنين ومما تشتمل عليه سلع بحر الروم الجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ومما تشتمل عليه متاجر بحر القلزم المسك والعود والكافور والدارصينى وغير ذلك مما يحمل من السند والهند والصين"(١٥٤).

وهذه الحركة التجارية كانت بحاجة إلى موارد بشرية هائلة تُستقدم من جميع أرجاء القبط، كما كان الثراء والسيولة المادية يستقطبان العمال والتجار، ناهيك عن اضطرار معظم الأقباط إلى زيارة المركز لتسليم الضرائب والجزية. فغدت بذلك الفسطاط أحد أهم أمصار القبط بل المصر الأهم في هذا الاقليم الحيوي للدولة الاسلامية. وتعبير مصر الإقليم هو تعبير دارج لدى العرب، كما نقرأ ذلك في شأن الموصل مثلا بالنسبة للعراق "**الموصل: هو مصر هذا الإقليم (العراق) بلد جليل حسن البناء طيب الهواء صحيح الماء، كبير الاسم قديم الرسم، حسن الأسواق والفنادق، كثير الملوك والمشايخ لا يخلو من أسناد عالٍ وفقيه مذكور. منها ميرة**

---

(١٥٤) التطور التاريخي لمدينة القاهرة:

http://www.elmesafer.com/egypt/cairo/data/fostat.htm

بغداد وإليه قوافل الرحاب"[155] فكما أن الموصل غدت مصر العراق كذلك غدت الفسطاط مصراً للقبط. فصارت بذلك مصيراً يصير الناس اليه بشكل منتظم حتى سقط مع الوقت اسم الفسطاط وحل محله اسم مصر، وذلك ما أشار إليه الجاحظ فيما نقل عنه بقوله: " **(ومصروا المكان تمصيراً جعلوه مصراً فتمصر) صار مصراً وكان عمر رضي الله تعالى عنه قد مصَّر الأمصار منها البصرة والكوفة وقال الجوهرى فلأن مصَّر الأمصار كما يقال مدن المدن (ومصر) الكسر فيها أشهر فلا يتوهم فيها غيره كما قاله شيخنا قلت والعامة تفتحها هي (المدينة المعروفة) الآن (سميت) بذلك (لتمصرها) أي تمدنها (أو لأنه بناها المصر بن نوح) عليه السلام فسميت به قال ابن سيده ولا أدرى كيف ذاك وفي الروض إنها سميت باسم بانيها ونقل شيخنا عن الجاحظ في تعليل تسميتها لمصير الناس إليها وهو لا يخلو عن نظر**"[156] ومع مرور الوقت صار الناس يطلقون على الفسطاط "فسطاط مصر" و"المصر" وأخيراً "مصر".

هكذا علق اسم مصر تدريجياً بالفسطاط ولم يطلقه المسلمون عمداً ولا عنوة على هذه المدينة. ولا يوجد منافس لهذا الطرح إلا المقولة التي وردت في المقتبس أعلاه، والتي يسردها التراث كحل لمعضلة عصية على الحل، وهي أن الفسطاط سُميت على اسم بانيها "مصر بن نوح". بيد أن هذا الطرح الذي تكتنفه أغبرة يهودية المهبّ يشوبه من الاستفهامات ما يسقطه في أول مشوار التحقيق. فطوفان نوح عليه السلام وقع في منطقة محددة في بطن الجزيرة العربية تبعد عن القبط عشرات مئات الكيلومترات. والأقباط كانوا في أوج قوتهم في بلاد القبط قبل وقوع الطوفان وبعده ولم يصلهم خبره مثلهم مثل الفرس والهنود والصينيين[157]،[158] لانحصار نطاقه في الجزيرة العربية. ولم يشر تاريخ القبط إلى مثل هذا الطوفان الذي أفنى حضارتهم

---

(١٥٥) – المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم، ص٤٨ . موقع الوراق: http://www.alwaraq.com

(١٥٦) – الزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص٥٤٣ .

(١٥٧) – المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٦٧ ، ١٧١ .

(١٥٨) – المسعودي، أخبار الزمان، ص١٠٠ ، ١١٥ ، ١٨٠ .

عن بكرة أبيها دون علمهم كما أشاعت التوراة في العالم القديم. فكيف يأتي فرد مع نفر قليل مفزوعين من مشهد طوفان عظيم مشياً على الأقدام ما يقارب ١٣٠٠ كيلومتر من الجزيرة العربية ليبني في بلاد الأقباط مدينة دون علم أهل الأرض تسمى باسمه وهم آنذاك أحوج لخيمة أو خيمتين تؤويهم مما حصل قريباً من موقع رسو السفينة على الجودي. فإذا به يبني مدينة تبعد مئات الكيلومترات عن موقع الحدث.

إن هذا المنطق المبني على أفلام اليهود الهوليودية والذي وجد طريقه إلى تراثنا وعقولنا تمّ تناوله بالتفصيل في أحد أبحاث جمعية التجديد الثقافيّة تحت عنوان "طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام".

خلاصة القول أن مسمى "مصر" دخل القبط واستقر فيها تدريجياً مع دخول المسلمين واستقرارهم فيها. وإن أول موقع جغرافي نُعت بصفة "مصر" في القبط كان موقع الفسطاط نتيجة تمصيرها على أيدي المسلمين وتحويلها إلى عاصمة لولاية القبط. ولم يتعمد المسلمون إطلاق هذا الاسم على الفسطاط ميدانياً بل جاء ذلك كنتيجة طبيعية لمصير الناس إليها من شتى بقاع القبط لقضاء منافعهم التجارية والتزاماتهم المالية والسياسية. وكان مسمى مصر يُتداول بين الناس كصفة للفسطاط أو قبلة أو مصير لقضاء منافع وليس اسم علم. فتحول مع الوقت إلى اسم ودام هذا الأثر حتى يومنا هذا. لذا تجد الأقباط أو من نعرفهم اليوم بالمصريين يقولون فيما بينهم على سبيل المثال إنهم ذاهبون إلى مصر ويقصدون بذلك مدينة القاهرة، ولكنهم ما أن يصلوا إلى القاهرة حتى يسقط اسم مصر من حديثهم كدلالة مكانية للمدينة ويحلّ محله اسم القاهرة. وهي ظاهرة يتميز بها شعب وادي النيل إلى اليوم[١٥٩] .

وهذا يدلّ على أن القاهرة – التي ما هي إلا امتداد لمدينة الفسطاط جغرافياً وسياسياً– قد ورثت صفة الفسطاط كوجهة ومصير للناس. وهذا ما التفت إليه الجاحظ كما أسلفنا الذكر حيث ينقل المقرزي عنه "**وقال الجاحظ في كتاب مدح مصر: إنما سُميت مصر بمصر لمصير الناس إليها، واجتماعهم بها. كما سُمي مصير الجوف**

---

[159]- The Origin of the Word، "Egypt"

http://www.touregypt.net/featurestories/kmt.htm

مصيراً ومصراناً لمصير الطعام إليه"[١٦٠]. ومع الوقت حلّت الصفة محلّ الاسم وصارت الفسطاط تُعرف بمصر إلى يومنا هذا مروراً بعصور الكثير من مؤرخينا.

جذور الخلل والأفكار القديمة السائدة

يمكن للقراء أن يستشهدوا بعشرات بل مئات المقتبسات من تراثنا العربي القديم عبر حقبٍ مختلفة ليثبتوا أن آباءنا المسلمين كانوا يعتبرون أن بلاد القبط هي مصر موسى ويوسف عليهما السلام التي ورد ذكرها في محكم الكتاب. ونحن نقول نعم، الأمر كذلك، لأن هذا ما كانت عليه ثقافة ووعي آبائنا التي عليها بُنيت ثقافتنا نحن أبناء اليوم. ولكن ما يعنينا هنا هو كيف تمكن هذا المفهوم الذي أثبتنا خطأه وفككنا عناصره من وعي وثقافة مؤرخينا القدماء فأوقعوا أنفسهم وأوقعونا معهم في دائرة التيه اليهودية؟ للجواب نلفت الانتباه إلى أن الجدل حول هذه الحقيقة له عدة جوانب لا بدَّ من تفكيكها قبل الخوض في صلب الموضوع. فالجانب الأول هو الدهشة والعجب والاستنكار من وقوع مثل هذا الخطأ الفادح في فهم أجدادنا لجغرافيا التاريخ القديم رغم وجود من اعتبرناهم حرساً وأمناء على نقل التاريخ وتفسيره لنا، من المتأخرين والمتقدمين من مؤرخين ومفكرين ورجال دين. وإن هذه حالة طبيعية لمن يُصدم بوهم كان يحسبه حقيقة. أما الجانب الثاني فهو: إذا كانت أرض القبط تنفي بشدةٍ ما ادعي عليها من أحداث أكّد حدوثها القرآن الكريم، فهل يعني ذلك أنه لم يكن هناكَ وجود لموسى ولا يوسف ولا بني إسرائيل؟ والجانب الثالث هو: كيف وقع هذا الاشتباه الخطير لدى الآباء فأسقطوا مصر القرآن على القبط؟

بالنسبة للجانب الأول، فإننا لا نملك سوى أن نقول إن مصادر المعرفة كما أوصانا رسول الله (ص) محصورة في الثقلين وهما كتاب الله والراسخون في العلم من عترته. وما دون ذلك هي مصادر علم وتعلم واجتهاد تحتمل نتائجها الصحة والخطأ والدقة والوهم، فيصمد منها ما ثبت بالتجربة والبرهان واستساغه العقل والقلب ويندرس منها ما دون ذلك. ولكن ما فعلناه نحن هو اعتبار كلَّ من تحدث في ما قاله

---

[١٦٠] – المقرزي، المواعظ والاعتبار، ص٢٦.

الله ورسوله وأمور الوحي والتنزيل والتراث، وخصوصاً إذا كان من السلف، كمصدر معرفي لا كمصدرٍ معلوماتي، فصرنا نتدبر فيه كما نتدبر في كتاب الله ونحمله على الصحة في أكثر الأحيان دون إخضاعه للتحليل والتمحيص. ثم بعد ذلك نتفاجأ ونندهش ونعجب إذا وجدنا فيه خللاً عضالاً أو تضارباً مع الواقع والحقيقة، وذلك منهج وثقافة انتهجهما بعض آبائنا ونحن انتهجنا ما انتهج آباؤنا. وسوف نحصد نتائجه بأشكال مختلفة وفي أوقات متباعدة وذلك أن الآية التالية وشبيهاتها لم يرد أنها منسوخة ولا أن العمل بها قد عُطّل بل هي سارية المفعول إلى يوم الدين تحذر الجيل تلو الجيل من مغبة التقليد الأعمى والذي ينتهي عادةً بالقول (**حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا.**)(المائدة:١٠٤) رغم أن ردّ الله سبحانه على هذا المنهج القائم بين الكثير من الناس هو (**.. أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ**)(المائدة:١٠٤).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن علماءنا الأفاضل من المتقدمين والمتأخرين يؤكّدون على أن المجتهد منهم قد يصيب وقد يخطئ في ما توصل إليه من اجتهاد وتحليل واستنباط، ويذيلون أقوالهم بعبارة "والله أعلم". فإذا أصاب المجتهد فله أجران وإذا أخطأ فله أجر. ولكن الإشكال هنا هو أن المجتهد إذا أصاب ذهب بأجرين وتحصلت الأمة على فائدة الاجتهاد السديد. ولكن في الجهة المقابلة، إذا أخطأ المجتهد ذهب بأجر واحد ولكن ماذا يحدث للاجتهاد الخاطئ نفسه؟ وما أثره على توجهات الأمة وثقافتها التراكمية من بعده؟ هل تعرف جهة مُعتمدة مسؤولة عن تصفية الاجتهادات والآراء الخاطئة المتراكمة وإزالتها؟ أم يُترك الاجتهاد الخاطئ في بطون الكتب ليشكّل في الأمد البعيد جزءاً من ثقافة الأمة التي اعتادت أن تثق بكلّ ما جاء في بطون الكتب وخصوصاً العتيقة منها. وما هو إلا جيل أو جيلان حتى تجد هذه الاجتهادات الخاطئة طريقها إلى المناهج الدراسية التي تُدّرس لأطفالنا فتتسع بذلك دائرة الوهم الأممية عبر الأجيال. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن المؤرخين القدامى كانوا يكتبون كتبهم بخط اليد ثم تستنسخ عدة نسخ بخط اليد أيضاً وتودع في مكتبة أو مكتبتين في الولايات الإسلامية المترامية هنا وهناك دون حماية حقيقية لفكر الكاتب وآرائه أثناء استنساخها يدوياً أو حفظها. فهل يضمن هذا النظام البدائي عدم دسّ نسخة مكتوبة باليد تحمل اسم كاتب معتبر بينما تحوي من التزوير والدسّ

والإسرائيليات ما تحويه خدمة لأغراض يهودية، ثم لا تلبث هذه النسخة أن تتكاثر على يد النُساخ حتى تصل إلى المطابع الحديثة. فقد قيل على الله ورسوله ما قيل حتى عجبت الجن من هذا الفعل الشنيع فقالوا (**وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**)(الجن:٥). فهل تجد من المغرضين من يتورع عن التقول كذباً أو إبراز نسخة تُنسب مثلاً إلى ابن خلدون الذي تمَّ تحريف كتاباته كما ثبت في أحد بحوث جمعية التجديد الثقافية• .

فلا بدَّ لنا من اليقظة، فقد وعد الله بحفظ الذكر (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)(الحجر:٩) ولم يعدنا بحفظ أقوال حتى رسوله الكريم (ص) فكيف بكتب المؤرخين. لذا يلزمنا منهج للتحقيق في التراث قبل تحويله إلى مناهج دراسية تاريخية.

وخلاصة القول في هذا الجانب أننا خلطنا بين مصادر المعرفة ومصادر المعلومات. فقد عاملنا المصدرين بنفس الطريقة وأخضعناهما لنفس النظام، ثم نقف الآن مدهوشين ممّا كسبت أيدينا! فأي عذرٍ لنا؟

أمّا الجانب الثاني بخصوص صحة ما ورد في القرآن الكريم فيما يتعلق بموسى ويوسف وآل اسرائيل في ظل نفي الأقباط دلائل حدوث ذلك في أرضهم، فنقول إن ما جاء في كتاب الله هو الحقّ والنور الأوحد وسط غياهب الظلمات. وإن قصص الأنبياء بدقة تفاصيلها كما أنبأ عنها العزيز الحكيم قد وقعت على سطح الكرة الأرضية، وبها من العبر والمناهج ما ينير الطريق للسالكين. ولكن هناك من يريد الظلام لبني آدم من شياطين الجن والإنس كلّ حسب قدرته ونبوغه. فعندما لم يستطيعوا أن يعبثوا بالإرسال المعرفي السماوي إلى الأرض رغم محاولاتهم الخائبة لاستراق السمع إذ جوبهوا بالرصد والرجم، فإنهم عمدوا إلى إفراغ محتوى كلام الله ومقاصده من وعي الناس ما أمكنهم بعد أن استلموه نقياً صافياً من أفواه الأنبياء، وذلك بتحريف الكلم عن مواضعه وتلبيس الحقيقة بالوهم. وقد حذر الله من خطورة هذه العملية واسترعى انتباهنا إليها وإلى فاعليها بقوله تعالى (**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ**

•انظر بحث: مسخ الصورة، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، ليتبين لك كيف تم تزوير كتب العرب المسلمين في الحقب الماضية.

عَنْ مَوَاضعه وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)(النساء:٤٦ . وذلك تحديداً ما حدث لجغرافيا الأنبياء، فليس من الناس من لم يسمع بأحداث ونتائج ودروس قصص إبراهيم ويوسف وموسى وبني إسرائيل وباقي الأنبياء المرسلين عليهم السلام، فضلاً عن قصص فرعون وقبيله، فلم يكن من المزورين إلا أن عمدوا مع سبق الإصرار والترصد إلى بعثرة المواقع الجغرافية لهذه الأحداث هنا وهناك بشكلٍ مدروس، فأحدثوا إرباكاً على الأرض كما أحدثوه في وعي الموحدين ليجنوا بذلك ثمناً قليلاً ولو بعد حين.

وللأسف أن هناك من الكتّاب والمفكرين الشرقيين والغربيين الذين اكتشفوا بفعل تقدم علوم الألسن القديمة وعلوم الآثار تضارب جغرافيا الأنبياء الميدانية مع ما هو قائم في وعي وثقافة الناس، فدفعتهم الحيرة والاستنكار إلى نسف الأحداث والشخصيات الواردة في الكتب السماوية وتكذيبها . فغدوا بذلك من ضحايا هذا العبث اليهودي في التاريخ القديم.

خلاصة القول في ما يخصّ هذا الجانب أن هناك فرقاً بين الحق الذي جاء به كتاب الله وبين التحريف والتزوير الذي علق بتفاصيل هذه الحقائق ولازم وعي الناس وشكّل ثقافتهم العامة. ويجب على الباحث المنصف فصل الحقيقة عن عوالق الوهم. فحينئذ فقط سوف تتراءى أمام عينيه الحقيقة الناصعة ويعي بذلك معنى أن "**الحق أبلج**".

أمّا في ما يخص الجانب الثالث، حول كيفية وقوع هذا الاشتباه الخطير لدى الآباء إذ أسقطوا مصر القرآن على القبط، فهو مربط الفرس ومقام المتجردين. فالوضع المتناقض ميدانياً وثقافياً فيما يخص مصر يجرنا إلى التساؤل التالي لأول مرة وهو: من أين أتى المسلمون الفاتحون بهذا الاسم أي مصر؟ ومن أين عرفوه أصلاً؟ وما هي مصادره؟ وكيف دخل وعيهم وثقافتهم وكيف نشأ الارتباط بينه وبين بلاد القبط فانعكس ذلك في أدبياتنا وثقافتنا العامة إلى اليوم؟ وهذا يجرنا إلى دراسة البعد الثقافي المهيمن على فكر الفاتحين المسلمين في ذلك الزمان.

لا يخفى أن المسلمين في أيام الرسول كانوا على علم مسبقٍ بقصة موسى وهارون وفرعون وبني إسرائيل وما جرى من أحداث ومعجزات لبني إسرائيل. كانوا على علم

بذلك وبالكثير غيره من أخبار الزمان منذ أيام الجاهلية، أي قبل البعثة المحمدية بقرون عديدة. لذا يمكن القول أن المسلمين في صدر الإسلام عرفوا اسم مصر من مصدرين رئيسين هما:

١ . **يهود العرب**: كانت فلول القبائل العربية اليهودية منتشرة في الجزيرة العربية من اليمن إلى فلسطين. وكان لها وجود طبيعي في بلاد العرب قبل ظهور الإسلام بزمن يمتد إلى أيام موسى (ع). فاليهود هم أصلاً عرب يعيشون في بلاد العرب مثلهم مثل أي عربي آخر يعيش في وطنه ولم يكونوا مهاجرين من روسيا أو الخزر أو دول أوربا الشرقية كما هو حال من يدّعي منهم اليوم أنهم يهود ينحدرون من صلب يعقوب (ع). ومن أشهر تلك القبائل خيبر والنضير والمصطلق وقريظة وقينقاع. وذكر السمهودي أن عدد القبائل اليهودية يزيد على عشرين.[١٦١] وكانت هذه القبائل على اتصال دائم تجارياً واجتماعياً وتحالفياً مع باقي القبائل العربية الأخرى الأمية[١٦٢] المنتشرة في بلاد العرب. وكان هؤلاء اليهود العرب يدينون بدين يتجاوز عمره ١٩٠٠ سنة، أي منذ عهد موسى (ع) بغض النظر عمّا مرَّ به هذا الدين من مراحل تطورٍ انتهت به إلى التحريف. واليهود يحملون معهم كلّ هذه الأساطير والأخبار غثها وسمينها، صحيحها وخطئها، من جيل إلى جيل، فلا عجب أن يتحدثوا بها، ولو من باب الفضول أو التفاخر بتاريخ مجيد، إلى من يحيط بهم من بني جلدتهم من أعراب وعرب أميين. فتراكم بذلك كمّ من المعلومات العامة لدى العرب الأميين بما تعتقد به قبائل اليهود المتناثرة في جزيرة العرب. فلم تكن أساطيرهم سرية ولا ممنوعة بل على العكس كانوا يثقفون الأميين بها لتحصيل ما يمكن تحصيله تحت غطاء "هذا من عند الله". فلا عجب إذن أن علم العرب الأميون بهجرة بني إسرائيل إلى منطقة تدعى مصريم[١٦٣] وحقيقة ارتقاء يوسف (ع) عرش الملك بعد العبودية، ومعجزة شقّ اليم

---

[١٦١] – السمهودي، وفاء الوفا، ص١٦.

[١٦٢] – سبق التنبيه إلى أن مفردة أمي في هذا البحث تعني كل من لم يدن بدين سماوي، أي غير الكتابيين، وليس من لا يفقه الكتابة والقراءة كما هو شائع.

[١٦٣] – اسم مصر في التوراة

لموسى (ع) ..الخ. ولا عجب أن يسأل الأمي العربي المنبهر عن البحر الذي انشق لبني إسرائيل، فيوضح اليهود أنه جاء في التوراة حدوث ذلك في أرض تدعى "مصريم"، وأن البحر المعني هو بحر القلزم (البحر الأحمر) أو النيل، وهي الأرض التي يسكنها الأقباط في بلاد القبط حيث نهر النيل العظيم. فهذه المعلومات البسيطة تكفي لإقناع الأميين في الجزيرة العربية بموقع مصر التوراة حيث مسرح الأساطير اليهودية. وحتى لو استشكل أحد الأميين بأن مصريم هذه تسمى القبط وليس مصريم! فالردّ على هذا الإشكال بسيط وهو أنها كانت أيام موسى ويوسف (ع) تسمى مصريم. فليس من اليسير على عرب الجزيرة أن يدققوا في هذه المرويات ميدانياً في ذلك الوقت، لا سيما بعد أن شهدنا حقيقة أن العربي المعاصر نفسه لم يسع للتحقيق في الأمر حتى الآن رغم توفر الوسائل العلمية والتقنية وتطور العلوم. إن هذا سيناريو مبسط لكيفية انتقال الأساطير بشكل خام من كتابي عربي إلى أمي عربي ليتكون لدي الأخير مخزون من المعلومات المتناثرة التي لم ينقطع سيلها قط مادام اليهود بين ظهرانيهم. فتشكلت بذلك ثقافة بدائية محّرفة لدى الأميين قبل قرون من بعثة خاتم الرسل وكانت غايتها أن استقر في وعي الأمي أن القبط العظمى هي عينها مصر التوراة.

٢. **القرآن الكريم**: ما أن أذن الله ببعث خاتم المرسلين ومنار قلوب العالمين محمد بن عبد الله (ص) ليكون للأميين رسولاً وبدأ الوحي الجديد بالنزول، حتى تفاجأ المسلمون بتشابه بعض الآيات الخاصة ببني إسرائيل مع تلك المخزونة مسبقاً في تراثهم وذاكرتهم ووعيهم كما أوردها كهنة اليهود وعوامهم قبل عدة قرون من نزول القرآن. فهم يعرفون من مخزون الذاكرة قصة شقّ البحر كما جاءت في التوراة "**وَارْفَعْ أنت عَصَاكَ وَمُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ وَشُقَّهُ فَيَدْخُلَ بَنُو إسرائيل فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ.**"(الخروج: ١٤-١٦) وإذا بخبر السماء المحمدي يأتي مطابقاً في الظاهر لما قاله اليهود قبل قرون كما جاء في محكم الكتاب (**فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**)(الشعراء:٦٣). هذا إلى جانب أخبار كثيرة من عهد بني إسرائيل، زد على ذلك ورود ذكر فرعون بالاسم في المحكم مقابل اسم "فرهوا" في التوراة، وذكر مصر مقابل أرض مصريم كما جاء في أخبار التوراة. ثم يتوّج هذا التشابه الظاهري بآية التصديق (**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ**

يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ* مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ)(آل عمران:٣، ٤). فأخذ هذا الكم الهائل من الأخبار المتشابهة ظاهراً مأخذه من كثير من المسلمين حتى أنهم اتخذوا من بعض معلومات التوراة المحّرفة التي كانت بين أيدي اليهود كمصدر معرفي لا كمصدر معلوماتي، رغم التحذيرات القرآنية الشديدة من تحريف اليهود للتوراة. ودليل هذا الاستنتاج هو كثرة الإسرائيليات التي تمكنت من التوغل في التراث الإسلامي والتي تنبّه الكثير من المتقدمين والمتأخرين لخطورتها وسعوا إلى فرزها وانتزاعها من كتب المسلمين، ولكن ما لم يفلحوا فيه هو انتزاع ما دخل الوعي واستقر فيه.

لقد شكّل هذان المصدران السماويان، الجديد المحفوظ والقديم المحّرف، ثقافة الفرد المسلم آنذاك. والفرق بين المصدرين هو أن التنزيل المحكم إلى جانب حداثة عهده لم يذكر الكثير من التفاصيل حسب الظاهر، بينما التوراة ومعها التلمود[١٦٤] أسهبا كل إسهاب في سرد التفاصيل بغض النظر عن مدى صحتها.

فلم يحدد التنزيل ظاهراً الموقع الجغرافي لمصر موسى ويوسف. ولكن ما هو مخزون في الذاكرة من أخبار اليهود قبل التنزيل وبعده كفيلٌ بملء هذا الفراغ تلقائياً، لا سيما أن المسلمين مطالبون بالإيمان بالكتب السماوية كافة ليكتمل إيمانهم بالرسالة المحمدية (**قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**)(البقرة:١٣٦). وقد كان رسول الله (ص) على علم بخطورة تشابه الآيات القرآنية مع التحريفات اليهودية للأحداث، فقد جاء عنه (ص) قوله ". **كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون**"[١٦٥] فألزمنا الرسول (ص) بضرورة التحقيق في ما يقولون للناس

---

[١٦٤] - كتاب الشرائع اليهودية وهو أشبه بكتب الحديث.

[١٦٥] - جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص١٤٧.

ويثقفونهم به من حقائق سماوية قد تكون محرفة حتى دون علم ناقلها من الكتابيين. وفي ظل غفلتنا عن هذا التعليم النبوي، خلص العرب منذ أيام الجاهلية إلى أن مصريم التوراة كما أخبر اليهود هي عينها بلاد الأقباط كما نُقل عن الثقافة اليهودية المهيمنة والمشاعة في مقابل الثقافة القرآنية الجديدة. وبقي الأمر على حاله في عهد المسلمين، فلم ينزل ما يعارض هذا الخبر حسب الظاهر. فما أن تشكلت قوة المسلمين بعد عهد رسول الله (ص) وقويت شوكتهم حتى خرجوا من بطن الجزيرة العربية باتجاه دول وممالك العالم وبيدهم راية الدعوة الإسلامية. ولكن بلاد القبط كان لها خصوصية ثقافية إذ هي في وعيهم الثقافي مسرحٌ لأحداث نبي الله موسى ويوسف ويعقوب وبلاد فرعون. هكذا كانت الأحداث مرتبة في وعيهم. فخرجوا إلى بلاد القبط في سباق مع ثقافتهم المسبقة والمستوحاة من تعاليم التوراة المحّرفة التي شاعت بينهم أكثر من ٨٠٠ سنة وتلفعت بتأكيد القرآن الكريم حسب فهمهم. فالقبط في وعيهم هي مصر التي ورد ذكرها في القرآن. فحملوا بذلك الإسلام إلى بلاد وادي النيل التي كانت تدعى قبطاً منذ أيام نبي الله إدريس (ع) وهم يعتقدون أنها مصر موسى (ع) منذ أن حرّف اليهود التوراة قبل ٨٠٠ سنة من البعثة المحمدية كما سيتضح لاحقاً.

هكذا ربط المسلمون اسم مصر ثقافياً ببلاد القبط من غير قصد ولا تعّمد منهم بل تحت تأثير أوهام التوراة المحّرفة التي حذر الله منها. وكانت النتيجة أنهم لم يجدوا أي أثر يُعتد به في أرض الأقباط ولا في تاريخهم. وكذلك لم يجدوا أي أثر ميداني لا لمصر ولا لمصريم ولا ليوسف ولا ليعقوب ولا لموسى ولا لبني إسرائيل ولا لفرعون إلى يومنا هذا. ولكن، بدلاً من مراجعة المعلومات المعششة في أذهانهم، قاموا بتبرير هذا التناقض بمزيد من المنقولات اليهودية التي زادتهم وزادتنا تيهاً.

خلاصة القول أنّ جيوش المسلمين في سنة ٢٠ هجرية فتحت القبط ميدانياً تحت شعار فتح مصر القرآن ثقافياً. وهذا يفسر كثرة التفاسير والمرويات في الكتب العربية القديمة التي تُسقط اسم مصر على بلاد القبط ثقافياً حتى يتسنى لفرعون وبني إسرائيل وموسى أن يكون لهم موطئ قدم في أرض القبط، وذلك تمشياً مع الثقافة المسبقة العالقة في الأذهان منذ أيام الجاهلية. وفي عهد المسلمين الذي يمتد

إلى اليوم تمكّن اسم مصر تدريجياً من بلاد القبط دون قصد كما فصلنا سابقاً، وأصبح اسمها الأصلي منحصراً في من يُعرفون اليوم بالأقباط، وهم الذين اختاروا البقاء على دين المسيحية الذي كان الدين المهيمن على بلاد القبط حين فتحها المسلمون.

ومع مرور الزمن واستقرار الإسلام في قلوب الأقباط المؤمنة وتزايد هجرة المسلمين العرب وغير العرب إلى بلاد القبط، فضلاً عن اتساع رقعة الأراضي الإسلامية في العالم القديم بمساهمة فعالة من الأقباط المسلمين، تبلور صراعٌ ثقافي بين القبطي المسلم والقبطي النصراني لتعريف الهوية الجديدة على نحوٍ يتناسب مع الواقع الجديد. والنتيجة هي ما وصلنا إليه اليوم حيث يعتز القبطي المسلم بأنه عربي مقتدياً بتعاليم القرآن ويعتز القبطي المسيحي بأنه قبطي مقتدياً بتعاليم الإنجيل. وفي الحقيقة كلاهما قبطي الجنسية، غير أن أحدهما من أتباع المصطفي محمد بن عبد اللّه (ص) والثاني من أتباع روح اللّه عيسى بن مريم (ع) وجميعهم يسلم الأمر للّه فهم له مسلمون.

والجدير بالذكر هنا هو أن الأقباط كان بمقدورهم مقاومة تغيير اسم بلادهم من القبط إلى مصر، فالإسلام لا يلزم المسلمين تغيير هوياتهم وجنسياتهم وخصوصياتهم نتيجة إسلامهم، كما كان الحال مع كل الدول التي اعتنقة الإسلام كسورية وأذربيجان وخراسان وتركيا ..الخ . ولكنهم قبلوا الاسم الجديد وتبنّوه بعد إسلامهم نتيجة تعلمهم القرآن وتفاسيره على أيدي المعلمين المسلمين القادمين من جزيرة العرب. فقد بلغ الأقباط أن بلادهم، حسب تفاسير بعض المفسرين القدماء، كانت محضن موسى ومأوى يوسف وسلطنة فرعون. فتصوروا أن بلادهم كانت تدعى مصر في زمن موسى (ع) كما جاء في القرآن ومن قبله التوراة التي تعلموها من سلطة اليونان الحاكمة، كما أن المدعو فرعون لابد أنه كان أحد ملوكهم الغابرين. فقبلوا الاسم الجديد تيمناً وتشرفاً بذكره في كتاب اللّه. ولكن الواقع أن تفاسير القرآن كانت شيئاً وما جاء في كتاب اللّه شئ آخر. فلم يكن مسلمو الجزيرة العربية يعلمون أنهم أخطأوا في تفسير الآيات فيما يخص جغرافيا الأنبياء، ولم يكن الأقباط يعلمون أن معلميهم وقعوا في

اشتباه ناجم عن ثقافة مسبقة عششت في ذاكرتهم القديمة مصدرها التوراة. وهكذا التقى الاشتباه مع التسليم لتكتمل حلقة الوهم القائمة حتى اليوم.

وبأية حال فإن الطرح أعلاه يفسر لماذا كان المسلمون يحملون ثقافة خاطئة بشأن "مصرية" القبط التي ملأت كتب التاريخ عندنا وامتد أثرها إلى يومنا، والتي ما انفكت تربط بين القبط ومصر القرآن. وقد آن الأوان لاقتلاع هذا الوهم من الجذور وإرجاع الحقائق إلى نصابها لنكون على بينة من أمرنا، ولكي تتمكن من تتبع النقطة التي بدأ منها الوهم العالمي القديم فيما يخص جغرافيا الأنبياء فامتد أثره الهدام إلى يومنا هذا مروراً بصدر الإسلام وحقبه المتلاحقة، سنضع معنا إصبعنا على بيت العنكبوت حيث محضن أم الفتنة العالمية. وسندلك على نقطة الانفصام التي أُسقطت فيها مفردة "مصر" على "القبط" في التوراة المحرّفة، والتي أدّت إلى إرباك جغرافيا الأنبياء في وعي أمم العالم القديم وثقافتها، أي قبل بعثة خاتم النبيين بأكثر من ٨٠٠ سنة بانعكاسات امتدت إلى يومنا هذا.

التوراة السبعونية - "نٓ ❖ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ"

يوجد اليوم، وبالتحديد على شبكة الانترنت العالمية، عشرات الترجمات للتوراة المحرّفة وبجميع اللغات الإنسانية الحية وبأسعار رمزية إن لم تكن مجانية. ومعظم تلك الترجمات مبنية بعضها على بعض. ولذلك فإنها جميعاً تحمل في طياتها سموم التحريف الأول الذي بُني على الترجمة الأولى. فلو وضعنا أيدينا على الترجمة الأولى وأثبتنا أنها تنطوي على تحريف صارخ في ما يخص بحثنا، أي جغرافيا الأنبياء ،عندها نستطيع أن نفهم لماذا يحمل العالم اليوم بشتى أعراقه وأجناسه ثقافة محرّفة مغايرة للواقع والحقيقة، وهي ثقافة نشأت وقوي عودها تدريجياً منذ تاريخ الترجمة الأولى. والترجمة الأولى هي ما تعرف بـ"التوراة السبعونية" Septuagint التي يرمز لها بالمختصر LXX . وفيما يلي نبذة مقتضبة عن هذه التوراة قبل أن نضع أيدينا على التحريف الجغرافي الكارثي الذي جاء فيها.

بعد فتوحات الإسكندر الأكبر المتوالية لكثير من بلدان العالم في القرن الرابع قبل الميلاد، ما لبثت مملكته المترامية أن تحوّلت إلى قوة عظمى مهيمنة على العالم القديم (انظر خريطة ١٤أ) ومنها القبط- بابل- غرب الهند- فارس. فكان نتيجة تلك الهيمنة العالمية أن أصبحت اللغة اليونانية متداولة بين شعوب البلدان الواقعة تحت الوصاية اليونانية. وفي ظل هذا الوضع القائم طلب الملك بطليموس فيلودفيس المعروف بملك القبط بطليموس الثاني (٢٤٦-٢٨٥ ق .م) والذي كان مقيماً في الإسكندرية آنذاك، طلب من كهنة اليهود ترجمة التوراة من اللسان السرياني أو ما يُعرف اليوم بالعبرية، إلى اللسان العربي الفينيقي القديم أو ما يُعرف باليونانية[١٦٦]. وقد جاء هذا الخبر في التراث العربي، كما في المقتبس التالي " . . . **لما مات الإسكندر، ملك بعده بطليموس بن لاغوس عشرين سنة، ثم ملك بعده بطليموس محب أخيه، وهو الذي نقلت إليه التوراة وغيرها من كتب الأنبياء، من اللغة العبرانية إلى اللغة اليونانية. أقول: فيكون نقل التوراة بعد عشرين سنة مضت لموت الإسكندر...**"[١٦٧]

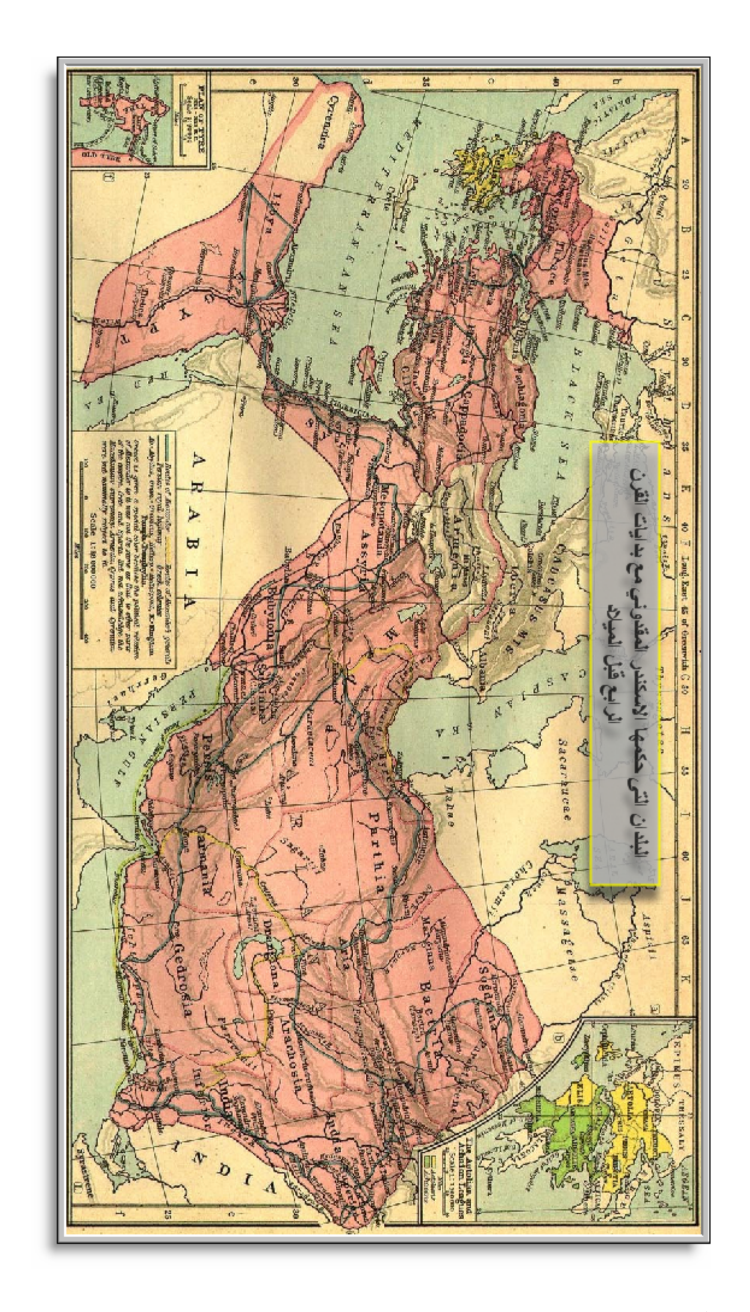
لقد ورد كلام أبي الفداء أعلاه في نص وثيقة غربية قديمة مغرضة تهدف إلى تزكية التوراة السبعونية المحرفة في الوعي العالمي آنذاك، وهي لكاتب يهودي ويعود تاريخها إلى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وتعرف برسالة أريستيس[١٦٨] Letter of Aristeas، حيث يذكر أن وجهاء وكبار اليهود شكلوا فريقاً لتلبية طلب الملك اليوناني. وتألف هذا الفريق من سبعين، ويقال من ثلاثة وسبعين أو ثمانين، كاهناً يهودياً للاضطلاع بهذه المهمة الأولى من نوعها في تاريخ اليهود والتوراة (انظر لوحة رقم ٦، ٧).

---

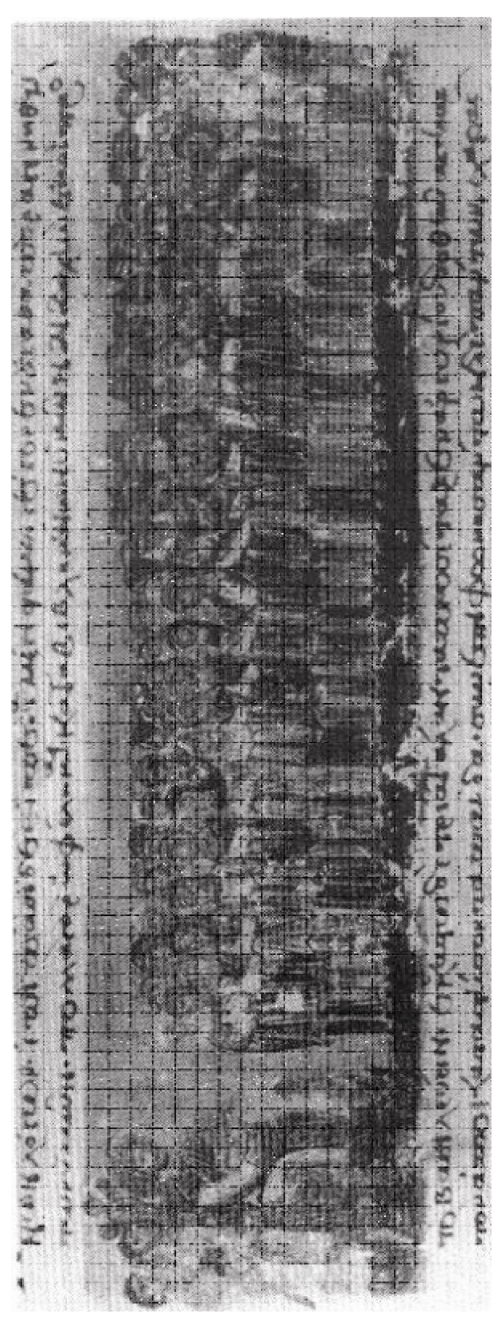
(166) – The Septuagint Online- http://students.cua.edu/16kalvesmaki/lxx/.

(١٦٧) – أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ص١٨ .

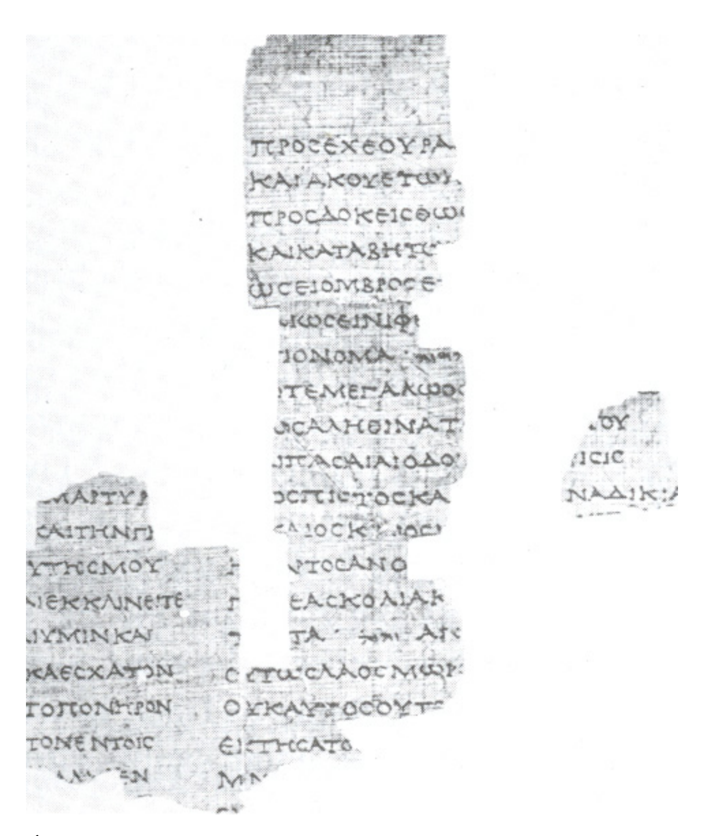
(168) – The Letter of Aristeas- http://www.sentex.net/~tcc/farist.html.



خريطة رقم أ١٤: المناطق العالمية التي يقال إن الإسكندر المقدوني فتحها في القرن الثالث قبل الميلاد



لوحة رقم ٦: رسم فني غربي قديم يظهر اجتماع الفريق السبعيني مع بطليموس لتسليمه النسخة التوراتية السبعونية



لوحة رقم ٧: صورة قديمة لنسخة من قصاصة من أسفار السبعونية الأغريقية

وخلال سبعين[١٦٩] يوماً وضع هذا الفريق ترجمة يونانية للتوراة حوَت ما حوت من التحريف والتزوير. فوّسعوا بذلك دائرة التيه اليهودية لتضمّ أوروبا بشكل أساسي. وقد أساءت تلك الترجمة كثيراً إلى أولئك العرب الآباء المعلّمين وإلى الأنبياء والمرسلين الذين تؤمن التعاليم الإسلامية بعصمتهم. فنسبوا إليهم ما يندى له جبين المؤمن، وزوّروا شريعة موسى (ع) وحوّروها. ورغم أن العاقل ليرفض هذه الإساءات

---

(١٦٩) – سُميت "السبعونية" لأنها تُرجمت ترجمة في سبعين يوماً أو بواسطة سبعين شيخاً من شيوخ اليهود كما جاء في المصدر أعلاه.

التي وجهتها بعض مقاطع التوراة للمرسلين إلا أن التجربة أثبتت أنه يمكن تمرير الكثير من المغالطات تحت شعار "هذا من عند الله".

ويذكر بعض الكّتاب الغربيين أن تلك الترجمة الأولى كانت تحتوي على مقاطع جديدة لم تكن تحويها التوراة السريانية مثل "خلق المرأة من ضلع آدم"(١٧٠) والذي لا أصل له في التوراة السريانية. فحطّوا من قيمة المرأة وجعلوها تبعاً للرجل وليس نصفاً مكملاً له. كما يضيف المتكلمون الغربيون أن المجلس الأعلى للمجمع اليهودي في ذلك العصر صادق على هذه الترجمة اليونانية رغم سوء ترجمتها وتوسلوا لمترجميها بأعذار لا يقبلها عاقل(١٧١). وذكر المسعودي نفس الخبر بشأن مصادقة التوراة الجديدة حيث يذكر في حديثه " . . **على ما توجبه التوراة التي نقلها بطليموس الملك إلى اللغة اليونانية اثنان وسبعون حبراً من أحبار اليهود بالإسكندرية من أرض مصر، وأجمعوا على صحتها.**"(١٧٢) وقد أضفت مصادقتهم ومباركتهم مصداقية على التزوير الذي جاء في تلك الترجمة، لينتشر بسعة انتشار المملكة الإغريقية في ذلك الزمان، وبلغة غدت تدريجياً اللغة العالمية المشتركة بين الشعوب الواقعة تحت مملكة الإغريق كانتشار وهيمنة اللغة الإنجليزية في العالم اليوم(١٧٣). وحيث أن معظم الشعوب التي اطلعت على "التوراة السبعونية" لم تطلع على

---

(170) - From *The Alpha and the Omega* - Volume III -by Jim A. Cornwell،"*History of the Bible*"- The Septuagint (Greek Translation) http://www.mazzaroth.com/ChapterThree/HistoryOfTheBible.htm

(171) -Endtime Ministries-Australian Bible College Course-http://www.despatch.cth.com.au/BCU/Hebrew1Appendix.html

(١٧٢) - المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٨٢ .

(١٧٣) - كما هو شأن انتشار اللغة الانجليزية عالمياً اليوم، فإن في الحقب التي سبقت وتلت مولد المسيح، كانت هناك لغة واحدة أيضاً متعارفاً عليها كعامل مشترك بين مختلف الأمم للتفاهم في ما بينهم. وكانت هذه اللغة المشتركة تسمى **lingua franca** (لغة الإفرنج) وهي تعبر عن اللغة المشتركة مادامت هي المهيمنة بين شعوب العالم. ويمكن للغة المشتركة أن تتبدل من حقبة إلى أخرى حسب رصيد أصحاب اللغة المعرفي والسياسي. وقد كانت الإغريقية هي اللغة المشتركة عالمياً لحقبة

التوراة السريانية الأصل لتعذر فهم اللغة السريانية أولاً، ولتعذر الحصول على نسخ سريانية في مقابل انتشار النسخ الإغريقية "السبعونية" ثانياً، فإن ذلك أدى تدريجياً إلى الاكتفاء بالمتيسر عوضاً عن المتعسر. فغدت "السبعونية" بذلك المصدر المعلوماتي المنسوب إلى السماء والمعتمد لدى معظم شعوب العالم القديم، وخاصة التي احتضنت الديانة المسيحية منها. كما صارت لاحقاً الكتاب المقدس في الإغريق المقدونية ومن ثم في أوربا برمتها. كما شكلت "السبعونية" القاعدة التي استندت إليها الترجمات الأخرى بلغات لاتينية متعددة، مما أسهم في انتشار التحريف وبث السموم في المزيد من الأقطار العالمية. وليس جميع اليهود اعترفوا بهذه التوراة الإغريقية المحرفة، فكما ينقل ابن حزم "**فأما اليهود فإنهم قد افترقوا على خمس فرق وهي السامرية وهم يقولون إن مدينة القدس هي نابلس وهي من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلاً ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه ولهم توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود**"[(١٧٤)] ويضيف ابن حزم موضحاً سبب هذه الفرقة "**قال أبو محمد رضي الله عنه أول ذلك أن بأيدي السامرية توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود يزعمون إنها المنزلة ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرفة مبدلة وسائر اليهود يقولون أن التي بأيدي السامرية محرفة مبدلة إلى آخره ولم يقع إلينا توراة السامرية لأنهم لا يستحلون الخروج عن فلسطين والأردن أصلاً إلا إننا قد أتينا ببرهان ضروري على أن التوراة التي بأيدي السامرية أيضاً محرفة مبدلة**"[(١٧٥)].

وقد تمّ تحريف الكلم عن مواضعه في هذه "التوراة السبعونية" اليونانية، وكذلك يفعلون (**مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**

الهيمنة الرومانية كما كانت قبل ذلك الآرامية والفينيقية والافرنجية والعربية في الحقبة الإسلامية انتهاءً بالإنجليزية وهي لغة العالم المشتركة اليوم. انظر الموقع التالي:

Wikipedia encyclopedia. Greco-Roman culture
http://en.wikipedia.org/wiki/Lingua_franca

(١٧٤) – ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ص٥٨.

(١٧٥) – المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٨٢.

(١٧٥) – ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ص٥٨.

وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ)(النساء:٤٦). وأكبر تحريف وضعوه في "السبعونية" **هو استبدالهم كل مفردة "مصر" و"مصريين" واردة في التوراة السريانية الأصل إلى "القبط" و"الأقباط"**. وكثرت النسخ "السبعونية" في مكتبات المملكة اليونانية المترامية بعد أن أزالت من طيات قراطيسها اسم "مصر" ووضعت مكانه اسم القبط الشهير والمعروف عالمياً (**وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)**(الأنعام:٩١).

وتمثلت تبعات هذا الإسقاط والتحريف في نقل الأحداث التي ورد ذكرها في تراث اليهود من موقع جغرافي إلى موقع جغرافي آخر. فأحداث موسى ويوسف وبني إسرائيل وفرعون جميعها حدثت في منطقة تدعى مصر وهي منطقة مجهولة عالمياً. ولكن من خلال هذه الترجمة، قام السبعونيون بكل جرأة وتطاولٍ على الله والإنسانية، بنقل مسرح الأحداث والشخصيات الربانية ومسميات المعالم الجغرافية المصاحبة من مصر المجهولة إلى القبط المرموقة. وانتشر هذا الخبر في العالم القديم فوقع الاشتباه والإرباك وبدأ تفشي الوهم العالمي المستمر إلى اليوم (**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)**(البقرة:٧٩). ويحقّ لك أن تسأل كيف يمكننا إثبات أنهم فعلاً ترجموا أو بمعنى أدق حرّفوا الكلم من "مصر" إلى "القبط"؟ فلنتدارس معاً النسخ التوراتية والترجمات لنرى بأم أعيننا ماذا كانوا يكتبون. ولسنا بحاجة إلى إتقان اللغة اليونانية وما يُسمى بالعبرية كي نتتبع هذا التحريف. بل سنختار أي مقطع مترجمٍ إلى العربية من التوراة المتداولة عالمياً لنجعل منه نقطة انطلاقنا في سبيل إماطة اللثام عن التزوير الجغرافي الخطير، على أن يحتوي هذا المقطع على مفردة "مصر". وليكن هذا المقطع هو التالي كما جاء في سياق سفر التكوين:

"**وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَان وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ**"[١٧٦].

---

(١٧٦)- التكوين ٢١-٢١: Smith and Van Dyke – Arabic

وقد اخترنا هذا المقطع التوراتي دون عشرات المقاطع الأخرى التي ينطبق عليها التزوير فقط لوقوع مفردة "مصر" في نهاية المقطع، مما يسهل البحث عما يقابلها في النسخة السريانية أو ما تسمى اليوم بالعبرية ومن ثم مقارنتها بما جاء في "السبعونية"، لنرى ماذا الذي طرأ على مفردة "مصر" في التوراة السبعونية. والآن لنحدد نفس هذا المقطع الذي يحمل رقم ٢١:٢١ من سفر التكوين كما جاء في التوراة "العبرية". فنجد أن المقطع المعني هو:

וישב במדבר פארן ותקח־לו אמו אשה מארץ מצרים(١٧٧)

وعليه فإن آخر مفردة من اليسار هي ما نظن أنها توازي "مصر" التي وردت في المقطع العربي المترجم أعلاه، ذلك أن الحرف السرياني أو ما يسمى بالعبري يُكتب مثل الحرف العربي من اليمين إلى اليسار. وهو ليس الشبه الوحيد بين اللغتين، فالأصل واحدٌ كما سيتضح لك في الفصل الثالث حين تكتشف أن بني إسرائيل ما هم إلا عشيرة بدوية ميكروسكوبية من عرب الجزيرة العربية، شأنهم شأن قريش والأوس والخزرج وغيرهم. ولكننا بحاجة إلى معرفة اللفظ الصوتي للمفردة מצרים، أي هل تلفظ "مصر" أو "مصريم" كما جاء في التوراة المكتوبة بالسريانية والتي تتوافق مع القرآن في لفظ مكان أحداث فرعون وموسى، أم تلفظ "قبط" أو "أكبتوا" كما جاء في "السبعونية"؟ ورغم أننا وعدد كبير من القراء الكرام لا نتقن "العبرية"، إلا أن ذلك لم يعد معضلة، إذ أصبح من الممكن الحصول على أصوات مقاطع الحروف لكل اللغات العالمية الحية، ومن ضمنها ما يُسمى "بالعبرية" وذلك بالاستعانة بجدول الأبجدية المستخدمة في برامج التعليم اللغوي. ولهذا الغرض تجد أدناه الجدول الهجائي للسان العبري(١٧٨) الموضوع لغرض قراءة الحروف السريانية الأصل. فبمقارنة حروف مفردة מצרים مع ما جاء في الجدول الهجائي، يمكننا استنطاق المفردة التي يجب أن تلفظ "مصر" أو "مصريم" كما جاءت في القرآن الكريم وكما يلفظها الناطقون "بالعبرية".

---

(١٧٧)- التكوين ٢١:٢١ Hebrow old testemint (Tanach).

(178) – Jews veritual Library-

http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/Judaism/alephbet.html#Transliteration

فمفردة מצרים مكونة من ٥ أحرف تقرأ من اليمين إلى اليسار وتنطق حسب الجدول الهجائي كما يلي:



الحرف الأول يقع في إحداثيات ب٥ ويلفظ "م".

الحرف الثاني يقع في إحداثيات ت٤ ويلفظ "تز" أي "ص" مخففة.

الحرف الثالث يقع في إحداثيات ت٧ ويلفظ "ر".

الحرف الرابع يقع في إحداثيات ب١ ويلفظ "ي".

الحرف الخامس يقع في إحداثيات ب٦ ويلفظ "م".

والآن لنجمع الحروف: متزريم = م ص ر ي م = مصريم. وهو نفس اللفظ الذي تقرؤه لمفردة "מצרים" في المعاجم اللفظية للسان العبري[١٧٩].

---

[179] - Genesis 21:21- http://www.hebrewoldtestament.com/index2.htm

حتى هنا لا جدال حول تشابه ما جاء في القرآن الكريم مع ما جاء في التوراة السريانية الأصل بهذا الخصوص. ولكن كيف ترجم فريق الكهنة اليهودي مفردة "مصر" أو "מצרים" إلى اليونانية؟ وكيف كتبوها في التوراة السبعونية التي كانت الجسر الذي شقت عبره التوراة طريقها إلى العالم الغربي القديم؟ لتسليط الضوء على التزوير المضلل اللئيم في الترجمة "السبعونية" سنعود إلى استخدام نفس المقطع التوراتي الذي حللناه سابقا ونخضعه إلى نفس المنهج التفكيكي، ولكن هذه المرة وفقاً لما جاء في "التوراة السبعونية". فقد ترجم الفريق الكهنوتي المقطع رقم ٢١:٢١ من سفر التكوين إلى الإغريقية كما يلي :

καὶ κατῴκησεν ἐν τῇ ἐρήμῳ τῇ Φαραν، καὶ ἔλαβεν αὐτῷ ἡ μήτηρ γυναῖκα ἐκ γῆς Αἰγύπτου.[١٨٠]

ومرة أخرى، لسنا بحاجة إلى إتقان الحرف اليوناني لقراءة ماذا كتبت أيديهم للعالم، بالإغريقية هذه المرة. فبإمكاننا التحقق من لفظ المفردة التي تعنينا بالطريقة ذاتها. والمفردة المراد فحص لفظها هنا هي الأخيرة في السطر الثاني إلى أقصى اليمين – أي مفردة Αἰγύπτου. وبالرجوع إلى جدول[١٨١] أبجديات اللسان الإغريقي القديم في الصفحة التالية يمكننا استنطاق حروف المفردة المعنية. وبمقارنة أحرفها بالجدول الهجائي لمفردة Αἰγύπτου يمكننا قراءة المفردة التي يجب أن تلفظ "مصر" أو "مصريم". فمفردة Αἰγύπτου مكونة من ٨ حروف تقرأ من اليسار إلى اليمين كالتالي:

الحرف الأول يقع في إحداثيات أ١٢ ويلفظ "أ".

الحرف الثاني يقع في إحداثيات أ٤ ويلفظ "أِ".

الحرف الثالث يقع في إحداثيات أ١٠ويلفظ " گ".

---

(180) – Greek old Testement (**Septuagint**-LXX)-Gen 21:21

(181)- Omniglot a giud to writing stsyems- http://www.omniglot.com/writing/greek.htm

الحرف الرابع يقع في إحداثيات ب٥ ويلفظ "ي".

الحرف الخامس يقع في إحداثيات ب٩ ويلفظ "ب".

الحرف السادس يقع في إحداثيات ب٦ ويلفظ "ت".

الحرف السابع يقع في إحداثيات ب١٠ ويلفظ "و".

الحرف الثامن يقع في إحداثيات ب٥ ويلفظ "ي"

١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
Αα	Ββ	Γγ	Δδ	Εε	Ζζ	Ηη	Θθ	Ιι	Κκ	Λλ	Μμ	أ
άλφα	βητα	γαμμα	δελτα	έψιλον	ζητα	ήτα	θητα	ἰωτα	καππα	λαμδα	μυ	
alpha	beta	gamma	delta	epsilon	zeta	eta	theta	iota	kappa	lambda	mu	
a	b	g	d	e	z	ē	th	i	k	l	m	
[a, aː]	[b]	[g]	[ð]	[e]	[zd/z]	[ɛː]	[tʰ]	[i, iː]	[k]	[l]	[m]	ب
Νν	Ξξ	Οο	Ππ	Ρϱ	Σσς	Ττ	Υυ	Φφ	Χχ	Ψψ	Ωω	
νυ	ξι	όμικρον	πι	ῥω	σιγμα	ταυ	ύψιλον	φι	χι	ψι	ώμεγα	
nu	xi	omikron	pi	rho	sigma	tau	upsilon	phi	chi	psi	omega	
n	ks, x	o	p	r, rh	s	t	u, y	ph	kh, ch	ps	ō	
[n]	[ks]	[o]	[p]	[r]	[s, z]	[t]	[y, yː]	[pʰ]	[kʰ]	[ps]	[ɔː]	

وعند جمع هذه الحروف نجدها تقرأ: إكيبتوي = إكيبتو. ويثبت بذلك أن نتاج الترجمة كان تحويل اسم علمٍ هو مصر أو مصريم أو מצרים إلى Αἰγύπτου أي إكبتو! وإكبتو هذه بلاد عريقة يعرفها الصغير والكبير في العالمين القديم والحديث، كما تُعرف أسماء بلاد الهند والصين وفارس وليبيا وأمريكا وفرنسا. وهي عينها إكبت أو القبط كما ينطقها اللسان العربي أو ما يُعرف في الغرب اليوم بإيجيبت أو كبت (Egypt ،Gypte).

أجل، هكذا نُهبت مملكة القبط أو إكَيبتو العظمى وحضارتها العريقة بعد أن أُقحم اسمها عنوة في كتاب كتبه فريق من الكهنة الأقباط بأيديهم ووسموه بأخطر اسمٍ في ذلك الزمان ألا وهو التوراة المقدسة. وهكذا غدت القبط و شعبها وحضارتها وعراقتها ملكٌ ثقافيٌ مقدّس لليهود بدون عناء ولا مشقة. فتحققت مكاسب ثقافية سريعة من سمعة راقية وحضارة عريقة وأممية وجيهة وتراث مشرق وأرضٍ شاسعة، كل تلك المكاسب تحققت لعشيرة يهودية، ليس من دون عناء وكدح فحسب بل بمباركة العالم إلى اليوم بعد أن أطلّ هذا التزوير متدثراً بعباءة "هذا من عند اللّه". فما أن تم استبدال مفردة "قبط" مكان مفردة "مصر" على لسان توراة الإغريق حتى غدة حضارة القبط كلها في ثقافة العالم الغربي القديم رهينة أحداث موسى (ع) وفرعون وهامان وبني إسرائيل. وقد فعلوا ذلك من قبل بالأسلوب ذاته مع الكلدانيين في العراق وسوريا، كما سيتبين لك لاحقا، وفعلوها بنجاحٍ باهر مع القبط، وهاهم يفعلونها في زماننا هذا مع أمريكا الشمالية كما تبين لك من قصة جوزيف سميث السالف ذكرها في مقدمة هذا البحث. فأينما وُجدت قوة عظمى عبر التاريخ تجد هؤلاء المزورين المنتفعين يحومون حولها حتى يمطرونها بسهام المقدسات الإسرائيلية قبل أن يثبوا على خيراتها ثم يصورون أنفسهم للعالم بصورة المضطهد المسكين.

عوداً إلى القبط، نتساءل هل يمكن تسمية الذين فعلوا هذه الفعلة الشنيعة، وهم الفريق المكوّن من سبعين شخصاً الذي استبدلوا اسم علم هو مصر باسم علمٍ آخر هو إكيبتو، بالمترجمين؟ وهل تصحّ تسمية نتاج عملهم بالترجمة؟ فماذا إذن يُسمى الكذب والتحريف والتزوير والتدليس والفتنة والدسّ المغرض؟ وهل يمكن أن هذا الفريق كان يجهل آثار ما خطّت يداه من ثقافة وهمية للعالم الغربي؟ ولك أن تتدبر فيما جرى على ثقافة العالم القديم بعد صدور الإفك "السبعوني". فلا بد أنه تغلغل في وعي الغرب وثقافتهم منذ صدور "التوراة السبعونية" أن أحداث موسى (ع) وبني إسرائيل وفرعون قد وقعت في بلاد وادي النيل، ولم يدخل اسم مصر في ثقافتهم أصلاً بل لم يسمعوا به بعد أن طمست "السبعونية" ذكره بل مسحته من الوجود الثقافي. حدث ذلك دون علم معظم الغربيين بما وقع بهم من تزوير ثقافي إلى اليوم، وذلك بعد أن استُبدل اسم مصر بالقبط عبر هذه الجريمة التي يسمونها ترجمة.

وهذا يفسر لنا لماذا لا يعرف الغرب جنسية "مصري" إلى اليوم! فالجنسية الوحيدة لهذا البلد العربي التي يعرفها الغرب هي "أجيبشن" (Egyptian). وهكذا اضطر شعب جمهورية مصر العربية العريق، بسبب فعلة "السبعونية"، إلى حمل جنسيتين أثناء مخاطبتهم العالم الشرقي المسلم والغربي المسيحي وهما "مصري" و"قبطي". فالأولى لمخاطبة المسلمين حملة القرآن والتوراة السريانية والأخرى لمخاطبة الغرب حملة "السبعونية" وبناتها. وما هذا إلا غيض من فيض تبعات التزوير القديم، وما هو إلا تزوير وتحريف واحد من ركامٍ لم نتطرق إليه لأنه يقع خارج نطاق بحثنا.

ونتيجة هذا التزوير القديم استندت كل الترجمات التوراتية التي صدرت لاحقاً إلى "السبعونية" وليس من الأصل السرياني، فلو اطلعت على جميع الإصدارات التوراتية التي يتداولها الغرب المعاصر لن تجد اسم مصر بل ستجد القبط. وفيما يلي بعض الأمثلة لنصوص بلغات مختلفة لنفس المقطع الذي حللناه سابقاً لتجد كيف تربعت "إجيبت" مكان مصر:

المقطع ٢١:٢١ من سفر التكوين في التوراة المترجمة إلى الألمانية:

(GLB) Und er wohnte in der Wüste Pharan ،und seine Mutter nahm ihm ein Weib aus Agypten land [١٨٢].

المقطع ٢١:٢١ من سفر التكوين في التوراة المترجمة إلى الفرنسية:

(FDB) Et il habita dans le désert de Paran; et sa mère lui prit une femme du pays d'Egypte. [١٨٣]

المقطع ٢١:٢١ من سفر التكوين في التوراة المترجمة إلى الانجليزية:

(KJV) And he dwelt in the wilderness of Paran: and his mother took him a wife out of the land of Egypt. [١٨٤]

---

(182) - Gen 21:21-German Luther Bible
(183)- Gen 21:21-French Darby Bible
(184)- Gen 21:21- King James Version

لذا يمكننا القول إن معظم أفراد العالم الغربي لم يسمع بمصر في الماضي البعيد بل أن الكثير منهم لم يسمع بها إلى اليوم لأن التوراة التي قرؤوها ومازالوا يقرؤونها لا تحوي هذا الاسم على المستوى العقائدي التراثي كما أنهم ما زالوا يحتفظون باسم إجيبت (Egypt) العريق كمسمى لبلاد وادي النيل وهذا الاسم موجود إلى اليوم في خرائطهم ووثائقهم الرسمية ويدرس لأطفالهم في المناهج الدراسية.

ولم تُحدث "السبعونية" خللاً في جغرافيا الأنبياء فقط بل امتد تأثيرها إلى العقائد. وقد تنبه الكثير من المؤرخين إلى خطورة "السبعونية"، ومنهم ابن حزم الذي أثار نقاشات حول الكثير من التناقضات التي اكتنفت عقائد المسيحيين بعد أن اعتمدوا ما جاء في "السبعونية" فأدخلوا أنفسهم في متاهات كانوا في غنى عنها.

وشرح ابن حزم هذه التناقضات المسيحية بقوله "**إنما عولوا فيما عندهم على ترجمة السبعين شيخاً الذين ترجموا التوراة وكتب الأنبياء عليهم السلام لبطليموس فإن قالوا هذا فإنهم لا يخلون ضرورة من أحد وجهين إما أن يكونوا صادقين في ذلك أو يكونوا كاذبين في ذلك فإن كانوا كاذبين في ذلك فقد سقط أمرهم والحمد لله رب العالمين إذ لم يرجعوا إلا إلى المجاهرة بالكذب وإن كانوا صادقين في ذلك فقد حصلت توراتان متخالفتان متكاذبتان متعارضتان توراة السبعين شيخاً وتوراة عزراء ومن الباطل الممتنع كونهما جميعاً حقاً من عند الله واليهود والنصارى كلّهم مصدق مؤمن بهاتين التوراتين معاً سوى توراة السامرية ولا بدَّ ضرورة من أن تكون إحداهما حقاً والأخرى مكذوبة فأيهما كانت المكذوبة فقد حصلت الطائفتان على الإيمان بالباطل ضرورة ولا خير في أمة تؤمن بيقين الباطل وإن كانت توراة السبعين شيخاً هي المكذوبة فلقد كانوا شيوخ سوء كذابين ملعونين إذ حرفوا كلام الله تعالى وبدلوه ومن هذه صفته فلا يحل أخذ الدين عنه ولا قبول نقله وإن كانت توراة عزراء هي المكذوبة فقد كان كذاباً إذ حرف كلام الله تعالى ولا يحل أخذ شيء من الدين عن كذاب ولا بدَّ من أحد الأمرين أو يكون كلاهما كذباً وهذا هو الحق اليقين الذي لا شكَّ فيه لما قدمنا مما فيها من الكذب الفاضح الموجب للقطع بأنها مبدلة محرفة وسقطت الطائفتان معاً**

وبطل دينهم الذي إنما مرجعه إلى تلك الكتب المكذوبة"[١٨٥] ونحن إذ نوافق ابن حزم على تحليله لمصدر التناقضات التي أحدثتها "السبعونية" اليهودية في المسيحية، فإننا ندعوه أن يلتفت إلى ما أحدثته هذه "السبعونية" في عقائد بني جنسه من المسلمين أيضاً، وذلك بعد أن اعتمد بعض المؤرخين المسلمين بحسن نية ما جاء فيها كثقافة عامة، وهو أحدهم حيث يسمي القبط بمصر شأنه باقي المؤرخين وهو لا يعلم أنه تأثر بالسبعونية اليونانية كما تأثر قبله وبعده الكثيرون.

تبعات جريمة إسقاط تسمية مصر على مملكة القبط العظمى

فيما يلي بعض انعكاسات الجريمة التي ارتكبها فريق "السبعونية" باستبدالهم مفردة مصر بالقبط في كتاب قالوا إنّه من عند اللّه. وقد يكون لدى القارئ إضافات فاتنا ذكرها:

١- إدخال فرعون إلى القبط كأحد ملوك المملكة العظمى حيث فرعون هو رأس الهرم في أحداث مصر.

٢- تذويب لقب "الملوك" تدريجياً من حضارة القبط العريقة واستبداله بلقب "الفراعنة" كي ينسجم مع منطلق التزوير، وهو إقحام "السبعونية" اسم فرعون المصري كأحد حكام مملكة القبط العظمى.

٣- إخفاء هوية فرعون الحقيقية، وخصوصاً اسمه، لأنها لا تنسجم مع ما هو معروف من مسميات وألقاب ملوك وادي النيل، خشية أن يثير الريبة نشازها وسط سلسلة ملوك متناغمة الأسماء ومتشابهة السمات، فيفتضح بذلك أمر التزوير. ونضرب مثالاً لتوضيح الصورة، فإن إدراج اسم فرعون الحقيقي وسط سلسلة أسماء ملوك القبط يشبه قولنا "إن ملوك بريطانيا العظمى هم تشارلز الأول وتشارلز الثاني ومعاوية وديفيد وجون" فهل يخفى على السامع هنا أن اسم "معاوية" لا ينتمي لا لبريطانيا ولا لجنسية ملوكها المتقدمين أو المتأخرين.

---

[١٨٥] – ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ص١٣٥.

٤- ترتيب البنية الجغرافية لبلاد القبط بصورة تنسجم مع أحداث مصر، من قبيل إسقاط اليم المذكور في القرآن والتوراة السريانية على نهر النيل.

٥- تشويه سمعة ملوك القبط في الغرب والشرق، إذ أصبحوا حسب الثقافة "السبعونية" المهيمنة "فراعنة"، وعلى رأسهم فرعون الذي ادّعى الألوهية ونازل كليم الله موسى (ع). وبذلك أسقطوا كل ما جاء من لعن وطرد من رحمة الله على فرعون وسلالة الفراعنة كما جاء في "السبعونية"، فحلّت هذه النقمة زوراً وبهتاناً على رؤوس ملوك القبط وشعب القبط الموحدين.

٦- إدخال أسماء جملة من الأنبياء عليهم السلام (إبراهيم- موسى- يعقوب- يوسف) في تراث القبط زوراً وجعلها بذلك أرضاً مقدسة بفضلهم، مما رفع من رصيد مملكة القبط العالمي وانعكس اقتصادياً لصالح الحاكم الإغريقي في الأمدين القريب والبعيد.

٧- إقحام بني إسرائيل في تراث القبط عبر نافذة تاريخية وهمية، لتبرير مطالبتهم بأرض الأقباط مستقبلاً. ولنا في افتراءات جوزيف سميث السالفة الذكر عبرة، وكذلك في قول يهود اليوم إن أجدادهم هم بناة الأهرام وليس شعب القبط.

٨- تحديد أرض موعودة جديدة لليهود يطالبون بها العالم تضمّ الأراضي الواقعة بين النيل والفرات. وهذا الخطب رغم فداحته فقد نعته القرآن بالقليل قياساً بالضرر الذي أحدثوه في الحضارات الإنسانية السابقة واللاحقة وعلى أصعدة مختلفة.

٩- ترسيخ صورة وثنية للشعب القبطي الموّحِد في ثقافة العالم، لأن ذلك ما جاءت به "السبعونية".

١٠- تأثر ترجمة الآثار القبطية من برديات ونقوش وكتابات محفورة في الأهرامات والمدافن والمعابد بثقافة المترجمين الغربيين المستوحاة من تعاليم "السبعونية"، والتي أشاعت في الغرب أن الأقباط وملوكهم وثنيون. فصار الكثير من

ترجمات هذه النصوص يشير إلى تأليه الملك "فرعون" انسجاماً مع ثقافة "السبعونية" في حين أن النصوص القبطية ربما ترسم صورةً مغايرةً تماماً لمخيلة المترجم.

١١- اختفاء ذكر نبي الله إدريس (ع) وعلمه وتعاليمه المنتشرة في بلاد القبط وتحوله إلى إله معبود وثني حسب ترجمة الكثير من المترجمين.

١٢- أما بالنسبة للعالم الشرقي بما يحويه من قبائل يهودية لم يخف عليها أن فرعون كان في منطقة تدعى مصر تقع ببطن الجزيرة العربية ولم يكن في القبط قط، فقد تأثر بمرور ٨٠٠ سنة من تفشي ثقافة عالمية تحملها شعوب الغرب من رومان و اغريق واسبان وافرنجة وغيرهم الكثير ويباركها الكثير من أئمة الكهنة. لقد كان مداً ثقافياً جارفاً يصرّ على أن أحداث موسى (ع) جرت في القبط كما ألقمتهم ثقافة "السبعونية" وبناتها، فكانت النتيجة أن استسلمت أجيال العالم الشرقي المتلاحقة تحت وطأة المد الثقافي الغربي الطويل الأمد، فتبنّى العالم الشرقي الثقافة السائدة في الغرب محتفظاً مع ذلك باسم مصر الذي تختزنه ذاكرته. ولم يجد الشرقي أمامه مخرجاً سوى أن يُسقط اسم مصر تدريجياً على بلاد القبط. فصار ينظر إلى مملكة القبط مسلّماً بأن اسمها في زمن موسى (ع) كان مصر، حتى لو لم يقم ذلك على دليل بل كان محض وهم شائع مصدره الوحيد هو "السبعونية" ومفتاح انتشاره في العالم هو "هذا من عند الله".

١٣- بعد اختراق ثقافة "السبعونية" واستقرارها في وعي الأجيال الشرقية، اختفى مسمى الأقباط من وعي الشرق وذكرهم تباعاً، وحلَّ محله نعت "مصريين" انسجاماً مع الاسم المحفور في ذاكرة الآباء المستسلمين لوهم الثقافة السائدة القادمة من الغرب.

١٤- انحسار اسم القبط من الشرق واستبداله تدريجياً بمصر تعارفاً واستمرار هذا الوضع حتى البعثة النبوية وصولاً إلينا.

١٥- لحل معضلة استعصاء اسم القبط والأقباط على الاندثار من ذاكرة العرب وتراثهم وكتبهم، تمَّ اختزال هذه الأسماء ثقافياً في من بقي على دين عيسى (ع) من

الأقباط. أمّا السواد الأعظم من الأقباط الذين اعتنقوا الإسلام فتحولوا تدريجياً من نعت الأقباط إلى نعت المصريين انسجاماً مع الاسم الذي كان سكان الجزيرة العربية يدعونهم به حتى قبل أن يفتحوا بلادهم. وبقي الحال كذلك حتى اليوم.

ولتصحيح هذا الجرم المقصود ورفع هذا الإسقاط المتعّمد وتبعاته عن كاهل القبط والقبطيين، جاء القرآن الكريم ليعيد إحياء اسم مصر مرة أخرى بعد أن طمره فريق من الكهنة في "السبعونية" ليشتروا بذلك ثمناً قليلا. وكلّف سبحانه وتعالى أتباع محمد بن عبد اللّه (ص) وحملة القرآن الكريم أن يرفعوا عن كاهل العالم هذا البهتان والوهم الذي امتد ٨٠٠ سنة منذ صدور "السبعونية" حتى بعثة خاتم النبيين محمد بن عبد اللّه (ص). ولكن بدلاً من أن يصحح المسلمون هذا الخطأ ويعيدوا الأمور إلى مسارها الطبيعي، فقد ابتلعتهم للأسف دوامة الوهم اليهودي وثقافته المهيمنة لأكثر من ٨٠٠ سنة على العالم واندست إسرائيلياتهم في تفاسيرنا وأساطيرنا وتراثنا وتبلورت وتحجرت حتى باتت ثقافة نتناقلها من جيل إلى جيل. وأصبحت تلك الإسرائيليات مصدراً معرفياً لنا بدلاً من القرآن الكريم فتمكن محرّفو اليهود بذلك من إسكات الخصم الوحيد الذي يمكنه فضح أفاعيلهم وكشف خطورة تحريفهم. ولكن للّه أمراً هو بالغه. فلابد من إرجاع الأمور إلى نصابها بتصفية تراثنا من عوالق الوهم اليهودي وإعادة تثقيف أجيالنا بالحقيقة التي طالما تغشت بالوهم. ولسنا ندّعي أن الأمر سهل يسير إذا لم يوفّق المسلمون في صدر الإسلام من مقاومة ثقافة سائدة عمرها ٨٠٠ بعد أن جاءتهم متلفعة بالحق، فكيف حالنا اليوم وقد صار عمر هذه الثقافة المغشوشة ٢٢٠٠ سنة، بل وقد زكاها جملة من المؤرخين العرب المعتبرين بعد أن افتتنوا بألقِ التهويمات السائدة. ولكن لا بدَّ من إصلاح الخلل مهما طال الأمد.

تأثير الثقافة المحّرفة على الأمم العالمية-"السبعينيات" المعاصرة

ليس عجباً أن يتساءل المسلم المعاصر عن صحة ما تكّشف لنا من حقائق حتى الآن أثناء رحلتنا للتعرف على هوية فرعون. فهل حقاً يعقل لأمّة محمد بن عبد اللّه (ص)، منذ صدر الإسلام الأول، أن تتوهم بهذا الشكل الصارخ إلى حد أن تطلق اسماً خطأ على بلاد مجاورة لهم بحجم وعظمة بلاد القبط، ثم يُتناقل هذا الخطأ جيلاً

بعد جيل!؟ إن هذا التساؤل في مكانه. ولكن بعد التدبر يمكن القول إن أمة الإسلام في أي حقبة كانت ما هي إلا تجمع بشري يخضع لمؤثرات ثقافية وفكرية مثله مثل غيره من الأمم. فمجرد أن المسلمين كانوا في يوم من الأيام قريبين من عهد رسول الله (ص) حين كان اللبس الثقافي الموروث قائماً منذ ٨٠٠ سنة قبل عهدهم، فإن ذلك لا يعفيهم من مغبة الوقوع في حبائل شياطين الإنس والجن ما لم يكونوا حذرين ويقظين وخصوصاً أنهم حديثو عهد بثقافة الإسلام الجديدة. وإلا فلم يحذرنا كتاب الله جميعاً من تحريف اليهود وتزويرهم في عدة آيات ومناسبات إذا كنّا بمأمن من ذلك؟ فها هو الغرب المستعمر المتحضر قد وقع في حبائل طرح أئمة اليهود بل حتى سواد أتباع اليهودية أنفسهم تمّ توجيههم بنجاحٍ إلى القبط بدلاً من مصر كما تبين لك. ولن يرضى الكثيرون منهم إذا علموا أن ما تمّ توجيههم إليه محض سراب، بينما تمّ احتواؤنا نحن أتباع خاتم الأنبياء كخصم معرفي وتمَّ توجيهنا إلى مصرٍ موهومةٍ في بلاد القبط بعد أن غفل آباؤنا عن تحذيرات الكتاب الكريم من أفاعيل أئمة اليهود. وما زلنا نحن والغرب نعيش نتيجة هذا التقصير إلى يومنا رغم أن مجموع عددنا أكبر بكثير من تعداد المسلمين في صدر الإسلام واطلاعنا المعلوماتي المتراكم يفوق بمئات المرات اطلاعهم، ومع ذلك فقد حدث لنا ما حدث! فما الغرابة من حدوث ذلك لهم؟ أليس من الإنصاف أن لا نلزمهم بما لا نلزم به أنفسنا؟ ثم أن هناك من كان يحتج على هذه الثقافات المشاعة البالية في صدر الإسلام، وكان هناك من يرد عليها برأي الإسلام. "فالسبعونية" لوثت حقائق وعلوم الجغرافيا والأجناس الإنسانية والأعراق والخلق والتكوين وغيرها من علوم ومعارف. وعلى سبيل المثال كان من المسلمين من يستنكر ما يشيعونه من أن حواء خلقت من ضلع آدم. ولو تتبعت أصل هذا الخبر لأوصلك سراعاً إلى "السبعونية". وعليه فقد كان هناك بين علماء المسلمين من ردّ على الثقافة "السبعونية" المتفشية ومثال على ذلك ما نقرؤه في هذا المقتبس "**سئل (أبو عبد الله الصادق) عن خلق حواء وقيل له أن أناساً عندنا يقولون أن الله عز وجل خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى؟ قال سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، أيقول من يقول هذا أن الله تبارك وتعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجته من غير ضلعه، وجعل لمتكلم من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام**

، **يقول إن آدم كان ينكح بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعه ما لهؤلاء حكم الله بيننا وبينهم**"(١٨٦) ونحن نتساءل من هم هؤلاء الناس الذين كانوا منذ عهد الصادق (ع) الحفيد الخامس لرسول الله (ص) يتناقلون ويبثون ثقافة "السبعونية" التي تصدى لها الصادق (ع) وغيره من علماء المسلمين في زمانهم؟ ولماذا وصل صوت هؤلاء الناس إلى مساجدنا اليوم بينما اختفى قول الصادق (ع) عن مسامعنا؟ من الواضح أن زخم ثقافة بالية عمرها ٨٠٠ سنة أقوى من أن تتغير في ٤٠ أو ٢٠٠ سنة بعد البعثة المحمدية لا سيما أن المسلمين لم يُنشئوا المؤسسات العلمية الجادة لتصفية ثقافتهم المشوبة بالتلبيسات التوراتية التي ورثوها عن أبائهم قبل البعثة، والتي يُفترض أن القرآن جاء مصححاً لما أحدثته من ميلٍ عن جادة الطريق (**وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا**)(النساء:٢٧). فحتى يومنا هذا تجد في مساجدنا من يرتقي منبر رسول الله (ص) ليلقن المسلمين بأن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر الأعوج وينسب هذا الخبر لمدينة العلم المحمدية. فلم نعجب من أبائنا ونحن على دربهم سائرون مادمنا ننتهج منهج التقليد الأعمى والنقل من غير تدبر، ثم إذا تدبرنا ووعينا لم نعمل بما تعلمنا وعلمنا؟!

ولكي يكون كلامنا في هذا الشأن ملموساً نورد هذا المثال: الق نظرة سريعة على الصورة في الصفحة التالية. ثم أجب على هذا السؤال: ماذا تبادر إلى ذهنك لأول وهلة عندما شاهدت الشخصية المعروضة في الصورة؟ هل تبادر إلى ذهنك مثلاً النعت الشائع "الهنود الحمر"؟ وإذا كنت من الحالات الاستثنائية التي لم يتبادر تعبير "الهنود الحمر" في ذهنها فكم تعتقد من الناس على وجه البسيطة لن يقفز هذا الاسم في أذهانهم؟ لقد علق اسم "الهنود الحمر" ثقافياً في وعينا وهو اسمٌ ووصف لا يمتّ بصلة قريبة أو بعيدة لقبائل الأباتشي وقبائل الأنكي والشايان والكادو والآدوى والعشرات(١٨٧) غيرها من سكان أمريكا الأصليين. ولن يرضى أحد من هذه القبائل أن تسميهم أو تنسبهم إلى غير مسمياتهم. ومع ذلك فقد نسفنا نحن بهذه الثقافة

---

(١٨٦) – الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص١٧.

(187)- Native American Indian Tribes and Languages http://www.native-languages.org/languages.htm#alpha

الخاطئة التي نحملها في وعينا تاريخ وتراث قبائل إنسانية يبلغ تعدادها أكثر من ١١٢ مليون نسمة[١٨٨] كانت تعيش لآلاف السنين على أرض تعرف اليوم بأمريكا الشمالية رغم أنف سكانها الأصليين. وإن هذا ظلم وبهتان لا ينبغي السكوت عنه، ولكنه مع ذلك تمكن من وعينا وثقافتنا ولن يكون من السهل اقتلاعه بعد أن استقر في لا وعينا إلا بالاستئصال وإعادة التثقيف. وهذا ما تفعله بعض المنظمات التراثية الثقافية المنصفة اليوم التي تروّج لنعت من يعرفون باسم الهنود الحمر "بسكان أمريكا الأصليين". فلو تدبرت في كيف تمّ إسقاط مسمى "الهنود الحمر" ثقافياً على قبائل الأباتشي وغيرها لتبين لك كيف أُسقط اسم مصر على القبط في ثقافة المسلمين الأوائل. فقد أقنع الربان كريستوفر كولومبس إمبراطور أسبانيا في سنة ١٤٩٢ ميلادية بأنه قادر على استكشاف طريق تجاري جديد يمكّن أسبانيا من الوصول إلى الهند غرباً بدل الطريق التقليدي المكلف الذي يلتف حول أفريقيا.



(١٨٨) – منير العكش، حق التضحية بالآخر- أمريكا والإبادات الجماعية، ص٦٩.

فأبحر كريستوفر بمباركة الإمبراطور والشعب الأسباني نحو الغرب. فما إن اصطدم بشواطئ أرض مجهولة — أمريكا — حتى اعتقد تحت هيمنة الثقافة المسبقة التي يحملها في ذهنه أنه وصل إلى شواطئ الهند الشرقية. فأعلن هذا الخبر العظيم في إمبراطورية أسبانيا ومستعمراتها وانتشر الخبر كالنار في الهشيم وأصبح شعب تلك الأرض يُعرف من يومها "بالهنود". فكان هذا الاسم نتيجة خطأ ولبس حدث في ذهن القبطان كولومبس بسبب سبقيات ثقافية خاطئة يحملها في وعيه. ثم دخل اللون الأحمر لاحقاً على أيدي الفرنسيين.

فهكذا كُتب ما يشبه "سبعينية" أخرى ولكن كان ضحيتها هذه المرة سكان أمريكا الأصليين. وهكذا صار يطلق عليهم اسم "الهنود" في أوربا. وكالعادة تلقفنا نحن في الشرق هذا الاسم من آلة التثقيف الغربي، وأخذنا نردده في الإشارة إلى سكان أمريكا تعارفاً لا تحقيقاً. فلماذا لا نعجب من أنفسنا لوقوعنا تحت هيمنة ثقافة وهمية تشكلت لدواعٍ تجارية على يد كريستوفر كولومبس، ونعجب من آبائنا لوقوعهم في نفس الخطأ تجاه قضايا تدور في فلك عقائدي مصدرها التوراة المتلفعة بعباءة خطيرة هي "هذا من عند الله".

ومن جهة أخرى، في ظل الإعلام الغربي القائم، لو عرضت صورة عربي مسلم اليوم على شخص غربي، فهل تعجب إذا ما تبادر إلى ذهنه نعت أو صفة "إرهابي"!؟ وهل تتأذي من هذا النعت السيئ الذي لا يمثلك ولا تتصف به؟ ومع ذلك فإن ثمة ثقافة هيمنت على الفرد الغربي وتلبست بوعيه ولا حول لك ولا قوة. فمن كتب لهم "سبعينية" الإرهاب الإسلامي الذي نحن ضحيتها اليوم؟

خلاصة الفصل:

١- بلورت "التوراة السبعونية" جزءًا هاماً من ثقافة الفرد العربي منذ أيام الجاهلية.

٢- ترسخت آثار الثقافة "السبعونية" منذ أيام الجاهلية وبقيت ماثلة في ذهن العرب حتى بعد ظهور الإسلام، وامتدت إلى يومنا هذا خاصة بسبب التشابه الظاهر بين ما جاء في التنزيل وما كان سائداً في الثقافة العامة.

٣- كان عرب الجزيرة العربية منذ أيام الجاهلية يتعارفون فيما بينهم على أن القبط هي مصر فرعون. وإن مصدر هذا التعارف هو"السبعونية" .

٤- بقيت مصر الوارد ذكرها في القرآن مجهولة الموقع حتى يومنا هذا بعد أن تم إسقاط هذا الاسم على القبط عن سابق إصرارٍ وتخطيط وترصد (**وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**)(آل عمران:٧٨).

٥- لم يفتح المسلمون مصر سنة ٢٠ هجرية، بل فتحوا القبط في ذلك الزمن، ثم تغير اسم القبط على لسان المسلمين لاحقًا وصارت تدعى مصر مما أدّى إلى استفحال الوهم.

٦- إن الفريق الذي وضع التوراة "السبعونية" هو أحد الجماعات الرئيسية التي حرّفت الكلم عن مواضعه، فاستبدلوا مفردة مصر والمصريين بمفردة "أجيبت واجيبشن" أي قبط والأقباط. وانتشر هذا التزوير في العالم القديم وامتد إلى اليوم.

٧- إن "السبعونية" تسببت في انقسام العالم ثقافياً إلى قسمين، فالغرب تمّ تثقيفه بمضامين "السبعونية" المزيفة وتعليم أجياله بأن القبط هي موقع أحداث موسى وفرعون. أما شعوب الشرق فقد تمّ احتواؤها وتوجيهها ثقافياً إلى بلاد القبط أيضا ولكن تحت اسم مصر، لأن ذاكرة الشرق تشهد أن الأحداث الفرعونية وقعت في منطقة تدعى مصر وليس القبط، فما كان من أبناء الشرق منذ أيام الجاهلية إلا أن أسقطوا اسم مصر على القبط لحل النزاع الثقافي الذي تبلور لاحقا بين الغرب والشرق. ثم زاد الضلال تجذراً بإسقاط اسم مصر على بلاد القبط ميدانياً وذلك بعد فتح بلاد وادي النيل، فوقعت البلبلة في تراث الشرق وكان الحل المعهود الأمثل هو السكوت وتحاشي المرويات المتناقضة.

٨- ساهم بطليموس بن فيلاذلفوس حاكم القبط أيام إصدار "السبعونية" في انتشار الوهم العالمي لأغراض سياسية اقتصادية. فهو لا شك كان يعلم بأن القبط ليست أرض أنبياء بني إسرائيل كما تدعي"السبعونية" ، ولكن تحويلها إلى أرض مقدسة يضفي عليها مكانة أكثر بروزاً وتأثيراً في العالم وهذا ما حدا به إلى تسويق الوهم في العالم القديم.

الفصل الثالث

البحث عن مصر

بعد أن اكتشفنا الوهم التراثي المتعلق بجغرافيا الأنبياء كما فصلنا في الفصل الأول، وحللنا أسباب تمكن هذا الوهم من ثقافتنا وثقافة آبائنا في الفصل الثاني، آن الأوان لتصفية ثقافتنا ممّا بثّ فيها أئمة اليهود من سموم. وذلك كي تتمكن هذه الأمة العظيمة من منابع نهضتها ومكامن عزتها. ولا ملاذ لنا سوى القرآن الكريم لننهل منه عذب ماء الحقيقة المغيبة بعد طول عطش الوهم والتيه اليهودي. فأين تقع مصر التي ورد ذكرها في كتاب الله، والتي ادعى فرعون ملكيتها؟ أين مصر التي كان بها كليم الله موسى عليه السلام وجده الصديق يوسف (ع) والمحتسب يعقوب (ع)، ومعهم بنو إسرائيل واليم والكثير من الأحداث والشخصيات والمعالم ذات الصلة. والأهم من ذلك، هل ثمة المزيد من المغالطات والخفايا التي ستتكشف لنا في طريق البحث عن هوية فرعون؟

عادة التيّمن وأثرها في التحقيقات الجغرافية التاريخية

كي نتمكن من البحث عن مصر التي ورد ذكرها في القرآن يجب علينا أن نعي أثر عادة التيّمن ومراعاة انعكاساتها في التحقيقات الجغرافية المستوحاة من السجلات التاريخية القديمة. وهذه العادة، أي عادة التيّمن، هي عادة قديمة لازمت الإنسان الأول منذ عصر آدم العاقل وامتدت إلى يومنا هذا وهي مرشحة للاستمرار مادام الإنسان موجوداً. وهي تمثل باختصار عملية تكرار مسميات المواقع الجغرافية والأعلام عبر حقب مختلفة من الزمن بقصد تخليد الذكرى والتفاؤل أي "التيّمن". بيد أن هذه العادة الإنسانية تسبب إرباكاً في الاستكشافات والتحقيقات الجغرافية-التاريخية ما لم تؤخذ بالحسبان أثناءها. كما يمكن توظيف تبعات هذه العادة بسهولة لإيقاع تزويرات وتحريفات متعمدة وتمريرها، وقد يقع اشتباه غير مقصود أحياناً

عند المحققين الجغرافيين بسبب تشابه أسماء مواقع وأعلام مختلفة. ولتقريب الصورة نطرح هذا السؤال: كم شخصاً من أقربائك أو أصدقائك أو معارفك يسمى "محمد"؟ لا بدَّ أنك سوف تحصي أكثر من شخص يحمل هذا الاسم الشريف في محيط المعارف، فلماذا هذا التكرر في هذا الاسم؟ فالجواب الغالب هو تيمناً وتخليداً لذكرى النبي محمد (ص) أو أحد الآباء والأجداد. ولكننا على علم ووعي أن من ندعو محمداً اليوم ليس المقصود به النبي محمد (ص) رغم تشابه الأسماء. وكذلك الحال مع الأسماء التي تُنقل من جد إلى حفيد بقصد تذكر الآباء وتخليد ذكراهم بعد مماتهم.

ولا إشكال في هذه الممارسة في الظروف العادية، ولكن المشكلة تكمن إذا وقع حدث مهم في تاريخ العائلة وفي عهد أحد الأجداد القدامى ثم سميت سلسلة من أحفاد هذا الجد تباعاً باسمه. فهل من المستبعد في غياب التحقيق العلمي أن يقع لبسٌ بعد ألف عامٍ أو ألفي عام في تحديد الجد الذي وقع الحدث المهم في عهده مع تكرار الاسم نفسه في العائلة بصورة متلاحقة ومتقاربة من تاريخ وقوع الحدث؟ فكذلك الحال مع المواقع الجغرافية. فما إن تستقر قبيلة أو عشيرة في مكان ما لحقبة مديدة ثمَّ تضطر للرحيل إلى موقع آخر جديد، فإن أول ما تقوم به هذه القبيلة أو العشيرة هو إطلاق اسم على الموقع الجديد. وانطلاقاً من عادة التيمّن، فكثيراً ما يتمّ إطلاق اسم مكرر على الموقع الجديد مستوحى من الذاكرة المتعلقة بالموطن القديم. وهذا ما نقرؤه بكثرة في التراث العربي ومثال على ذلك "**وأما صنعاء فإنما قيدت في هذه الرواية باليمن، احترازاً من صنعاء التي بالشام والأصل فيها صنعاء اليمن لما هاجر أهل اليمن في زمن عمر عند فتوح الشام نزل أهل صنعاء في مكان من دمشق فسمى باسم بلدهم**"[(١٨٩)]. فلو وصل خبر أن حدثاً ما وقع بصنعاء فإن ما يتبادر إلى الذهن فوراً هو صنعاء اليمن لشهرتها. ولكن قد يكون المقصود صنعاء دمشق التي لا يعلم بوجودها الكثير منا. وهنا يقع إرباك وخلط في تعيين موقع الأحداث بالاعتماد على ذكر الأسماء فقط.

---

(١٨٩) – ابن حجر، فتح الباري، ج١١، ص٤١٠.

ولم تتوقف هذه العادة في الأزمان الحديثة، فحتى في يومنا هذا توجد أسماء كثيرة مكررة في العالم وخصوصاً في المناطق المستوطنة حديثاً كاستراليا وأمريكا ونيوزيلندا حيث تجد أسماء مدن كبيرة في هاتين القارتين تتشابه مع قرى أو مدن في أوربا حيث أصل المهاجرين إلى الأراضي الجديدة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، مدينة واشنطن الأمريكية تحمل اليوم اسم قرية قديمة تقع إلى جانب مدينة نيوكاسيل البريطانية، فهذا يدل على أن أول من أطلق اسم واشنطن على السهول والمراعي التي تحولت في ما بعد إلى عاصمة أمريكا قد يكونون مستوطنين أوروبيين بريطانيين أتوا من هذه القرية وأطلقوا اسمها على هذه المدينة الأمريكية تيمناً وتخليداً لاسم موطنهم الأصلي وذكراه. وكذلك مدينة "نيو أورلينز" الأمريكية التي تحمل اسم مدينة "أورلينز" الفرنسية الشهيرة، ولا يخفى أن أكثر قاطني هذه المدينة الأمريكية من أصل فرنسي، فهم أيضاً القادمون الفرنسيون إلى الأرض الجديدة، والذي وصلوا إليها محمّلين بمتاعهم الأصلي من اسم وذكريات وأحلام سعوا لتثبيتها في أصقاع موطنهم الجديد، ابتداءً بالاسم. وحتى مكة التي تكتب لاتينيا (Mecca-Mekkah) فإن هناك اليوم ثمانية مدن وقرى تحمل هذا الاسم حرفياً في أمريكا الشمالية وحدها[١٩٠] تيمناً باسم هذه البقعة المباركة. ولا تقتصر ظاهرة التيمن بالاسم هذه على مسميات المدن والقرى بل تشمل المعالم الأرضية كالأنهار والسهول والوديان والبحيرات. فما إن يصطدم المهاجرون القدامى بنهر في الأرض الجديدة حتى يطلقون عليه اسماً مقتبساً من ذاكرتهم القديمة. فإذا لم يجدوا ما يمكن أن يتيمّنوا به استحدثوا اسماً جديداً كخيار أخير.

وهذا يفسر لنا تشابه الأسماء لمدن في العالم القديم، أي الجزيرة العربية وما يحيطها من بلدان. فنجد على سبيل المثال لا الحصر أسماء مكررة مثل صيدون ولبنان وصور وبتراء وقانا وصنعاء وظهران وحوران وغزة وغيرها، نجدها في اليمن والجزيرة العربية وسوريا القديمة. وحريٌ بنا أن نتساءل أي هذه المواقع التي تحمل نفس الاسم هو المكان الأصلي، وأيها يحمل اسماً أُطلق عليها للتيّمن، ولا سيما عند

[190] Indocom- http://www.indo.com/cgi-bin/dist?place1=mecca&place2=

النظر إلى أحداث ضاربة في الزمن تعود إلى عهد إبراهيم ونوح وآدم. فيوجد مثلا حي بمكة يدعى غزة وتوجد مدينة بفلسطين تدعى غزة فأيهم الاصل وايهم تيمّني؟ أمّا بالنسبة للجزيرة العربية بالذات فتكثر فيها الأسماء المكررة نتيجة هجرة القبائل والعشائر المستمرة من موقع إلى آخر عبر الأزمان السحيقة أي منذ عهد آدم العاقل إلى اليوم، انظر النموذج في الجدول أدناه[١٩١].

خلاصة القول أنه كلما ورد حدثٌ تاريخي مهم يُستدل عليه باسم ميداني لموقع جغرافي، أي مدينة أو قرية أو نهر أو حتى شخصية ضاربة في القدم، وجب التحقق من الموقع المذكور وعدم الخلط بين الأصل والتقليد أو الاسم الأصلي واسم التيمّن. فلعل حدثاً ما وقع في المكان الذي يحمل الأسم الأصل في جزيرة العرب يجرّ إلى موقع يحمل نفس الاسم في الجزيرة العربية نفسها أو خارجها، كما فعل اليهود عمداً أو كما فعلنا نحن سهواً، وهو ما سيتضح في التحقيقات التالية.

---

[١٩١] - زكي محمد علي فارسي، أطلس الخرائط للملكة العربية السعودية، الإصدار- ١.

التسلسل	الاسم	عدد مرات التكرار	بعض المواقع على إحداثيات الخرائط
١	النظيم	٣	Nn21-II16- P18-
٢	الثقيف	٩	Hh17-ff18-p15 N33-rr14-n32
٣	وادي رنية	٣	Ii18-d19-d25
٤	نفوذ السر	٤	N23-mn23 O22
٥	العزيزية	٤	Nn25-mm27 Mm18-d13
٦	الحداره	٤	Mm30-h22 Nn29-hh22
٧	المريخ	٣	Mm30-mm29 N29
٨	الداره	٦	Mm20-g19 Oo16-n10
٩	العدوه	٨	M25-mm9 M21-h18-p18
١٠	دربس	٣	P15-cc11-ll11

رحلات إبراهيم (ع) بين ترهات "السبعونية" والحقيقة

يمكن تقصي هوية فرعون الشخصية التي مازلنا نتحراها بالتحقيق في رحلات خليل الله إبراهيم (ع) الجغرافية والتي تفنن المحرفون في هندستها حسب مبتغاهم ليؤمّنوا لهم أرضاً تمتد عبر القارات تحت سطوة أسطورة الأرض الموعودة "الربانية".

ثم يمكن لنا بعد ذلك تعيين الأرض التي انتهى إليها الخليل، وحينئذ يمكننا تحديد وطن ابنيه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وكذلك موطن حفيده يعقوب وأبنائه يوسف (ع) وإخوته الأحد عشر، ومن ثم تعيين مصر التي حُمل إليها يوسف (ع)، والتي هي نفس الأرض التي أقام فيها حفيده الثالث موسى في عهد فرعون، حسب فهمنا الحالي.

اسم إبراهيم (ع) يُنقل إلى العراق

تفصّل التوراة المحّرفة رحلة الخليل إبراهيم (ع) منذ أن انطلق من أرض آبائه، حيث توّضح أن إبراهيم (ع) كان من سكان العراق في عهد الدولة الكلدانية (Chaldeans) وفي مدينة أور (Ur) تحديداً – وهي مدينة تقع قرب الناصرية حالياً- كما جاء في سفري التكوين ونحميا: "**وَأَخَذَ تَارَحُ إِبْرَامَ ابْنَهُ وَلُوطا بْنَ هَارَان ابْنَ ابْنِه وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْرَأَةَ إِبْرَامَ ابْنه فَخَرَجُوا مَعا مِنْ أورِ الْكِلْدَانيِّينَ لِيَذْهَبُوا إلى أرْضِ كَنْعَان فَاتُوا إلى حَارَان وَأَقَامُوا هُنَاك**"(التكوين: ١١-٣١).

"**وَقَالَ لَهُ: أنا الرَّبُّ الَّذِي أخْرَجَكَ مِنْ أورِ الْكِلْدَانيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هَذِهِ الأرض لِتَرِثَهَا**"(التكوين: ١٥-٧)

"**أنت هُوَ الرَّبُّ الإِلَهُ الَّذِي اخْتَرْتَ إِبْرَامَ وَأَخْرَجْتَهُ مِنْ أُورِ الْكِلْدَانيِّينَ وَجَعَلْتَ اسْمَهُ إِبْرَاهِيمَ.**"(نحميا: ٩-٧)

"**وَمَاتَ هَارَان قَبْلَ تَارَحَ ابيهِ فِي أرْضِ مِيلادِهِ فِي أورِ الْكِلْدَانيِّينَ.**"(التكوين:١١-٢٨)

إن هذه المقتطفات التوراتية وأخرى مشابهة لها هي كل ما احتاج أن يزوّره ويحّرفه فريق "السبعونية" ليتم نقل اسم نبي الله إبراهيم (ع) إلى العراق وجعله عراقياً من مواليد حقبة الدولة الكلدانية. فلننظر في هذا الخبر أهو حقيقة أم وهمٌ آخر دُسّ بليلٍ وانتشر في العالم تحت سطوة ادعاء "هذا من عند الله". ومن الجدير بالإشارة هنا أن الدولة الكلدانية عربية خالصة العروبة، مثلها مثل الدولتين البابلية والآشورية، وقد أسسها شيخ عربي كما نقل انستاس ماري الكرملي حيث يقول "**إن مؤسس الدولة الكلدية في العراق هو شيخ عربي ينتمي إلى القبائل العربية اسمه**

كلده"[192] وذلك يتطابق تماما مع نظام التسميات في الدول العربية اللاحقة مثل الدولة الأموية والعباسية والأيوبية..الخ، حيث تُسمى الدول باسم شخصية مهمة في تاريخ عائلة المؤسس أو قبيلته.

وقد ذكرنا سابقاً أن موسى عليه السلام خرج ببني إسرائيل من منطقة تدعى مصر، وهي غير جمهورية مصر العربية، وذلك قرابة سنة **١٣٠٠** ق.م كما أكد اليهود في مؤرخاتهم، مما حدا بهم لاتهام ملك القبط رعميس الذي حكم القبط في ذلك الزمن بأنه هو فرعون موسى(ع). لذا لا بدَّ أن يكون عهد إبراهيم (ع) متقدماً كثيراً عن سنة **١٣٠٠** ق.م طالما أن إبراهيم (ع) هو الأب السادس لكليم الله موسى. ويُرجع اليهود عهد إبراهيم (ع) إلى **١٩٩١-١٨١٦** ق.م[193] والأصح أنه كان حوالي سنة **١٧٠٠** ق.م. فما علاقة الحقبة التي كان فيها الخليل إبراهيم (ع) بمدينة أور في زمن الحقبة الكلدانية؟ لقد أنسى الله المزورين أن العهد الكلداني بدأ في حوالي سنة **٦٢٦** ق.م وانتهى في حوالي سنة **٥٣٩** ق. م[194]. أي أن الدولة الكلدانية نشأت وانتهت بعد عهد

---

(192) – انستاس ماري الكرملي، إبراهيم الخليل نسله وعصره:

http://www.alseyassah.com/alseyassah/opinion/view.asp?msgID=1616

(193) - MESOPOTAMIA- http://www.crystalinks.com/meso.html

(١٩٤) - نشأة الدولة الكلدانية: "في عام ٦١٢ ق. م.، سقطت مدينة نينوى بيد الأمير الكلداني " نبو بلاصر"، بعد أن حاصرها، ودكَّ حصونها .. فأحرق آخر ملوكها " سن شر أشكن " نفسه في قصره.. وهكذا انتهى النفوذ السياسي والعسكرى للآشوريين، وبدأت صفحة جديدة من تأريخ العراق القديم حمل فيها الكلدانيون مشعل الحضارة في وادي الرافدين. أشهر ملوك الكلدانيين " نبوخذ نصر ".. حكم ٤٣ سنة، قضاها في تعمير بابل... ولعل أعظم أعماله العمرانية، وأوسعها شهرة، الجنائن المعلقة التي عرفت في التاريخ بكونها إحدى عجائب الدنيا السبع.. وهي قصر عجيب بناه نبوخذ نصر لزوجته "أمانيس" بنت" استياكس" .ولأنها من سكنة الجبال، فقد أراد نبوخذ نصر أن يوفر لها مناخاً شبيهاً بمناخ المناطق الجبلية، فبنى قصرها هذا من عدة طوابق، وكل طابق فيه مكسو بالحدائق والأشجار، سحب المياه لسقيها بطرق غاية في البراعة والإبداع. ومن الإبداعات العمرانية التي زخرت بها مدينة بابل (باب عشتار)، المحفوظة ألان في متحف برلين. وقد زينت بآجر مزجج وملون بألوان زاهية، تبرز على جدرانها تماثيل جدارية تمثل الأسد والثور والحيوان الخرافي المسمى "

نبي الله إبراهيم بما يقارب ١٤٠٠ سنة. فمن أين عرفت التوراة "الحقبة الكلدانية" إذا كان المُفترض أنها نزلت في عهد موسى (ع) أي في حوالي سنة ١٣٠٠ ق.م؟! إن تصديق هذا الخلط التاريخي الزمني يشبه تصديق من يؤرخ مدّعياً أن جمال الدين الأفغاني كان من جلساء الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض)! ثم يُراد لنا أن نزدرد هذه المرويات ونسلّم بأمرها. ومن الجدير بالذكر أن التوراة "السبعونية" كانت على علم بحقبة الكلدان التي كانت تمثل قوة عظمى في ذلك الزمان، حيث جاءت بعدها بمئتي سنة تقريباً. إن هذا الخبر المُستنكر على كل حال طالما حيّر الكثير من الباحثين الغربيين المتخصصين في العلوم التوراتية، في جملة أخبار، حتى أنهم كتبوا فيه وحاولوا تحليل المآرب اليهودية وراء هذا التزوير الفاضح وخرجوا بنتائج مختلفة منها أن اليهود كانوا يحاولون فرض وجودهم في تاريخ العراق ومن ثم في أرض العراق بعد سقوط الدولة الكلدانية على يد حكام فارس الذين تحالفوا مع كهنة اليهود لإسقاط هذه الدولة، وذلك كما يرى العالم التوراتي المعاصر **(Gary Greenberg)** جاري جرينبرك[١٩٥]. ولكن يصعب أن تجد أذناً صاغية لهذه الحجج العلمية والموضوعية على مكتشفات التزوير وسط الصخب الإعلامي التوراتي الهائل. وفي المقابل فإن انكشاف هذا التزوير التوراتي الفاضح زاد آخرين تعنتناً وتمسكاً بما ورد في التوراة المتداولة بين أيديهم وهم على علم بما تحمله من تناقضات صارخة كما زادهم تصميماً على نشر هذا الضلال (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ**)(النساء:٤٤). فنجحوا في تمرير هذا التزوير الشنيع حتى اخترق عقول المثقفين الغربيين ناهيك عن العامة التي ألفت مناهج التقليد الأعمى.

وكي نتتبع أصل هذا التزوير ما علينا إلا الرجوع إلى "التوراة السبعونية" كما فعلنا سابقاً كي نكتشف كيف تمّ تغيير اسم مصر إلى قبط. ففي التوراة السريانية

مشخشو " وهو رمز الإله مردوك .." منقول عن:
.http://www.iraqiparty.com/pages/history.php

(195)- Myths of the Bible-How Ancient Scribs Invented Biblical History، Gary Greenberg. P 115-116

القديمة يُذكر اسمٌ لموقع ولادة إبراهيم لا صلة له بمفردة "الكلدانيين" ولكن هذه المفردة ظهرت في "السبعونية" بديلة للكلمة الأصل، تماماً كما ظهرت "قبط" بدلاً لاسم "مصر". ففي المقطع التوراتي التالي المتداول اليوم نقرأ:

"**وَمَاتَ هَارَان قَبْلَ تَارَحَ ابِيهِ فِي أَرْضِ مِيلادِهِ فِي أورِ الْكَلْدَانيِّينَ**"(التكوين١١-٢٨)

ويقابلها بـ"العبرية" السريانية الأصل:

"וימת הרן על־פני תרח אביו בארץ מולדתו באור כשדים׃"

وبالرجوع إلى جدول أبجديات السريانية المعدّلة (ما يُسمّى العبرية) لاستنطاق حروف الكلمة المعنية بقراءتها من اليمين إلى اليسار، نجد أنها تُنطق هكذا: كشديم او (كسديم). وبالرجوع إلى النص المترجم لنفس المقتطع التوراتي كما جاء في "السبعونية"، نجده مكتوباً كما يلي:

καὶ ἀπέθανεν Αρραν ἐνώπιον Θαρα τοῦ πατρὸς αὐτοῦ ἐν τῇ γῇ ῇ ἐγενήθη ἐν τῇ χώρᾳ τῶν Χαλδαίων.

مرة أخرى نراجع جدول أبجديات الحروف الإغريقية الوارد أعلاه، ونقرأ من اليسار إلى اليمين لنجد أن فريق "السبعونية" حوّل "كشديم" أو "كسديم"[١٩٦] إلى "كالدون" أو "كلدون" ؟!. فلك أن تحكم على دقة هذه الترجمة التي بدّلت ما يُفترض أنه اسم علمٍ باسم علم آخر لا صلة له به.

بيد أن هذا التزوير والتحريف لموقع ولادة الخليل إبراهيم لم يلبث أن انتشر في العالم الغربي تحت ظلال سلطة الإغريق المهيمنة على العالم آنذاك كما لو كان اكتشافاً جديداً، واستمر كذلك أكثر من ٨٠٠ سنة حتى البعثة المحمدية وتعداها إلى يومنا هذا. أمّا نحن ضحايا آفة التزوير والتحريف فقد تلبست في وعينا وثقافتنا

---

(١٩٦) - كشديم الواردة في التوراة السريانية أيضاً ليست دقيقة حيث هناك بعضاً من علماء الألسن ممن يرى أن أخطاء وقعت في ترجمة التوراة السريانية أثناء تصويت الحروف الساكنة فتم بذلك ترجمة فعل "قصد" إلى اسم "كشد".

التراثية هذه الأوهام والضبابية والتشويش وتسللت إلى كتبنا التاريخية ومن ثمَّ إلى مساجدنا ومحافلنا القديمة والحديثة وصولاً إلى مناهجنا التعليمية، مما أسهم في توغل هذا الوهم وتجذره في ثقافتنا وتمكنه من وعينا. ويظل المستفيد الأول من هذا الإضلال هم أئمة اليهود الذين نجحوا في إدراج العراق أيضاً ضمن قائمة خريطة "الأرض الموعودة" بعهدٍ "من عند الله". فجعلونا نعترف بل نسوّق عقائدياً ادعاءاتهم الباطلة.

ولأن خبر دخول العراق في حياة نبي الله إبراهيم (ع) مزور ومتعسر الهضم، فقد انعكس ذلك على منقولات المؤرخين العرب الذين أسرتهم هيمنة ثقافة وهمية عمرها أكثر من ثمانية قرون قبل البعثة، فأخذوا يعتذرون ويبررون لليهود فضيحة مجئ الدولة الكلدانية في "التوراة المقدسة" رغم أن عهدها بعيد كل البعد عن زمن نزول التوراة ناهيك عن زمن إبراهيم (ع). فبدلاً من مطالبة اليهود بالحقيقة ومعاتبتهم على افترائهم وتقولهم على الله جلَّ وعلا كذباً، أخذ بعضهم يرفع الحرج عن اليهود بزعمه أنهم كانوا يعنون "بابل" عندما ذكروا "الكلدانيين" في التوراة! حيث أن الدولة البابلية تسبق الدولة الكلدانية بقرون كثيرة وتتزامن حقبتها مع عهد موسى (ع). فأسسوا عن حسن نية "مخرجاً شرعياً" لليهود وقاهم شرّ الفضيحة. وقد انعكست هذه البلبلة والضبابية الناتجة عن التزوير على كتابات المؤرخين العرب، فأدّت ببعضهم إلى نقل جميع الأقوال المتضاربة بشأن موضع ولادة إبراهيم (ع)، فيما نقل آخرون عن اليهود أقوالهم دون تعليق وسعى غيرهم للتصحيح والترجيح بحسن نية وحسب اجتهادهم، فأنتجت تبعات نقلهم للتزوير ثقافة وهمية في وعينا نحن أجيال اليوم تتضارب مع شهادة الأرض وعلوم الآثار والعقل والمنطق.

وهذه عينة مقتبسة من أقوال مؤرخينا حول موقع ولادة نبي الله إبراهيم (ع). فصاحب المنتظم ينقل لنا صورة عن اختلاف علماء زمانه حول البلاد التي احتضنت مولد أبي الأنبياء وأحد أشهر الشخصيات العالمية في الماضي والحاضر "**واختلفوا في المكان الذي ولد فيه فقال بعضهم ولد في بابل من أرض السواد وقال بعضهم بالسواد بناحية كوثى وقال بعضهم ولد بالسوس من أرض الأهواز وقيل كان**

بناحية كسكر ثم نقله أبوه إلى ناحية كوثى وهي المكان الذي كان به نمرود وقيل كان مولده بحران ولكن أباه نقله إلى أرض بابل"[197].

وفي مكان آخر نجد "مخرجاً شرعياً" إضافياً لتزوير كان الأجدر التدبر فيه وتتبع أصوله بدل المرور عليه مرور الكرام: " **وروى ابن عساكر من غير وجه عن عكرمة أنّه قال كان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان قالوا ولما كان عمر تارخ خمساً وسبعين سنة ولد له إبراهيم عليه السلام وناحور وهاران وولد لهاران لوط وعندهم أن إبراهيم عليه السلام هو الأوسط وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد فيها وهي أرض الكلدانيين يعنون أرض بابل ..**"[198]

وينقل صاحب الأنس الجليل أقوالاً تمَّ ترجيحها حسب تعبيره لصالح ما جاء في "التوراة السبعونية" دون أن يوضح المعيار الذي تمّ على أساسه هذا الترجيح "**وجعله أبا الأنبياء وتاج الأصفياء ونصرة أهل الأرض وشرف أهل السماء وكان مولده عليه السلام بكوثا من إقليم بابل من أرض العراق على أرجح الأقوال**"[199].

وإن ما كنا نخشاه من تصدّر ثقافة أهل الكتاب الملوثة كمنهل معرفي لأهل القرآن نجده في هذا المقتبس "**لوط ابن أخي إبراهيم الخليل فإبراهيم وهاران وناحور إخوة كما قدمنا ويقال أن هاران هذا هو الذي بنى حران وهذا ضعيف لمخالفته ما بأيدي أهل الكتاب والله أعلم**"[200].

الموقع الحقيقي لمولد نبي الله إبراهيم (ع) والهجرة إلى مكة

بعد أن تبين لنا أن فريق "السبعونية" أخفى الموقع الحقيقي لمولد نبي الله إبراهيم (ع) وحرّفه إلى العراق وجب علينا إعادة قراءة "القرآن الكريم كما نزل" بالترافق مع

---

(١٩٧) - أبو الفرج، المنتظم، ج١، ص٢٥٩.

(١٩٨) - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص١٤٠.

(١٩٩) - العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص٢٧.

(٢٠٠) - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٢٠٢.

الشـذرات المترامية هنـا وهنـاك مـن الأخبـار ذات الصـلة ﵟ الـتراث العربـي، والـتي لم يعرهـا الكـثير مـن المفسـرين أدنـى اهتمـامٍ لتناقضـها مـع الثقافـة المهيمنـة ﵟ عهـودهم والتي أثبتنا تلوثها بمدخلات "السبعونية". فالآيات ٥١-٥٧ مـن سـورة الأنبيـاء تـورد لنـا الأحـداث الـتي مـرّ بهـا نـبي اللّه إبـراهيم (ع) أثنـاء تواجـده بـين قومـه والـتي أدت إلى خروجه من ديار آبائه إلى أرض دعاها اللّه جلَّ وعلا : (**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**)(الأنبياء:٧١). فنقرأ قوله تعالى: (**قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ**) (الأنبياء:٦٢-٧٢).

تؤكد هذه الآيات النورانية أن الخليل انتقل فعلاً من ديار آبائه بعد أن وُضع ﵟ النار نتيجة مقارعته أئمة الضلال ﵟ عصره. فانتقل إلى موقع جغرافي آخر إلى أرض نعتها اللّه تعالى بالمباركة عالميا. فما هـي الأرض الـتي عُـرف أنها مباركة وتميـزت بمعرفة العالم لها منذ أقدم العصور؟ بالبحث ﵟ التراث نجد أن مكة كانت مقصد إبراهيم (ع) بعد خروجه من موطن الآباء، بيد أن هذه الحقيقية خولطت بشبهات وعوالق أثـرّت حتـى علـى تفسـير المفسـرين وأحاديـث المـتكلمين. ولـو استعرضـنا فهـم المفسرين للآية (**الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**) لوجدنا تبايناً عجيباً وترجيحات أعجب: "**حدثني يونس قال أخبرنا بن وهب قال قال بن زيد ﵟ قوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين قال إلى الشام وقال آخرون بل يعني مكة وهي الأرض التي قال الله تعالى التي باركنا فيها للعالمين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن بن عباس قوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين يعني مكة ونزول إسماعيل البيت ألا ترى أنه يقول إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا**

وهدى للعالمين قال أبو جعفر وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام وبها كان مقامه أيام حياته وإن كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر غير أنه لم يقم بها ولم يتخذها وطنًا لنفسه ولا لوط والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما انجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين"(٢٠١).

هنا يتبين لنا أن ذاكرة العرب تحوي حقيقة أن مكة هي الأرض التى نُجيّ إليها إبراهيم، بيد أن ثمة متوارثات سائدة مبهمة كانت مهيمنة آنذاك وهي التي أدّت إلى تهميش هذه الحقيقة وطغت على غيرها من أقوال. وإن أمثال أبا جعفر الوارد اسمه في المقتبس أعلاه له أثر في بناء ثقافة أجيال الأمس وأجيال اليوم مثله مثل أي متحدث يرد له رأي في كتب التاريخ. فقد رجح لنا أبو جعفر الشام على مكة لأنّه كما يقول "**لا خلاف بين جميع أهل العلم**..". هذه المقولة الحاسمة نسمعها حتى اليوم، وهي ذات أثر نفسي فعّال في إخماد أي رأي مخالف أو مستفسر، ونسمعها في معرض التراشق على ألسن المختلفين وكأن لكل كتلة مذهبية "**أهل علم**" يختلفون عن الآخرين. وتكون الغلبة عادة لا لمن جاء بالحجة والبرهان بل لمن مالت إلى رأيه السلطة الحاكمة آنذاك، فتدور آلة الإعلام السلطوية تروّج للرأي الذي يناسبها حتى يختفي الرأي الآخر من ثقافة الناس ووعيهم ويبقى في أحسن الحالات رهين صفحات الكتب القديمة في انتظار من يبعث فيه الحياة بعد أن يثبت فساد الرأي الشائع بين الناس. فماذا عن "الآخرين" المذكورين في الكلام أعلاه، والذين قالوا إن إبراهيم (ع) هاجر إلى مكة وليس إلى الشام، هل هؤلاء مصنفون من أهل العلم؟ أم إنهم دون ذلك؟ هذا علماً أن خبر مكة منسوب لحبر الأمة ابن عباس في عدة مواضع(٢٠٢)،(٢٠٣). ثم إن هذا الإجماع الذي تمَّ حسمه بين أهل العلم كما صرح أبو جعفر في ذلك الزمن، هل تمَّ

---

(٢٠١) – الطبري، التفسير، ج١٧، ص٤٧؛ وانظر: ابن كثير، التفسير، ج٣، ص١٨٦. (باختلاف في الألفاظ).

(٢٠٢) – ابن كثير، قصص الأنبياء، ج١، ص١٩١.

(٢٠٣) – الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج٧، ص١٠٠.

بآلية يمكن اعتمادها عبر الأحقاب المتوالية أم هو توافق فريق معين على رأي قام بفرضه على أجيال الأمة بأكملها؟ وما حكاية هذا التبرير الغريب لتفريق إبراهيم (ع) عن عائلته بادعاء أن الله أنجى إبراهيم ولوطاً إلى الأرض المباركة وهي الشام وبعث بهاجر وابنها إسماعيل إلى أرض غير مباركة وهي مكة؟! وماذا عن زوجة إبراهيم (ع) سارة التي لم يرد اسمها أو ضمير عائد إليها في الآية؟ هل هي من أصحاب الشام المباركة؟! أم أرسلت هي الأخرى إلى الأرض غير المباركة مع هاجر وإسماعيل؟ طبعاً لا يجرؤ أحد أن يقول إن القدس هي مبرر بركة الشام المبهمة لأن قدس الشام لم يكن لها وجود هناك في عصر إبراهيم (ع). فجلّ وجودها هناك يعود لزيارة النبي الجليل إلى الشام حسب خط الرحلات الذي رسمته التوراة السبعونية للنبي الجليل وعائلته وغنماته في قارات العالم.

ما نود أن نلفت الانتباه إليه، هو ضرورة التحقيق في المرويات ولو نسبت إلى الرسول الأعظم (ص) نفسه لكثرة المتقوليّن عليه، فما بالك بمن هم دونه. ولو نظرت في كل خبر يُلحق إبراهيم (ع) قسراً بالشام لوجدت فيه ثغرات تعجب كيف مرت دون تعليق أو تحقيق حتى على الناقل نفسه. فلو تتبعت المنقولات عن سبب كون الشام "**مباركة للعالمين**" لوجدت الأسباب محصورة في هذا القول " **وقال الجبائي: أراد أرض الشام وإنما قال للعالمين لما فيها من كثرة الأشجار والخيرات التي ينتفع جميع الخلق بها إذا حلوا بها. وإنما جعلها مباركة، لأن أكثر الأنبياء بعثوا منها، فلذلك كانت مباركة. وقيل: لما فيها من كثرة الأشجار والثمار.**"[٢٠٤] من هذا التبرير نفهم أن العراق، موطن أكبر حضارات العرب المتلاحقة منذ حوالي سنة ٥٠٠٠ ق.م إلى عهد رسول الله (ص) من بابليين وآشوريين وأكاديين وكلدانيين وغيرهم، لم يكن بها أنهار ولا ثمار ولا أشجار. فلذلك أنجاه الله من جحود بني قومه ومن نار الحريق إلى الشام حيث الثمار والأشجار؟! وأمّا عن كثرة الأنبياء في الشام فهذا ما لا يقوله كتاب الله بل هو قول أئمة اليهود القدماء، حتى أن أحفاد اليهود جادلوا خاتم المرسلين (ص) حول هذا الادعاء الذي نجح آباؤهم في ترويجه حتى استقر بين الناس كحقيقة

[٢٠٤] - الطوسي، التبيان، ج٧، ص٢٦٣.

مسلمة يُحرم النظر فيها ناهيك عن التشكيك فيها . فنقرأ في التراث هذه المجادلات "**قال ابن عباس: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما قدم المدينة حسدته اليهود مقامه بالمدينة ونظام أمره بها فقالوا بأجمعهم: لقد كرهنا قرب هذا الرجل فلا نأمن منه أن يفسد علينا ديننا فاجتمعوا عنده يوماً فقالوا يا محمد أنت نبي؟ قال: نعم قالوا من عند الله؟ قال نعم فقالوا: والله لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء وإن أرض الأنبياء الشام كان بها إبراهيم والأنبياء بعده فإن كنت نبياً مثلهم فأتِ الشام فإن الله سيمنعك بها من الروم إن كنت نبيًا وهى المقدسة وأرض المحشر، وأن الأنبياء لم يكونوا بهذا البلد**"(٢٠٥). كما ينقل صاحب التبيان نفس المعنى بقوله "**وقال المعتمد ابن أبي سليمان عن أبيه: الأرض التي أرادوا استنزلاه منها: هي أرض المدينة، لأنّ اليهود قالت له: هذه الأرض ليست أرض الأنبياء وإنما أرض الأنبياء الشام**"(٢٠٦).

فنحن بترديدنا مقولة إن الشام هي أرض الأنبياء إنما نروج لبضاعة ثقافية يهودية قديمة لم يفكر إلا القليل منا في وضعها على محك التحليل والمطالبة بالحجة والبرهان خصوصاً بعد أن بعث الله خاتم الرسل (ص) من أمّ القرى - مكة — وفيها ليكون رسولاً لكل الأسرة الإنسانية على وجه الأرض. فكيف تكون الشام أرض الأنبياء وخاتمهم يخرج من أم القرى؟! ولابد هنا من التأكيد على حقيقة أنه ما من نبي بعثه الله إلا في مكة - أمّ القرى- أو حولها فقط لا غير وذلك بنصّ القرآن نفسه كما سيتبين لك لاحقاً، ثمَّ انتشروا في الأقطار بأمر الله كما كان الحال مع نبي الله إدريس (ع) حيث توجه إلى القبط داعياً إلى الله. ليس هذا وحسب بل حوّل الله تعالى رسوله الأعظم (ص) من قبلة أهل الكتاب بالشام إلى قبلة يرضاها (**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**)(البقرة:١٤٤) وما يرضى الرسول إلا بما يرضى به الرب وعكس الرضا السخط، وقد كان له ما يريد بإذن الله، فجاءه الوحي بخبر هز أركان يثرب ومَن بها من عوام أهل الكتاب وخواصهم بل أربك حتى الأميين إذ

---

(٢٠٥) – الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص٤٠٧ .

(٢٠٦) – الطوسي، التبيان، ج٦، ص٥٠٨ .

أمر تعالى رسوله بأمره (**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**)(البقرة: ١٤٤). ثم كشف اللّه تعالى عن الغرض من هذا التحويل حيث تبين أنه ما أبقى نبيه على القبلة الموروثة إلا ليمتحن أتباع رسوله بامتحان صعب، وهو الامتحان الذي سقط فيه الكثيرون كما قال تعالى (**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**)(البقرة:١٤٣). وبالفعل اكتشف الكثيرون أنهم لم يستطيعوا احتمال تطبيق رضا اللّه ورسوله بتصحيح القبلة حين تم تحويلها من الشام إلى مكة، فارتد الكثيرون ممن كانوا يرتضون اعتناق دين محمد (ص) شريطة أن يحملوا معهم مقدسات وزينة الماضي في خروجهم إلى اللّه مع خاتم المرسلين (ص).

وعندما امتحنهم اللّه في هذا الشرط انقلب الكثير منهم على عقبيه وارتد القهقرى، ولا ندري إن كان هذا الامتحان قد انتهى أم ما زال ساري المفعول في أمة محمد (ص) المعاصرة. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن علماء أهل الكتاب كانوا يعلمون أن القبلة التي يرضاها اللّه ورسوله لم تكن في الشام قط، بل كانت دوماً المسجد الحرام منذ سكنها آدم أبو البشر (**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**)(البقرة: ١٤٤). بلى، لقد كان الذين يخفون الحقيقة عن الناس من علماء أهل الكتاب يعلمون أن ما فعله محمد (ص) من تحويل القبلة هو عين الحق. فتصحيح القبلة هو أحد أفضال رسالة خاتم المرسلين التصحيحية، والرجوع عن هذا التصحيح هو رجوع إلى ظلمات الهوى (**وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**)(البقرة: ١٤٥). ويمكن للقارئ أن يتصور ما مر به الرسول الأكرم من ضغوط مجتمعية وتسقيط وأقاويل وبهتان بعد أن أشاح بوجهه الكريم وبكل شجاعة محمدية عن قبلة الشام ليتوجه إلى القبلة الربانية الأصيلة. وهو موضوع ذو شجون بأية حال وله بحث خاص.

عـوداً إلى الأرض المباركـة للعـالمين وسـؤالنا الملـحّ: أيـن تقـع هـذه الأرض المباركـة للعالمين؟ من يعـرف بقعـة أرضٍ احتضـنتها بركـات السـماء؟ أي هـذه البقـاع علـى الكـرة الأرضـية عرفـت فضـلها الأمـم بـاختلاف أجناسـها وأطيافهـا وألسـنتها فشـدت إليهـا الرحال براً وبحـراً وجـواً كل عـام يـأتون مـن كـلّ فـج عميـق أمـام مـرأى العـالم السـالف والمعاصر؟ أي بقعة عرفت فضلها الأمم منذ أقدم العصور، ومنـهم الفـرس علـى سـبيل المثال لا الحصر، فحجّوا إليها أحقاباً حتى قبل البعثة المحمدية بمئات السـنين؟ ينقـل المؤرخون عن الإخباريين في شأن أممية مكة "**ـوإن الفرس قد كانت في سالف الدهر تقصد البيت الحرام بالنذور العظام تعظيما لإبـراهيم الخليل عليـه السلام بابنـه وأنـه عنـدهم أجـل الهياكـل السـبعة المعظمـة، والبيـوت المشـرفة في العـالم وأن رجـلاً تولاه فأعطاه المدة والبقاء، واستشهدوا بقول بعض العرب في الجاهلية:**

زمزمت الفرس على زمزم وذاك في سالفها الأقدم

وقول من قال منـهم أن منوشـهر الـذي ترجـع إليـه الفـرس جميعـا في أنسـابها هو منشخر بن منشخرباغ ، وهو يعيش[٢٠٧] **بن ويزك**[٢٠٨] **وويزك هـو إسـحاق بـن إبراهيم الخليل واستشهادهم بقول بعض شعراء الفرس في الإسلام مفتخرًا**

أبونا ويزك وبه أسامي إذا افتخر المفاخر بالولادة"[٢٠٩]

ويوضـح المقتبس المذكور أعـلاه أن مكـة كانـت مترسـخة في ذاكـرة الأمـم القديمـة. كيـف لا وقـد ورد ذكرهـا في أحـداث أول إنسـان جدنا الأكبر آدم وأبنـاءه مـروراً بجميـع الأنبياء منذ آدم إلى خاتم المرسلين محمد بن عبد الله (ص)، ممّا يفسـر تجذر العلاقـة الأممية بمكة وارتباط بني آدم جميعاً بمـوطن الأب الأكبر لهذا الجـنس الإنسـاني. فهـا

[٢٠٧] – من الواضح أن المقصود كما جاء بألفاظ الألسن القديمة هـو يعيص أو عيص بـن إسـحاق أخ يعقوب عليه السلام.

[٢٠٨] – يُلفظ يزك بالألسن القديمة أيضا(يساك/يسحاك/يسحاق/إسحاق).

[٢٠٩] – المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٩٥؛ نقل نفس الخبر ولكن بألفاظ مختلفة: ياقوت الحمـوي، معجم البلدان، ج٣، ص١٤٧.

هو اليعقوبي ينقل أخبار مكة كما جاءت في ذاكرة الإخباريين العرب القدامى الحاملين لتاريخ هذه المنطقة الحيوية من العالمين الحديث والقديم، والذين يُعّبر عنهم في المقتبس التالي "بالقوم" أو "بعضهم" : "**وأخرج الله آدم وحواء مما كانا فيه، فيما يقول أهل الكتاب، في تسع ساعات من يوم الجمعة، وهبطا إلى الأرض، وهما حزينان باكيان، وكان هبوطهما على أدنى جبل من جبال الأرض إلى الجنة، وكان ببلاد الهند، وقال قوم: على أبي قبيس، جبل بمكة، ونزل آدم في مغارة في ذلك الجبل سماها مغارة الكنز، ودعا الله أن يقدسها. وروى بعضهم أن آدم لما هبط كثر بكاؤه، ودام حزنه على مفارقة الجنة، ثم ألهمه الله سبحانه أن قال: لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، عملت سوءاً وظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم ! فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه واجتباه، وأنزل له من الجنة، التي كان فيها، الحجر الأسود، وأمره أن يصيره إلى مكة، فيبني له بيتا، فصار إلى مكة وبنى البيت، وطاف به، ثم أمره الله أن يضحي له، فيدعوه ويقدسه، فخرج معه جبريل حتى وقف بعرفات، فقال له جبريل: هذا الموضع أمرك ربك أن تقف له به. ثم مضى به إلى مكة، فاعترض له إبليس، فقال: ارمه ! فرماه بالحصى، ثمَّ صار إلى الأبطح، فتلقته الملائكة، فقالت له: بر حجك يا آدم ! لقد حججنا هذا البيت قبلك ألفي عام**"(٢١٠) وحيث ذكر اسم جبل أبي قبيس المطل على الكعبة المشرفة في قبالة بلاد الهند وقع التيه والتشتت. ولكن هل ترتفع هذه الغمّة إذا علمنا أن هناك أيضا جبلاً محاذياً لبطن مكة يدعى جبل هندى (انظر خريطة رقم ١٥)(٢١١). فيكون الإشكال بين جبلين محيطين ببطن الوادي المكي وليس جبلاً بمكة وبلاد في شرق الكرة الأرضية.

والجدير بالذكر أن المنطقة الواقعة على مقربة من جبل هندى بمكة تسمى إلى اليوم بمنطقة الهنداوية (انظر خريطة ١٦). فمن ذا الذي استبدل كلمة "جبل" بكلمة "بلد" فحرّف الحقيقة بجرة قلم؟ وفتح بذلك الباب لسيل من التكهنات والإسرائيليات

---

(٢١٠) – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٥.

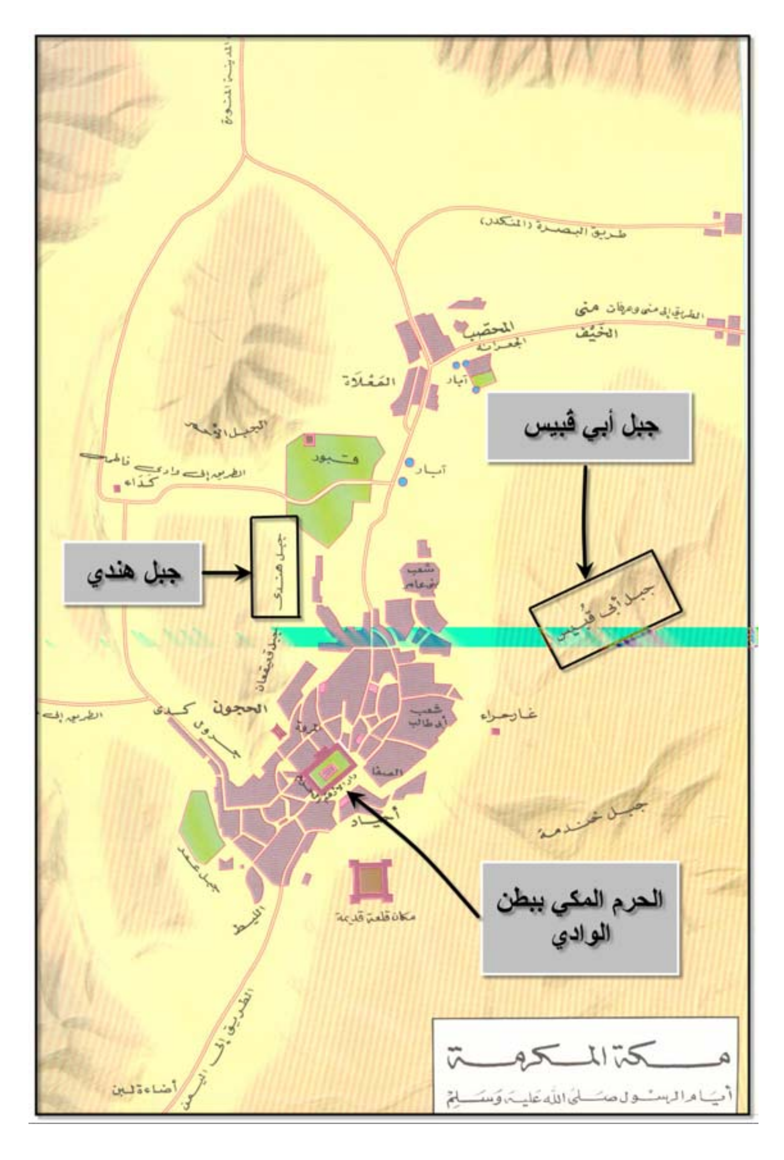
(٢١١) – حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٦٢.

مما نجد حتى في كتب المؤرخين كما نقل صاحب الدر المنثور قائلاً "**وأخرج ابن جرير في تاريخه عن ابن عمر قال ابن عمر إن الله أوحى إلى آدم وهو ببلاد الهند أن حج هذا البيت فحج فكان كلما وضع قدمه صار قرية وما بين خطوتيه مفازة حتى انتهى إلى البيت فطاف به وقضى المناسك كلَّها ثم أراد الرجوع فمضى حتى إذا كان بالمازمين تلقته الملائكة فقالت بر حجك يا آدم فدخله من ذلك فلما رأت ذلك الملائكة منه قالت يا آدم إنا قد حججنا هذا قبلك قبل أن تخلق بالفى سنة فتقاصرت إليه نفسه**"[٢١٢].

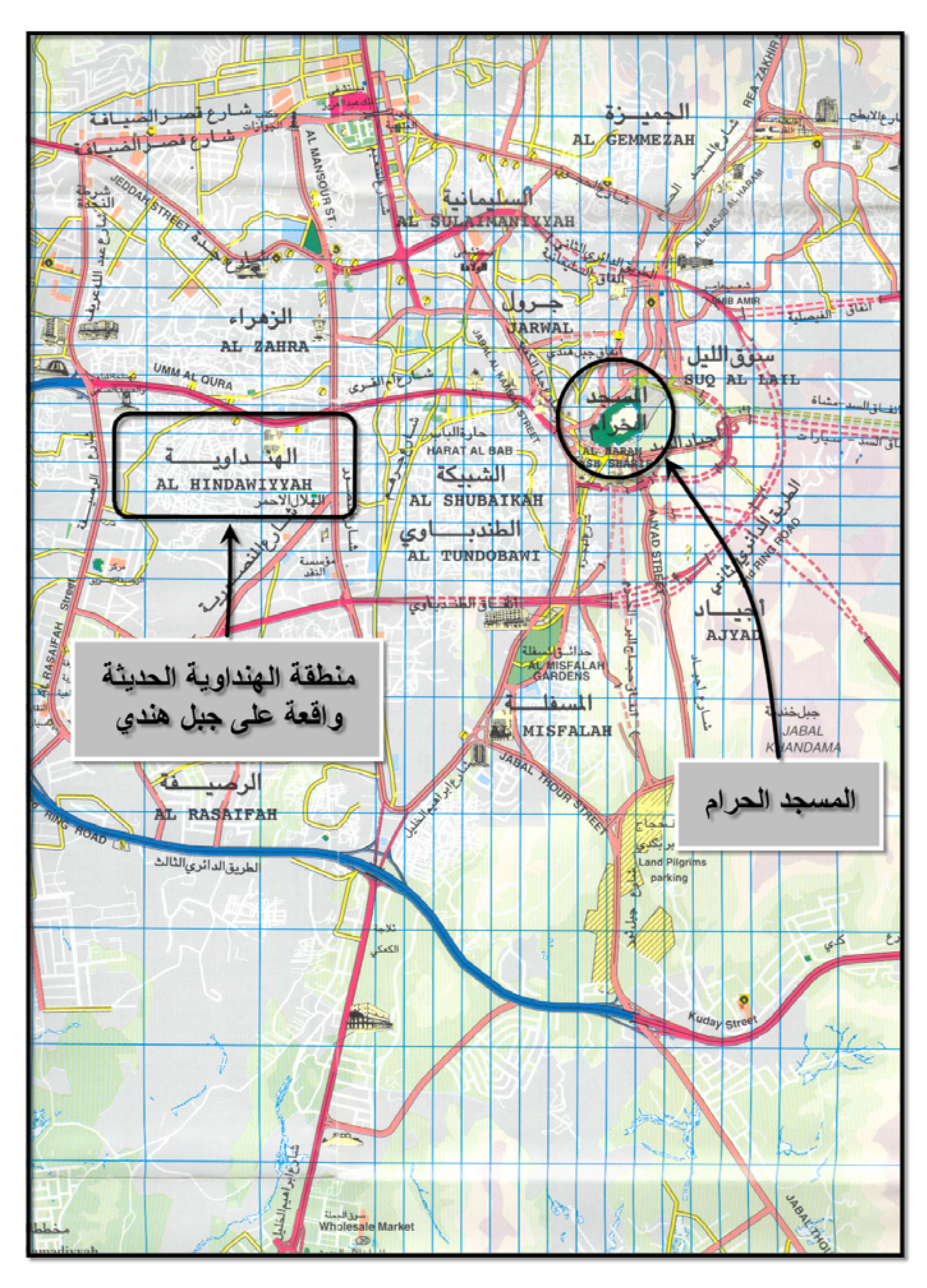
فأي بيت هذا الذي يحجّه آدم أبو الإنسانية وهو ببلاد الهند؟ طبعا كان لا بدَّ من رأب هذا الصدع ولكن بما يزيد الطين بلة، فالإسرائيليات تعشعش في الضبابية والتشويش. فنجد آدم هذه المرة ينثر القرى في خط سفره القاري من الهند إلى مكة بخطوات صاروخية.

---

[٢١٢] – جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج١، ص٥٦.



خريطة رقم ١٥: جبل هندي هو احد جبال مكة يقع مقابل لجبل أبي قُبيس وكلاهما مطلّان على الحرم المكي



خريطة رقم ١٦: منطقة الهنداوية بمكة المكرمة تقع على سفح جبل هندى المقابل لجبل أبي قبيس.

فهل في أقوال العرب الأميين دقة وعقلانية أم هو صدىً لما دسه أئمة اليهود في عقولنا وثقافتنا لينتهي به المطاف في كتب تراثنا؟ أضف إلى ذلك فإن ذاكرة العرب تعلم أين دُفن آدم مهما بدت الأحداث المروية مشوشة "**ثم إن ساماً خرج ومعه ابنه، فعرض لهما الملك، فلم يزل معهما حتى صار بهما إلى الموضع الذي أمروا أن يضعوا جسد آدم فيه، فيقال إنه بمسجد منى عند المنارة، ويقول أهل الكتاب: بالشام في الأرض المقدسة**"[(٢١٣)] وأمّا الطبري فينقل مزيداً من التفصيل "**فأما شيث عليه السلام فقد ذكرنا بعض أمره وأنه كان وصى أبيه آدم عليه السلام في مختلفيه بعد مضيه لسبيله وما أنزل الله عليه من الصحف وقيل أنه لم يزل مقيما بمكة يحج ويعتمر إلى أن مات وأنه كان جمع ما أنزل الله عز وجل عليه من الصحف إلى صحف أبيه آدم عليه السلام وعمل بما فيها وأنه بنى الكعبة بالحجارة والطين وأما السلف من علمائنا فإنهم قالوا لم تزل القبة التى جعل الله لآدم في مكان البيت إلى أيام الطوفان وإنما رفعها الله عز وجل حين أرسل الطوفان وقيل إن شيث لما مرض أوصى ابنه أنووش ومات فدفن مع أبويه في غار أبى قبيس**"[(٢١٤)] .كما وينقل الأميني "**هو مدفن أول الأنبياء آدم عليه السلام فإنه توفي بمكة ودفن عند الجبل الذي اهبط منه في الهند، وقيل بجبل أبي قبيس بمكة**"[(٢١٥)] . فلماذا اندرس قول العرب الإخباريين الأميين حول ما ازدهرت به أرضهم من تاريخ وأحداث وغلب قول أهل الكتاب العرب الذين ماانفكوا يدفعون بآدم إلى الشام أو الهند؟ هل لأن العرب في أيام الجاهلية لم يملكوا سلاح "هذا من عند الله" ؟ فصار كلامهم في ما يخص تاريخ الأرض التي توارثها أباً عن جدّ ظنوناً ومحلَّ شكّ.

ومادمنا نتحدث عن مكان تواجد ادم أبي البشر فلابد من ذكر حواء أمنا التي تركت هي الأخرى حتى اليوم موقعاً ينوّه باسمها . وهذا الموقع المقصود يقع على بعد ٧٥ كلم من مكة المكرمة ويحمل اسم "جدة" بمعنى أم الأم وقد غدت هذه الصفة اليوم

---

(٢١٣) – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١ ، ص١٧ .

(٢١٤) – ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، ج١ ، ص١١٠ .

(٢١٥) – الأميني، الغدير، ج٧، ص١٨٩ .

اسماً يطلق منذ زمن بعيد على مدينة جّدة الساحلية المعروفة بالمملكة العربية السعودية. فذاكرة العرب تنقل بهذا الخصوص ما اخبر عنه ابن جبير من خلال رحلته في أواخر القرن السادس الهجري "**وجدة هذه قرية على ساحل البحر المذكور ،وبهذه القرية آثار قديمة تدل على إنها كانت مدينة قديمة وأثر سورها المحدق بها باق إلى اليوم وبها موضع فيه قبة مشيدة عتيقة يذكر انه كان منزل حواء أم البشر صلى الله عليها عند توجهها إلى مكة فبنى ذلك المبنى عليه تشهيرا لبركته وفضله والله اعلم بذلك**"[٢١٦] أما اليوم فيوجد بهذه المدينة مقبرة تسمى "مقبرة أمنا حواء" بسبب الاعتقاد أنّ قبرها يقع في تلك البقعة التي تعرف حتى وقتنا الحاضر بمحافظة جدة بالقرب من القشلة القديمة حيث المكان الذي دفنت فيه يعرف اليوم بحيّ العمارية.

وكي لا نطيل في وصف أممية مكة وعالميتها وبركاتها سوف نجمل القول بهذا المقتبس للبصري "**إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين خرج من مكة وقف على الحزورة واستقبل الكعبة وقال والله إني لأعلم أنك أحب بلد الله إلي وأنك أحب أرض الله إلى الله عز وجل وانك خير بقعة على وجه الأرض وأحبها إلى الله تعالى ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر خير بلدة على وجه الأرض وأحبها إلى الله تعالى مكة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دحيت الأرض من مكة فمدها الله تعالى من تحتها فسميت أم القرى وأول جبل وضع في الأرض أبو قبيس وأول من طاف بالبيت الملائكة قبل أن يخلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام بألفي عام وما من ملك يبعثه الله تعالى من السماء إلى الأرض في حاجة إلا اغتسل من تحت العرش وانقض محرما فيبدأ ببيت الله تعالى فيطوف به أسبوعا ثم يصلي خلف المقام ركعتين ثم يمضي لحاجته وما بعث إليه وكل نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم إلى مكة وما من نبي هرب من أمته إلا هرب إلى مكة فعبد الله تعالى بها عند الكعبة حتى أتاه اليقين وهو الموت وان حول الكعبة قبر**

---

[٢١٦] – الاندلسي، رحلة ابن جبير، ج١ ، ص٦٨ .

ثلاثمائة نبي وما بين الركن اليماني والركن الأسود قبر سبعين نبيا كلهم قتلهم الجوع والقمل وقبر إسماعيل وأمه هاجر صلى الله عليهما وسلم في الحجر تحت الميزاب وقبر نوح وهود وشعيب وصالح صلى الله على نبينا وعليهم وسلم فيما بين زمزم والمقام وما على وجه الأرض بلدة وقد رحل إليها جميع النبيين والملائكة والمرسلين أجمعين وصلاح عباد الله من أهل السماوات والأرض والجن إلا مكة"[٢١٧].

كما هو واضح فإن إبراهيم (ع) قصد مكة وضواحيها مما يعُرف بالمشاعر. فهي الأرض المباركة للعالمين كما أن ذلك ما دلت علية ذاكرة العرب. وبالعودة إلى القرآن الكريم نجد أن إبراهيم ولوطاً (ع) ارتحلا من أرض أجدادهما كما جاء في سورة الأنبياء ليظهرا في الأرض المباركة للعالمين، مكة، حيث أسكن إبراهيم (ع) هاجر وابنه إسماعيل (ع) كما جاء في المحكم (**رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ من ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**)(إبراهيم:٣٧). وإن هذا الحدث، أي ظهور إبراهيم (ع) بمكة، أمر راسخ في ذاكرة العرب وآثاره يشهدها الملائكة والجن والإنس من كل عام في موسم الحج الذي ترتبط مناسكه وشعائره ارتباطاً وثيقاً باسم الخليل إبراهيم (ع) وعائلته. ولكن السؤال الذي يبقى هو أين ذهب إبراهيم (ع) بعد أن أسكن هاجر وإسماعيل ببطن وادٍ لا ماء فيه ولا زرع؟ هل ذهب إلى الشام مشياً على قدميه أو على ظهر حمار مسافة ١٢٥٠ (كلم) تقريباً كما هو مشاع بين الناس اليوم، أم ذهب إلى وادي عرفة حيث مضارب خيام زوجته سارة الذي يبعد حوالي ٢٢ (كلم) تقريباً عن بطن مكة؟ ذلك ما سيتضح لنا من خلال هذا البحث.

ولكن آيات سورة الأنبياء لم تحدد لنا المكان الذي منه انطلق إبراهيم (ع) إلى منطقة مكة، والذي يُفترض أن يكون موطن آبائه ومسقط رأسه. بيد أن هناك آيات أخرى تبين أن مكة ليست بعيدة عن المنطقة التي جاء منها إبراهيم (**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ**

---

[٢١٧] - الحسن بن يسار البصري، فضائل مكة والسكن فيها، ص١٨ .

وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا* يَا أَبَت إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْم مَا لَمْ يَأْتكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدكَ صِرَاطًا سَوِيًّا* يَا أَبَت لَا تَعْبُد الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَن عَصِيًّا* يَا أَبَت إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَان وَلِيًّا* قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا* قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا* وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُون اللَّه وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا* فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُون اللَّه وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا)(مريم: ٤١-٤٩). من الآيتين الأخيرتين إلى جانب آيات الإنجاء إلى الأرض المباركة للعالمين التي أسلفنا ذكرها، نفهم أن إبراهيم (ع) اعتزل قومه في الأرض المباركة للعالمين. حيث تعلمنا من آيات سورة الأنبياء السالفة الذكر أن إسحاق ويعقوب ولدوا بعد خروجه من موطن آبائه إلى الأرض المباركة للعالمين أي مكة. وتشير الآيات من سورة مريم أعلاه إلى أن إسحاق ويعقوب ولدوا في فترة اعتزاله، مما يعني أن مكة كانت المنطقة التى غادر إليها وهي أيضا المكان الذي اعتزل فيه عن آبائه. والاعتزال هو التنحي طواعية مع القدرة على التواصل والاتصال. وهذا يعني أن موطن آباء إبراهيم (ع) لم يكن بعيداً جداً عن مكة، بحيث كان بإمكان إبراهيم التواصل معهم بسهولة لو أراد ذلك، ولكنه قرر اعتزالهم طواعية. وهذا لا ينطبق على موقع بعيد كل البعد جغرافياً عن مكة مثل الشام أو العراق. فالشام تبعد كما أسلفنا أكثر من ١٢٥٠ (كلم) عن مكة وتفصل بينهما مساحات شاسعة من الجبال والسهول والوديان والفلوات، مما يؤدي بالأحرى إلى قطيعة وانفصال وغياب واحتجاب طبيعي لا اعتزال. لذا تعين أن يكون موطن آباء إبراهيم (ع) قريباً من مكة ليكون التنحي والاعتزال طوعاً لا قسراً.

ثمة استفادة أخرى نستخلصها من مجمل الآيات وهي أن إسحاق وابنه يعقوب (ع) حجازيان! فهما من مواليد مكة – وُلدا بعد الاعتزال - بينما عدم ورود اسم إسماعيل - وهو أكبر سناً من أخوه إسحاق- مع من ولدوا في الاعتزال يدل على أن إسماعيل (ع) ولد مسبقاً، أي ولد في موطن آباء إبراهيم (ع) أو بعد أن اتخذ إبراهيم (ع) قراره باعتزال قومه وهو بمكة. وهناك آية تدلنا على أن إسماعيل (ع) وُلد بعد خروج إبراهيم (ع) من موطن آبائه وقبل أن يتخذ قرار الاعتزال أو قطع التواصل مع

قومه. وهي الآية الواقعة في ختام الآيات التالية (**وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ❁ إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ❁ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ❁ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ❁ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ❁ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ❁ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ❁ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ❁ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ❁ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ❁ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ❁ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ❁ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ❁ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ❁ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ❁ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ❁ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ❁ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ❁ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**)(الصافات:٨٣- ١٠١). هنا نقرأ إن إبراهيم (ع) قرر الرحيل إلى ربه بعد أن ألقاه قومه في النار فنجاه الله منها ولم يقرر الاعتزال عنهم بعد، حيث لم يأت ذكر ذلك في الآيات أعلاه. وبعد ذهابه إلى ربه في الأرض المباركة للعالمين وهي مكة دعا ربه هناك أن يهب له من الصالحين. فبُشر بغلام واحد وهو من دون شكّ بكره إسماعيل (ع). لذلك نفهم من مجمل الآيات الأنفة الذكر من سور الأنبياء والصافات ومريم الأحداث التالية بالتتابع:

١- حّطم إبراهيم (ع) أصنام قومه في موطن آبائه فأشعلوا له ناراً وألقوه فيها فأنجاه الله منها (**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ❁ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**)(الأنبياء:٦٨، ٦٩).

٢- قرر إبراهيم (ع) الذهاب إلى ربه طلباً للهداية ولم يُذكر إلى أين ذهب (**قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ❁ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ❁ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**)(الصافات:٩٧-٩٩).

٣- أخبرنا الله تعالى أن إبراهيم (ع) ذهب إلى مكة- الأرض المباركة للعالمين (**وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ❁ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**)(الأنبياء:٧٠، ٧١).

٤- دعا إبراهيم (ع) ربه وهو في الأرض المباركة أن يرزقه ذرية صالحة فبشره الله بإسماعيل (ع). (**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ❁ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ❁ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**)(الصافات:٩٩-١٠١).

٥- لم تكن الأرض المباركة للعالمين بعيدة عن موطن آبائه إذ كان مستمراً في التواصل معهم ودعوتهم حتى طلب منه أبوه أن يهجره وهدده هذه المرة بالرجم لا الحرق (**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا❁ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا❁ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**)(مريم:٤٤-٤٦).

٦- قرر إبراهيم (ع) أن يتوقف عن التواصل مع قومه ويعتزلهم بعد أن يئس من أبيه وبلغ الأمر مبلغ تهديده بالقتل رجما هذه المرة (**قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا❁ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**)(مريم:٤٧، ٤٨).

٧- في الأرض المباركة للعالمين وبعد قرار المقاطعة والاعتزال وهب الله له غلامين آخرين (**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا**)(مريم:٤٩). وقد وُلد هذان الغلامان في الأرض المباركة للعالمين كما سبق أن أخبر جل وعلا (**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ❁ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ**)(الأنبياء:٧١، ٧٢).

٨- لم يذكر كتاب الله أي موقع آخر ذهب إليه إبراهيم (ع) غير الأرض المباركة للعالمين وكفى بذلك دليلاً على أن الشام والعراق أقحما إقحاماً في رحلة إبراهيم (ع) دون أي دليل يعتد به غير قول التوراة المحرّفة التي تمكنت من اختراق ثقافة بعض الآباء وهم بدورهم نقلوا هذه الثقافة إلينا عن حسن نية.

بناء على ما سبق نستخلص أن إسماعيل وإسحاق ويعقوب (ع) كانوا جميعاً من مواليد الأرض المباركة للعالمين، أي من مواليد مكة. فهم جميعاً بمفهومنا اليوم حجازيون. كما توصلنا إلى أن الصلة كانت قائمة بين إبراهيم (ع) وموطن آبائه لقرب المسافة بين مكة ومسقط رأسه.

كما لا يفوتنا ذكر حقيقة أخرى فيما يتعلق بقرية لوط. فهناك آيات بيّنات توضح أن قرية لوط (ع) قريبة جداً من مكة، وكذلك ينبغي أن تكون. فقد وصلها لوط (ع)

بحثاً عن مراع للغنم لا للهجرة عن مضارب إبراهيم (ع)، وهو خبر أوردته التوراة نفسها "**وَلُوطٌ السَّائرُ مَعَ إبْرَام كَانَ لَهُ أيْضا غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخيَام ٌوَلَمْ تَحْتَمِلْهُمَا الأَرْضُ انْ يَسْكُنَا مَعا إذْ كَانَتْ أمْلاكُهُمَا كَثيرَةً فَلَمْ يَقْدرا أنْ يَسْكُنَا مَعا. فَحَدَثَتْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنَ رُعَاة مَوَاشي إبْرَامَ وَرُعَاة مَوَاشي لُوط. وَكَانَ الْكَنْعَانيُّونَ وَالْفرزِّيُّونَ حينَئذ سَاكنينَ في الأَرْض. فَقَالَ إبْرَامُ للُوط: «لا تَكُنْ مُخَاصَمَةٌ بَيْني وَبَيْنَك وَبَيْنَ رُعَاتي وَرُعَاتكَ لأَنَّنَا نَحْنُ أخْوَان. ألَيْسَتْ كُلُ الأَرْض أمَامَكَ؟ اعْتَزلْ عَنّي. إنْ ذَهَبْتَ شمَالا فَأنَا يَمينا وَإنْ يَمينا فَأنَا شمَالا». فَرَفَعَ لُوطٌ عَيْنَيْه وَرَأى كُلَّ دَائرَة الأردن أنَّ جَميعَهَا سَقْيٌ قَبْلَمَا أخْرَبَ الرَّبُّ سَدُومَ وَعَمُورَةَ كَجَنَّة الرَّبِّ كَأرْض مصْرَ. حينَمَا تَجيءُ إلَى صُوغَرَ. فَاخْتَارَ لُوطٌ لنَفْسه كُلَّ دَائرَة الأردن وَارْتَحَلَ لُوطٌ شَرْقا. فَاعْتَزَلَ الْوَاحدُ عَن الآخَر**"(التكوين ١٣: ٥) وحيث إن إبراهيم (ع) كان في عرفة فلا بدّ أن يكون لوط (ع) الذي اعتزله لغرض المراعي قد انتقل للسكن في أقرب قرية ممكنة من مكة، وهو عينه ما جاء في كتاب الله (**وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ* ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ* وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ* وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**)(الصافات:١٣٣- ١٣٨).

فمن هم المعنيون في الآية الشريفة والذين يمرون على المدمرين صبحاً وليلاً؟ من الواضح أن ضمير "إنكم" عائد على المستمعين لخبر الآية حين النزول، وهم المصطفى (ص) والمؤمنون من أهل المنطقة التى يقطنها وليس هذا الضمير مرسلاً لكل مستمع أو قارئ للقرآن. فمسلمو الصين مثلاً لم ولن يمروا على قرية لوط (ع) صبحاً أو ليلاً فالضمير في الآية لا يعنيهم ولا يعني أي مسلم غير أهل مكة بالخصوص وليس حتى مسلمي الجزيرة العربية لكون الآيات مكية. كما تشير الآيات بوضوح إلى أن المرور على القرية ذهاباً وإياباً يتمّ في زمن يقلّ عن **٢٤** ساعة وذيلت الآيات بضرورة الاستشهاد العقلي - **أَفَلَا تَعْقِلُونَ**- على هذا الخبر الذي كانوا يجهلون. ليس هذا فحسب بل أخبر الله تعالى أنه ترك أثراً لهذه القرية المدمرة لمن يبحث عنها (**وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**)(العنكبوت:٣٥). وهذه دعوة قرآنية لضرب الأرض بمعاول علوم الحفريات والآثار في ما حول مكة على طريق الجادة التجارية تحديدا ليتضح للمسلمين وللعالم ما طمر أئمة اليهود من حقائق جغرافية بثمن بخس. والسبب في عدم العثور على قرية لوط (ع) حتى الآن يكمن في ثقافة توراتية محرّفة شهرت سلاح "هذا من عند الله" لتحريك مسرح الأحداث وجغرافيتها ثقافياً إلى

الشام، فلم يجد لها العلم أثراً هناك. كما قام المفسرون هم الآخرون بتفسير الآيات على ضوء الثقافة التوراتية المحرّفة فصاروا دون وعي منهم يعززون التحريف والتزوير وذلك ما نقرأه في بعض التفاسير "**وإنكم لتمرون عليهم مصبحين أي حين دخولكم في الصباح ، نزلت في قوم لوط يعني أنكم يا أهل مكة لتمرون على منازلهم في متاجركم إلى الشام فإن سدوم التي هي بلدتهم في طريقة**"[(٢١٨)]، كما يرى العلامة الطباطبائى تبرير عدم العثور على قرية لوط (ع) حتى الآن رغم دعوة اللّه للبحث عنها بقوله "**فإنهم على طريق الحجاز إلى الشام، والمراد بالمرور عليهم المرور على ديارهم الخربة وهي اليوم مستورة بالماء على ما قيل**"[(٢١٩)] ونحن نضيف هنا أن اللّه جلَّ وعلا أخبر أنه ترك (**مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**) ولا يمكن أن تكون آية بينة وهي مخفية تحت الماء! فأين البيان الذي أخبر به اللّه إذن؟ كما أن دعوى كونها تحت الماء هو دسّ يهودي أيضاً بعد أن قرّر أئمة اليهود إخفاء أثر هذه القرية لقربها من مكة كما أوضح الكتاب، وذلك بزرعها ثقافياً في قاع البحر الميت بالشام فينصرف بذلك الناس عن تلبية دعوة القرآن لتحديد الموقع الجغرافي لهذه القرية.

علامات مكة في التوراة

ولكي نتأكد أن إبراهيم (ع) ارتحل من موطن آبائه إلى مكة وليس إلى الشام فلننظر في التوراة نفسها فلا بدَّ أن نجد فيها إشارات إلى مكة رغم التحريف والتزوير، إذ لا يمكنهم مسح أمر كهذا بدون ترك بصمات تعين الباحثين على تتبع حركة الأنبياء في العهود المنصرمة:

١. **بئر سبع (بئر شبعة Beer-Sheba) وبئر زمزم**: كل مسلم يعرف قصة تدفق مياه بئر زمزم تحت أقدام إسماعيل وهو طفل ببطن مكة بعد أن أعيا العطش هاجر وابنها الصغير. فكما ينقل التراث العربي نقرأ القصة هكذا : "**.. عن أبي العباس، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : "لما ولد إسماعيل حمله أبوه إبراهيم**

---

(٢١٨) – ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٣٠٩؛ الكليني، الكافي، ج٨، ص٢٤٩.

(٢١٩) – الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٧، ص١٦٢.

وأمه على حمار وأقبل معه جبرائيل حتى وضعه في موضع الحجر ومعه شئ من زاد وسقاء فيه شئ من ماء، والبيت يومئذ ربوة حمراء من مدر، فقال إبراهيم لجبرائيل عليهما السلام: ها هنا أمرت؟ قال: نعم" قال: "ومكة يومئذ سلم وسمر، وحول مكة يومئذ ناس من العماليق" . . "إن إبراهيم عليه السلام لما خلف إسماعيل بمكة عطش الصبي، وكان فيما بين الصفا والمروة شجر، فخرجت أمه حتى قامت على الصفا، فقالت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبها أحد، فمضت حتى انتهت إلى المروة هل بالوادي من أنيس؟ فلم تجب، ثم رجعت إلى الصفا وقالت، حتى صنت ذلك سبعا، فأتاها جبرائيل عليه السلام، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا أم ولد إبراهيم، فقال: إلى من وكلكم؟ فقالت: أما إذا قلت ذلك فقد قلت له حيث أراد الذهاب: يا إبراهيم إلى من تكلنا؟ فقال: إلى الله عزوجل، فقال جبرائيل: لقد وكلكم إلى كاف، قال: وكان الناس يتجنبون الممر بمكة لمكان الماء، ففحص الصبي برجله فنبعت زمزم، ورجعت من المروة إلى الصبي وقد نبع الماء، فأقبلت تجمع التراب حوله مخافة أن يسيح"[٢٢٠] ويقع بئر زمزم على بعد بضعة أمتار عن الكعبة المشرفة كما هو حاله حتى يومنا هذا. فهل يوجد ذكر لحادثة إسماعيل (ع) والبئر في التوراة؟ وهل لهذا المكان اسم؟

هذا ما تقوله التوراة بهذا الخصوص "**فَكَبِرَ الْوَلَدُ وَفُطِمَ. وَصَنَعَ إِبْرَاهِيمُ وَلِيمَةً عَظِيمَةً يَوْمَ فِطَامِ إِسْحَاقَ. وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا لأَنَّ ابْنَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي اسْحَاقَ». فَقَبُحَ الْكَلاَمُ جِدّاً فِي عَيْنَيْ إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ. فَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «لاَ يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلاَمِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضاً سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لأَنَّهُ نَسْلُكَ». فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحاً وَأَخَذَ خُبْزاً وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ وَاضِعاً إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفِهَا وَالْوَلَدَ وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ. وَلَمَّا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَ الْقِرْبَةِ طَرَحَتِ الْوَلَدَ تَحْتَ إِحْدَى الأَشْجَارِ وَمَضَتْ وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ**

[٢٢٠] – السيد محمد العاملي– مدارك الأحكام – ج ٧، ص ٨.

بَعيدا نَحْوَ رَمْيَة قَوْسٍ لأنهَا قَالَتْ: «لا انظُرُ مَوْتَ الْوَلَد». فَجَلَسَتْ مُقَابلَهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ. فَسَمِعَ اللهُ صَوْتَ الْغُلام وَنَادَى مَلاكُ الله هَاجَرَ مِنَ السَّمَاء وَقَالَ لَهَا: «مَا لَك يَا هَاجَرُ؟ لا تَخَافِي لأن اللهَ قَدْ سَمِعَ لِصَوْتِ الْغُلام حَيْثُ هُوَ. قُومي احْملي الْغُلامَ وَشُدِّي يَدَك بِه لأني سَاجْعَلُهُ أمَّةً عَظيمَةً». وَفَتَحَ اللهُ عَيْنَيْهَا فَابْصَرَتْ بِئْرَ مَاء فَذَهَبَتْ وَمَلَأَت الْقرْبَةَ مَاءً وَسَقَت الْغُلامَ وَكَان اللهُ مَعَ الْغُلام فَكَبِرَ وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّة وَكَان يَنْمُو رَامِيَ قَوْسٍ"(التكوين:٢١-١٩،٨).

فلنحلل هذا النص التوراتي. فنحن نعلم أن هاجر وابنها إسماعيل أُسكنا (ولم يطُردا أو يُبعدا) عند بيت الله كما نصَّ القرآن الكريم حيث ينقل قول إبراهيم (ع) (**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**)(إبراهيم:٣٧). هذا ما نعرفه عن نهاية رحلة خروج هاجر وابنها من مضارب خيام إبراهيم (ع). والتوراة سوف تفصل لنا وللعالم قاطبة كيف وصل إسماعيل وأمه إلى جوار البيت وكيف نبع بئر زمزم. فقد "طرد" النبي الجليل عائلته من الشام إلى وادي مكة وهو ما لا يزال مستقراً حتى في ثقافة بعضنا نحن المسلمين اليوم على الأقل بالنسبة للمواقع الجغرافية. وزوّدهم لهذه الرحلة التي تمتد مسافة ١٢٥٠ (كلم) تقريباً، وهي المسافة من الشام إلى بطن مكة، بقربة ماء وخبز. ثم تاهت هاجر في الصحراء على مسافة نفاذ قربة الماء لتجد نفسها في مكة! طبعاً لم تذكر التوراة السبعونية أن إسماعيل وأمه هاجر وصلا إلى مكة في جزيرة العرب، وأن الماء الذي روي منه يُدعى بئر زمزم. لذا فإن الغرب لا يعرف هذه الحقيقة حتى اليوم، إذ قيل لهم إن هاجر وابنها تاها في منطقة تدعى بئر سبع، والتي من المفترض أنها تبعد عن خيام إبراهيم (ع) مسافة نفاذ قربة ماء. وعليه كان لا بد أن تكون بئر السبع في فلسطين حيث خيام إبراهيم (ع) كما قالوا للعالم حتى تكتمل دائرة الوهم العالمي. فوضعوا الخرائط والمسميات الميدانية (انظر الخريطة رقم ١٧) على هذا الأساس.



خريطة رقم ١٧: خريطة الإسقاطات التوراتية لمدن ومناطق الجزيرة العربية بفلسطين

ومـا يهمنـا هنـا أن قربـة مـاء وخبـز همـا كـل مـا كـان ضـرورياً لرحلـة هـاجر وإسماعيل باعتراف اليهود. فكم كيلومتر تقطع سيدة مشياً على الأقدام وهـي تحمـل

قربة على كتفها وتجر طفلاً بيدها قبل أن تنفذ هذه القربة؟ نقترح هنا بين ٥ إلى ٢٠ كيلومتر حسب حجم القربة وحرارة الطقس. وحيث إننا نعلم أن هاجر وابنها انطلقا من خيام إبراهيم (ع) بصحبة إبراهيم (ع) وانتهت الرحلة بهم بجوار بيت الله، فكم هي المسافة المتوقعة من بيت الله إلى خيام إبراهيم (ع) إذن؟ ١٢٥٠ (كلم) كما تدعي جغرافية أنبياء السبعونية أم ١٥ أو ٢٠ (كلم) كما ينصّ العقل والمنطق؟ لقد طُرح هذا التساؤل المنطقي على أئمة اليهود بعد أن عبثوا بجغرافيا الأنبياء وكان جوابهم لبني جلدتهم من العرب وبكل استخفاف واستهتار بالعقل هو التالي "**وكان سبب إنزال هاجر وابنها إسماعيل بمكة ونقلها إليها من الشام أن سارة بنت عم إبراهيم عليه السلام شجر بينها وبين هاجر أمر، وسماء ما بينهما، فأمر إبراهيم أن يسير بها إلى مكة، فاحتملها على البراق واحتمل معه قربة بماء ومزود تمر، وسار بها حتى أنزلها بمكة في موضع البيت، ثم ولى راجعا**"[(٢٢١)] أما نحن فنقول إن البراق هنا ليس أداة مواصلات بل هو أداة تزوير وتحريف واستخفاف بعقول الناس لستر فضيحة تراثية صارخة ولجبر معضلة عصية على الحل. وما سكت عنها أساطين المؤرخين العرب إلا لأنها أطلت عليهم من تحت عباءة "هذا من عند الله" فحاروا بها. والاستنتاج العقلي السليم هو أن إبراهيم (ع) حط برحله بعد أن ترك موطن آبائه في منطقة قريبة جداً من الكعبة المشرفة حيث بئر شبع كما تسميه التوراة أو بئر زمزم كما يسميه المسلمون اليوم. والرحلة بين مكان سكنه ومكان الكعبة المشرفة هي مسافة نفاذ قربةٍ من الماء. والأعظم من ذلك هو أن ذاكرة العرب القدماء تحفظ حقيقة أن بئر زمزم كان يدعى أيضا بئر شبعة وهو ما نقراه في هذا المقتبس "**وفي رواية معاوية" أسماء زمزم: ركضة جبرائيل، وحفيرة إسماعيل، وحفيرة عبد المطلب وزمزم وبرة والمضمونة والردا وشبعة وطعام وشفاء**"[(٢٢٢)] فكيف غفلنا هذه

---

(٢٢١) – السهيلي، الروض الأنف، ص٥٥.

(٢٢٢) المحقق البحراني – الحدائق الناضرة – ج ١٧ ص٣٤١، جعفر كاشف الغطاء – كشف الغطاء – ج ١ ص ١١٤ محمد الريشهري – الحج والعمرة في الكتاب والسنة – ص١١٤، الشيخ الصدوق– الخصال– ٤٥٤، الحر العاملي — وسائل الشيعة (آل البيت) – ج ١٣ –ص ٢٤٦، العلامة المجلسي– بحار الأنوار – ج ٩٦ ص٢٤٣، السيد البروجردي – جامع أحاديث الشيعة – ج ١٠ –ص ٣٩

الحقيقة الصارخة وتبعنا وبعضاً من أجدادنا وهم لا أساس له من الصحة؟ وللمزيد من التأكيد على ما نرمي إليه، ذكرت التوراة في النص أعلاه أن إسماعيل سكن في برية فاران. وفاران هذه لم يعرف موقعها أحد اليهود في عصر الإمام الرضا حفيد رسول الله (ص) واسمه رأس جالوت. ففهّمه الإمام الرضا في حوار طويل[٢٢٣] ونقل نتيجة الحوار جملة من المؤرخين وذكروا تعريف فاران كما ذكره الرضا لرأس جالوت: "**وفي الحديث ذكر فاران هو اسم عبراني لجبال مكة شرفها الله ذكر في أعلام النبوة قال وألفه الأولى ليست همزة**"[٢٢٤]. وفي هامش (**ص ٢٣١**) من البداية والنهاية نجد قولاً أكثر تحديداً "**فاران: كلمة عبرانية معربة، وهي من أسماء مكة ذكرها في التوراة، وقيل هي اسم لجبال مكة**"[٢٢٥]. إذاً يعترف اليهود دون علم الكثير منهم أن هاجر وإسماعيل سكنا على بعد مسافة نفاذ قربة ماء عن خيام إبراهيم (ع) بمنطقة فاران أي مكة. هذا إلى جانب أن إبراهيم (ع) كان يذهب إلى ابنه وزوجته كل حين كما نقل لنا ابن كثير في تفسيره حيث يقول "**وقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد فاران وينظر في أمرهما**"[٢٢٦]. ولكن كيف يمكن لرجل طاعن في السن أن يسافر مسافة **١٢٥٠** (كلم) ذهاباً ثم يقطع مثلها إياباً، أي ما مجموعه **٢٥٠٠** (كلم)، على ظهر حمار أو مشياً على الأقدام ليتفقد في كل وقت أمور أسرته في مكة وهو في الشام؟ (انظر الخريطة ١٨). أما الجواب اليهودي المستهتر للمتسائلين العرب فكان بكل بساطة كما ينقل ابن كثير في تتمة كلامه السابق "**وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعًا إلى هناك والله أعلم**"[٢٢٧].

---

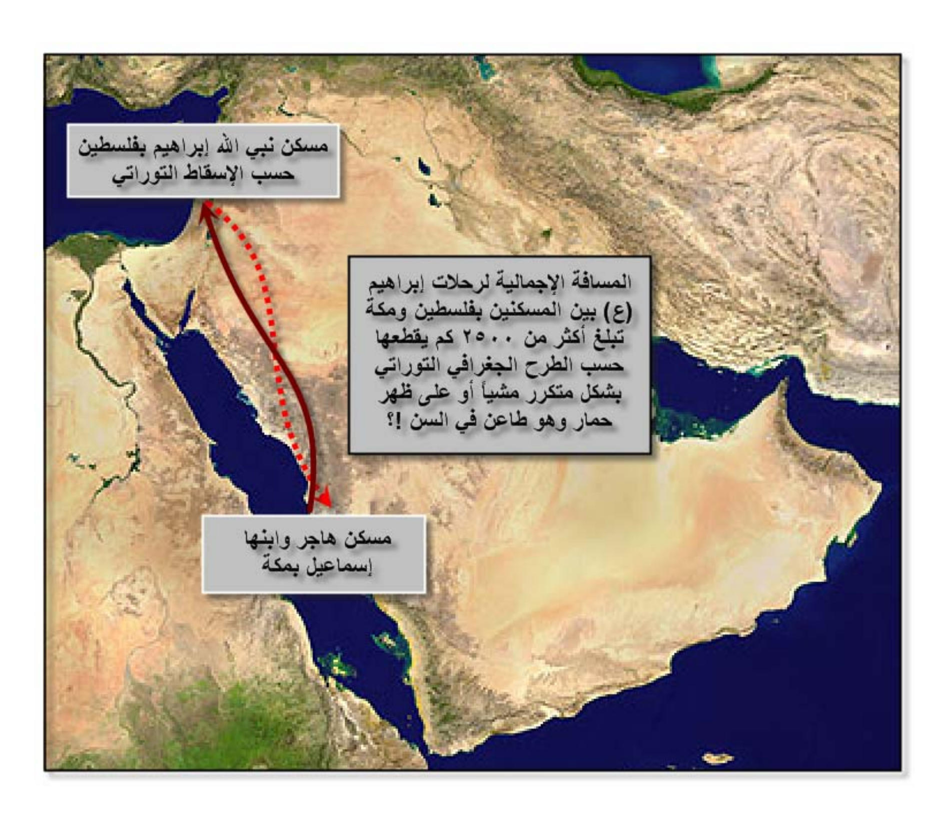
[٢٢٣]- الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٠٦.

[٢٢٤] - ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، ج٣، ص٤٠٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٤٣؛ الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٢٥.

[٢٢٥]- ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٢٣١.

[٢٢٦]- ابن كثير، التفسير، ج٤، ص١٥.

[٢٢٧]- ابن كثير، التفسير، ج٤، ص١٥.



خريطة رقم ١٨: المسافات الجغرافية المترامية لرحلات الخليل إبراهيم (ع) بين مكة وفلسطين لتفقد عائلته بمكة أثناء إقامته بفلسطين وذلك حسب الطرح الجغرافي التوراتي

ونعود إلى الاسم المثير للجدل "بئر شبع"، وهي منطقة تقع الآن في فلسطين حسب الإسقاط الجغرافي التوراتي والذي فشل الكثير من الباحثين المعاصرين الغربيين والشرقيين في إثبات مصداقيته، حيث لا آثار ميدانية للكثير من الأحداث التي يُفترض أنها جرت فيها حسبما جاء في التوراة. فأول ذكرٍ لهذا الاسم جاء في التوراة المحرفة لإخفاء أحداث موقع بئر زمزم المجاور للكعبة المشرفة كما أوضحنا سلفاً. وثاني ذكر لاسم بئر شبع جاء مباشرة بعد الذكر الأول أعلاه ليشرح لنا نزاع القوم على ملكية الماء الذي تم اكتشافه في وادٍ "غير ذي زرع" على يد عائلة سريانية غريبة مستضعفة مكونة من أمّ وابنها نزلا ببطن الوادي حديثاً. وطبعاً لا بدّ أن يكون إبراهيم في الصورة، فعائلته هي صاحبة البئر، ولعل إبراهيم (ع) في زيارته المتكررة

لعائلته ببطن الوادي، زمَّ البئر وشيده ليأتي من يعتدي من الحجازيين ويدّعى ملكية البئر المكتشف. فالتوراة وصفت لنا ما حدث بشكل منطقي ومقبول في حوار بين إبراهيم (ع) وشيخ حجازي يدعي أبو مالك بعد اكتشاف البئر مباشرة:"**وَعَاتَبَ ابْرَاهِيمُ ابِي مَالِكَ لِسَبَبِ بِئْرِ الْمَاءِ الَّتِي اغْتَصَبَهَا عَبِيدُ ابِي مَالِكَ. فَقَالَ ابِي مَالِكُ: «لَمْ اعْلَمْ مَنْ فَعَلَ هذَا الامْرَ. انتَ لَمْ تُخْبِرْنِي وَلا انا سَمِعْتُ سِوَى الْيَوْمِ». فَاخَذَ ابْرَاهِيمُ غَنَما وَبَقَرا وَاعْطَى ابيمَالِكَ فَقَطَعَا كِلاهُمَا مِيثَاقا. وَاقَامَ ابْرَاهِيمُ سَبْعَ نِعَاجٍ مِنَ الْغَنَمِ وَحْدَهَا. فَقَالَ ابيمَالِكُ لابْرَاهِيمَ: «مَا هِيَ هَذه السَّبْعُ النِّعَاجِ الَّتِي اقَمْتَهَا وَحْدَهَا؟» فَقَالَ: «انكَ سَبْعَ نِعَاجٍ تَاخُذُ مِنْ يَدِي لِكَيْ تَكُونَ لِي شَهَادَةً بِانِي حَفَرْتُ هَذه الْبِئْرَ». لِذَلِكَ دَعَا ذَلِكَ الْمَوْضِعَ بِئْرَ سَبْعٍ لانهُمَا هُنَاكَ حَلَفَا كِلاهُمَا. فَقَطَعَا مِيثَاقا فِي بِئْرِ سَبْعٍ. ثُمَّ قَامَ ابِي مَالِكُ وَفِيكُولُ رَئِيسُ جَيْشِه وَرَجَعَا إلى ارْضِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ**"(التكوين:٢١- ٢٥،٣٤) إذاً الذي سمى البئر المكتشف بئر سبع هو إبراهيم (ع) نفسه بعد أن أجرى عليه عمليات حفر وتحديد. ولا بدَّ لمفردة فلسطين بمعنى موقع بالشام أن تدخل في الصورة لنقل إبراهيم (ع) والأحداث التي دارت حوله إلى الشام لعلة سوف تتضح لاحقاً. وليس عجباً أن يُذكر العدد ٧ ملازماً لاسم بئر مجاورٍ للكعبة، فالعدد ٧ ملازمٌ للعديد من مناسك الحج والعمرة ومنها سعي هاجر ٧ مرات وراء السراب قبل أن تكتشف الماء. وليس عجباً أن نجد بقايا حقيقة في علاقة هاجر بمكة في تراث اليهود القديم أنفسهم. فقد جاء في التوراة تسلسل الأحداث التالية "**فَقَالَ ابْرَامُ لِسَارَايَ: «هُوَذَا جَارِيَتُك فِي يَدك. افْعَلِي بِهَا مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْك». فَاذَلَّتْهَا سَارَايُ فَهَرَبَتْ مِنْ وَجْهِهَا. فَوَجَدَهَا مَلاكُ الرَّبِّ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ فِي الْبَرِّيَّةِ عَلَى الْعَيْنِ الَّتِي فِي طَرِيقِ شُورَ. وَقَالَ: «يَا هَاجَرُ جَارِيَةَ سَارَايَ مِنْ ايْنَ اتَيْت وَالَى ايْنَ تَذْهَبِين؟». فَقَالَتْ: «انَا هَارِبَةٌ مِنْ وَجْه مَوْلاتِي سَارَايَ». فَقَالَ لَهَا مَلاكُ الرَّبِّ: «ارْجِعِي الَى مَوْلاتك وَاخْضَعِي تَحْتَ يَدَيْهَا». وَقَالَ لَهَا مَلاكُ الرَّبِّ: «تَكْثِيرا اكَثِّرُ نَسْلَك فَلا يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَة». وَقَالَ لَهَا مَلاكُ الرَّبِّ: «هَا انْت حُبْلَى فَتَلدينَ ابْنا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ اسْمَاعِيلَ لانَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتك. وَانَّهُ يَكُونُ انْسَانا وَحْشِيّا يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحد وَيَدُ كُلِّ وَاحد عَلَيْه وَامَامَ جَمِيعِ اخْوَته يَسْكُنُ». فَدَعَت اسْمَ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ مَعَهَا: «انْتَ ايلُ رُئِي». لانَّهَا قَالَتْ: «اهَهُنَا ايْضا رَايْتُ بَعْدَ**

رُؤْيَةٍ؟» لِذَلِكَ دُعِيَتِ الْبِئْرُ «بِئْرَ لَحَيِّ رُئِي» هَا هِيَ بَيْنَ قَادِشَ وَبَارَدَ."(التكوين:١٦: ٦)

وبئر "لحي رئي" هذه التي هامت هاجر إليها بعد خصامها مع سارة، لها اسم آخر كما جاء في الترجوم وهو **VeHa Kabbalah** أي "فيها قبلة". وبئر "فيها قبلة" هذا يقع جنب قادس كما جاء في النص التوراتي أعلاه، وقادس هو أحد أسماء مكة أو الكعبة المشرّفة كما سيتبن لك لاحقا. وابن عزرا(٢٢٨) وهو كاهن يهودي مؤرخ معتبر ولد سنة ١٠٩٢م، يقول لبني قومه من اليهود إن بئر القبلة المذكور في هذا النص هو بئر زمزم عينه والذي يحتفل العرب حوله كل عام، في إشارة لموسم الحج. واليك المقتبس بهذا الصدد كما جاء في التراثي اليهودي:

"..Or 'Well of the life-giving vision,' (HaKethav VeHaKabbalah); 'Well of the vision of the Living One' (Rashi; Targum); or 'Well to the Living One who sees me' (Ibn Ezra). Ibn Ezra identifies this with Zimum (or in other versions, Zimzum), where the Arabs hold an annual festival "(٢٢٩).

ويحقّ لنا هنا أن نسال اليهود أنفسهم، على ضوء كلام الكاهن ابن عزرا، كيف أمكن لهاجر أن ترحل نتيجة خصومة مع سارة من الشام إلى مكة حيث بئر زمزم ثم تعود مرة أخرى إلى حيث سارة بالشام كما أمرها الرب؟! هل البراق هو الجواب لهذه المعضلة أيضاً؟!

ومن الطبيعي أن ينتقل إبراهيم وابنه إسحاق إلى بطن الوادي لاحقاً وبخاصة بعد أن أمره جلّ وعلا ببناء البيت بعد أن اشتدّ ساعد إسماعيل (**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**)(البقرة:١٢٧). ومن ثم دعوة الناس للحج (**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ**

---

(228)-Jewish Encyclopedia
http://www.jewishencyclopedia.com/view.jsp?artid=11&letter=I
(229)-THE EXODUS IN ARABIA
http://www.biblemysteries.com/lectures/firstmentionofkadesh.htm &
Torah - Navigating the Bibl
http://bible.ort.org/books/torahd5.asp?action=displaypage&book=1&chapter=16&verse=14&portion=3

عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ* ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ)(الحج:٢٩). والطواف هنا ٧ أشواط والسعي بين الصفا والمروة ٧ أشواط أيضاً وكلها تحدث في منطقة بئر ٧ أو بئر سبع أو شبع كما تنطق سريانياً حيث البيت العتيق الذي رفع قواعده الخليل وابنه. ونحن نعلم علم اليقين أن إبراهيم (ع) هو من علم العالم تلك المناسك (**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**)(البقرة:١٢٨).

وتذكر لنا التوراة أن إبراهيم (ع) سكن فعلاً بئر شبع فتقول عن المنطقة التي انطلق منها ورجع إليها بعد أن أخذ إسحاق للذبح "**ثُمَّ رَجَعَ ابْرَاهِيمُ إلى غُلامَيْهِ فَقَامُوا وَذَهَبُوا مَعا إلى بِئْرِ سَبْعٍ. وَسَكَنَ ابْرَاهِيمُ فِي بِئْرِ سَبْعٍ**"(التكوين ٢٢-١٩) والفرق هو أننا نقول بئر سبع يسمى اليوم بئر زمزم ومن قبل سمي ركضة جبرائيل، وحفيرة إسماعيل، وحفيرة عبد المطلب وبرة والمضمونة والردا وشبعة وطعام وشفاء ويوجد هذا البئر ببطن مكة وهم يقولون بالشام وبفلسطين تحديداً وهنا عين التحريف وعين غفلة المسلمين. وما الموقع الموجود اليوم بفلسطين إلا اسم تمَّ إسقاطه هناك عمداً بعد هجرة الجاليات العربية اليهودية من الجزيرة إلى الشام بعد عودتهم من السبي وتفرقهم من جزيرة العرب، وذلك بين القرن الرابع والأول قبل الميلاد كما سيتضح لاحقاً.

نستنتج مما سبق أن بطن الوادي الواقع بين جبل أبي قبيس وجبل خندمة وجبل هندى وجبل قعيقان وجبل عمر وجبل الأحمر (انظر الخريطة رقم ١٥)[٢٣٠] حيث يقع بيت الله، عُرف قبل رفع قواعد البيت باسم البئر المكتشف فيه وهو بئر سبعة (شبعة). وبطن الوادي نفسه عُرف ببرية بئر الشبعة. وما أن رُفع البيت وأعلن الحج حتَّى بدأ هذا الاسم ينحسر تدريجياً ليُعرف الوادي بأسماء أخرى أكثر عراقة لارتباط هذا الوادي بآدم أبي الإنسانية، ومن هذه الأسماء مكة ومكروبيا ومكربة.

[٢٣٠] - حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٦٢.

٢. **ممرا – Mamre ونمرة**: عرفنا حتى الآن أن إبراهيم (ع) جاء من موطن آبائه وضرب خيامه على مسافة جداً قريبة من بطن الوادي الذي يحتضن الكعبة المشرفة والذي كان يعرف ببئر شبعة. وعرفنا أن أول من أسكن إبراهيم (ع) من أهله في بطن الوادي هما زوجته الثانية هاجر وطفلها إسماعيل، وعاد هو إلى مضارب خيام زوجته الأولى. فأصبح بذلك لإبراهيم (ع) مسكنان، مسكن لكل زوجة وهو أمر طبيعي يتكرر حتى يومنا هذا. ولكن أين كانت مضارب خيام زوجته سارة تحديداً؟

هذا ما جاء في التوراة بهذا الصدد "**فَنَقَلَ ابْرَامُ خِيَامَهُ وَاتَى وَاقَامَ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الَّتِي فِي حَبْرُونَ وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحا لِلرَّبِّ**"(التكوين ١٣-١٨) واستمر مكوثه هناك إلى أن افترق مع لوط (ع) وما تلا ذلك من أحداث من ضمنها النص التالي الذي يوضح مكان إبراهيم (ع) "**فَاتَى مَنْ نَجَا وَاخْبَرَ ابْرَامَ الْعِبْرَانِيَّ وَكَان سَاكنا عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الامُورِيِّ اخِي اشْكُولَ وَاخِي عَانِرَ. وَكَانُوا اصْحَابَ عَهْدٍ مَعَ ابْرَامَ**"(التكوين ١٤:١٣) وسنتغاضى حالياً عن مفردة "حبرون" في المقتبس الأول فهي أداة تحريف ظاهري، ولننظر في موقع ممرا التي سكنها إبراهيم (ع). بلوطات تعني أشجاراً وهي لشخص يُدعى ممرا حيث وردت مفردة ممرا في التوراة كاسم لشخص "**لَيْسَ لِي غَيْرَ الَّذِي أكَلَهُ الْغِلْمَانِ وَامَّا نَصِيبُ الرِّجَالِ الَّذِينَ ذَهَبُوا مَعِي: عَانِرَ وَاشْكُولَ وَمَمْرَا فَهُمْ يَأخُذُونَ نَصِيبَهُمْ**"(التكوين ١٤-٢٤) وهذا الاسم، أي ممرا، هو تحوير لاسم موقع مهم على حدود وادي عرفة والمشعر الحرام يُعرف اليوم بنمرة (انظر خريطة رقم ١٩) وبه اليوم مسجد كبير يسمى مسجد نمرة (انظر صورة رقم ٤)، والذي به وإلى جانبه تحتشد جموع مليونية من الحجاج سنوياً بيوم عرفة. وقد أقيم هذا المسجد على الموقع الذي أقام فيه إبراهيم (ع) كما أكد التراث العربي:"**عن أبي بصير أنه سمع أبا جعفر وأبا عبد الله (عليهما السلام) يذكران أنه لما كان يوم التورية قال جبرائيل لإبراهيم (عليهما السلام): تروه من الماء فسميت التورية ثم أتى منى فأباته بها ثم غدا به إلى عرفات فضرب خباه بنمرة دون عرفة فبنى مسجداً بأحجار بيض وكان يعرف أثر مسجد إبراهيم حتى أدخل في هذا المسجد**

الذي بنمرة حيث يصلي الإمام يوم عرفة فصلى بها الظهر والعصر"[٢٣١]. وممرا هذه لا وجود لها اليوم بفلسطين ولكن الادعاء هو أنها كانت تقع على مسافة ميلين إلى الشمال من حبرون. وحبرون هي اليوم –حسب الادعاء اليهودي التاريخي– مدينة الخليل[٢٣٢]. والله وحده يعلم من المدفون في القبر المعروف هناك بقبر إبراهيم.

وتروي التوراة حدوث أمر عظيم بينما كان إبراهيم (ع) ساكناً قرب بلوطات نمرة حيث "**ظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَجَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَاذَا ثَلاثَةُ رِجَالٍ وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إلى الارْضِ وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ ان كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلا تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا ارْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَاخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ لانكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هَكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ». فَاسْرَعَ ابْرَاهِيمُ إلى الْخَيْمَةِ إلى سَارَةَ وَقَالَ: «اسْرِعِي بِثَلاثِ كَيْلاتٍ دَقِيقا سَمِيذا. اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ». ثُمَّ رَكَضَ ابْرَاهِيمُ إلى الْبَقَرِ وَاخَذَ عِجْلا رَخْصا وَجَيِّدا وَاعْطَاهُ لِلْغُلامِ فَاسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ. ثُمَّ اخَذَ زُبْدا وَلَبَنا وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَاذْ كَانَ هُوَ وَاقِفا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ اكَلُوا. وَقَالُوا لَهُ: «ايْنَ سَارَةُ امْرَاتُكَ؟» فَقَالَ: «هَا هِيَ فِي الْخَيْمَةِ». فَقَالَ: «انِّي ارْجِعُ الَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَاتِكَ ابْنٌ»وَكَانَتْ سَارَةُ سَامِعَةً فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَهُوَ وَرَاءَهُ -وَكَانَ ابْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الايَّامِ وَقَدِ انْقَطَعَ ان يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ. فَضَحِكَتْ سَارَةُ فِي بَاطِنِهَا قَائِلَةً: «ابَعْدَ فَنَائِي يَكُونُ لِي تَنَعُّمٌ وَسَيِّدِي قَدْ شَاخَ!» فَقَالَ الرَّبُّ لابْرَاهِيمَ: «لِمَاذَا ضَحِكَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: افَبِالْحَقِيقَةِ الِدُ وَانَا قَدْ شِخْتُ**"(التكوين ١٨-١٣:١) وجوهر هذا الخبر التوراتي قد جاء خبره في كتاب الله في قوله تعالى (**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا**

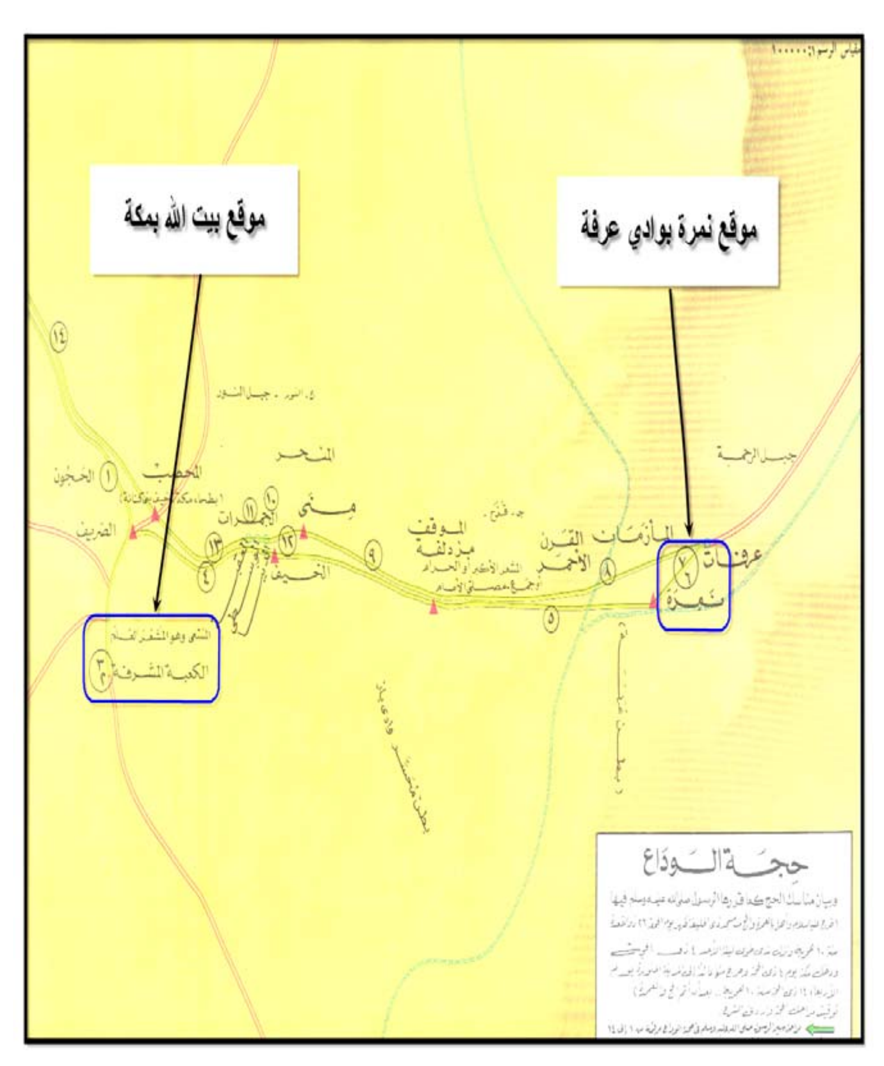
---

[٢٣١] – الكليني، الكافي، ج٤، ص٢٠٧؛ المحقق البحراني، الحدائق الناضرة، ج٦١، ص٣٥٠؛ محمد صادق الروحاني، فقه الصادق (ع)، ج١١، ص٣٥٧.

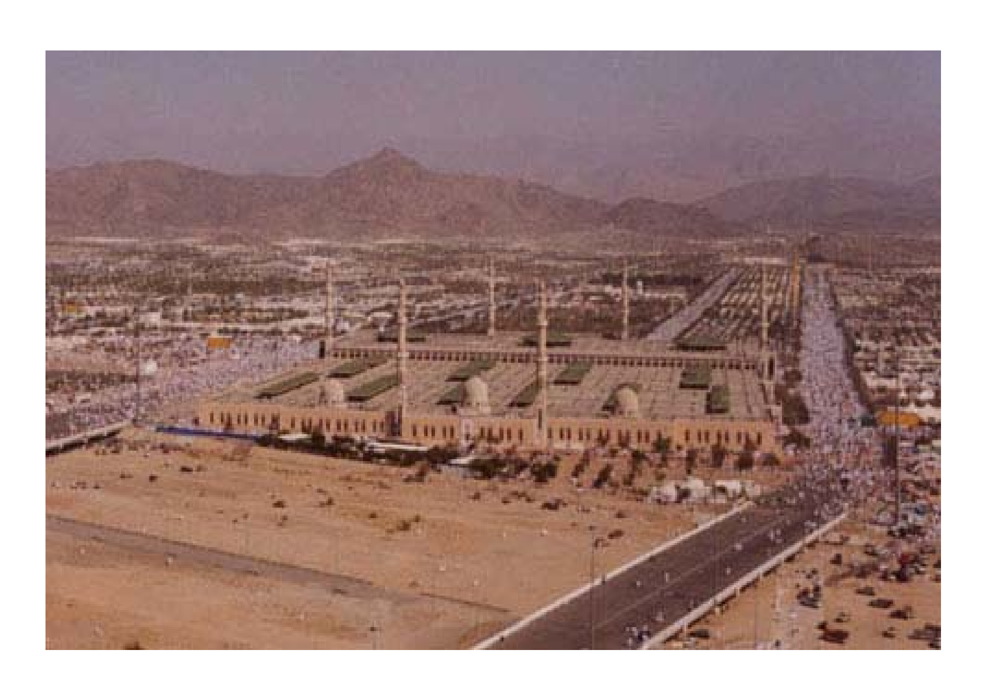
[232]- Cities of Ancient Israel http://www.bible-history.com/geography/ancient-israel/hebron.html

تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ* فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ* قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ)(الذاريات: ٢٤-٣٠).

لذا نفهم أن الملائكة المرسلين لتدمير قرية لوط (ع) القريبة من مكة قد التقوا بإبراهيم (ع) في مسجد نمرة حسب ما تورد التوراة وهو أمر معقول.



خريطة رقم ١٩: موقع نمرة على بعد ٢٢ كم تقريباً من بيت الله بمكة المكرمة



صورة رقم ٤: مسجد نمرة بوادي عرفة محاط بملايين الحجاج بيوم عرفة

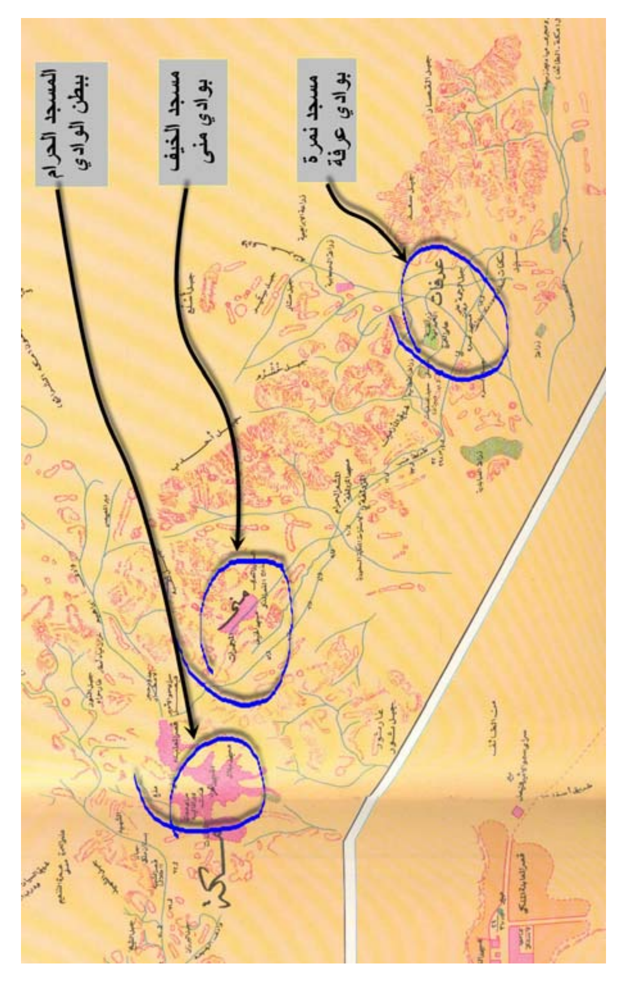
وتجلّي الرب لإبراهيم (ع) في المشاعر حدثٌ يرويه التراث العربي ويؤكده القرآن مرتين، مرة عند لقائه بالملائكة المرسلين وأخرى حين جاءه النداء وهو يهم بذبح إسماعيل (ع) (**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**) (الصافات:١٠٣-١٠٧). وهنا يذكر لنا التراث العربي الموقع الجغرافي لأحد هذين التجليين كما ورد في دعاء جليل يدعى "دعاء السمات" أو دعاء الشبور وهو من أدعية الإمام جعفر الصادق (ع) وهذا مقتبس ما يعنينا منه في البحث "**وباسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم وبمجدك الذي تجليت به لموسى كليمك عليه السلام في طور سيناء، ولإبراهيم عليه السلام خليلك من قبل في مسجد الخيف، ولإسحق صفيك عليه السلام في بئر شيع، وليعقوب نبيك عليه السلام في بيت إيل، وأوفيت لإبراهيم عليه السلام بميثاقك، ولإسحق عليه السلام بحلفك، وليعقوب عليه السلام بشهادتك، وللمؤمنين بوعدك، وللداعين بأسمائك فأجبت،**

وبمجدك الذي ظهر لموسى بن عمران عليه السلام[٢٣٣]. فمن هذا المقتبس من الدعاء نخلص إلى أن مسجد الخيف هو أحد مواقع التجلي الرباني لإبراهيم (ع). ومسجد الخيف هذا مشهور في التراث العربي وله سنن مستحبة في مناسك الحج. ويقع مسجد الخيف بوادي منى أسفل الجمرات حيث موقع مذبح إسماعيل (ع) (انظر الخريطة رقم **٢٠**)[٢٣٤]، لذا جاء في التراث أنه الموقع الخاص بنداء الرب (**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ❖ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**)(الصافات:١٠٤، ١٠٥).

---

[٢٣٣] - الطوسي، مصباح المتهجد، ص٤١٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٨، ص٩٩.

[٢٣٤] - حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، خريطة رقم ٥١.



خريطة رقم ٢٠: موقع مسجد الخيف إلى جانب الجمرات بمنى

بينما اسم المسجد "الخيف" يُرجح أنه المكان الذي أوجس فيه إبراهيم (ع) خيفة بعد لقائه بالملائكة المرسلين. ولعل هذا الموقع هو مكان التجليين فهو يبعد عن مسجد نمرة مسافة ١٤ كلم تقريباً ويجوز أن إبراهيم (ع) حرك مضارب خيام زوجته سارة في أرجاء الوادي واستقر في أماكن مختلفة في محيط المشاعر. ما يهمنا هو أنه ثبت في التراث العربي أن إبراهيم (ع) أقام مضاربه بنَمِرَة وما يحيطها من أشجار

وزروع في ذلك الزمان وهذه الأخبار موجودة في التوراة ولكن بصورة مشوشة. وجميع أحداث التجلي الرباني حدثت بالقرب من موضع مسجد نمرة.

٣. **حبرون- Hebron وعفرون**: إن بلوطات نمرة أو ممرا حيث بني مسجد إبراهيم لاحقاً تخليداً لموقع إقامته كانت تقع ضمن أو قرب حقل تعود ملكيته لشخص آخر يدعى عفرون بن صوحر الحثي الحجازي كما ورد في التوراة عند ذكر خبر شراء إبراهيم (ع) أرضاً ليدفن جثمان زوجته سارة حيث نقرأ "**وَقَالَ لعفْرُونَ في مَسَامِعِ شَعْبِ الارْضِ: «بَلْ ان كُنْتَ انتَ ايَّاهُ فَلَيْتَكَ تَسْمَعُنِي اعْطِيكَ ثَمَنَ الْحَقْلِ. خُذْ مِنِّي فَادْفِنَ مَيِّتِي هُنَاكَ». فَاجَابَ عفْرُونُ ابْرَاهِيمَ: «يَا سَيِّدِي اسْمَعْنِي. ارْضٌ بارْبَعِ مئَةِ شَاقِلِ فضَّةٍ مَا هِيَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟ فَادْفِنْ مَيِّتَكَ». فَسَمِعَ ابْرَاهِيمُ لعفْرُونَ وَوَزَنَ ابْرَاهِيمُ لعفْرُونَ الْفضَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا في مَسَامِعِ بَنِي حِثَّ ارْبَعَ مئَةِ شَاقِلِ فضَّةٍ جَائزَةً عنْدَ التُّجَّارِ. فَوَجَبَ حَقْلُ عفْرُونَ الَّذِي في الْمَكْفِيلَةِ الَّتِي امَامَ مَمْرَا الْحَقْلُ وَالْمَغَارَةُ الَّتِي فيه وَجَمِيعُ الشَّجَرِ الَّذِي في الْحَقْلِ الَّذِي في جَمِيعِ حُدُودِه حَوَالَيْه لابْرَاهِيمَ مُلْكا لَدَى عُيُونِ بَنِي حِثَّ بَيْنَ جَمِيعِ الدَّاخِلِينَ بَابَ مَدِينَتِه. وَبَعْدَ ذَلِكَ دَفَنَ ابْرَاهِيمُ سَارَةَ امْرَاتَهُ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ امَامَ مَمْرَا (الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ) فِي ارْضِ كَنْعَانَ**"(التكوين ٢٣-١٣، ١٩).

٤. يتضح أن حقل عفرون هي المزارع والحقول الممتدة أمام بلوطات نمرة حيث أسكن إبراهيم (ع) سارة وبها يوجد جثمانها الطاهر في مغارة جبلية حسب النص التوراتي. وبالنظر في الخريطتين ١٩ و ٢٠، نجد أن مسجد نمرة يقع في وادي عرفة في ظهر المشعر الحرام. وليس هناك مكان يُعرف باسم حبرون لا في الماضي ولا في الحاضر! ثم كيف اختفى اسم عرفة من التوراة وهو الذي ينبغي أن يكون ضارباً في الذاكرة الإنسانية لعلاقته بآدم؟ ويزداد التشويش مع إصرار التوراة على أن ممرا تقع في "حبرون" أو خبرون كما تُلفظ سريانياً، وهو ما جاء في النص التوراتي أعلاه "**ممرا (التي هي حبرون)**". وقد تكرر هذا الإصرار مراراً في التوراة المحرّفة وبنفس الصياغة مع دخول اسم آخر في الصورة ألا وهو "أربع" كما نقرأ في هذا المقطع التوراتي "**وَجَاءَ يَعْقُوبُ إلى اسْحَاقَ أبِيهِ إلى مَمْرَا قَرْيَةِ أرْبَعَ (الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ) حَيْثُ**

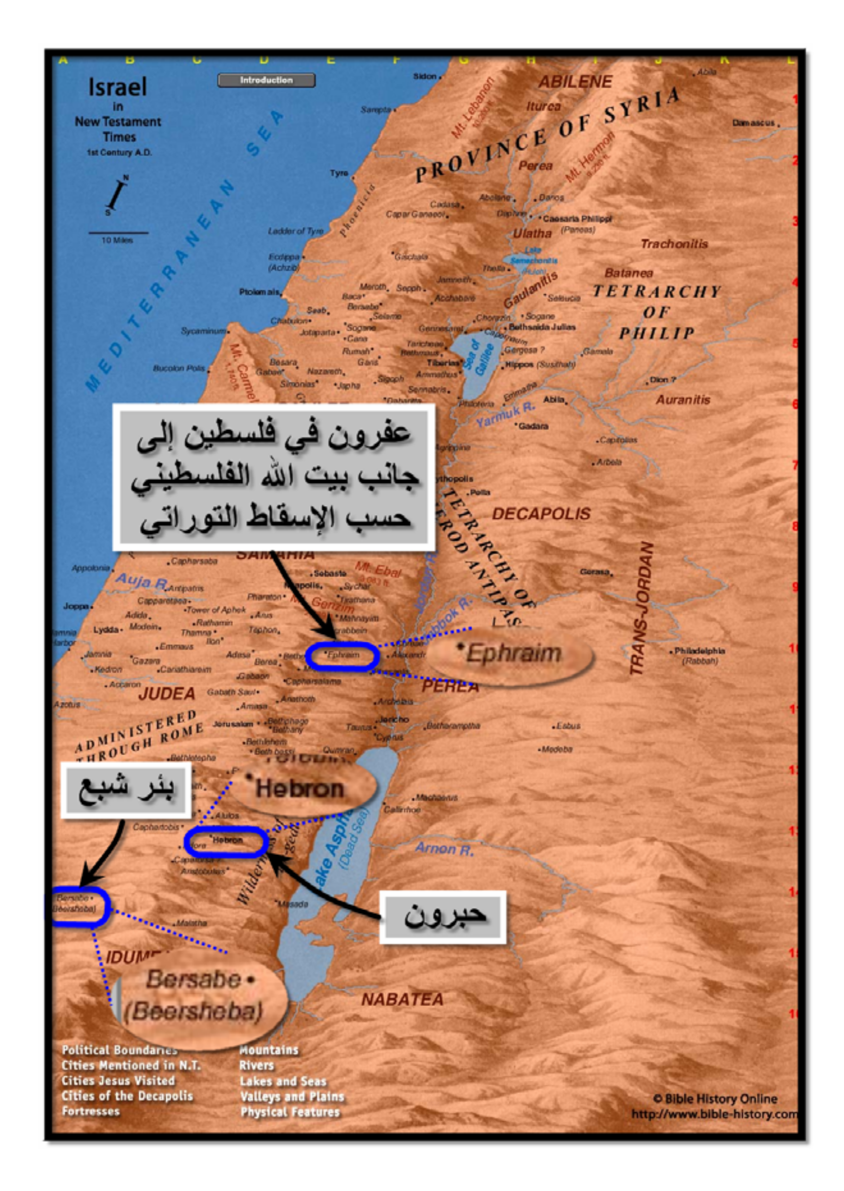
تَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحَاقُ" كما نجد نفس الإصرار في هذا المقطع **"وَمَاتَتْ سَارَةُ فِي قَرْيَةِ أَرْبَعَ (الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ) فِي أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَتَى إِبْرَاهِيمُ لِيَنْدُبَ سَارَةَ وَيَبْكِيَ عَلَيْهَا"**.

إن ما تدّعيه "السبعونية" وبناتها من ترجمات قائمة اليوم هو أن حبرون مدينة أو قرية بالشام، أما نحن فنقول إن الحقول والمزارع والأشجار كانت تُسمى وتُعرف بأسماء أصحابها كما كان الحال مع أشجار نمرة. وتقع الأرض التى كانت تحوي أشجار نمرة ضمن مزارع أو حقول عفرون بن صوحر الحجازي. فماذا كانت تسمى تلك الحقول حسب النظام القائم للتعرف على الأراضي ما دمنا نعلم أن صاحبها كان يدعى عفرون؟ أليس من المفترض أن تُعرف تلك الحقول بحقول أو مزارع عفرون؟ إنها تسمية تفرض نفسها على الأرض حسب نظام التسميات القائم آنذاك. ولذلك بحثنا في التوراة عن هذا الاسم كموقع جغرافي على أمل أن الذين يحرفون الكلم عن مواضعه قد أغفلوا تحوير مفردة عفرون إلى حبرون مرةً على الأقل في التوراة السريانية، وكان لنا ذلك، فوجدنا أن التوراة تذكر فعلاً أن هناك أرضًا تُدعى عفرون لفظاً في أحد أسفارها، وإن هذه الأرض تقع ليس من قبيل الصدفة أو الاتفاق جنب بيت اللّه، أي بيت إيل، حيث يجب أن تكون نظراً لحقيقة نزول إبراهيم (ع) بوادي عرفة شرق بيت الله حيث كان عفرون يسكن وسط حقوله، وذلك ما نقرؤه في أخبار بني إسرائيل كما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني الذي نصّه **"وَطَارَدَ أَبِيًّا يَرُبْعَامَ وَأَخَذَ مِنْهُ مُدُناً: بَيْتَ إِيلَ وَقُرَاهَا وَيَشَانَةَ وَقُرَاهَا وَعَفْرُونَ وَقُرَاهَا"**(أخبار الأيام الثاني ١٣ :١٩).

ولو نظرنا في الخرائط لنرى أين أراد أئمة اليهود لعفرون أن تقع ميدانياً في فلسطين (انظر الخريطة رقم ٢١) سنجد أنهم أسقطوها على مقربة من بيت إيل على قرية فلسطينية تسمى طيبة(٢٣٥). ولك أن تتساءل لماذا يفعلون ذلك؟ لماذا يريدون نقل مسرح مكة والمشاعر إلى فلسطين؟ ولماذا يريدون إخفاء اسم عفرون المعروف واستبداله باسم حبرون المجهول الذي أسقطوه في فلسطين بعيداً عن منطقة عفرون؟ هل يريدون بذلك طمس اسم عرفة أم أن هناك أسباباً أخرى سوف تكشفها الأيام لنا؟

---

(235)-Cities of Ancient Israel http://www.bible-history.com/geography/ancient-israel/ephraim.html



خريطة رقم ٢١: خريطة توضح مجموعة من الإسقاطات الجغرافية بفلسطين

خلاصة القول هو أن عفرون بن صوحر الحثي صاحب الحقل الذي سكن فيه إبراهيم (ع)، ما كان يعلم أن اسمه سوف يسّوق بعد ١٤٠٠ سنة من وفاته على أنه اسم لمدينة تقع في الشام ليرافق نبي الله إبراهيم (ع) في عملية ترحيله القسري إلى

الشام. والتأشيرة الوحيدة التي احتاجها عفرون للسفر مع إبراهيم (ع) إلى الشام هو بعض التحويرات الطفيفة على اسمه فتحول من عفرون بن صوحر إلى حبرون.

كما أن المتدبر في النصوص التوراتية أعلاه يجد أن العبث باسم عفرون والأحداث المحيطة به لم يكن التعدي الوحيد الذي تعرض له عفرون بن صوحر الحثي الحجازي بل تمّ الاستيلاء على كامل أرضه أيضاً في وعي العالم بعد مماته. فقد احتاج الخليل إلى قطعة أرض أو مغارة تكفي لدفن جثمان زوجته الطاهرة، وهو ما طلبه من عفرون صاحب الأرض حسب ما نقل كعب الأحبار وهو يهودي الأصل وعالم بما يحويه تاريخ اليهود. فينقل لنا التراث أقوال كعب الأحبار بهذا الشأن "**ذكر شراء المغارة عن كعب الأحبار رضي الله عنه قال: أول من مات ودفن في حبرون سارة ذلك أنها لما ماتت خرج الخليل عليه السلام يطلب موضعاً ليقبرها فيه ورجا أن يكون موضعاً بقرب حبري فمضى إلى عفرون وكان ملك الموضع وكان مسكنه فقال له إبراهيم بعني موضعاً أقبر فيه من مات من أهلي فقال له عفرون لك قد أبحتك فادفن موتاك حيث شئت من أرضى فقال إبراهيم عليه السلام لا أحب ذلك إلا بالثمن فقال له أيها الشيخ الصالح ادفن حيث شئت عليها وطلب منه المغارة فأخذها منه وحمل إبراهيم عليه السلام سارة ودفنها في المغارة**"[٢٣٦] أمّا كتبة "السبعونية" المهووسون بالاستيلاء على أراضي العباد فلهم رأي آخر حيث ارتأوا أن القبر كان بحاجة إلى حقل عفرون كلّه بما يحوي. وهذا ما نقرؤه في ترجمات التوراة التى بين أيدينا اليوم والتي تنصّ على أن عفرون باع كل ما يملك لإبراهيم (ع) كي يدفن جثمان سارة حيث تنصّ التوراة أن إبراهيم (ع) لم يكتف بالمغارة فحسب بل "**فَوَجَبَ حَقْلُ عفْرُونَ الَّذي في الْمَكْفيلَة الَّتي أمَامَ مَمْرَا الْحَقْلُ وَالْمَغَارَةُ الَّتي فيه وَجَميعُ الشَّجَر الَّذي في الْحَقْل الَّذي في جَميع حُدُوده حَوَالَيْه لابْرَاهيمَ مُلْكا لَدَى عُيُون بَني حثَّ بَيْنَ جَميع الدَّاخلينَ بَابَ مَدينَته وَبَعْدَ ذَلكَ دَفَنَ إبْرَاهيمُ سَارَةَ امْرَاتَهُ في مَغَارَة حَقْل**"(التكوين: ١٧-١٩ : ٢٣) وهذا يعني أن عفرون اضطر للبحث عن مسكن آخر كما هو الحال مع الفلسطينيين اليوم، حيث

(٢٣٦) – العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص٤٢.

كان مسكنه في الحقل الذي باعه بما يحوي إلى الخليل ليواري جسد سارة في إحدى مغاراته الجبلية. تدبر في هذه الصفقة العجيبة بين زعيم يملك الأرض وغريب يطلب موضعاً في هذه الأرض لدفن جثمان زوجته؟! تدبر كيف باع المالك وهو شيخ المنطقة كلَّ ما يملكه بما في ذلك مسكنه للغريب من أجل الغاية المذكورة؟! فهل تلمس أي تشابه بين الأمس واليوم في ما يخص منهجية الاستيلاء على أراضي الأفراد بل الشعوب بعد أن يطوي الموت الشهود والشخصيات المعنية ليبقى بين الناس كلام مزور منسوب إلى السماء يصب في مصالح أجيال المزورين؟!

٥ . **الكنعانيون Canaanities والكنانيون**: يكاد اسم الكنعانيين يكون أكثر الأسماء تكراراً في التوراة المحّرفة خصوصاً ضمن ما ورد عن أحداث إبراهيم والأقوام التي نزح إلى ديارها، وهم كما نطرح هنا يجب أن يكونوا حجازيين لا كما أشاعت التوراة بأنهم شاميون وذلك لمعرفتنا أن إبراهيم نزل بنمرة في وادي عرفة حيث كان يقطن تلك المنطقة آنذاك مع من تسميهم التوراة بالكنعانيين "**وَاجْتَازَ إِبْرَامُ فِي الأرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ إِلَى بَلُّوطَةِ مُورَةَ وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأرْضِ**"(التكوين ١٢: ٦) هذا إلى جانب أن التوراة نصت على أن سارة دفنت بأرض الكنعانيين "**وَبَعْدَ ذَلِكَ دَفَنَ ابْرَاهِيمُ سَارَةَ امْرَاتَهُ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ أمَامَ مَمْرَا (الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ) فِي أرْضِ كَنْعَانَ**". فمن هم الكنعانيون؟ وأين هم من عرفة ونمرة ومكة؟

إن أصل مفردة كنعان هو "كنن" أو "قنن" وذلك حين تُلفظ بدون تصويت، كما كُتبت التوراة السريانية. وهو ما يؤكده الصليبيى في كتابه "البحث عن يسوع" حيث يقول "**النسبة Kananites هي إلى مكان اسمه "كنن" أو "قنن" (من دون تصويت، أو ربما "كنعن" أو "قنعن"). و"القنانة" هي اليوم قرية بأقصى جنوب بلاد بني مالك من منطقة الطائف، عند الحدود بينها وبين سراة زهران**"[٢٣٧] ما يهمنا من كلام الصليبي هو أن كنن الوارد ذكرها في التوراة السريانية يمكن أن تُلفظ صوتياً كنعان وهو ما انتشر في العالم، كما يمكن أيضاً أن تُلفظ قنان. ونحن نعجب كيف لم يلتفت الصليبي إلى أن كنن يمكن أن تصوّت أيضاً كنان والتي إليها ينسب الكنانيون.

---

[٢٣٧] – كمال الصليبي، البحث عن يسوع، ص١٣٢ .

وهـذا التصـوّيت هـو أقـرب ممّـا اقـترح. والكنـانيون قبائـل عريقـة بالحجـاز ويسـكنون منطقة محاذية لمكة تدعى كنانة (انظر خارطة رقم ٢٢) [٢٣٨].



خريطة رقم ٢٢: كنانة تقع بجوار مكة

وتـاريخ الكنـانيين عريـق في المنطقـة ولهـم علاقـة بتحويـل العنايـة ببيـت الله مـن أيدي الخـزاعيين إلى القرشـيين منـذ أيـام قصـي أحـد أجـداد رسـول الله (ص) حيـث ينقل لنا ابن سعد بعض أخبارهم العريقة فيقول **"إنه لما هلـك حليل رأى قصـي أنـه أولى بالكعبة وبأمر مكة مـن خزاعـة فكلـم رجـالاً مـن قـريش وبـني كنانـة ودعـاهم إلى إخراج خزاعة من مكة وبخدعة استطاع أن يشتري من أبـي غبشـان الخزاعـي**

[٢٣٨] - حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، خريطة رقم ٥٩.

مفاتيح الكعبة مقابل زقّ من الخمر وقعود) ويقول ابن كثير (فاشترى قصي ولاية البيت منه بزق خمر وقعود فكان يقال أخسر من صفقة أبي غبشان"[٢٣٩].

هذا ويروي الترمذي ومسلم كما ينقل الماحوزي إن الكنانيين هم آباء قريش. وقريش هم سدنة بيت الله حتى عهد الرسالة المحمدية "**أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن واثلة: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى من بني كنانة قريش، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم** .."[٢٤٠] كما يخبرنا الصفدي في كتابه الوافي عن علاقة الكنانيين بتاريخ أحداث المنطقة وعلاقة أحداث المنطقة بإبراهيم (ع) وأجداده "**كانت العرب تؤرخ في بني كنانة من موت كعب بن لؤي وأرخ بنو إسماعيل عليه السلام من نار إبراهيم عليه السلام إلى بنائه البيت ومن بنائه البيت إلى تفرق معد ومن تفرق معد إلى موت كعب بن لؤي ومن عادة الناس أن يؤرخوا بالواقع المشهور والأمر العظيم فأرخ بعض العرب بعام الختان لشهرته**"[٢٤١] .

فهنا نجد مفردات كنانة ومكة والبيت وإبراهيم وإسماعيل والنّار والختان والعرب مقترنةً جميعاً كأنها متلازمات طبيعية في تاريخ عرب منطقة مكة، وهي كذلك لولا عبث العابثين بتاريخ المنطقة. والتراث العربي يحوي الكثير من المعلومات التي تشير إلى وجود الكنانيين العريق في مكة وعرفة، ولولا مخافة الإطالة لأتينا بها جميعاً. كما لا يفوتنا أن نذكر أن الروايات السالفة الذكر تشير إلى أن الكنانيين ينحدرون من إبراهيم (ع) فكيف سبقوه وهم من نسله؟ والجواب يكمن في عادة التيّمن.

---

[٢٣٩] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٦٩.

[٢٤٠] – الماحوزي، كتاب الأربعين، ص٣٥٣.

[٢٤١] – الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص٣١.

فالتراث العربي لا يذكر أن اسم كنان ظهر أول ما ظهر في ولد إسماعيل، بل من المتوقع أن يكون هذا الاسم قديماً وهو عينه أحد أسماء أجداد كنان القدامى وإليه تنسب قبيلة كنان وأرض كنانة.

ولكن أين كان يسكن الكنانيون تحديداً؟ نحن نعلم أن إبراهيم (ع) سكن في عرفة وفي نمرة تحديداً حيث تذكر التوراة الكثير من الأحداث بين إبراهيم (ع) وبنيه والكنعانيين. فهل كان الكنانيون بعيدين عن عرفة ومنى ومزدلفة حيث كان إبراهيم (ع) مقيماً؟ ما يقوله الكثير من المؤرخين هو إن الكنانيين تركوا وراءهم اسمهم وهو يعرف إلى اليوم "بخيف بني كنانة" كما هو متوقع ويقع قرب مكة وذلك ما يؤكده الحموي"**وقال القاضي عياض خيف بني كنانة هو المحصب كذا فسر في حديث عبد الرزاق وهو بطحاء مكة وقيل مبتدأ الأبطح وهو الحقيقة فيه لأن أصله ما انحدر من الجبل وارتفع عن المسيل وقال الزهري الخيف الوادي وقال الحازمي خيف بني كنانة بمنى نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم والخيف ما كان مجنباً عن طريق الماء يميناً وشمالاً متسعا**"[٢٤٢] أمّا ابن أبي جمهور فقد حدد بدقة قائلاً "**المُحَصب: بالضم ثم الفتح وصاد مهملة مشددة: موضع فيما بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب وهو بطحاء مكة وهو خيف بني كنانة، وحده من الحجون ذاهباً إلى منى وقيل حده ما بين شعب عمرو إلى شعب بني كنانة، وهذا من الحصباء التي في أرضه**"[٢٤٣] أمَّا الدكتور حسين مؤنس فقد رسم موقع خيف بني كنانة وهو كما جاء في أطلس تاريخ الإسلام يقع بين مسجد الخيف بجوار الجمرات والمسجد الحرام (انظر خريطة رقم ٢٣)[٢٤٤]. هؤلاء هم الكنانيون في تراث العرب وهذه شواهدهم وأراضيهم إلى يومنا هذا. فأين يوجد الكنعانيون؟ وأين أثرهم؟ أين هؤلاء الذين ملأ ذكرهم التوراة تهميشاً وقدحاً وتسقيطاً؟ لقد أشاعت جغرافيا التوراة خبراً مفاده أن الكنعانيين هم

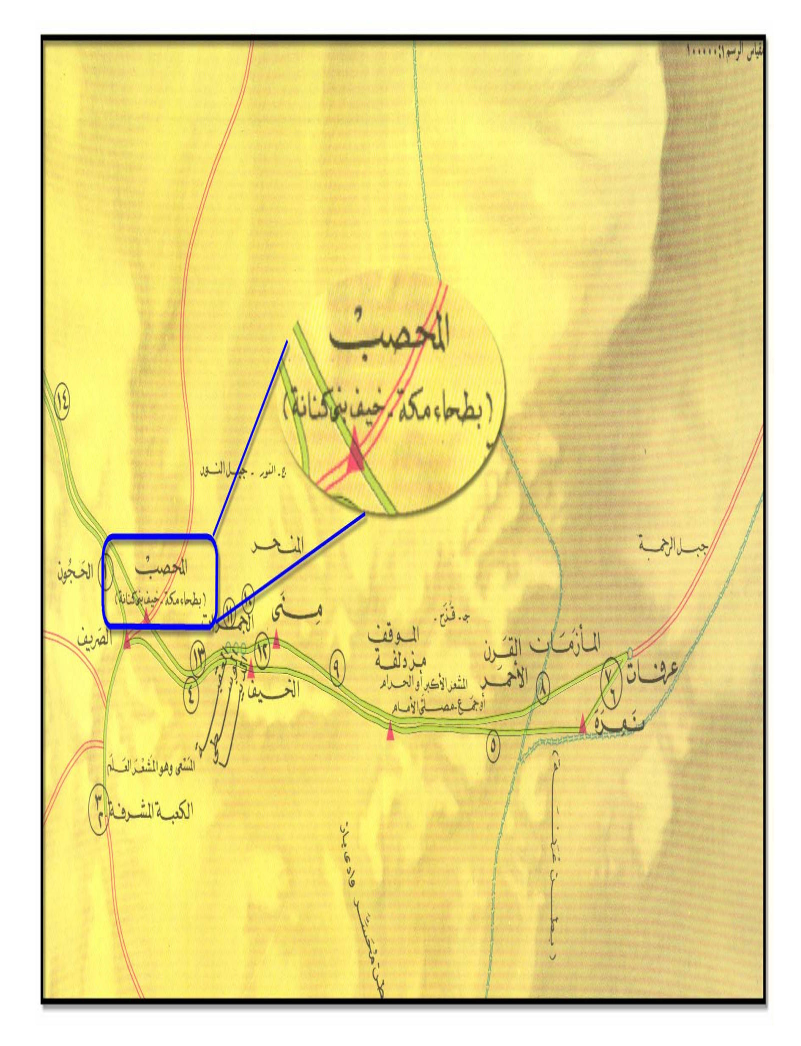
---

[٢٤٢] – الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤١٢.

[٢٤٣] – ابن أبي جمهور، الأقطاب الفقهية، ص٦٦.

[٢٤٤] – حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٧٣.

سكان سورية القديمة، ولكن الآثار والشواهد في منطقة سوريا وفلسطين والأردن لم تشر إلي أي وجود لهذا الاسم هناك.



خريطة رقم ٢٣: خيف بني كنانة يقع بين مكة ومنى

ويلقي أحمد داوود في أحد كتبه مزيداً من الضوء على لغز الكنعانيين الشاميين بقوله "**كيف يجرى طمس هوية الشعب العربي السوري صاحب هذه الأرض منذ عشرة آلاف عام قبل الميلاد على الأقل لتحل محله تلك العشائر العربية**

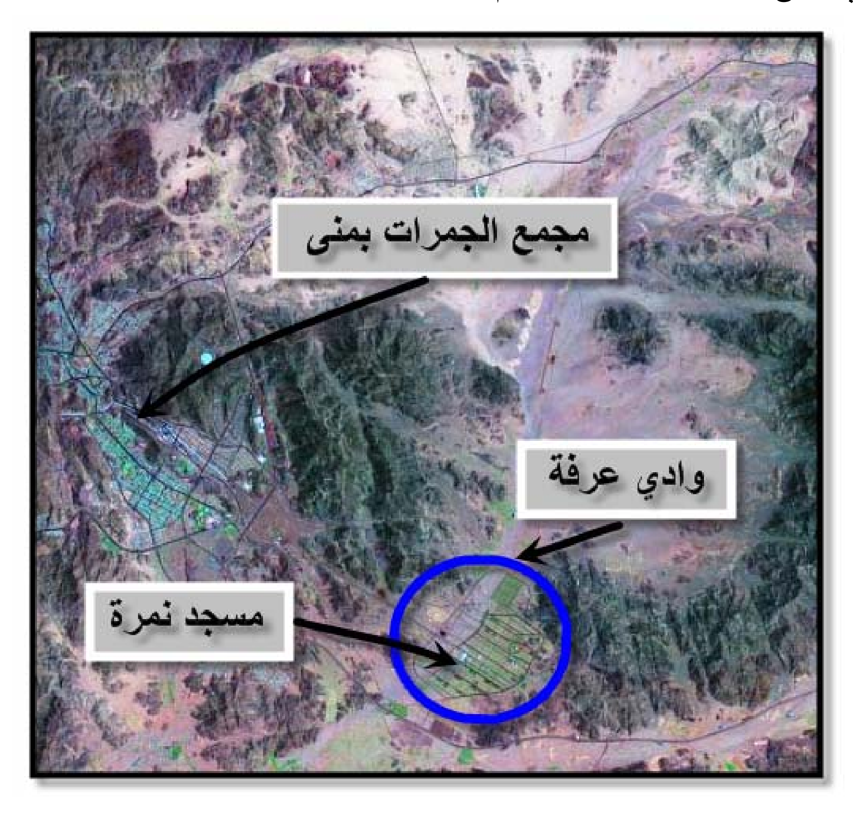
الكنعانية التي لا ذكر لها خارج مدونات التوراة في الوقت الذي يعترف فيه العرب والأجانب على السواء أن هذه التسمية لم تعرفها أية دولة أو جماعة في تاريخ سوريا القديم، وإنها حسب تعبير موسكاتي، مصطلح اتفق عليه العلماء وأخذوا به (ومن المستحسن أن يعالج في المستقبل تاريخ سوريا وفلسطين، أو سوريا بمعناها الواسع، وهو اصطلاح موفق أخذ به الجغرافيون على أنه موضوع واحد دون أية حدود صناعية، وهنا لا حاجة إلى اصطلاحات كلفظ الكنعانيين)، ويؤكد لنا الدكتور علي أبو عساف في كتابه (آثار الممالك القديمة في سوريا) قائلاً: (والواقع أن أيًّا من هذه الدول لم تصف نفسها بالكنعانية أو الآمورية) وفي الوقت الذي وضع فيه سانخو نياتن كتابه (تاريخ فينيقيا) في تسعة أجزاء في حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد أي في زمن موسى (ع) لم يذكر فيه (كنعان) و(كنعانيين)، وفي الوقت الذي نرى فيه هيرودوت يتحدث عن (السوريين) أو الفينيقيين لم يورد ذكر (كنعان) مرة واحدة"[٢٤٥]

إذن فلفظ كنعان وكنعانيين كما بيّن أحمد داوود هو مصطلح غريب على الشام وأهل الشام القدامى ولم يرد في غير التوراة. وهذا يفسر لنا لماذا وقع التناقض بين ما هو قائم في وعي وثقافة الناس وبين ما هو ثابت في الوثائق القديمة والآثار الميدانية. كما يوضح لنا عمق العبث والتعدي على تواريخ الأمم من أجل ترتيب مسرح الأحداث ليتوائم مع مصالح قوميّة تستند دعائمها إلى أطروحة الأرض الموعودة.

٦. **أربعة-(Arbah) وعرفة**: بعد أن بدأت تتضح الصورة يمكننا تتبع باقي أسماء المناطق التي ورد ذكرها في التوراة والمصاحبة لذكر أحداث مهمة ومترسخة في ذاكرة سكان منطقة مكة ومحيطها. نجد أن المكان الذي توفيت فيه زوجة إبراهيم (ع) سارة يسمى أربع كما جاء في التوراة "**وَمَاتَتْ سَارَةُ فِي قَرْيَةِ ارْبَعَ (الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ) فِي ارْضِ كَنْعَانَ فَاتَى ابْرَاهِيمُ لِيَنْدُبَ سَارَةَ وَيَبْكِيَ عَلَيْهَا. وَقَامَ ابْرَاهِيمُ مِنْ امَامِ مَيِّتِهِ وَقَالَ لِبَنِي حِثَّ: «انَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ عِنْدَكُمْ. اعْطُونِي مُلْكَ قَبْرٍ مَعَكُمْ لادْفِنَ مَيِّتِي مِنْ امَامِي.**"(التكوين ٢٣-٢،٨) وتجد باقي تفاصيل القصة في المقتبس المذكور مباشرة أعلى هذا القسم حيث علمنا أن إبراهيم (ع) قصد عفرون لشراء قبر لزوجته سارة في أرضه. وأيضا علمنا أن نمرة أو ممرا حيث تسكن سارة تحديداً تقع جغرافيا جنب حقل عفرون "**وَبَعْدَ ذَلِكَ دَفَنَ إبْرَاهِيمُ سَارَةَ أمْرَاتَهُ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ**

[٢٤٥] -أحمد داوود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، ص١٨٤.

الْمَكْفيلَةِ أمَامَ مَمْرَا (الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ) فِي أرْضِ كَنْعَان"(التكوين ٢٣-١٩) وعلمنا أن حبرون هـي تحريـف لاسـم صـاحب الأرض ألا وهـو عفـرون وعرفنـا أن الكنعـانيين هـم الكنـانيون. ولكـن ظهـرت لنـا قريـة أربـع في الصـورة حيـث توفيـت سـارة كمـا جـاء في المقتبس أعلاه. ونفهم من هذا المقتبس أن بلوطات ممـرا وحقـل عفـرون يقعـان ضـمن قرية أربع لكون الأول موقع لمجموعة أشـجار والثـاني حقـل زراعـي. وبـالنظر في صـور الأقمـار الصـناعية في (صـورة رقـم ٥)، نـدرك حـالاً أن نمـرة تقـع ضـمن وادي عرفـة الذي ترجع شهرته إلى عهد أبينا آدم كما جاء في التراث.



صورة رقم ٥: منظر بالأقمار الصناعية لمنطقة المشاعر- منى- مزدلفة - عرفة بجنوب شرق الحرم المكي

وبالتـدقيق في اللفـظ الـوارد لـوادي عرفـة كمـا جـاء في التـوراة السـريانية نجـد أن هناك تبايناً في لفظ الحروف مما يعزز استنتاج أن قرية أربع هـي ذاتهـا قريـة عرفـة.

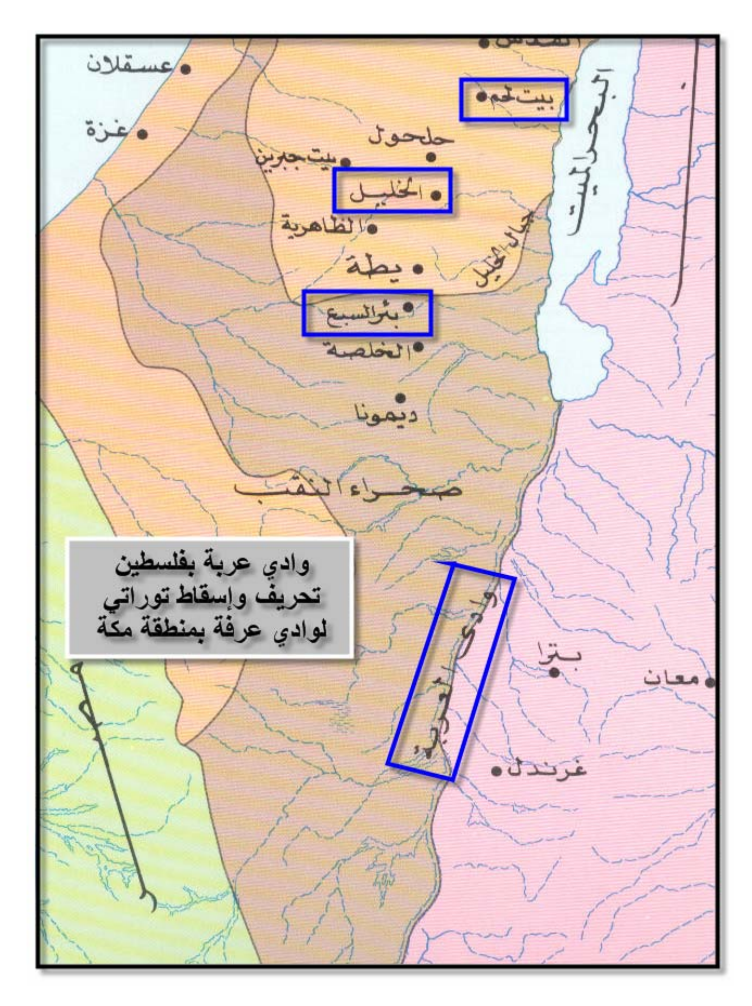
فمن الألفاظ الواردة سريانيا (Ar-bah')[٢٤٦]، أي "أربه" وليس "أربع" .وحيث أن حرف العين لا يوجد في اللغة اللاتينية فعادة ما يستدل عليه بحرف الهمزة أو A. لذا من المتوقع أن يكون لفظ هذه القرية "عربة" وهو أقرب إلى "عرفة" منه إلى "اربع" كما جاء في ألفاظ ترجمات التوراة. وهذا التحليل عينه هو سبب وجود منطقة في فلسطين تسمى اليوم وادي عربة (انظر خريطة ٢٤) والتي جاء ذكرها في التوراة تحت لفظ (ărâbâh) [٢٤٧]، ومع إضافة حرف الهاء وهو حرف التعريف السرياني لتنتهي إلى (ha-`Arabah)[٢٤٨] . فما نقوله هنا هو أن قرية أربع هي تحوير لاسم "عرفة" الذي تمّ إسقاطه على فلسطين بلفظة "عربة" وهذا التحريف يقع ضمن مجموعة إسقاطات ميدانية هدفت لتصوير الشام كأنها أرض الأنبياء وذلك من باب ترتيب الواقع الميداني لتمرير التزوير "السبعيني".

---

(246) - The First Book of Moses،

http://www.htmlbible.com/sacrednamebiblecom/kjvstrongs/index2.htm
(247) - The Book of Joshua Chapter 15

http://www.htmlbible.com/sacrednamebiblecom/kjvstrongs/index2.htm
(248) - The Book of Joshua Chapter 15 المصدر نفسه.



خريطة رقم ٢٤: خريطة توضح الجزء الجنوبي من أرض فلسطين المحتلة حيث تم إسقاط بعض أسماء مكية فيها

٧. **المُريّا – (Moriah)** والمروة: في حادثة ذبح إسماعيل (ع) التي حرفها أئمة اليهود إلى حادثة ذبح إسحاق (ع)، تظهر كلمة "مريا" كما جاءت في هذا المقتبس التوراتي " **وَحَدَثَ بَعْدَ هَذِهِ الامُورِ ان اللهَ امْتَحَنَ ابْرَاهِيمَ فَقَالَ لَهُ: «يَا ابْرَاهِيمُ». فَقَالَ: «هَئَنَذَا». فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ اسْحَاقَ وَاذْهَبْ إلى ارْضِ الْمُرِيَّا وَاصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى احَدِ الْجِبَالِ الَّذِي اقُولُ لَكَ».**"(التكوين ٢٢-١،٢) والمريّا هنا هي الموقع الذي همّ فيه إبراهيم (ع) بذبح ابنه إسحاق (ع) كما تروي التوراة. ولكن من التراث

العربي وبتأكيد القرآن الكريم نعلم أن هذه الحادثة حدثت لإسماعيل وفي منى وعلى العقبة الوسطى تحديداً: "**وفي صحيحة محمد بن مسلم أو حسنته قال: "سألت أبا جعفر (عليه السلام) أين أراد إبراهيم (عليه السلام) أن يذبح ابنه؟ قال: على الجمرة الوسطى، وسألته عن كبش إبراهيم ما كان لونه وأين نزل؟ قال: أملح، وكان أقرن، ونزل من السماء على الجبل الأيمن من مسجد منى**[٢٤٩]"[٢٥٠].

فمنى هي الموقع الجغرافي الذي شهد حادثة الذبح والتي حفظ ذكرها القرآن الكريم. وليس هو من قبيل الاتفاق أن تكون منى هي المذبح القائم حتى يومنا هذا ويكاد يكون الوحيد في العالم الذي يمتد تاريخه العريق في عمق الزمن إلى عهد الخليل إبراهيم (ع). وبغض النظر عمّا تنقل التوراة بالنسبة للشخص المذبوح فما يهمنا هنا هو الموقع الجغرافي الذي شهد هذه الحادثة. فالتوراة تقول إن ذلك حدث في منطقة المُريّا وهي ليست قريبة من منى. ولكن لو تتبعنا لفظ الاسم في التوراة السريانية نجده (**mo-ree-yaw**)[٢٥١] وهو لفظ أقرب إلى مُروة منه إلى المُريّا حيث جاء اللفظ عارياً من "ال" التعريف السريانية ألا وهي حرف الهاء الذي يسبق اللفظ المراد تعريفه كما تسبق "ال" التعريف الألفاظ المراد تعريفها في اللسان العربي الفصيح. ومن هنا نستنتج أن أئمة اليهود لم يغيروا اسم الذبيح فحسب، بل استبدلوا موقعاً بموقع آخر أيضاً. وللعلم فإن المروة اسم تلة مشهورة تقع في بطن وادي مكة حيث أسكن إبراهيم هاجر وابنها، وهي إحدى غايات السعي في مناسك الحج (انظر خريطة ٢٥) وورد ذكره في كتاب اللّه (**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**)(البقرة:١٥٨).

---

(٢٤٩) – مسجد الخيف يسمى أيضا مسجد منى لوقعه في وادي منى إلى جانب الجمرات.

(٢٥٠) – المحقق البحراني، الحدائق الناضرة، ج١٧، ص١١٠؛ وانظر أيضاً: ابن كثير، التفسير، ج٤، ص١٧ :(بألفاظ مختلفة).

(251) – E-sword bible- KJV+ version – strong # H4179



خريطة رقم ٢٥: موقع الصفا والمروة بالحرم المكي

٨. **بيت إيل (Bathel)- بيت الله: (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)**(إبراهيم:٣٧). ما من شكّ أن أئمة اليهود يعلمون ويخفون حقيقة أن إبراهيم (ع) مرتبط بالكعبة المشرفة ارتباطاً وثيقاً ولا يوجد في

الكون بيت لله ظاهر ومنصوص عليه غير هذا البيت الذي تحج إليه شعوب العالم المسلمة اليوم والذي كانت الأمم تحج إليه قبل البعثة. فهل لبيت الله ذكرٌ في التوراة رغم التعتيم الإعلامي والتشويش عليه؟ وهل استطاعوا انتزاعه من التوراة كما انتزعوه من ثقافة العالم الغربي؟ نعم لقد استطاعوا اختزال ذكر بيت الله في أحداث إبراهيم (ع) إلى مقطعين توراتيين فقط.

فبعد مغادرة إبراهيم (ع) موطن آبائه باتجاه الأرض المباركة للعالمين يأتي أول ذكر لبيت الله وإبراهيم (ع) في التوراة في هذا المقطع "**وَاجْتَازَ إِبْرَامُ فِي الأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ إِلَى بَلُّوطَةِ مُورَةَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ. ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيلٍ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتُ إِيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايُ مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ. ثُمَّ ارْتَحَلَ إِبْرَامُ ارْتِحَالاً مُتَوَالِيًا نَحْوَ الْجَنُوبِ**."(التكوين ١٢-٦،٩) وإيل (**El**) تعني لفظ الجلالة "الله" بالسريانية وبيت إيل (**Beth-el**) تعني بيت الله كما يوضح لنا الطبري: "**وكان يعقوب يدعى إسرائيل، بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه وإيل هو الله وإسرا: هو العبد، كما قيل جبريل بمعنى عبد الله. وكما: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير مولى ابن عباس، عن ابن عباس: إن إسرائيل كقولك عبد الله. وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن المنهال، عن عبد الله بن الحارث، قال: إيل: الله بالعبرانية**"[٢٥٢].

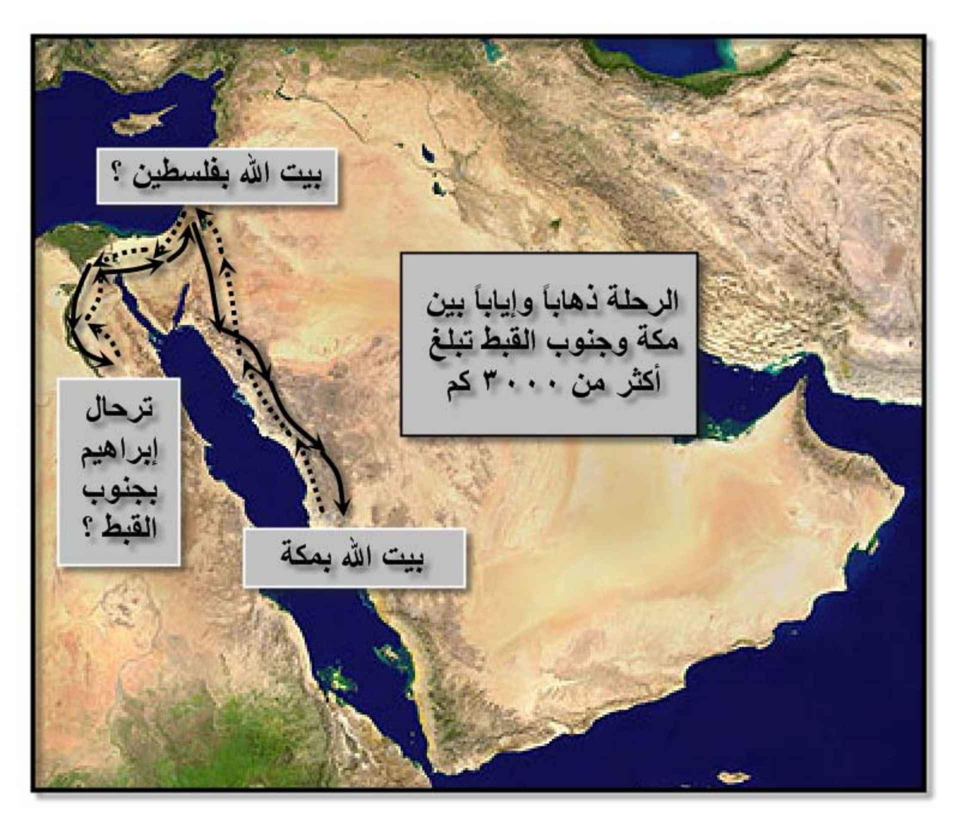
فمن المقتبس التوراتي أعلاه نفهم أن إبراهيم (ع) توجه من موطن آبائه إلى منطقة بيت إيل أو بالأصح شرقي الحرم المكي حيث المشاعر وكان فيها من صاروا يعرفون اليوم بالمكيين أو الحجازيين وهم من تطلق عليهم التوراة اسم "الكنعانيين" وكان اسمهم في الأصل الكنانيين. وقد ضرب إبراهيم (ع) خيامه قرب جبل يقع شرق بيت الله حيث بنى هناك مذبحاً. وإبراهيم (ع) يعرف بيتاً واحداً لله وهو الذي رفع قواعده بيده. وبالنظر في (الخريطة رقم ٢٣) ندرك أن منى، حيث المذبح القائم منذ عهد إبراهيم (ع) إلى اليوم، تقع جنوب شرق بيت الله وهناك تقع المزدلفة

---

[٢٥٢] – ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج١، ص٣٥٥.

وعرفة أيضاً وهي جميعاً مشاعر مقدّسة. ثم يسارع كاتبو التوراة إلى ترحيل إبراهيم (ع) جنوباً دون ذكر السبب أو تحديد الوجهة، حتى حدثت مجاعة في الأرض التي كان بها. ولا أحد يعرف أين ذهب إبراهيم بعد أن ترك منطقة المشاعر متجهاً نحو الجنوب. فهل انتقل إلى مصر بمواشيه على ظهور الحمير أو مشياً على الأقدام، وهي التي ظن العالم أنها القبط التي تبعد عن المشاعر ما يقارب ١٥٠٠ (كلم) براً وتقع في جهة الشمال وليس الجنوب كما جاء في التوراة، وكانت ترافقه في رحلته هذه أغنام قصيرة النجعة ترعى وتقيل ساعات طوال؟! ولكي تدرك صعوبة أن يقطع المرء الصحاري والوديان بصحبة ماشية نجد في التوراة نفسها الجواب "**فأجابه يعقوب: أنت تعلم يا سيدي أن الأولاد ضعاف، والغنم والبقر التي عندي مرضعة، فإن أجهدتها في السير، ولو يوماً واحداً، هلكت الغنم كلّها. فتقدم مني يا سيدي، وأنا أمشي متمهلا على خطى الماشية التي أسوقها وخطى الأولاد حتى ألحق بك في سعير**"(التكوين ٣٣-١٣).

والذكر الثاني والأخير لبيت الله ولإبراهيم (ع) في التوراة هو هذا المقطع الذي يشير إلى عودة إبراهيم (ع) مرة أخرى من القبط إلى مكة وإلى نفس المكان الذي تركه (انظر الخريطة رقم ٢٦) بعد أن قطع مسافة مجموعها أكثر من ٣٠٠٠ (كلم) ذهاباً وإياباً على ظهور البغال فراراً من المجاعة المزعومة.



خريطة رقم ٢٦: رسم يوضح خط رحلة نبي الله إبراهيم (ع) القارية بين مكة والقبط بعد إرباك الإسقاطات التوراتية

"**فَصَعِدَ ابْرَامُ مِنْ مِصْرَ هُوَ وَامْرَاتُهُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ وَلُوطٌ مَعَهُ إلى الْجَنُوبِ وكَان إبْرَامُ غَنيّا جدًا في الْمَوَاشي وَالْفضَّة وَالذَّهَبِ وَسَارَ في رحْلاته منَ الْجَنُوب إلى بَيْت إيلَ إلى الْمَكَان الَّذي كَانتْ خَيْمَتُهُ فيه في الْبَدَاءَة بَيْنَ بَيْت إيلَ وَعَايَ إلى مَكَان الْمَذْبَح الَّذِي عَمِلَهُ هُنَاكَ أوَّلا. وَدَعَا هُنَاكَ إبْرَامُ بِاسْمِ الرَّبِّ**"(التكوين ١٣-١،٤) وتواجهنا هنا ليس فقط مشكلة المسافات القارية التي يستنكر العقل إمكانية قطعها في الظروف التي كانت تحيط بنبي الله إبراهيم (ع)، ولكن هناك مشكلة الاتجاهات الجغرافية أيضاً. فلا أحد يعلم حتى الآن كيف يتحرك إبراهيم (ع) من القبط متجهاً نحو الجنوب فيصل إلى الشام، إذ كان يسكن هناك كما تدعي التوراة "السبعونية"، ناهيك عن

الوصول إلى مكة وفق هذه الوجهة الجغرافية! وليس هذا المنطق الأعوج الوحيد في التوراة المحّرفة فيما يتعلق بجغرافيا الأنبياء. والمنطقة التي يقع بها بيت إيل كما جاء في التوراة هو لوز "**وَدَعَا اسْمَ ذَلِكَ الْمَكَان «بَيْتَ إِيلَ» وَلَكِن اسْمُ الْمَدِينَةِ أَوَّلا كَان لُوزَ**."(التكوين ٢٨ :١٩) والحجاز حيث يقع بيت الله كانت تُعرف اتفاقاً بالجوز! "**أخبرني من أثق به أن جبال السراة المقاربة للطائف وهي بلاد هذيل يقال لها الجوز، وإليها تنسب الأبراد الجوزية، وهي وزرات بيض ذات حواش يأتزرون بها، قال السكري: الجوز جبال ناحيتهم، ويقال: الجوز الحجاز كله، ويقال للحجازي جوزي، وينسب إلى هذه النسبة الفقيه أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي**"[٢٥٣].

٩. **الوادي المقدس طوي وقادس- (Kadesh)**: وأخيراً تحتفظ ذاكرة العرب بحقيقة معرفة بني إسرائيل وإدراكهم لعظمة بيت الله التي يستنكرها أئمتهم ويجتهدون في طمسها. فينقل لنا الفاكهي هذا الخبر "**حدثنا حسين بن حسن المروزي قال ثنا مروان بن معاوية قال ثنا حاتم بن أبي مغيرة عن ابن أبي مليكة قال قال ابن الزبير رضي الله عنهما إن هذا البيت كان يحجه من بني اسرائيل سبعمائة ألف يضعون نعالهم بالتنعيم ثم يدخلون حفاة تعظيما له**"[٢٥٤] كما وينقل الأصبهاني هذا الخبر "**حدثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الله بن سليمان ثنا محمود بن خالد ثنا عمرو بن عبد الواحد عن الأوزاعي ثنا عبده بن أبي لبابة عن مجاهد قال كان يحج من بني إسرائيل مائة ألف فإذا بلغوا أنصاب الحرم قلعوا نعالهم ثم دخلوا الحرم حفاة**"[٢٥٥]. ويضيف الفاكهي مزيداً من التفصيل في هذا المقتبس "**حدثنا محمد بن أبي عمر قال ثنا سفيان عن مسعر عن مصعب بن شيبة عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم قال كانت الأمم من بني**

---

[٢٥٣] - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٨٣.

[٢٥٤] - الفاكهي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٦٧.

[٢٥٥] - الاصبهاني، حلية الأولياء، ج٣، ص٢٩٨.

إسرائيل إذا جاءوا ذا طوى خلعوا نعالهم تعظيما للحرم"[٢٥٦] ويضيف الشامي بقوله "**وروى أبو ذر الخشنى في مناسكه عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: حج البيت ألف نبي من بني إسرائيل لم يدخلوا مكة حتى وضعوا نعالهم بذي طوى**"[٢٥٧] وهذا الكلام أورده ابن حجر[٢٥٨] منقولاً عن رسول الله (ص). ولكن من أين كان اليهود يأتون إلى مكة أيام ما قبل البعثة المحمدية؟ الجواب: من كل مكان، حيث ثبت أن اليهود كانوا عرباً سكنوا الجزيرة في حقب مختلفة بل منهم من كان ساكناً على مقربة من مكة وهم الكنانيون أنفسهم بعد أن اعتنقوا الدين الموسوي كما نقرأ في هذا الخبر "**فأهل التوراة هم اليهود وأهل الإنجيل هم النصارى وقد كانت النصرانية في الجاهلية في ربيعة وعنان وبعض قضاعة واليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة والمجوسية في تميم وعبادة الأوثان والزندقة في قريش**"[٢٥٩].

وذو طوى اسم مكان ورد فيه ذكر خلع النعل في كتاب الله (**إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى* إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى* وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**)(طه:١٣). فجرت في بني إسرائيل سنّة خلع النعال فيه لتجلي الرب لموسى (ع) في هذا المكان. وهو موقع قرب ميقات مسجد التنعيم (انظر خريطة رقم ٢٧) الذي يُعرف اليوم بمسجد العمرة. وهو المكان الذي يحرم منه حجاج بيت الله من أهل مكة إلى اليوم. وبه يخلع الحاج كلَّ لباسه ويتطهر ويلبس الإحرام ويتجه بعد ذلك إلى بيت الله الذي يبعد عنه مسافة سبعة كيلومترات تقريباً. وذو طوى هو أحد حدود مكة كما عبر ابن الأثير.

---

[٢٥٦] – الفاكهي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٥٧.

[٢٥٧] – الصالح الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج١، ص٢١١.

[٢٥٨] – ابن حجر، تلخيص الحبير، ج٧، ص٢٧٥.

[٢٥٩] – العلامة الحلي، منتهى المطلب، ج٢، ص٩٦٠.



خريطة رقم ٢٧: موقع مسجد التنعيم بمكة



خريطة رقم ٢٨: موقع ذي طوى على مشارف مكة حيث قسّم رسول الله (ص) جيشه قبل دخوله مكة فاتحا "طوى بضم الطاء وفتح الواو المخففة: موضع عند باب مكة"[٢٦٠].

(٢٦٠) – حسن صاحب المعالم، منتقى الجمان، ج٣، ص٢٥٠.

وبجوار مسجد التنعيم (انظر خريطة رقم ٢٨)[(٢٦١)] قسم رسول الله (ص) جيشه قبل دخوله مكة كما نقل الأزرقي "**عن زيد بن أسلم قال بكة الكعبة والمسجد مبارك للناس ومكة ذو طوى وهو بطن مكة الذي ذكره الله عز وجل في سورة الفتح**"[(٢٦٢)]. ووادي ذي طوى منعوت في القرآن بالمقّدس (**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى**)(طه:١٢). وهي الأرض المقدسة التى قصدها موسى (ع) والتي كان يسميها بنو إسرائيل بـ"قادش أو قادس" أي "قدس". ومن الذين انتبهوا لهذه الحقيقة إيمانويل فيلكوفسكي (Immanuel Velikovsky) الذي صرح في إحدى كتاباته، بعد أن اطلع على التراث العربي المغيب عن وعي أصحابه، أن قادس (Kadesh) الوارد ذكرها بالتوراة مراراً ما هي إلا مكة المكرمة وأن مدين موسى ما هي إلا المدينة المنورة[(٢٦٣)(٢٦٤)]. فأثار بذلك عاصفة بين أئمة اليهود بعد أن كاد أن يكشف المستور. ولكن كيف اكتشف فيلكوفسكي أن قادش أو قادس التى يتغنى بها اليهود إلى اليوم بعد أن أسقطوها جغرافياً في الشام، هي عينها مكة المكرمة أو بطن الوادي الحرام؟! فهذا النوع من الكشف لا يتأتى إلا بالتنقيب في التراث العربي القديم. فهل اطلع فيلكوفسكي على كتاب معجم ما استعجم للأندلسي أم اطلع على كتاب الهدى والرشاد للشامي والذي جاء فيه "**وقال كراع: الرأس: اسم لمكة، وقال القادس: اسم للبيت الحرام قال غيره سميت بذلك من التقديس، وهو التطهير، لأنها تطهر من الذنوب**"[(٢٦٥)]، أو لعله اطلع على كتاب المجموع للنووي الذي جاءت فيه مجموعة من أسماء مكة يتوسطها اسم قادس "**وقد أشرت إلى هذا في أول تهذيب الأسماء واللغات في أول ترجمة النبي صلى الله عليه وسلم فمما حضرني**

---

(٢٦١) – حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، خريطة رقم٤٨ .

(٢٦٢) – الأزرقي، أخبار مكة، ج١ ، ص٢٨٢ .

(263)- COLLECTED ESSAYS By Immanuel Velikovsky
http://www.varchive.org/ce/baalbek/kadeshbarnea.htm

(264)- The “Great and Terrible Wilderness”
http://www.varchive.org/ce/baalbek/desert.htm

(٢٦٥) – البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، ج١ ، ص٢٧٠ ؛ الصالح الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج١ ، ص١٧٠ .

من أسماء مكة ستة عشر اسما (أحدها) مكة - الثاني عشر - كوثي - بضم الكاف وفتح المثلثة - باسم موضع بها - الثالث عشر - العرش - الرابع عشر - القادس - الخامس عشر - المقدسة من التقديس - السادس عشر — البلدة"[٢٦٦].

فليس عجباً إذن أن تنطوي ذاكرة العرب على اسم مكة في خط سير بني إسرائيل وموسى إلى الأرض المقدسة، فها هو ابن خلدون ضبط هذا الخبر الذي يورد أحداث تهيؤ موسى (ع) لاقتحام الأرض المقدسة التي كانت تسكنها إحدى قبائل العمالقة (الجبارين) "**ورتب المصاف والميمنة والميسرة وعين مكان كل سبط في التعبية وجعل فيه التابوت والمذبح في القلب وعين لخدمتها بنى لاوى من أسباطهم وأسقط عنهم القتال لخدمة القبة وسار على التعبية سالكا على برية فاران وبعثوا منهم اثني عشر نقيبا من جميع الأسباط فاتوهم بالخبر عن الجبارين ـ فاستطابوا البلاد واستعظموا العدو من الكنعانيين والعمالقة ورجعوا إلى قومهم**"[٢٦٧] وفاران كما جاء سلفاً هي مكة وموطن إسماعيل (ع) وفق تأكيد طائفة واسعة من المؤرخين ومنهم ابن الجوزي[٢٦٨]. بل قيل إنها جبال الحرم تحديداً كما ينقل الهمداني[٢٦٩]. وحيث لم يدخل موسى ولا بنو إسرائيل الأرض المقدسة بل دخلوا التيه فإننا نجد في الذاكرة العربية أيضا ما يكشف هذه الحقيقة كما ينقل المقرزي "**ويسير الراكب مرحلتين في محض التيه هذا، حتى يوافي ساحل بحر فاران، حيث كانت مدينة قاران، وهناك غرق فرعون، والتيه مقدار أربعين فرسخاً في مثلها، وفيه تَاه بنو إسرائيل أربعين سنة لم يدخلوا مدينة ولا أووا إلى بيت ولا بدّلوا ثوباً، وفيه مات موسى عليه السلام**"[٢٧٠]، ومكة أو فاران كما كانت تُعرف في الماضي تبعد عن بحر القلزم ٧٥ (كلم) تقريباً. أما الطور وفاران فهما متلازمان بعدة علاقات منها أنهما من

---

[٢٦٦] – محيى الدين النووي، المجموع في شرح المهذب، ج٨، ص٣.

[٢٦٧] – ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٨٥.

[٢٦٨]– ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص٤٨.

[٢٦٩]– الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٨٦.

[٢٧٠]– الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١٤٩؛ المقرزي، المواعظ والاعتبار، ص٢٦٨.

كور الحجاز كما ينقل المقرزي "**ومن كور القبلة قرى الحجاز وهي: كورة الطور وفاران، وكورة راية والقلزم، وكورة إيلة وحيزها، ومدين وحيزها**"[٢٧١] ويضيف المقرزي حقيقة أخرى أكثر وضوحاً إذ ينقل "**ويُقال أنّ موسى عليه السلام حارب هنالك العرب، مثل طسم وجديس والعماليق وجَرْهَم وأهل مدين حتى أفناهم جميعاً، وأنه وصل إلى جبل فاران، وهي مكة، فلم ينج منهم إلاّ من اعتصم بملك اليمن أو انتمى إلى بنى إسماعيل عليه السلام، وفي ثلثي الشهر الباقي من هذه السنة ظعن القوم في برّية الطور بعد أن نزلت عليهم التوراة**"[٢٧٢] وبنو إسماعيل هم من سكان مكة وهذا يستقيم مع خبر المقرزي.

لقد بدأ استنتاج فيلكوفسكي يحظى باهتمام جديد وجاد بعد أن بدأ علماء التوراة الغربيون المنصفون يشككون في مصداقية جغرافيا التوراة برمتها، فرجعوا إلى مراجعة أطروحات فيلكوفسكي وغيره والتي لم تنل نصيباً منصفاً من الدراسة والتدقيق بسبب هيمنة الثقافة المحرّفة على تفكيرهم. أما نحن المسلمون فلم يجد تراثنا المغتصب بعد من يفزع لنجدته من أيدي المعتدين. ويقيننا أن الغربيين سوف يكتشفون الحقيقة لا محالة ليأتوا بها إلى المسلمين والعالم أجمع عما قريب. فإلى متى نبحث عن الماء ونحن نحمله على أكتافنا؟!

إن ما أوردناه في عجالة من الشواهد المشوشة لذكر مكة في التوراة جدير بأن يتناوله بحث مستقل بذاته. ولكن لن يقوم بهذه المهمة غير المسلمين لعلمهم بتاريخ الأرض وقدرتهم على نبش كتب التاريخ العربية القديمة لفرز التبر من التراب. ولن يكون ذلك مادام الحصار الثقافي المتمثل في مدسوسات التوراة المحرّفة في كتبنا ومناهجنا وتراثنا وثقافتنا. ونحن على يقين بأنه ما أن يتحرر بعض علماء اللغة والتاريخ من أسر ادعاء "هذا من عند الله" المستحوذ على المسلمين اليوم حتى تنفتح آفاق جديدة وتظهر شواهد للعيان صادمة لطالما كانت موجودة تصرخ في وجوهنا ولكنها بقيت مطمورة تحت ثقل الثقافة "السبعونية".

---

[٢٧١]- المقرزي، المواعظ والاعتبار، ص١٢٩٦.

[٢٧٢] - المقرزي، المواعظ والاعتبار، ص١٢٤٢.

وادي حوران (حران) النجدية موطن آباء إبراهيم (ع)

الآن بعد أن نحينا الشام والعراق عن مسيرة إبراهيم (ع) وعرفنا أن موطن آبائه يجب أن يكون قريباً من مكة، وأثبتنا هذه الحقيقة من التراث العربي وتمكنا من استجلاء مواقع مكية في التوراة، يمكننا الآن أن نفتش في التراث عن موطن آباء إبراهيم (ع). فها هو الخصيبي والبحراني ينقلان عن الإمام الصادق خبراً هذا نصّه: "**قالوا: نعم يا رسول الله، فقال أسألكم بالله هل علمتم من الكتب الأولى أن إبراهيم (عليه السلام) هربت به أمه طفلاً صغيراً من عدو الله وعدوه النمرود في عهده فوضعته أمه بين ثلاث أشجار شاطئ نهر يدفق يقال له حوران وهو بين غروب الشمس وإقبال الليل**"[٢٧٣]. فإبراهيم (ع) حسب قول خاتم النبيين، وُلد بمنطقة بها نهر تُعرف بحوران وليس في أور الكلدانية كما جاء في التوراة. ولكن حوران اليوم تقع في الشام وفي سوريا تحديداً، وهو ما لا يتفق مع ما فهمنا للآيات السالفة الذكر. وهناك مشكلة أخرى هي أن مكة وما يتاخمها من قرى وأقاليم لا تحوي أنهاراً، فهل بلغنا نهاية المطاف؟ ليس بعد، فالمطاف مسدود فعلا ولكن بخيوط عنكبوت وما عليك إلا أن تمد إصبعاً لتزيح حجاباً مفتعلاً طالما حجب أبصارنا عن النور، فالمسألة أسهل وأوضح مما تبدو. لقد تعلمنا من عادة التيّمن أن العرب الجوالين بين الأصقاع المترامية اعتادوا على تسمية عدة مناطق بنفس الاسم. لذا وجب علينا أولاً تحديد ما إذا كانت هناك مناطق تحمل اسم حوران غير تلك التي بالشام. وهو ما يجيب عليه لنا الزبيدي إذ ينقل "**(وحوران) بالفتح (كورة) عظيمة (بدمشق) وقصبتها بصرى ومنها تحصل غلات أهلها وطعامهم وقد نسب إليها إبراهيم بن أيوب الشامي وأبو الطيب محمد بن حميد بن سليمان وغيرهما (و) حوران (ماء بنجد) بين اليمامة ومكة (و) حوران (ببادية السماوة) قريب من هيت وهو خراب**"[٢٧٤]. فكما هو

---

[٢٧٣] - الخصيبي، الهداية الكبرى، ص٩٨؛ اورد نفس الخبر ولكن باسم حزران: المجلسي، بحار الأنور، ج٢١ ص٤٠؛ لشاذان بن جبرئيل القمي، الفضائل، ص١٢٦؛ هاشم البحراني، مدينة المعاجز، ج١، ص٥٢.

[٢٧٤] - الزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص١٦٣.

متوقع توجد حوران قريبة من مكة وعبّر عنها الزبيدي بأنها "**ماء نجد**" وهذا يتفق مع ما جاء عن الرسول (ص) عن طريق حفيده الإمام جعفر الصادق. فما علينا الآن إلا محاولة مسح المنطقة المتاخمة لمكة وتحديد الموقع على الخرائط وإجراء دراسة طبوغرافية للمنطقة بالأقمار الصناعية أولاً لتحديد ما إذا كانت هناك منطقة بجوار مكة تدعى حوران وثانياً لتحديد ما إذا كان بها نهر أم لا. ويمكن الاستدلال على الشرط الثاني بالبحث عن وادي نهري جاف في المنطقة المعنية.

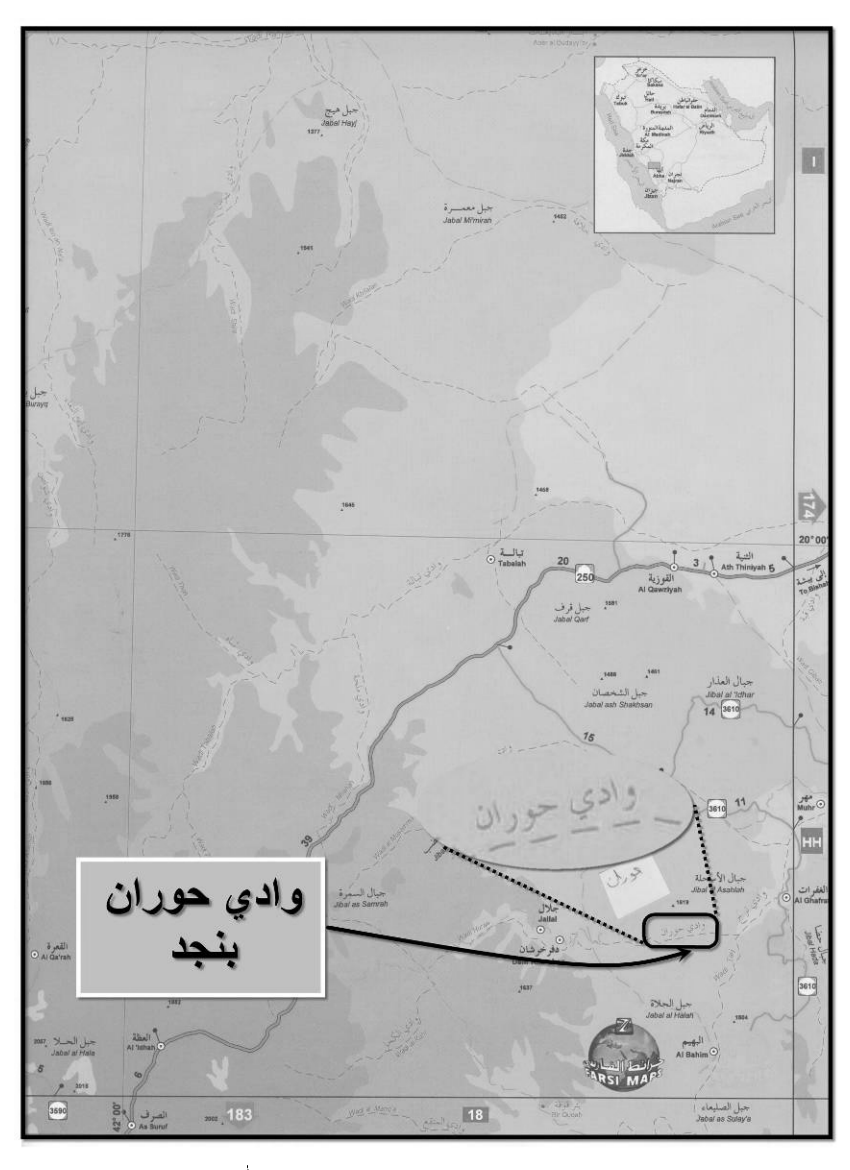
وعن طريق مسح المناطق المجاورة لمكة بمساعدة خرائط الفارسي العالية الدقة يمكن تحديد منطقة حوران نجد – انظر خريطة[٢٧٥] رقم **٢٩**. حيث يتضح أن هناك حوران قرب مكة وهي منطقة صغيرة تدعى اليوم بوادي حوران وتقع على الإحداثيات التالية: خط طول ٠٤-"٢٢- **٤٢°** شرقا وخط عرض ٠١-"٤٦- **١٩°** شمالا. وهي تقع على حدود نجد الغربية بمحاذاة الحدود الشرقية لجبال السراة. وبقياس المسافة بين وادي حوران نجد ومكة كما هو واضح في خريطة[٢٧٦] رقم **٣٠**، نجد أنها تبلغ **٣٠٠** كيلومتر تقريباً كما يمكن استقراؤه من هدي القرآن. كما تظهر صور الأقمار الصناعية[٢٧٧] للمنطقة (انظر صورة رقم ٦) امتداداً لحوض نهرين متصلين كما هو واضح في الصورة.

---

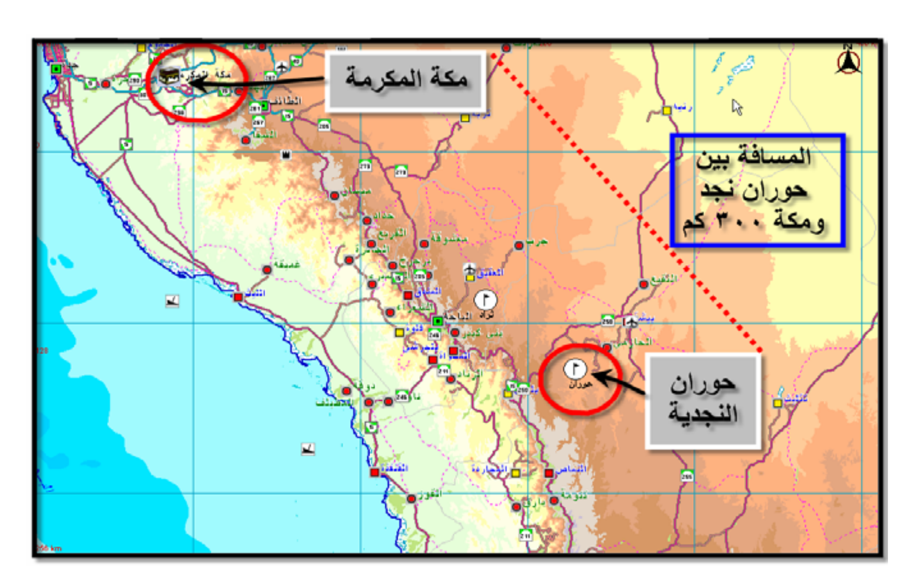
[٢٧٥] - زكي محمد علي فارسي، أطلس الخرائط للملكة العربية السعودية، الإصدار- ١، ص١٧٥.

[276] - زكي محمد علي فارسي، أطلس الخرائط للملكة العربية السعودية، إصدار-١.

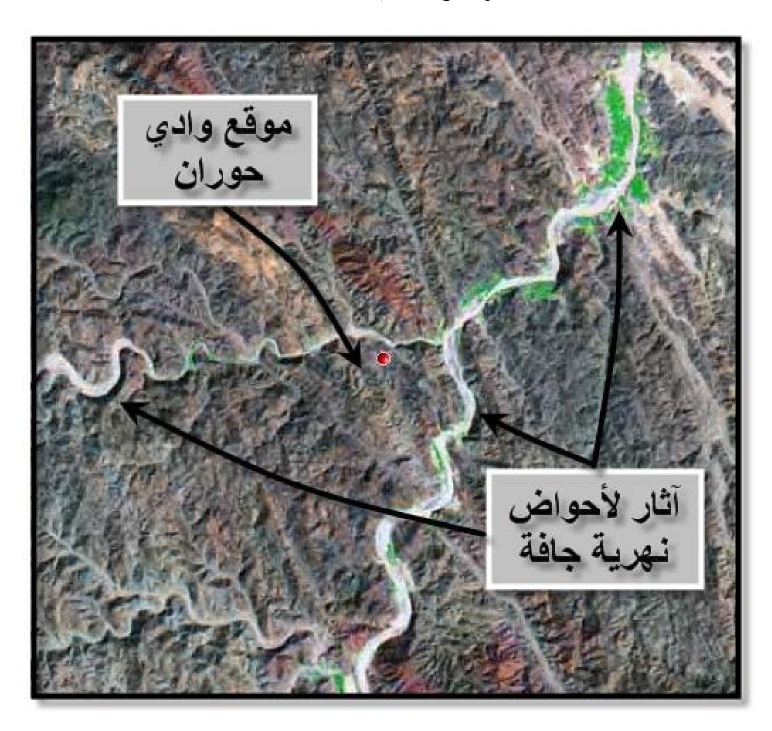
[277] -Terraserver http://www.terraserver.com



خريطة رقم ٢٩: موقع حوران النجدية حيث موطن آباء نبي الله إبراهيم (ع) كما تبدو على الخرائط الحديثة



خريطة رقم ٣٠: المسافة التقديرية بين حوران حيث مسكن آباء إبراهيم (ع) ومكة حيث معتزله ومكان إقامته لاحقاً.



صورة رقم ٦: وادي حوران النجدي يقع على ضفاف أنهار جافة

بناء على ما سبق أمكن تحديد موطن آباء إبراهيم (ع) واتضح أن إبراهيم (ع) كان نجدياً في واقع الأمر، كما كانت زوجته سارة ولوط (ع). وقد انتقل من نجد إلى الحجاز حيث البيت الحرام مع لوط (ع) وعائلته وما يملكان من ماشية. فأنجب هناك إسماعيل وإساحاق ويعقوب (ع) والذين يمكننا أن نجزم الآن أنهم حجازيون حيث وُلدوا هناك. هكذا هو الأمر بكل بساطة ووضوح. ويكشف لنا التراث العربي سريانية لسان إبراهيم (ع) النجدي في مقابل فصاحة لسان أهل الحجاز، وذلك لأن لسان أهل حوران كان سريانياً. وهذا ما نفهمه من كلام المؤرخين عن كلمة "هيت لك" التي وردت في القرآن العربي المبين وفي سورة يوسف (ع) تحديداً. والصّديق يوسف (ع) كما هو معلوم هو ابن حفيد الخليل إبراهيم (ع). فيقول صاحب تفسير الطبري: "**حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن عمرو عن الحسن هيت لك قال كلمة بالسريانية أي عليك**"[٢٧٨] ونجد آخرين يعيّنون لنا مصدر هذه الكلمة السريانية والتي أوردها القرآن العربي كما جاء في لسان العرب "**وقراءة علي عليه السلام هيت لك بمنزلة هيت لك والحجة فيهما وحدة القراء في هيت لك يقال إنها لغة لأهل حوران سقطت إلى مكة فتكلموا بها**"[٢٧٩] كما أكد ابن كثير نفس الخبر فقال "**وكان الكسائي يحكي هذه القراءة يعني هيت لك ويقول هي لغة لأهل حوران وقعت إلى أهل الحجاز ومعناها تعال وقال أبو عبيدة سألت شيخًا عالمًا من أهل حوران فذكر أنها لغتهم**"[٢٨٠].

إذاً فقد كان أهل حوران النجديون يتحدثون اللسان السرياني بينما كان الحجازيون أو أهل مكة تحديداً يتحدثون باللسان الفصيح. وذاك هو منشأ المفارقة المعروفة المتعلقة بأن إبراهيم (ع) "غير عربي" رغم أنَّه يقطن الجزيرة العربية على مسافة **٣٠٠** (كلم) تقريباً من مكة. وللعلم فإن خرافة "**إبراهيم غير العربي**" التي تدرس في مدارسنا وتعج بها كتبنا هي من أكبر الكبوات التي وقع فيها بعض أساطين

[٢٧٨] – الطبري، التفسير، ج١٢، ص١٨٠.

[٢٧٩] – ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٠٦.

[٢٨٠] – ابن كثير، التفسير، ج٢، ص٤٧٥؛ وبألفاظ مختلفة: البخاري، الصحيح، ج٥، ص٢١٧.

المؤرخين والمفسرين. فقد أكد القرآن الكريم عروبته المطلقة بتراكيبه وألفاظه، كما في قوله عزوجل (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)(يوسف:٢)، (**قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**)(الزمر:٢٨)، (**فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**) (فصلت:٣)(**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**) (الشورى:٧). إن هذا القرآن العربي يحوي كلمات سريانية لم يكن يعرف معناها أهل مكة أنفسهم كما نقل مؤرخونا. ولكن بدلاً من أن نتعلم من القرآن أصل اللغة العربية وشموليتها وعمق جذورها مما يفتح لنا باباً واسعاً لفهم علوم الألسن وانتشار الأمم العالمي ونشأة اللهجات المحلية والعالمية، بدلاً من ذلك كله قام أحدهم في العصور السالفة بشطب إبراهيم (ع) وولده من قائمة الأمة العربية ودسّه في تقسيمات العرب البائدة والعاربة والمستعربة[٢٨١] فسدّ بذلك الباب عن علم واسع ومذهل وأدخلنا في متاهة وتناقض ندرّسهما لأطفالنا حتى اليوم عندما نقول لهم إن محمداً (ص) عربي ولكن جدّيه إسماعيل وإبراهيم (ع) ليسا عرباً!؟ وكيف نتوقع لهم أن يستوعبوا مثل هذا المنطق، إلا أن نعلمهم كما عُلمنا أن ثمة أشياء ينبغي الإيمان بها دون تساؤل مهما ناقضت العقل والمنطق. بل إن هناك مَن سنّ قواعد على هذا النهج كقولهم إن إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف وإسحاق هي أسماء أعجمية غير عربية فمنعوها من الصرف. بينما الأصح هو تعليمهم أن إبراهيم (ع) كان عربياً يتحدث اللهجة السريانية التي أبجديتها (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) بينما كان أهل مكة عرب يتحدثون اللهجة الفصحى التي أبجديتها (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت + ثخذ ضظغ) وجميعهم عرب من سكان الجزيرة ولهم قواعد وأبجديات لغوية مشتركة.

ولا نعجب من معرفة أن اللسانين السرياني والفصيح قريبان من بعضهما إذ انبثقا من أصل واحد ومن منطقة واحدة كما يؤكد صاحب البدء والتاريخ "**ولا فرق**

---

(٢٨١) - يذكر أحمد أمين أن تقسيم العرب إلى بائدة وعاربة ومستعربة لم يرد إلينا من النصوص الجاهلية وإنما ورد إلينا في الكتب المدونة في الإسلام مما يعني أن هذه التقسيمات هي اجتهادات حديثة نسبيا يجب اخضاعها للتحليل والمراجعة. أحمد أمين سليم، معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٦١.

بين السريانية والعربية إلا في أحرف يسيرة فكأن السريانية سلخت من العربية والعربية سلخت من السريانية"[٢٨٢]. ولكن تباعد المسافات بين القرى والمدن وصعوبة الموصلات ولدّ لهجات مختلفة في اللسان العربي كما هو الحال حتى يومنا هذا. فلو جمعت اليوم شخصاً من قرى المغرب العربي مع شخص من قرى مملكة البحرين مثلا فلن نعجب من الحاجة لمترجم يعينهما بسبب شدة تباين اللهجات بينهما. ولكن لن يخطر ببالنا مع ذلك شطب أحدهما من أمة العرب كما فعلنا مع أبينا إبراهيم وأبنائه إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف (ع). وسبب انحصار السريانية اليوم في مناطق معزولة من البلدان هو نزول القرآن بين أقوام يتحدثون اللهجة الفصحى كما نزلت التوراة والإنجيل بين قوم عرب يتحدثون اللهجة السريانية من قبل مصداقاً لقوله تعالى (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)(إبراهيم:٤). وقد تهافتت الأمم لتعلم اللهجة أو اللسان الفصيح لكي ينهلوا من علوم القرآن الكريم، فحُفظت هذه اللهجة ببركة كتاب الله المجيد وسوف تبقى كذلك مادام القرآن بين الناس. وبأية حال فإن لهذا الموضوع تشعبات وأبعاد هامة، وقد خصصت جمعية التجديد الثقافيّة الاجتماعيّة بحثاً خاصاً باللغات يمكن الاطلاع عليه، وعنوانه "اللسان العربي- بعد فطري وارتباط كوني".

والآن بعد أن نفضنا الغبار عن حقائق جديدة كانت في طي النسيان والغفلة نعود إلى جغرافيا مسيرة إبراهيم (ع) لمواصلة التعرف على جغرافيا الأنبياء بتتبع حركة إبراهيم (ع) في الجزيرة العربية لنرى كيف عبث اليهود بتاريخ المنطقة.

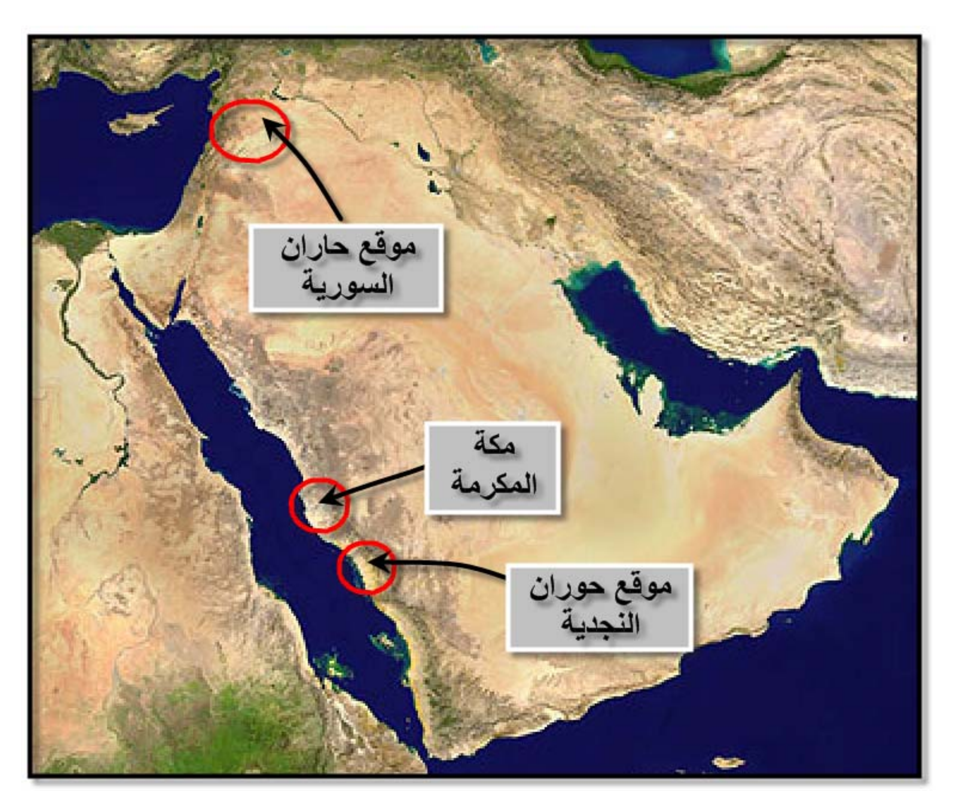
اسم إبراهيم (ع) ينقل إلى سوريا القديمة

بعد أن قام فريق "السبعونية" بتشويش نقطة البداية عندما نقل موقع ولادة إبراهيم (ع) من مكة وتخومها إلى العراق، وتحديداً من وادي حوران النجدية إلى مدينة أور العراقية، ورحّل اسم نبي الله إبراهيم (ع) في أذهان وثقافة العالم إلى

---

[٢٨٢] - المقدسي، البدء والتاريخ، ج١، ص٦٣.

محطته التالية وهي سورية. فنقرأ المقطع التالي من التوراة "**وَأَخَذَ تَارَحُ إِبْرَامَ ابْنَهُ وَلُوطا بْنَ هَارَان ابْنَ ابْنه وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْرَأَةَ إِبْرَامَ ابْنه فَخَرَجُوا مَعاً مِنْ أورِ الْكَلْدَانيِّينَ لِيَذْهَبُوا إلى أَرْضِ كَنْعَان فَأتُوا إلى حَارَان وَاقَامُوا هُنَاكَ**"(التكوين: ١١-٣١) وهنا نرى مدى التشابه اللفظي بين حوران النجدية وحاران المفترضة في سورية. وهذا التشابه اللفظي لم يأتِ من عدم وإنما أسقط اسم الموقع على غيره تيمناً أو عمداً. ولكن لنتابع التوراة المحرّفة إلى نهاية المطاف فهناك المزيد من المكتشفات بانتظارنا. فأين تقع حاران المقترحة توراتياً على الخريطة؟ حسب ما هو شائع اليوم وجراء الثقافة التوراتية فإن حاران المعنية تقع في شمال سورية — انظر (خريطة رقم ٣١).



خريطة رقم ٣١: حاران السورية التوراتية وحوران النجدية الأصلية

ولكن ما هي الدلائل التي تؤيد أن حاران السورية هي عينها التي قصدها إبراهيم (ع) من أور الكلدانية كما ادّعت التوراة؟ وسبب إثارة هذا التساؤل هو وجود قرى أخرى في الجزيرة العربية تدعى حاران أو ما يشبه ذلك مثل خوران، حوران، حران، حرّان، حرزان، خرزان. وهذا التشابه والتطابق للأسماء هو نتاج عادة التيّمن التي فصلناها سابقاً. فها هو ابن إدريس، على سبيل المثال لا الحصر، يذكر لنا اثنين أو أكثر من المواقع المسماة حاران، غير حاران التي في سورية، كما يتضح في المقتبس التالي "**والطريق من مكة إلى ذي سحيم من خولان تخرج من مكة إلى ملكان وهو ماء ينزل به المسافرون ومنه إلى يلملم مرحلة وهو جبل معترض من المشرق إلى المغرب. ومنها إلى قنونا مرحلة وقنونا منزل فيه بئر مرحلة ثم إلى بيشة حاران وهو منزل فيه بقايا عرب وبه بئر عذبة مرحلة ومنها إلى مدينة حلي.. ومنه إلى بيشة يقظان التي ذكرناها في طريق صنعاء مرحلة ثم إلى حاران القرين وهي قرية صغيرة لكنها عامرة وفيها مياه جارية ونخيلات قليلة مرحلة ومنها إلى خولان ذي سحيم وهي قلعة حصينة ولأهلها منعة وفيهم عزة وجميع هذه البلاد التي ذكرناها هي في أرض تهامة وتهامة قطعة من اليمن**"[٢٨٣] فلماذا لا تكون إحدى هذه الحارانات او الخورانات هي المقصودة في خبر التوراة مادام الاستدلال قائماً على المسميات الميدانية فقط؟ إن السبب الوحيد لتبرير حاران السورية هو ورود ذكر "النهر الكبير" مرافقاً لاسم هذه المنطقة، إلى جانب قربها من أور العراقية التي تم ترحيل اسم إبراهيم إليها مسبقا. والنهر الكبير هذا تم تعريفه في التوراة السريانية على أنه نهر الفرات كما في المقطع التالي من سفر التكوين "**فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ إِبْرَامَ مِيثَاقا قَائلا: «لِنَسْلِكَ اعْطِي هَذه الأَرْضَ مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إلى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ. وهي أَرْضَ الْقِينِيِّينَ وَالْقَنِزِّيِّينَ وَالْقَدْمُونِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفرزِّيِّينَ وَالرَّفَائِيِّينَ وَالامُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ»**"(التكوين ١٥-١٨،٢١).

وقد تمّ ترتيب هذا الوعد كما جاءت به التوراة خلف مقطع يسبقه يدل على أن إبراهيم (ع) وصل إلى حاران التي تقع جنب الفرات السوري حين قطع له هذا الوعد،

[٢٨٣] - الشريف الأدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص١٤٧.

كـي تبـدو الصـورة منطقيـة "**وَقَـالَ لَـهُ: «انـا الـرَّبُ الَّـذي اخْرَجَـكَ مـنْ أورِ الْكلْـدَانيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هَذِهِ الأَرْضَ لِتَرِثَهَا**»"(التكوين ١٥-٧). ويعني ذلك أن نهـر الفـرات هـو الـذي عـّين أي حاران تقصدها التوراة وبذلك يمكن إدراج سورية إلى جانب العراق في وعد الرب لإبراهيم وابنه إسحاق دون إسماعيل وكل ذلك كله طبعاً "من عند الله". أما نحن، ومن خلال هذا البحث، فنؤكد أن هناك نهراً كبيراً أيضاً في الجزيرة العربية واسمه أيضاً الفرات وهو أكبر وأعظم وأعرق من الفرات الموجود في سورية والعراق وتركيا، بل إن اسم نهر الفرات العراقي ليس هو الأصل وإنما يحمل اسماً تيمنياً. أما نهر الفرات الأصلي الجناوي فيقع في بطن الجزيرة العربية وهو نهر جاف اليوم ولكن آثاره قائمة حتى الآن. ويمتد هذا النهر الأصل قرب حوران النجدية أيضاً. وهذا القول ليس تكهناً ولا جزافاً وإنما حقيقة مغيبة عن وعينا كما سيتضح في القسم التالي.

نهر الفرات في جزيرة العرب

بدأت عادة التيّمن التي سبق أن فصلناها مع الإنسان العاقل الأول أي منذ عهد آدم[٢٨٤] عليه السلام، ولم تقتصر على أسماء الأعلام من الناس والقرى والوديان فحسب، بل امتدت امتداداً طبيعياً لتشمل الموارد الطبيعية الضرورية للبقاء كالأنهار مثلاً. ويمكن القول أنه كلّما زادت أهمية الموقع للإنسان الأول والإنسان المعاصر، كما هو الحال مع الأنهار، احتفظ هذا الموقع باسمه الذي أطلقه عليه الإنسان الأول مادامت سلسلة من أحفاده عاشت قرب هذا النهر وتناقلت اسمه من جيل إلى جيل. لذا فإن الأنهار العريقة تتسم بخصوصية أثناء البحث عن أسمائها الأصلية وفرزها عن الأسماء التيمّنية التي ربما أطلقت على عدة أنهار غيرها، وذلك بضرورة الرجوع إلى عهد الإنسان القديم الأول، أي إلى زمن آدم وأبنائه الأقربين، وذلك بقصد التعرف على الأنهار القريبة من مواقع سكنهم. فحينئذ فقط يمكن التعرف على أقدم الأنهار

[٢٨٤] - تجدر الإشارة هنا أن هناك آدمين. آدم العاقل وهو أبو البشرية وآدم النبي الذي يرد اسمه مرافقاً لاسم نوح (ع) في القرآن الكريم. ولمزيد من التفصيل يرجى الرجوع إلى بحث: بين آدمين– آدم الإنسان وآدم الرسول، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

التي عرفها الإنسان القديم وتمييزها عن تلك التي اكتشفت عبر قرون لاحقة أثناء تجوال أحفادهم وانتشارهم في الكرة الأرضية. فعلى أي بقعة في الأرض سكن آدم وأبناؤه بعد أن أخرج من الجنة؟ تبين لنا سلفاً أنّ التراث العربي يصر على ارتباط اسم آدم بمكة مع ذكر تفاصيل لموقع سكن آدم ومكان التقائه بحواء بعد افتراقهما إثر خروجه من الجنة ومكان دفنه وحجه. والسؤال المطروح هو: هل وُجدت أنهار في مكة وما يتاخمها من أقاليم في الأزمان الغابرة؟ وهنا يجيبنا خاتم الرسل (ص) بالقول "- **عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً.**"[٢٨٥]، فمن هذا الخبر نستدل على أن الجزيرة العربية كانت مخضرة ورطبة في الحقب القديمة بخلاف ما هي عليه اليوم. وهذا ما أثبتته علوم الجيولوجيا المعاصرة حيث كشفت طبيعة الطبقات الأرضية للجزيرة العربية وجوداً كثيفاً للمكونات العضوية، مما يدل على تواجد غابات من نباتات منتشرة بانتشار المكونات العضوية المكتشفة. ويدلّ هذا تلقائياً على وجود مصادر مائية وفيرة لتغذية هذه الغابات وهو أمر تمّ الاستدلال عليه بسهولة بعد دراسة طبيعة الوديان المنتشرة في الجزيرة العربية والتي ثبت أن معظمها كانت مجاري أنهار جفت بفعل التصحر والتغيرات المناخية والبيئية المتراكمة التي يتصدرها طوفان نوح (ع)[٢٨٦].

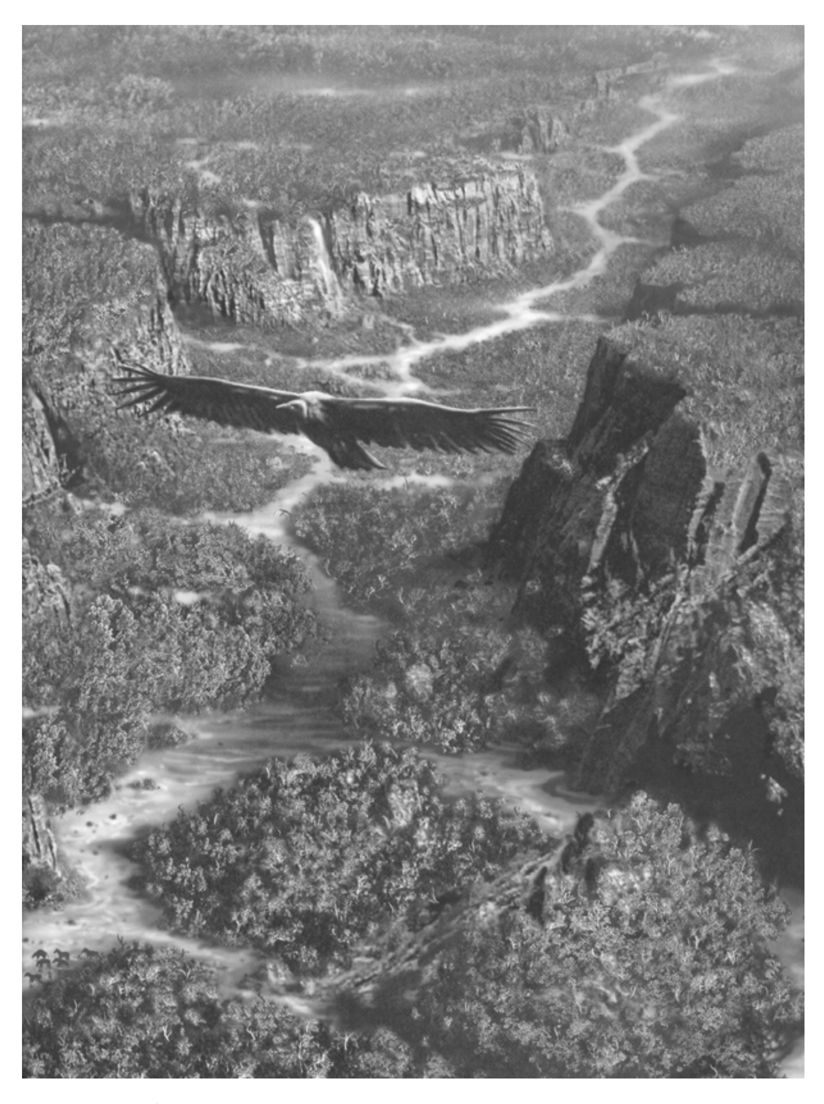
وقد أدّت هذه الحقائق الجيولوجية المتراكمة إلى رسم صور تخيلية مبنية على قواعد علمية مخصوصة لما كانت تبدو الجزيرة العربية عليه في الماضي السحيق كما جاءت في كتاب "أصل الجزيرة العربية" لمؤلفه أندرو ثومبسون (Andrew Thompson)[٢٨٧] (انظر صورة رقم ٧).

---

[٢٨٥] - ابن حبان، الصحيح، ج١٥، ص٩٣؛ أحمد بن حنبل، المسند، ج٢، ص٣٧٠؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٤، ص٤٧٧.

[٢٨٦] - لمزيد من المعلومات المتعلقة بالتغيرات التي لحقت بالجزيرة العربية نتيجة طوفان نوح (ع) يمكن الرجوع إلى بحث: طوفان نوح – بين الحقيقة والأوهام، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

[287] - Origons of Arabia- Andrew Thompson، Stacy Intrnational – p20- London- ISBN 1900988046

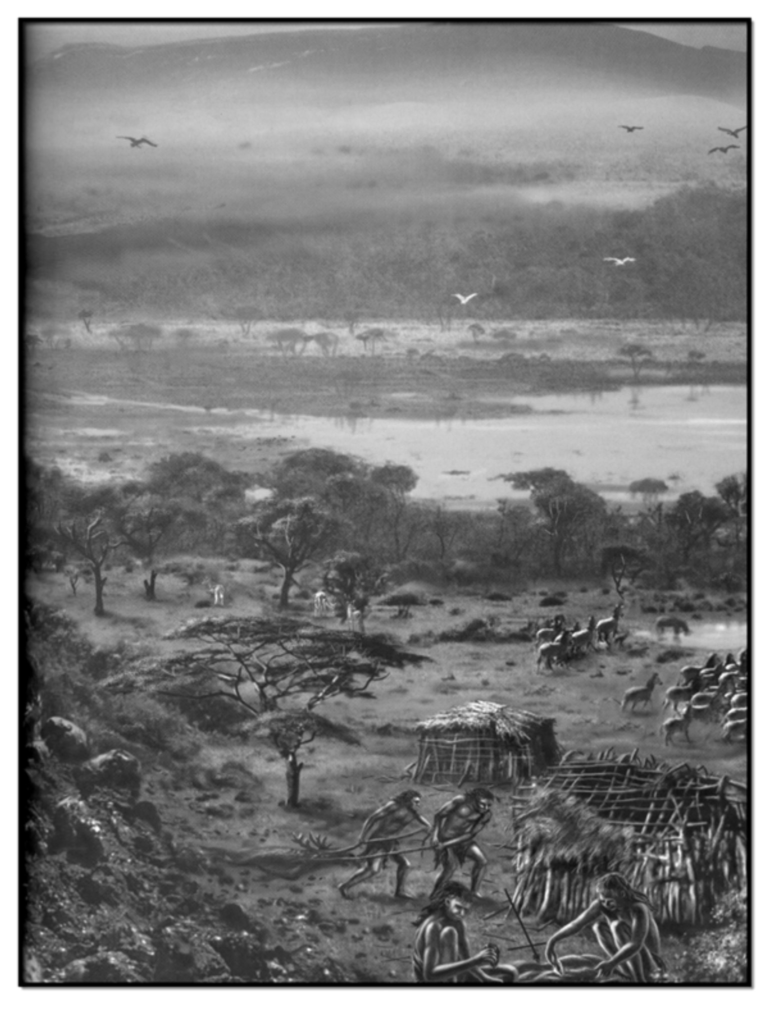


صورة رقم ٧: تصور علمي لما كانت تبدو عليه الجزيرة العربية قبل طوفان نوح كما جاء في كتاب أصل الجزيرة العربية لاندرو تمسون

Origons of Arabia- Andrew Thompson

وحيث يوجد ماء ونبات يوجد الحيوان والإنسان وذلك أيضا ما كشفت عنه علوم الآثار رغم قلة أعمالها الاستكشافية في الجزيرة العربية، مما أدّى إلى تصور آخر

مكمل للتصور العلمي للإنسان الأول في الجزيرة العربية كما جاء في كتاب أصل الجزيرة العربية أيضاً – (انظر صورة[٢٨٨] رقم ٨).



صورة رقم ٨: تصور علمي للإنسان العربي القديم بالجزيرة العربية كما جاء في كتاب أصل الجزيرة العربية لاندرو تمسون

Origons of Arabia- Andrew Thompson

---

(288) -Origons of Arabia- Andrew Thompson، Stacy Intrnational – p21- London- ISBN 1900988046

أمَّا بالنسبة لأنهار الجزيرة العربية، فهي لم تُكتشف في طبقات الأرض فحسب وإنما تركت آثارها أيضاً على سطح الأرض لتظهر في الخرائط القديمة. فهناك خريطة قديمة للعربية السعيدة[٢٨٩] يعود تاريخها إلى العهد البطليمي بالقرن الثاني الميلادي وهي تكشف وجود أنهار وبحيرة في الجزيرة العربية – (انظر خريطة[٢٩٠] رقم ٣٢). والجدير بالذكر أن هناك مجموعة أخرى من الخرائط الصادرة في القرون الماضية والتي تظهر وجود بحيرات كبيرة في جزيرة العرب وتقع بين حضرموت والربع الخالي حتى عهد قريب، مما حدا ببعض المهتمين من المتأخرين للتعّجب بل الاستنكار لتناقض ذلك مع الوضع القائم وما ذاك إلا لجهلهم بطبوغرافية المنطقة وبما تخفيه كثبان التربان تحتها من آثار حضارية وطبيعية. وعزوا وجود تلك البحيرات على الخرائط الخاصة بجزيرة العرب إلى خطأ في رسم المساحين القدماء للمنطقة. ولكن تراكم الخرائط من القرون الستة الماضية وإصرارها جميعاً على وجود بحيرات وأنهار في الجزيرة العربية أجبر المهتمين على إعادة النظر في حكمهم والخضوع لحقيقة أن الجزيرة العربية أرض لم تنل معشار ما تستحق من حملات الاستكشاف الطبيعية والأثرية. وهناك خريطة تعود إلى القرن السادس عشر تكشف عن وجود بحيرات وأنهار في الجزيرة العربية وهي مذيّلة بصور متعددة لنفس البحيرة التي ما انفكت تتجلى في خرائط أخرى مختلفة – (انظر خريطة[٢٩١] رقم ٣٣). وهناك أيضا خريطتان عربيتان تظهران وجود أنهار في الجزيرة العربية في الماضي، إحداهما رسمها الجغرافي الشهير محمد بن على الصفاقسي سنة ١٦٠١ ميلادية على جلد شاة، مع الانتباه إلى أن العادة جرت في أيام الصفاقسي على رسم الخرائط من الجنوب إلى شمال مما يجعلها تبدو مقلوبة– (انظر الخريطة[٢٩٢] رقم ٣٤).

---

[٢٨٩] – كان ذلك اسم الجزيرة العربية حسب ما تعارف عليه الغرب القديم.

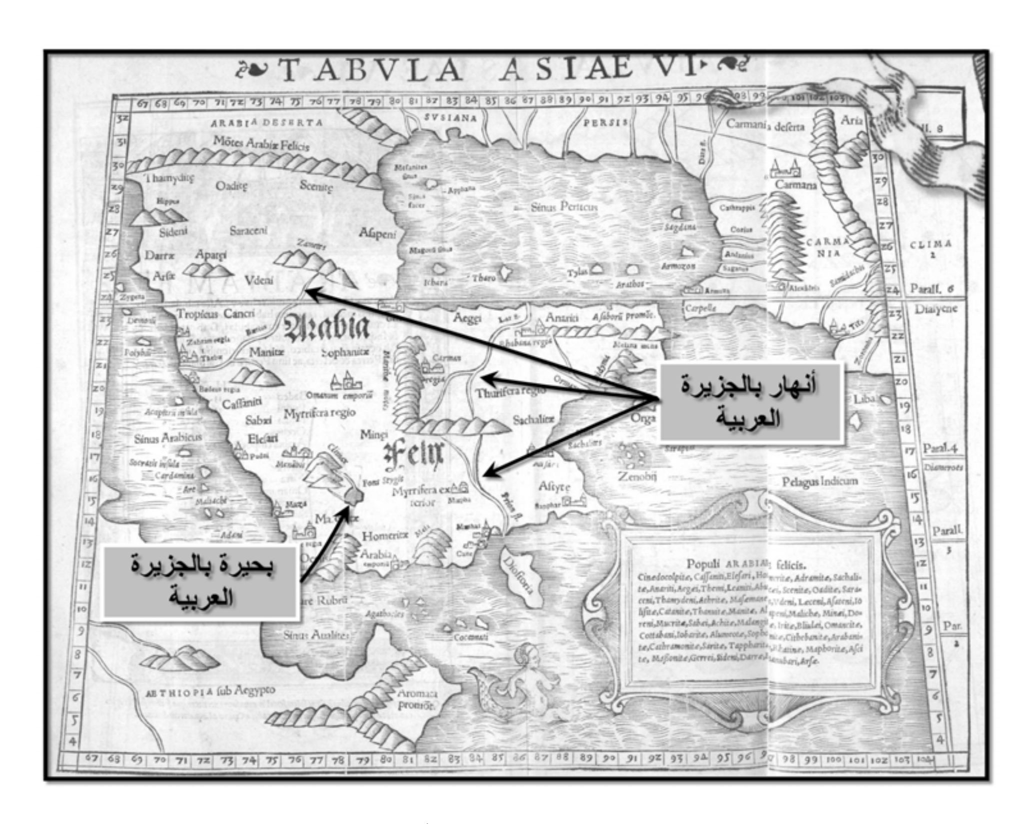
[290]- Saudi Aramoc World puplication، Jan/Feb 2004-

http://www.saudiaramcoworld.com/issue/200401/mapping.arabia.htm

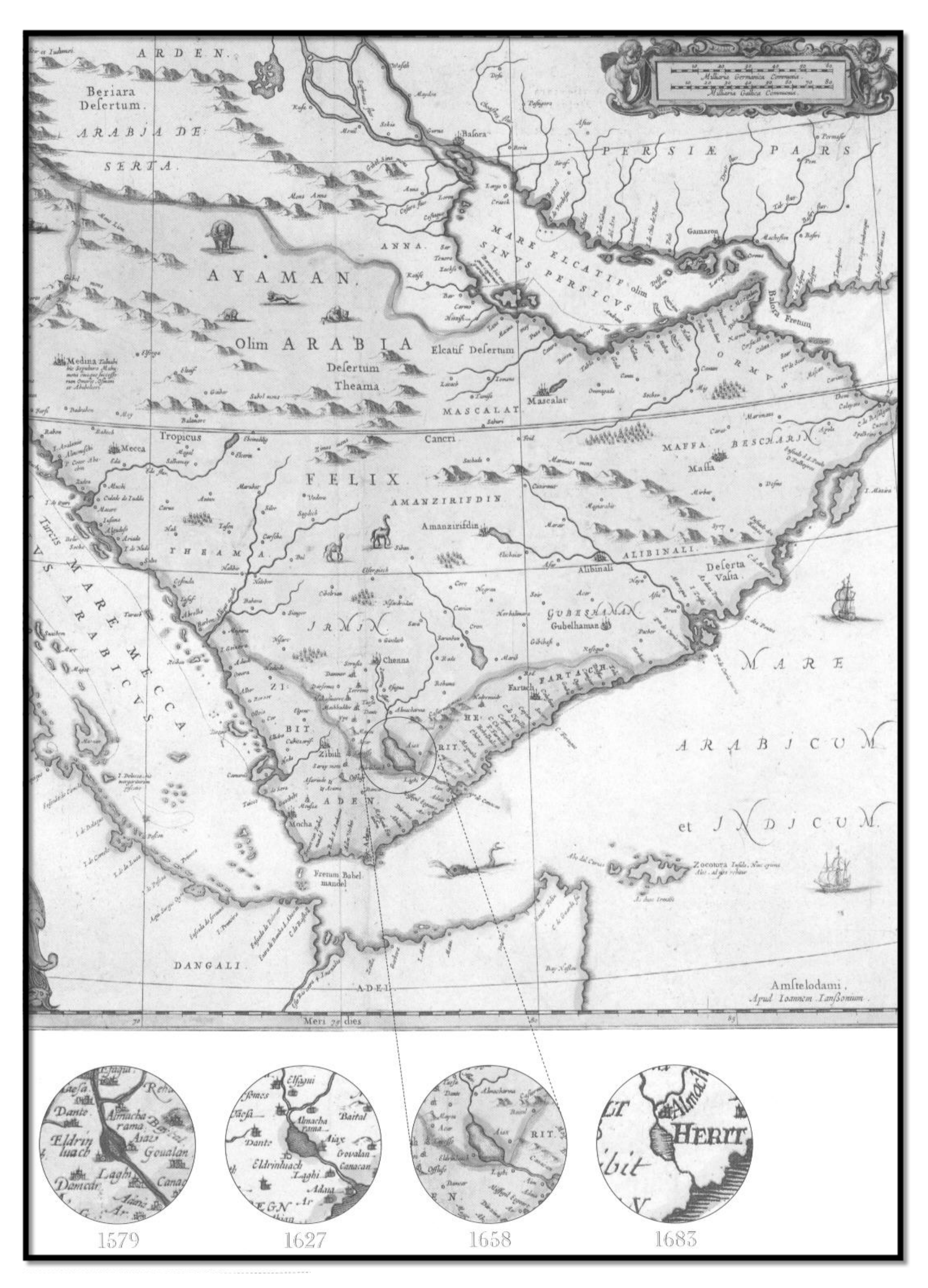
[291]- Saudia Aramco World -

http://www.saudiaramcoworld.com/issue/200401/mapping.arabia.htm

[٢٩٢]– حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، خريطة رقم٢٣.



خريطة رقم ٣٢: خريطة تعود لبطليمو الاسكندري تُظهر أنهار وبحيرة بالجزيرة العربية



خريطة رقم ٣٣: خريطة تعود إلى القرن السادس عشر تظهر أعداداً كبيرة من الأنهار والبحيرات في الجزيرة العربية- انظر تكرار ذكر تواجد بحيرة عبر حقب مختلفة

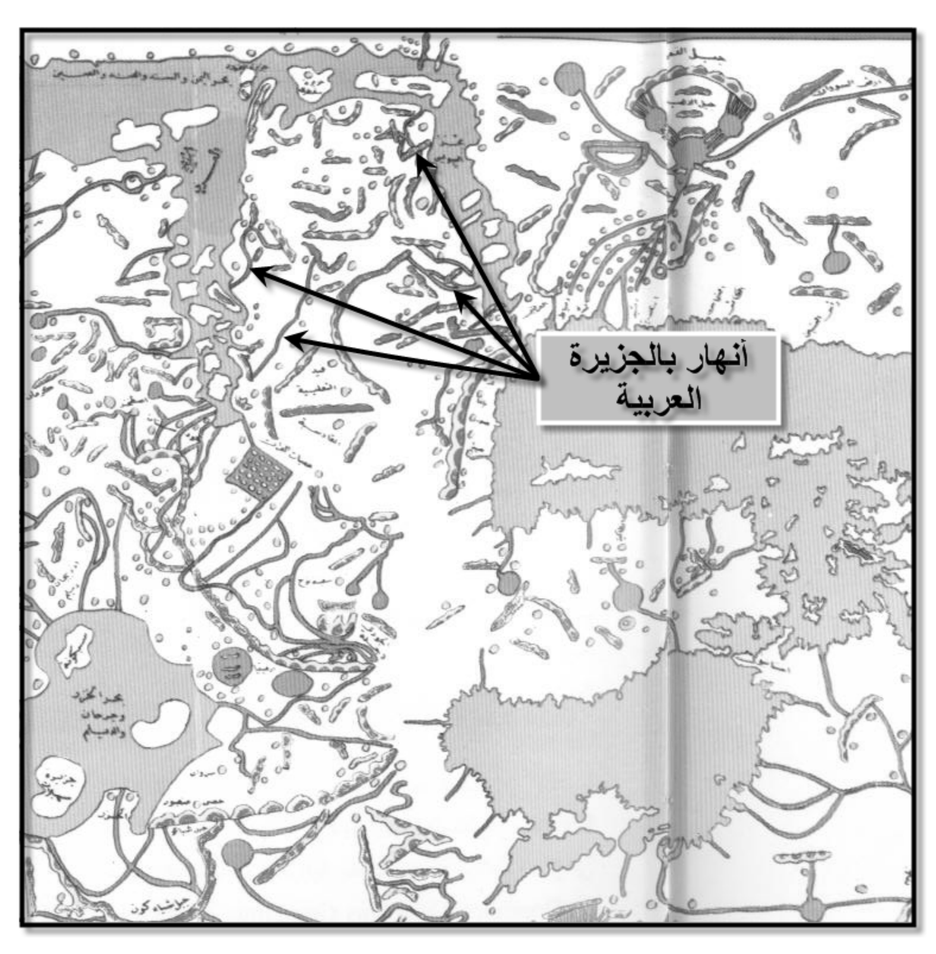
آمـا الخريطـة[٢٩٣] رقـم ٣٥ فهـي مـن رسـم العـالم الجغـرافي المعـروف محمـد الإدريسـي المتوفى سـنة ١١٦٥ ميلاديـة وهـي مـن مجموعـات ميللـر الـتي ضـمنها كتابـه الخـرائط العربيـة. وهنـاك خريطتـان مهمتـان تُظهـران وجـود نهـر كـبير في الجزيـرة العربية يكاد يقطعها عرضاً كما هو واضح في الخريطة البرتغالية (انظر الخريطة[٢٩٤] رقم ٣٦) للرسام ديكو هـومن DiogoHomen وقـد وضـعها سـنة ١٥٥٩. وهـذا النـهر العمـلاق ينبـع مـن أعـالي جبـال السّـراة في غـرب المملكـة العربيـة السـعودية ويصـب في جنـوب الخلـيج العربـي كمـا هـو واضـح مـن الخريطـة. أمّـا الخريطـة[٢٩٥] رقـم ٣٧ الـتي نُقشت أيضاً على جلد شـاة فيظهـر فيهـا هـذا النـهر العمـلاق بوضـوح أكبر. ولـو أمعنـا النظر في خريطة الصفاقسي أعلاه مرة أخرى لاكتشفنا أن هـذا النـهر العمـلاق ظـاهـر في تلـك الخريطـة أيضـا ولكنـه يبـدو مقطوعـاً بجبـال طويـق القوسـية الشـكل. وجبـال طويق هـي سلسلة من الجبال البركانية تقع مدينة الرياض اليوم علـى حافتـها - (انظـر الصـورة[٢٩٦] رقـم ٩). إن إصـرار الجغـرافيين علـى وجـود أنهـار في الجزيـرة العربيـة بخـلاف مـا هـو واقـع اليـوم يـدفعنا إلى النظـر في صـور الأقمـار الصـناعية للجزيـرة العربية والمتخصصة بمسح سطح الأرض.

[٢٩٣]- حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، خريطة رقم١٣ .

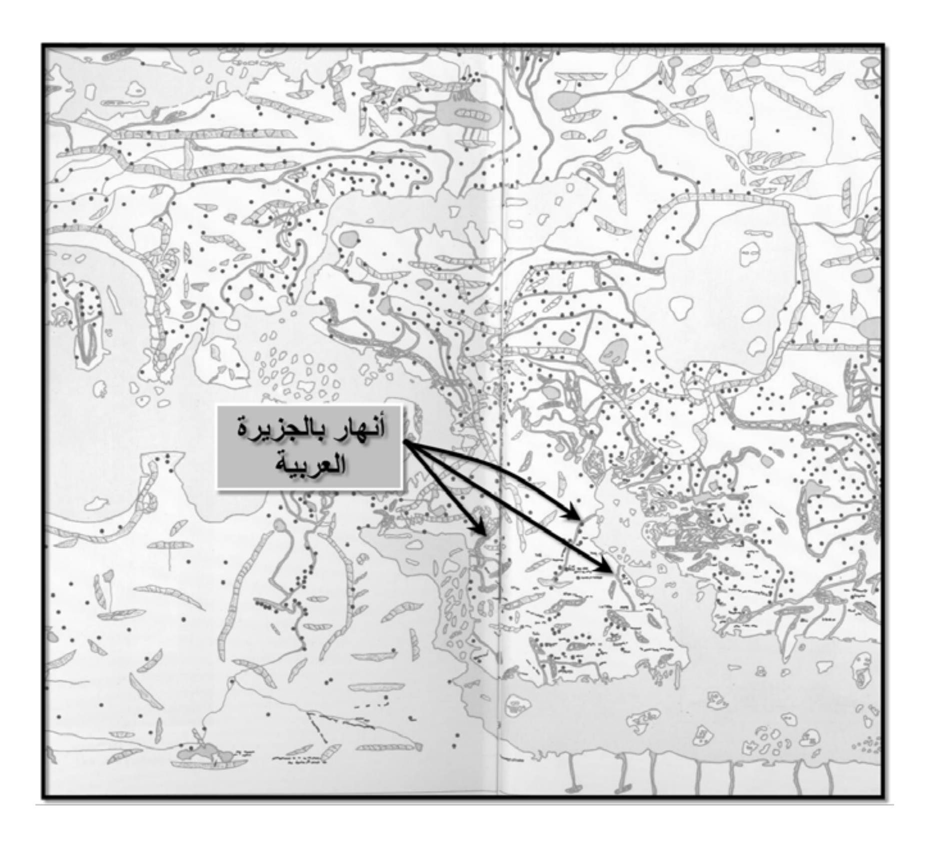
[294]- The Discovery of the Nile-Gianni Guadalipi-map 40

[295]- The Discovery of the Nile-Gianni Guadalipi-map 34

[296]- Terraserver http://www.terraserver.com/



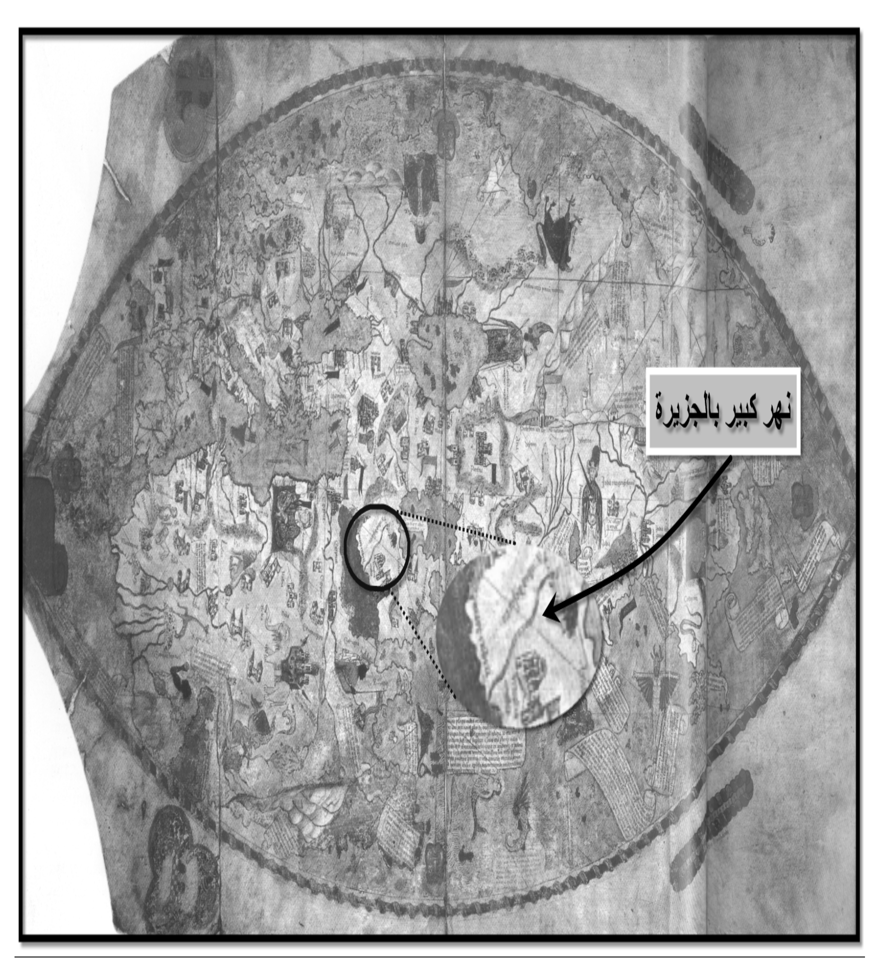
خريطة رقم ٣٤: خريطة العالم للصفاقسي وضعها سنة ١٦٠١ وتظهر أنهاراً بجزيرة العرب



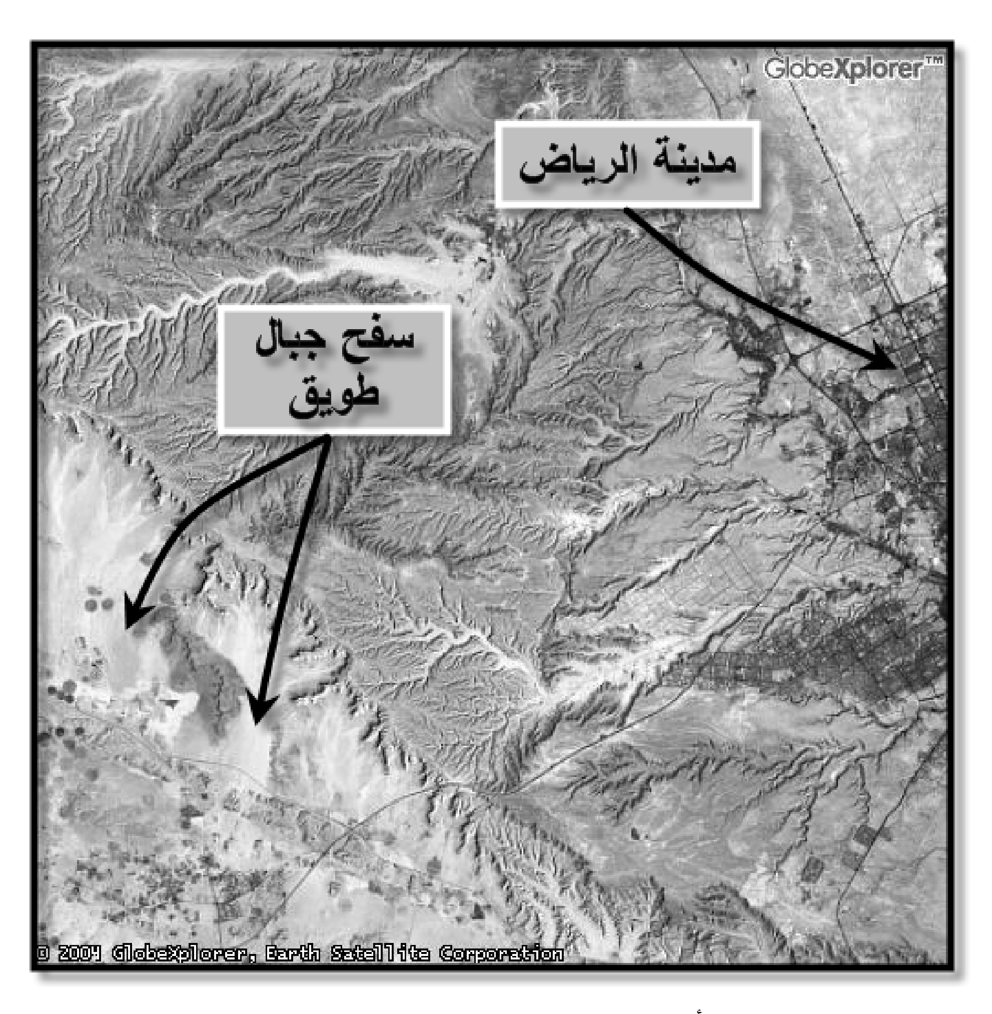
خريطة رقم ٣٥: خريطة العالم للإدريسي أصدرها سنة ١١٦٥ وتظهر تواجد أنهاراً في جزيرة العرب



خريطة رقم ٣٦: خريطة برتغالية للرسام ديكوا تظهر وجود نهر كبير ممتد بعرض الجزيرة العربية



خريطة رقم ٣٧: خريطة على جلد شاة لرّسام مجهول تؤكد تواجد نهر كبير بالجزيرة العربية



صورة رقم ٩: صورة بالأقمار الصناعية لمقطع من جبال طويق الحممية قرب الرياض

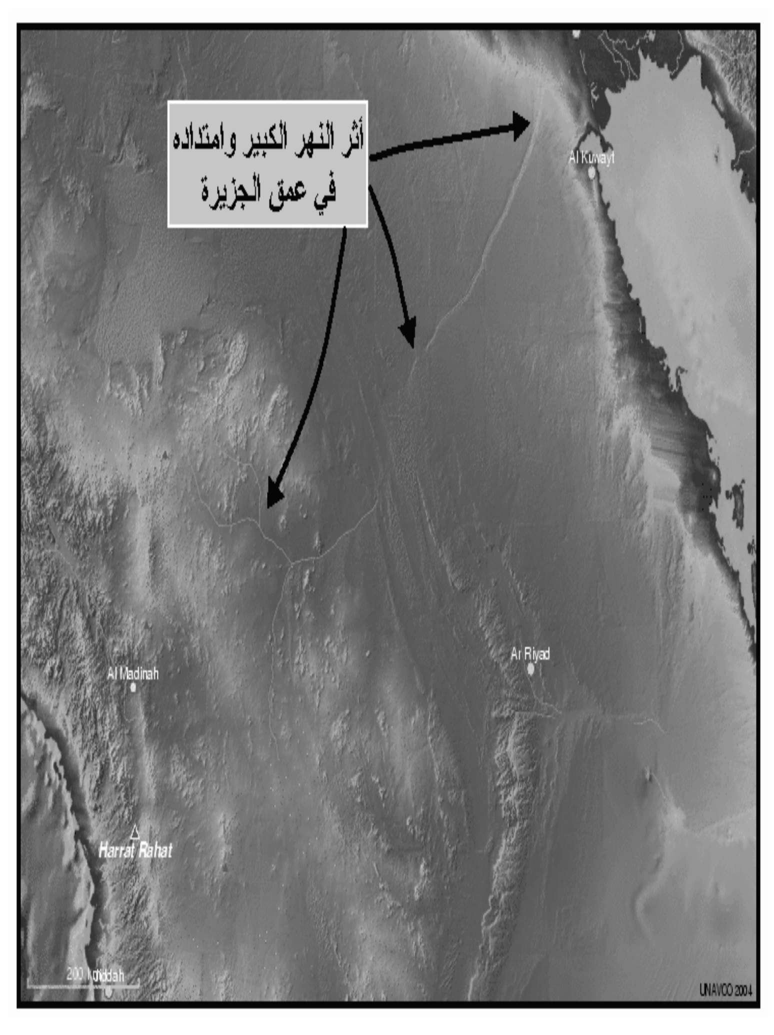


صورة رقم ١٠: صورة بالأقمار الصناعية تظهر بوضوح وجود أخدود نهري ممتد من وسط الجزيرة إلى جنوب العراق ويدعى بوادي حفر الباطن

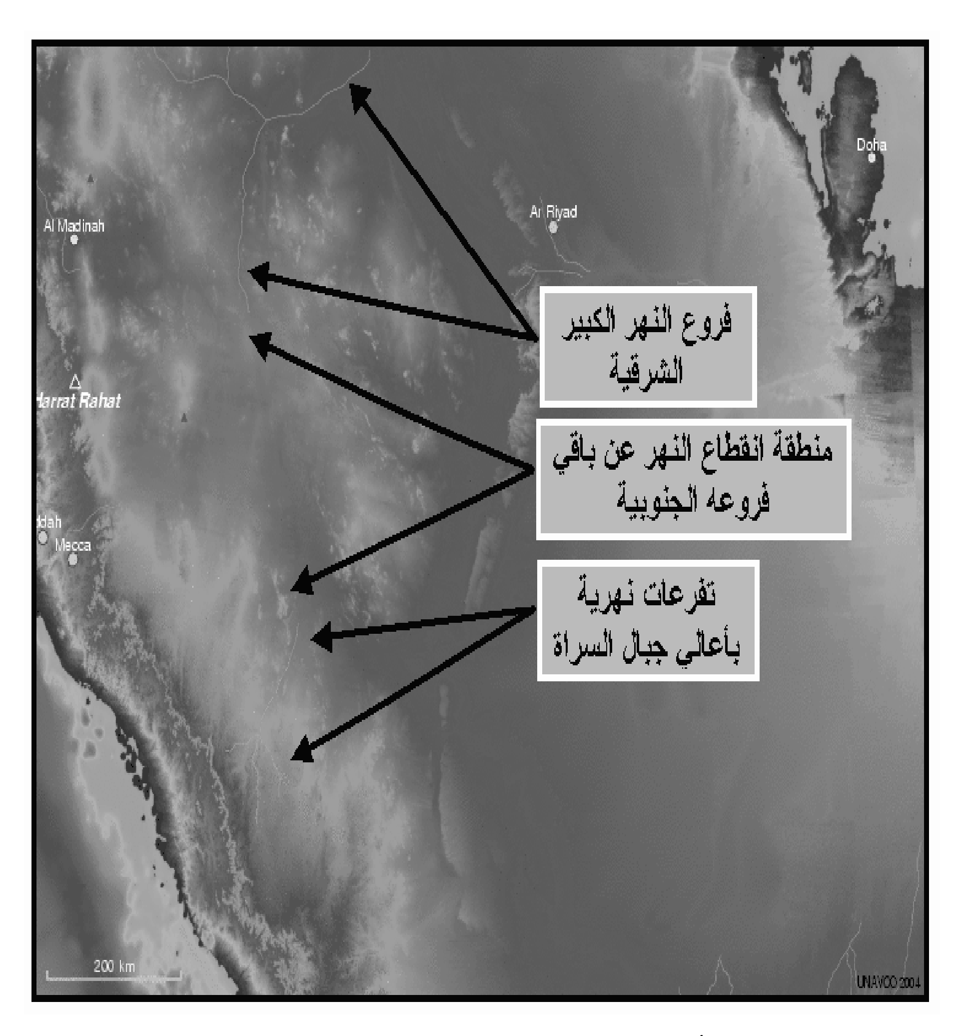
إن ما رسمه الجغرافيون في خرائطهم يشير إلى وجود نهر بالضخامة الكافية ليترك أثراً أخدودياً على الأرض. وهو بالفعل ما أظهرته بوضوح صور الأقمار الصناعية المكبرة لتضاريس الجزيرة العربية- (انظر الصورة[٢٩٧] رقم ١٠) حيث يبدو النهر الجاف على شكل أخدود أرضي بسبب عرض ضفتيه. وقد أتاحت التقنيات الحديثة للتصوير الفضائي تمييز أعمق الوديان من بين معالم الأسطح الأرضية كما هو واضح في الصورة رقم ١١ الفضائية للمركبة جول فيرن (Jules Verne Voyager)[٢٩٨] التي تؤكد بما لا يدعو للشك أن ثمة حوضاً عملاقاً على أرض الجزيرة العربية يمتد من قمم جبال السراة في غرب الجزيرة إلى شمال الخليج العربي. كما تظهر الصور انقطاع الحوض بامتداد حافة جبال الطويق القوسية كما أظهرت بعض الخرائط القديمة المعروضة أعلاه. ويُعرف هذا الحوض اليوم بوادي حفر الباطن وهو حسب الظاهر مصب عدة أنهار تنحدر جميعها من جبال السراة. وتكشف الصورة الفضائية[٢٩٩] رقم ١٢ التي تظهر الجزء الجنوبي غير الظاهر في الصورة السالفة، عن وجود منابع أخرى لأنهار تنبع من أعالي جبال السراة.

---

[297] -The Discovery of the Nile- Guadalupi- p345
[298]-Global Volcanisom Program
http://www.volcano.si.edu/world/volcano.cfm?vnum=0301-07=&VErupt=Y&VSources=Y&VRep=N&VWeekly=N&volpage=maps
[299] - Global Volcanisom Program
http://www.volcano.si.edu/world/volcano.cfm?vnum=0301-07=&VErupt=Y&VSources=Y&VRep=N&VWeekly=N&volpage=maps



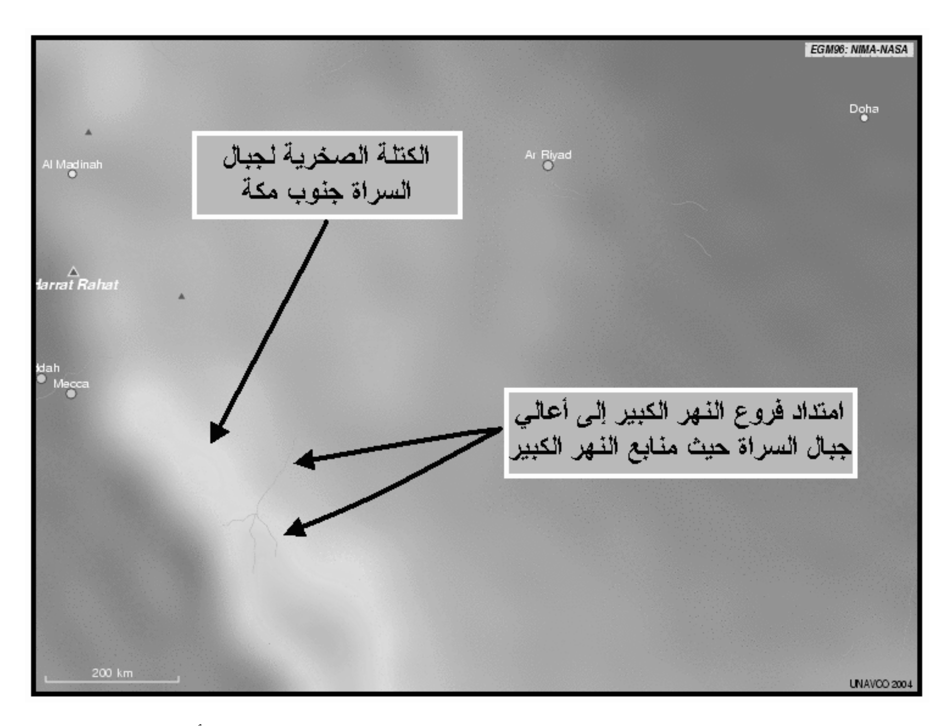
صورة رقم ١١: صورة بالأقمار الصناعية توضح حقيقة امتداد الحوض النهري العملاق إلى عمق الجزيرة العربي



صورة رقم ١٢: صورة بالأقمار الصناعية تكشف امتداد النهر العملاق وتفرعاته بغرب الجزيرة وجنوبها حيث جبال السراة

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تدرج اللون في الصورة يشير إلى الارتفاعات النسبية. فاللون الأخضر القاني يعبّر في الصورة الفضائية المعنية عن أرض منخفضة بالمقارنة مع اللون الأخضر الفاتح الذي يعبّر عن أرضٍ أكثر ارتفاعاً تمتد إلى شواهق جبال السراة الملونة باللون الرمادي والتي تصل ارتفاعاتها إلى ٣٠٠٠ متر فوق سطح البحر خصوصا عند الساحل اليمني الغربي. لذا بعد دراسة الصورة الفضائية الأخيرة

نستنتج أن الأنهار الثلاثة الظاهرة في أسفل الصورة والواقعة في المناطق الرمادية الشاهقة، هي مصدر تدفق المياه وذلك بسبب علوها عن باقي مسار الأحواض.



صورة رقم ١٣: صورة فضائية بمصفيات ضوئية تظهر منابع النهر الكبير بأعالي جبال السراة جنوب مكة

ويمكن رؤية ذلك بوضوح أكثر في الصورة الفضائية[٣٠٠] رقم ١٣ التي تعزز إظهار الكتلة الصخرية الجبلية بتدرج طيفي يتناسب طردياً مع ارتفاعها. لقد أظهرت إحدى خرائط الجغرافيين كما جاء أعلاه أن مصب هذا النهر العملاق يقع في شمال الخليج العربي مشكلاً بحيرة كبرى في تلك المنطقة بجنوب العراق- انظر الخريطة[٣٠١] رقم ٣٨. وهو أمر جدير بالدراسة للتحقق من حقيقة وجود بقايا أنهار بهذا الحجم على الأرض. فبالاستعانة بصور الأقمار الصناعية لدراسة طبوغرافية المنطقة التي يصب

---

[300] - Global Volcanisom Program - المصدر نفسه

[301]-The Discovery of the Nile-Gianni Guadalipi-map 34

فيها النهر نجد أنه فعلا يوجد منخفض كبير في جنوب العراق كما أن هناك شذرات في التراث العربي والمسميات الميدانية تدل على وجود بحر كبير في الماضي السحيق في تلك المنطقة وكان مصيره الجفاف ولذلك سمّيت تلك المنطقة بالنجف. وفي النجف هذه يقع مرقد إمام المتقين على بن أبي طالب (ع).



خريطة رقم ٣٨: توضح هذه الخريطة وجود بحيرة كبيرة بجنوب العراق ينتهي النهر الكبير عندها

وإذا فتشنا في التراث العربي عما يتعلق بمنطقة النجف نجد إشارات متعددة منها: "**أمّا موقع النجف، فإنها تقع على حافة الهضبة الغربية في العراق، وتبعد عن فرات الكوفة ما يقرب من عشرة كيلومترات من غربي الكوفة، في مرتفع يطل من الشمال والشرق على منبسط فسيح، ويطل من الغرب على واد رحب ربما كان فيما غابر من أزمان التاريخ بحيرة جفت ونضبت**"[٣٠٢]. وإذا تمعّنا في صور الأقمار الصناعية لمنطقة النجف - انظر الصورة[٣٠٣] رقم ١٤ - نستطيع أن نستشف بالفعل وجود منخفض كبير يؤيّد ما ذهب إليه بن طاووس ، ويقع هذا المنخفض اليوم بجوار مرقد الإمام على بن أبي طالب (ع). ولمعرفة حجم هذا المنخفض لا بدَّ من تكبير مجال الصورة - انظر الصورة[٣٠٤] رقم ١٥ . وكما يتضح بعد التكبير فإن المنخفض الذي يظهر باللون الأسود يكبر كلّما اتسعنا في مجال التصوير الفضائي مما يدلّ على أن المنخفض أكبر مما يبدو للناظر على الأرض. وهذا ما كشفته الصور الواسعة المجال- (صورة[٣٠٥] رقم ١٦) التي تظهر أن الفرات ودجلة يقعان في منخفض يكاد يكون متصلا بالخليج العربي.

---

[٣٠٢] - عبد الكريم بن طاووس، فرحة الغري، ص١١ .

[303]-Terraserver http://www.terraserver.com/

[304] - Global Volcanisom Programhttp://www.volcano.si.edu/world/volcano.cfm?vnum=0301-07=&VErupt=Y&VSources=Y&VRep=N&VWeekly=N&volpage=maps

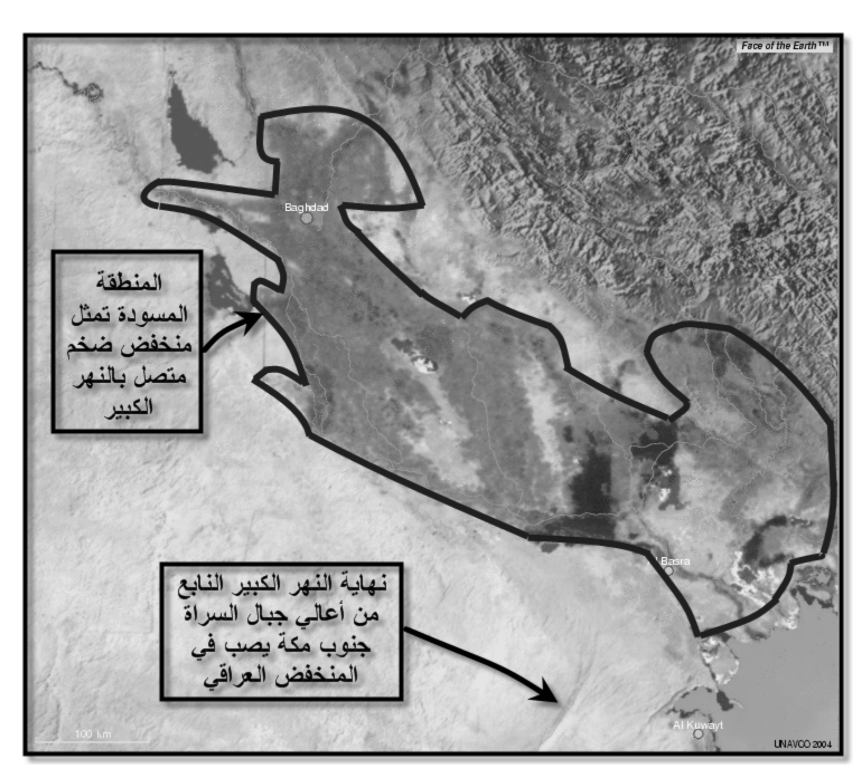
[305] - Global Volcanisom Program - المصدر نفسه



صورة رقم ١٤: صورة بالأقمار الصناعية لمنطقة النجف قرب مرقد الإمام علي (ع)



صورة رقم ١٥: صورة بالأقمار الصناعية لمنطقة النجف بالعراق توضح وجود منخفض كبير بجنوب العراق



صورة رقم ١٦: صورة بالأقمار الصناعية تظهر أن معظم أراضي العراق عبارة عن منخفض كبير متصل بنهاية النهر الكبير إلى جانب نهري دجلة والفرات.



صورة رقم ١٧: صورة بالأقمار الصناعية تظهر حوض النهر الكبير قبل دخوله جنوب حدود العراق

ويمكننا اليوم تتبع النهر الكبير قبل أن يدخل الحدود العراقية المعاصرة باتجاه البحيرة – الصورة[٣٠٦] رقم ١٧ – كما يمكن ملاحظة أخاديد مائية منحوتة في صخور المنطقة تدل على تدفق مياه غزيرة على مداخل حوض البحيرة التي تكاد تتصل بحوض الخليج العربي كما هو واضح من الصورة رقم[٣٠٧] ١٨ . وفي هذا الصدد يذكر الحموي هذه الحقيقة "**الحِيْرة بالكسر ثم السكون وراء مدينة كانت على ثلاثة**

---

[306] - Global Volcanisom Program – المصدر نفسه

[307] - Global Volcanisom Program – المصدر نفسه

أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس (أي الخليج العربي) كان يتصل به وبالحيرة الخورنق بقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل والسدير في وسط البرية التي بينها وبين الشام"(٣٠٨) ولا نعلم من هؤلاء الذين "زعموا" كما ورد عن الحموي، ولكن زعمهم هذا تؤيّده الأدلة على الأرض كما كشفت التقنيات الحديثة حيث يبدو المنخفض كأنه متصل بالسواحل الشمالية للخليج العربي.

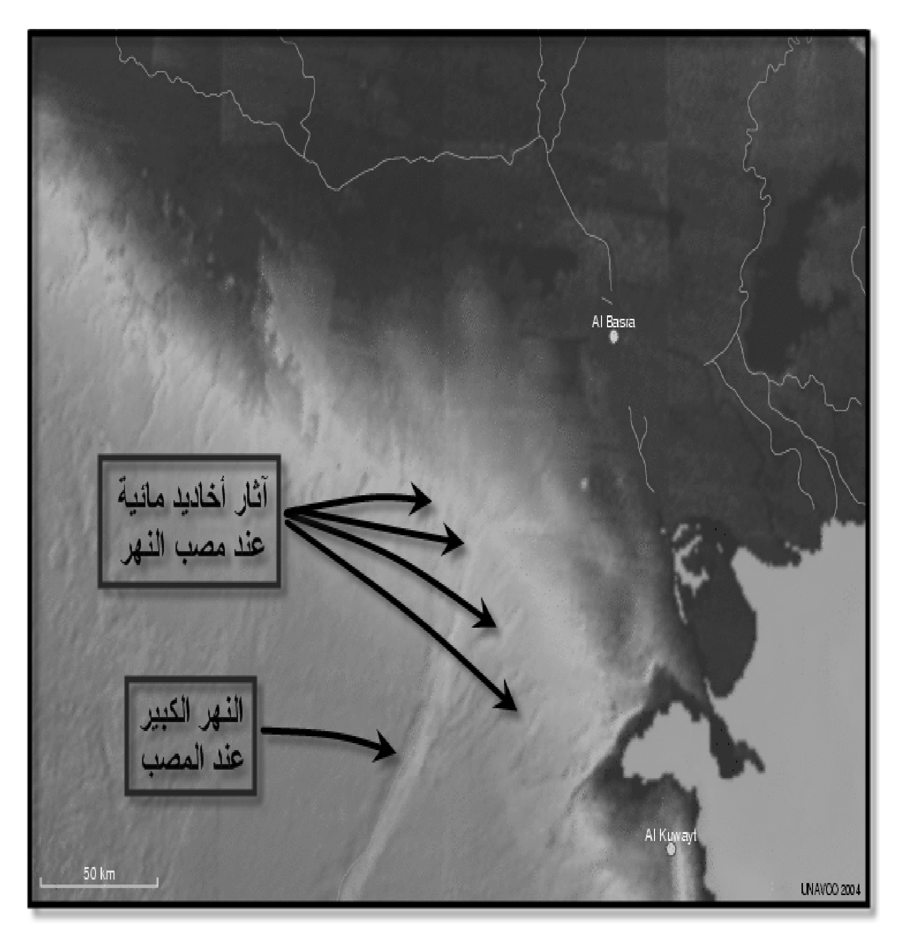
وهناك أخبار أخرى متناثرة في التراث تحمل بين طياتها أدلة تؤيد ما نطرحه في هذا البحث "**عن أبى عبد الله عليه السلام قال. وكان يسمى ذلك البحر ببحر (ني) ثم جف بعد ذلك وقيل: ني جف فسمى نجف ثم صار بعد ذلك يسمونه نجف لأنه كان أخف على ألسنتهم**"(٣٠٩)(٣١٠).

(٣٠٨) – الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٢٨.

(٣٠٩) – الجزائري، قصص الأنبياء، ص٨٩.

(٣١٠) – العصامي، سمط النجوم العوالي، ج١، ص١٤٩، موقع الوراق:

http://www.alwaraq.com/



صورة رقم ١٨ : صورة بالأقمار الصناعية توضح طبيعة الأرض الأخدودية عند مصب النهر الكبير

ولا يفوتنا أن نذكر أن المنطقة المعنية هي عينها التى تحوي بحيرات الأهوار العراقية. والأهوار، حتى عهد صدام حسين المخلوع، كانت مناطق مستنقعات ضخمة تحوي مياه عذبة وحياة مائية زاخرة ويسكنها عراقيون يقتاتون على صيد الأسماك ولكن تمّ تجفيف هذه المستنقعات لأسباب سياسية عسكرية في عهد صدام حسين. وتاريخ الأهوار قديم بل نعتقد أنه يعود إلى أيام البحيرة الضخمة التى كانت مصباً للنهر الكبير القادم من جزيرة العرب إلى جانب النهرين القادمين من تركيا اللذين

سمي أحدهما بالفرات بعد أن نضب الفرات الأصلي الذي ينبع من جبال السراة في عسير النجدية.

إذاً، فقد كانت هناك أنهار وليس نهراً واحداً في الجزيرة العربية فهذه المعالم الطبيعية لم تنحصر فقط في القبط أو العراق أو الشام. ولكن الفرق هو أن أنهار الجزيرة العربية غاضت وجفت وغارت مياهها من على سطح الأرض، ولكنها موجودة بغزارة مدهشة تحت الأرض كما أكد البروفيسور فاروق الباز في بعض منشوراته العلمية. ويمكنك الرجوع إلى بحث طوفان نوح (ع) وهو أحد إصدارات جمعية التجديد الثقافيّة الاجتماعيّة، للاطلاع على حقيقة أن فوران البراكين بالجزيرة العربية أدى إلى حدوث طوفان نوح (ع) وأدّى أيضاً إلى تقطع أوصال الأنهار وغيضان الماء إلى جوف أرض الجزيرة العربية كما صرح كتاب الله (**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**)(هود:٤٤). فهذه الآية تصرح بأن مياه الطوفان موجودة تحت الأرض وهو ما بدأ الجيولوجيون يكتشفونه مؤخراً. والآن، بعد أن أثبتنا وجود الأنهار علمياً وموضوعياً على سطح الجزيرة العربية في الحقب السالفة، وبعد أن أثبتنا من التراث العربي استقرار آدم في الجزيرة العربية وفي مكة تحديداً، فإن السؤال الهام المطروح هو ماذا كانت العشائر الإنسانية الأولى والقريبة من زمن آدم وحواء تسمى هذه الأنهار أيام ازدهارها حيث كانت تنساب بعنفوان في جزيرة العرب على مدى ملايين السنين إلى أن بدأت تحتضر بعد الطوفان انتهاءً بالوفاة التدريجية عبر مئات السنين لتترك لنا أحواضها الجافة هنا وهناك؟ هل الأنهار الجافة في الجزيرة العربية هي الأصل وهي صاحبة الأسماء العريقة كالفرات والنيل ودجلة وسيحون وجيحون؟ أم أن ما استكشفته العشائر الإنسانية القديمة من أنهار مختلفة أثناء تجوالها وانتشارها في بقاع الأرض هي المعنية بهذه الأسماء؟ ولكي نجيب على هذا التساؤل يجب أن نعرف من أين أتى الإنسان الأول والمعاصر بأسماء الفرات والنيل ودجلة ؟ وهنا يوضح لنا التراث العربي أن هذه الأسماء كانت راسخة في ذاكرة الإنسان منذ أيام أبو البشر آدم وأمهم حواء وتناقلها الجيل تلو الجيل على شكل أساطير تعليمية ربانية. فهذه الأسماء لم تأت من عدم وإنما هي جزء من روايات آدم وحواء لأبنائهم حول ما جرى لهم في

الجنة وكيف خُلقوا وعُلموا ومع من تعاملوا وأين عاشوا هناك وماذا كان يوجد بها من أنهار وماذا كانت تدعى هذه الأنهار..الخ. فالثابت هو أن آدم سكن وزوجته حواء موقعاً يدعى الجنة (**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ**)(البقرة:٣٥).

والجنة هذه بقعة أرضية[٣١١] غنية بمواردها وتحوي كل مستلزمات العيش الكريم (**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى**)(طه:١١٩). وعبارة "**وَلاَ تَضْحَى**" في الآية السابقة تدل على احتجاب الجنة عن الشمس وهو إشارة إلى أن الجنة تقع في أو ضمن منظومة تجاويف أرضية منفتحة على سطح الأرض بمغاور أو كهوف مشابهه لما يكتشفه الجيولوجيون بين الحين والآخر من تجاويف أرضية ضخمة كتلك المكتشفة في إيران (غار صدراه شمال قم) أو مغارات غاية في الضخامة والتعقيد اكتشفت في عدة بلدان كالمكسيك وماليزيا وأستراليا.. الخ. وقد يكون هذا التجويف في بطن سلسلة جبال شاهقة كجبال السراة بحيث يتعين على الخارج منها الهبوط إلى السفوح المنخفضة وهذا يفسر استخدام مفردة "اهبطا" من الجنة في قوله تعالى (**اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**)(طه: ١٢٣)، وهذه الجنة تحوي أنهاراً عديدة جاء ذكر أسمائها في ذاكرة الكثير من الأمم الإنسانية[٣١٢]. فما هو محفوظ في ذاكرة العرب وأقرَّه خاتم النبيين (ص) من معلومات في هذا الصدد كثير وجميعه يدل على حقيقة واحدة هي "**عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيحان وجيحان والفرات والنيل كلها من أنهار الجنة**"[٣١٣]. كما أورد المسعودي

---

[٣١١] – اختلف المتكلمون حول مسألة الجنة أرضية هي أم سماوية. وما ثبت لدينا أنها أرضية ويمكن للقارئ الكريم الرجوع إلى بحث: الجنة تحت أقدام السراة، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

[٣١٢] – يحوي بحث معصية آدم- الحقيقة دون قناع وهو أحد إصدارات جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، على أساطير أممية تتعلق بمعرفة الأمم بقصة آدم في الجنة.

[٣١٣] – ابن نجيم المصري، البحر الرائق، ج٢، ص٥٥١؛ المازندراني، شرح أصول الكافي، ج٧، ص٣٨؛ العجلوني، كشف الخفاء، ج١، ص٤٦٥؛ القرطبي، التفسير، ج٣١، ص١٠٤؛ مسلم، الصحيح، ج٨، ص١٤٩.

قولاً للرسول (ص) مفاده "**عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يمج لوجدتم من ورقها**"[٣١٤]. والملحوظ هو كلما رجعنا إلى الوراء أكثر في تواريخ الأمم يتضح أن أسماء أنهار جنة عدن كانت معلومات عامة وملموسة بين الناس، بل إن هناك خريطة[٣١٥] للمواقع الجغرافية داخل جنة عدن رسمها السومريون الذين يرجع تاريخ حقبتهم إلى أكثر من ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد، مما يدل على أن هناك من نقل أخبارها وأسماء مناطقها إلى بني آدم- (انظر لوحة رقم ٩). وقد بادر العالم المتخصص في لسان السومريين، صموئيل نوح كريمر (Kramer)، إلى ترجمة اللقية التي تحوي هذه الخريطة النادرة اعتقاداً منه أنها لمدينة نيبور (Nippur) السومرية رغم أنه وجد فيها أسماء أنهار مختلفة منها النيل والفرات، ولم يستطع فهم قصة الأبواب السبعة المذكورة في الخريطة ولا اتجاهات الأنهار المبينة فيها والتي تتعاكس مع ما يُعتقد أنها تمثله على الأرض- (انظر لوحة[٣١٦]رقم ١٠) . ولما لم يخطر ببال كريمر أن بين يديه خريطة تفصيلية لجنة عدن خلص إلى إنها خريطة لمدينة نيبور العراقية كما أسلفنا. ويذكر التراث العربي القديم أن أنهار الجنة هذه لها امتداد على سطح الأرض. مما يعني أن جنة آدم ليست سماوية كما يعتقد البعض بل هي بقعة أرضية تمَّ خلق آدم وحواء فيها فخُصّت هذه البقعة الأرضية بقدسية السماء ونقل لنا خبرها عبر تعاليم جميع الأنبياء.

---

[٣١٤] - المسعودي، أخبار الزمان، ص٢٤٤.

[315]- Ancient **Map** Web List - http://www.henry-davis.com/MAPS/Ancient%20Web%20Pages/101.html

[316]- Translation of an translations and of an interpretations http://www.prvni-civilizace.cz/maia/enlil/nippur.htm ، The Nippur expedition http://oi.uchicago.edu/OI/PROJ/NIP/PUB93/NSC/NSCFIG8.html



لوحة رقم ٩: لقية طينية أثرية تعود إلى العهد السومري تظهر خريطة تفصيلية لجنة عدن

كما ورد تحديد منطقة الجنة التي تحوي الحوض في التراث العربي "**فقالت يا رسول الله هنيئا لك ومريئًا لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فأهنئك وأمرئك أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرا في الجنة يدعى الكوثر قال أجل وعرصته يا قوت ومرجان وزبر جدول ولؤلؤ قالت أحب أن تصف لي حوضك بصفة أسمعها منك قال هو ما بين أيلة وصنعاء**.."(٣١٧) وورد أيضاً "**عن أبى هريرة أن رسول الله صلى**

(٣١٧) - الهيثمى، مجمع الزوائد، ج١، ص٣٦٣.

الله عليه وسلم قال إن حوضي أبعد من أيلة[٣١٨] **من عدن**"[٣١٩]. وهذا يعني أن الجنة والحوض يقعان في مكان ما على امتداد جبال السراة في الجزيرة العربية بل إن هناك تحديد أكثر دقة في قول الرسول (ص) "**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة حدثنا مسدد عن يحيى عن عبيد الله قال حدثني خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي باب مسجد بيت المقدس** "[٣٢٠]. كما ينقل التراث العربي القديم خبر من حاول تتبع أثرها الجغرافي على الأرض، فمنهم من وُفق لنيل جزئية منها مثل حايد بن أبي سالوم بن العيص بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم[٣٢١] المعروف في الثقافة العربية العامة بالخضر حيث ينقل المسعودي وغيره من الإخباريين العرب أسطورته "**وقد ذكر قوم من أهل الأثر أن الأنهار الأربعة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب التي من وراء البحر المظلم وهي سيحان وجيحان والنيل والفرات. وذكر بعضهم إنها من الجنة وإن تلك القبلة من زبرجد، وإن جميع هذه الأنهار قبل أن يسلك إلى البحر المظلم أحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك. وممن جاء بهذا**

---

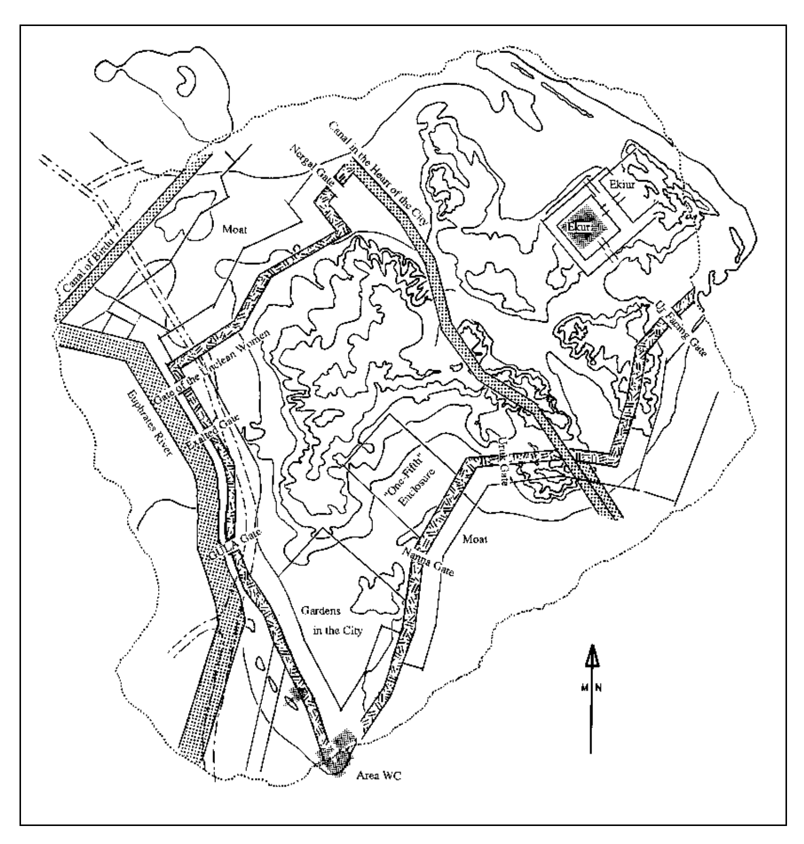
[٣١٨] - يقول الحموي والكثير من المؤرخين أن أيلة هي القرية التى كانت حاضرة البحر والتي خسف بها بعض من اليهود كما ورد في كتاب الله وهي تقع على البحر الأحمر " .. أيلة: بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام، واشتقاقها قد ذكر في اشتقاق إيلياء بعده، قال أبو زيد : أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير ". ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١ ، ص٢٩٢ .

[٣١٩] - مسلم، الصحيح، ج١ ، ص١٤٩ .

[٣٢٠] - البخاري، الصحيح، ج٢ ، ص٥٧ ؛ زكريا الأنصاري، فتح الوهاب، ج١ ، ص٢٥٧ ؛ محيى الدين النووي، المجموع في شرح المهذب، ج٨، ص٢٧٢ ؛ النووي، شرح مسلم، ج٩ ، ص١٦٢ ؛ يحيى بن الحسين، الأحكام، ج٢ ، ص٥٤٦ .

[٣٢١] - المسعودي، أخبار الزمان، ص٢٤٤ .

وذكره أبو صالح كاتب الليث وغيره من المحدثين ذكروا إن رجلاً من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام يقال له حايد وصل إلى القبة، وله خبر يطول ذكره"[٣٢٢]، ومنهم من لم يُوفق لتمام مراده أمثال جلجامش كما جاء في ملحمته الشهيرة[٣٢٣].



لوحة رقم ١٠: ترجمة كريمر لخريطة الجنة والتي اعتقد أنها مدينة نيبور العراقية

---

[٣٢٢] - المسعودي، أخبار الزمان، ص٢٤٣.

[٣٢٣] - لمزيد من المعلومات راجع بحث: الأسطورة، جمعية التجديد الثقافيّة الاجتماعيّة.

وهذا يفسر لنا تواجد خريطة الجنة بين قدماء العراقيين. أما كون أنهار الجنة لها امتداد مشهود على سطح الأرض فهذا خبر تكرر كثيراً في تراث الحقبة الإسلامية وجاء ذكره في التوراة أيضاً وبشكل مكرر "**وَكَان نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ ارْبَعَةَ رُؤُوسٍ: اسْمُ الْوَاحِدِ فِيشُونُ وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ الْحَوِيلَةِ حَيْثُ الذَّهَبُ وَذَهَبُ تِلْكَ الأَرْضِ جَيِّدٌ. هُنَاكَ الْمُقْلُ وَحَجَرُ الْجَزْعِ. وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّانِي جِيحُونُ وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ. وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّالِثِ حِدَّاقِلُ وَهُوَ الْجَارِي شَرْقِيَّ أَشُّورَ. وَالنَّهْرُ الرَّابِعُ الْفُرَاتُ**"(التكوين ٢-١٠،١٤). وللمزيد بشأن تفاصيل الجنة يمكنك الرجوع إلى البحث المخصص لهذا الموضوع تحت عنوان "جنة آدم تحت أقدام السراة".

ما يعنينا من ذلك كله هو أنّ أسماء هذه الأنهار المعروفة إلى اليوم يرجع تاريخها إلى زمن آدم وحواء. وآدم وحواء ورد ذكرهما تراثياً في مكة وليس العراق أو القبط (جمهورية مصر العربية) لذا فمن المتوقع أن نجد أنهار الفرات والنيل وسيحون وجيحون الأصلية في الجزيرة العربية حيث محضن الإنسان الأول وحيث التصاقها ببقايا ما هبطت منه من تجاويف أعالي الجبال. ولكننا لا نلمس هذه الحقائق على الأرض، فالفرات بالنسبة لنا اليوم يقع في العراق والنيل في القبط كما يعرفهما العالم، فكيف حدث ذلك؟ والجواب مرة اخرى هو "عادة التيمن" التي أربكت المواقع الجغرافية وضللت الكثير من المحققين وأوقعت بينهم الجدل عبر الأزمان، وهذا ما يمكن لمسه في هذا المقتبس للنووي "**اعلم إن سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فأما سيحان وجيحان المذكوران في هذا الحديث اللذان هما من انهار الجنة في بلاد الأرمن فجيحان نهر المصيصة وسيحان نهر إذنه وهما نهران عظيمان جدًا أكبرهما جيحان فهذا هو الصواب في موضعهما وأما قول الجوهرى في صحاحه جيحان نهر بالشام فغلط أو أنه أراد المجاز من حيث أنه ببلاد الأرمن وهى مجاورة للشام قال الحازمى سيحان نهر عند المصيصة قال وهو غير سيحون وقال صاحب نهاية الغريب سيحان وجيحان نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس واتفقوا كلهم على أن جيحون بالواو نهر وراء خراسان عند بلخ واتفقوا على أنه غير جيحان وكذلك سيحون غير سيحان وأما قول القاضى عياض هذه الأنهار**

الأربعة أكبر أنهار بلاد الإسلام فالنيل بمصر والفرات بالعراق وسيحان وجيحان ويقال سيحون وجيحون ببلاد خراسان ففي كلامه إنكار من أوجه أحدهما قوله الفرات بالعراق وليس بالعراق بل هو فاصل بين الشام والجزيرة والثانى قوله سيحان وجيحان ويقال سيحون وجيحون فجعل الأسماء مترادفة وليس كذلك بل سيحان غير سيحون وجيحان غير جيحون باتفاق الناس كما سبق الثالث أنه ببلاد خراسان وأما سيحان وجيحان ببلاد الأرمن بقرب الشام والله أعلم. وأما كون هذه الأنهار من ماء الجنة ففيه تأويلان ذكرهما القاضي عياض أحدهما أن الإيمان عمَّ بلادها أو الأجسام المتعذبة بمائها صائرة إلى الجنة والثانى وهو الأصح أنها على ظاهرها وأن لها مادة من الجنة والجنة مخلوقة موجودة اليوم عند أهل السنة وقد ذكر مسلم في كتاب الإيمان في حديث الإسراء أن الفرات والنيل يخرجان من الجنة وفى البخاري من أصل سدرة المنتهى"[٣٢٤] وقد أثبت لنا النووي في كلامه هذا أربعة أمور، الأول أنّ هناك لغطاً منذ عهود قديمة بشأن مواقع أنهار الجنة وتشابه أسماء عدة أنهار على الأرض مع أسماء أنهارها، ولكنه لم يذكر السبب الذي أدى إلى هذا اللغط وذكرنا نحن السبب وهو عادة التيّمن. والأمر الثاني هو أن الفرات المرتبط بالجنة ليس في العراق وإنما هو كما عبر عنه النووي في الفاصل بين الشام والجزيرة وهذا لا ينطبق على فرات العراق، ولكن بالنظر في الخرائط السابقة خصوصاً (الخريطة رقم ٣٦)، نجد أن النهر الكبير يقطع الجزيرة عرضاً إلى قسمين شمالي وجنوبي كما وصف النووي. والأمر الثالث الذي أيده الكثير من المؤرخين هو أن أنهار الجنة تحوي مادة من الجنة نفسها، كما عبر النووي، أي أنها امتداد لأنهارها . والأمر الرابع هو أن النهر الضخم الموجود في جمهورية مصر العربية لا يحمل الاسم الأصل بل يحمل اسماً تيمنياً، فالنيل هو نهر في الجزيرة العربية وليس في القبط لأن فرات ونيل الجنة ينبعان من منبع واحد داخل الجنة، وهو ما لا ينطبق على نهر نيل القبط أو فرات العراق.

---

[٣٢٤] – النووي، شرح مسلم، ج٧١، ص١٧٦ .

وليس من العجيب بعد كل هذه الدلائل الجغرافية والتراثية أن نجد هيردوس الإغريقي يذكر في تاريخه الذي وضعه حوالي سنة ٥٠٠ ق.م وجود نهر يصفه بـ"النهر العظيم" يمتد في الجزيرة العربية[٣٢٥]. كما يذكر أن هذا النهر العظيم يدعى كوريوس (Corys) ويصب في البحر الأحمر (Erythraean). والجدير بالذكر أن "البحر الأحمر" هو اسم أُطلق على الخليج العربي في عهد هيردوس حيث تم إطلاق اسم "البحر الأحمر" على بحر العرب ثم الخليج العربي انتهاءً ببحر القلزم أو ما يعرف اليوم بالبحر الأحمر[٣٢٦] كما يذكر هيردوس أن جنوب هذا النهر توجد أرض البخور والطيب والمر أي أرض اليمن. ويتفق هذا التقسيم مع طرح النووي وخرائط الجغرافيين الآنفة الذكر.

بقي الآن أن نبحث في الجزيرة العربية عن اسم "الفرات" أو "فرات" لوادٍ نهري جاف أو ما بقي من هذا الاسم على الأرض. فليس من المتوقع أن تتوالى عدة أجيال عبر آلاف السنين وبألسن مختلفة منها السرياني ومنها الفصيح، ثم تحتفظ بنفس الأحرف ونفس النطق لنهر بلغ عمر اسمه عمر الإنسانية على الكرة الأرضية. فلا بدَّ أن يكون هناك أثر لاسم الفرات في الجزيرة العربية وفي جبال السراة تحديداً وليس بالضرورة أن ينطق اليوم "فرات" بل يكفي أن يكون قريباً منه. ويجب أن يتسم ما نبحث عنه بالمعايير التدقيقية التالية:

١- أن يكون في الجزيرة العربية حيث ورد ذكر مكان إقامة آدم وحواء وأجيالهم الأولى.

٢- أن يكون واقعاً بين مكة (خط عرض N21'19.8"25⁰) ووادي حوران (خط عرض N19'40"44⁰) وذلك لأن إبراهيم عبره في مسيره من موطن آبائه إلى معتزله بمكة.

---

(325) -Ancient History Sourcebook: Ancient Accounts of Arabia, 430 BCE - 550 CE http://www.fordham.edu/halsall/ancient/arabia1.html

(326) -The Columbia Encyclopedia, Sixth Edition. http://www.bartleby.com/65/er/Erythrae.html

٣-أن يكون اسماً لوادٍ نهري جاف.

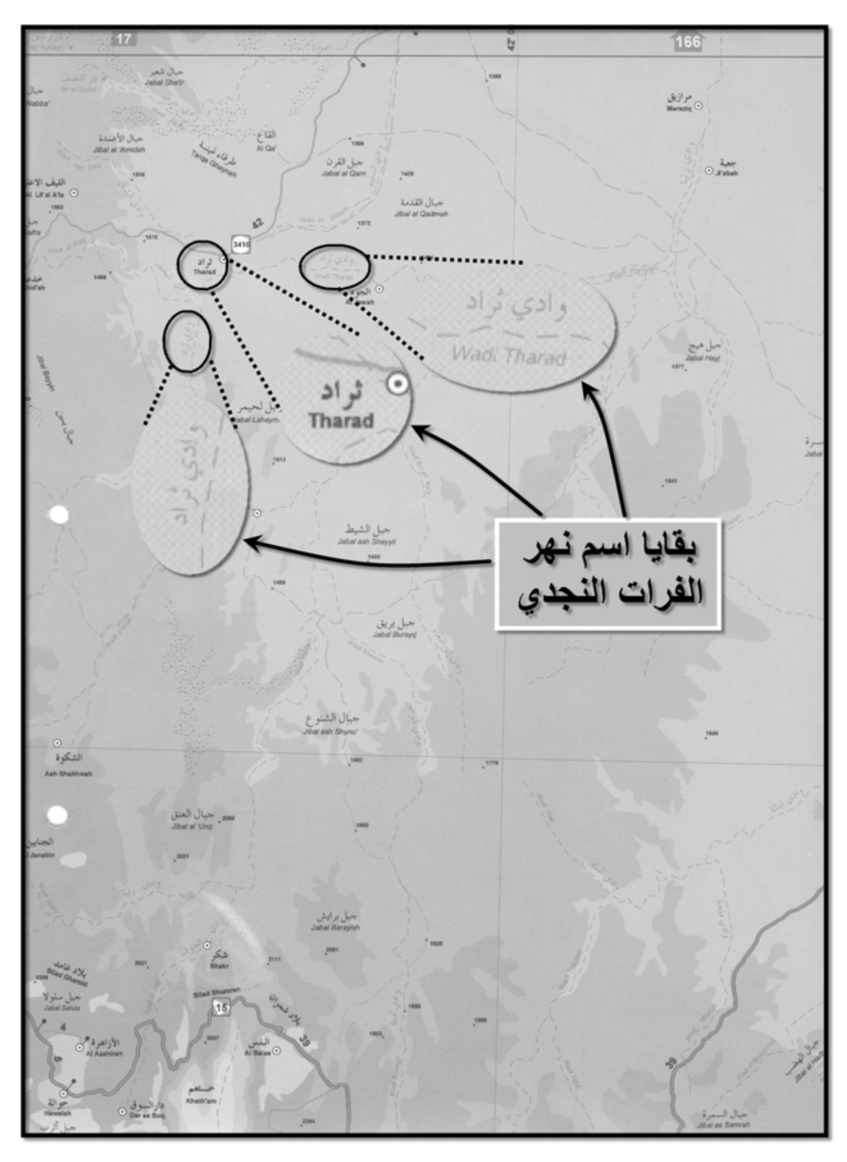
٤-أن يكون منطوق الاسم "فرات" أو قريباً منه.

٥- أن يكون قريباً من جبال السراة حيث المنابع الجبلية لأنهار الجنة وأقرب لمسيرة إبراهيم الرعوية باتجاه مكة.

بعد مسح الخرائط في ضوء المعايير أعلاه يمكن بكل سهولة العثور على بقايا اسم نهر الفرات بالجزيرة العربية، وقد تحور اسمه من فرات إلى ثراد . وهو يقع الآن بجوار مدينة العقيق. وقد ترك هذا الوادي اسمه على قرية تدعى أيضاً ثراد كما هو واضح في الخريطة[٣٢٧] رقم ٣٩. وتحول حرف "الفاء" إلى "ثاء" و"التاء" إلى "دال" في جملة حروف أخرى، هي ظاهرة شائعة في اللغة العربية منذ القدم. ففي البحرين مثلا تلفظ بعض الحروف إلى اليوم باللهجة العامية بخلاف ما تكتب مثل "ثلاثة" تلفظ "فلافة" و"اثنين" تلفظ " أفنين" و"قرية" تلفظ "غرية" و"دقيقة" تلفظ "دغيغة" وهناك من الجنسيات العربية من يلفظ "محمد" "محمت" كما ومازال ثريد الخبز يُدعى "فريد" و"فريت" في لهجات عربية كثيرة. فاستبدال حرف بحرفٍ آخر بغية التخفيف في اللفظ هو مكمن نشوء اللهجات والألسن بشكل عام. ويمكنك كتابة مجموعة من الكلمات التى شكلت لهجتك المحلية ومقارنتها مع ما تكتب لتلاحظ ظاهرة استبدال الحروف وهي ظاهرة منتشرة في العالم العربي. فهكذا يغلب لفظ على لفظ آخر لنفس المكان مع مرور الزمن حسب طبيعة لسان القاطنين في المنطقة المعنية، حتى عهد كتابة وتوثيق المسميات في الخرائط والسجلات. وهذا يفسر لنا كيف تحول فرات بمرور الزمن إلى ثراد .

---

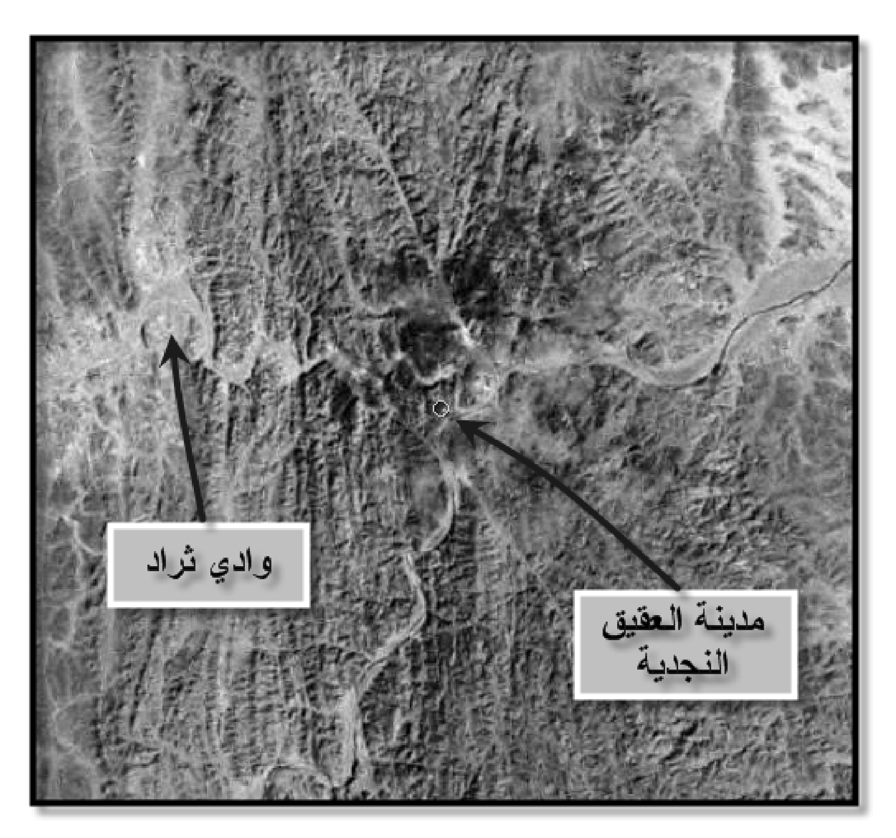
[٣٢٧] - زكي محمد علي فارسي، أطلس الخرائط للملكة العربية السعودية، الإصدار- ١ .



خريطة رقم ٣٩: بقايا اسم نهر الفرات النجدي على سفح جبال السراة بجنوب مكة كما يبدو على الخرائط الحديثة

أمّا بالنسبة لباقي المعايير في تعيين نهر الفرات في الجزيرة العربية، فبعد دراسة الخريطة الحديثة نجد أن ثراد هو اسم واد نهري جاف كما هو واضح في الصورة

الفضائية[٣٢٨] رقم ١٩، فضلاً عن كونه يقع بين مكة وحوران كما ينبغي له وذلك ما نراه في الخريطة[٣٢٩] رقم ٤٠. وتكشف لنا الخريطة نفسها أن هذا النهر يقع بمحاذاة الحدود الشرقية لجبال السراة ويمتد إلى قممه بالقرب من مدينة الباحة بموازاة أودية أخرى في مسارات مختلفة. وتقدّر المسافة المستقيمة بين وادي حوران حيث موطن آباء إبراهيم ونهر الفرات (ثراد) بحوالي ٦٥ (كلم)، بينما تقدّر المسافة بين ثراد ومكة بـ ٢٢٠ (كلم) تقريباً.



صورة رقم ١٩: جزء وادي ثراد كما يظهر من خلال صور الأقمار الصناعية

---

(328) -Terraserver http://www.terraserver.com/

(٣٢٩) - زكي محمد علي فارسي، أطلس الخرائط للملكة العربية السعودية، الإصدار- ١.

أما بالنسبة لمنابع نهر ثراد فيمكن تعيين ذلك بتتبع الحوض إلى أعالي جبال السراة حيث يتغير اسمه باتجاه الغرب من ثراد إلى الجوف كما هو واضح في الخريطة[٣٣٠] رقم ٤١. ويرتقي وادي الجوف أعالي قمم السرات شمال بلاد غامد. والسؤال هنا هل كان هذا الحوض حقاً نهراً في الماضي؟ نشر البروفسور فاروق الباز، العالم العربي المرموق في وكالة ناسا، ورقة علمية سنة ١٩٩٦ ميلادية نشرتها مجلة (Biblical Archaeology Review)[٣٣١] وخلاصة الورقة أن وجود أنواع من حجارة الجرانيت في إحدى مناطق صحراء الكويت المحاذية لوادي لحفر الباطن كان أمراً محيراً للجيولوجي فاروق الباز لأن هذا النوع من الحجارة البركانية المنشأ لا تنتمي لطبيعة الصخور في منطقة الكويت، مما يعني أنها لا بد نُقلت إلى منطقة الكويت بطريقة ما. وأقرب منطقة تحوي هذا النوع من الصخور هي الحجاز التي تبعد كثر من ٦٥٠ ميل عن حدود الكويت. وبعد التحقيق في الصور الفضائية[٣٣٢] اتضح للباز أن حفر الباطن كان يشكل نهراً جرفت مياهه الحجارة البركانية من الحجاز إلى حدود الكويت[٣٣٣].

كما ذكر الباز أنه بعد دراسة طبيعة الرمال في منطقة النهر الجاف توصّل إلى أن مياه النهر غارت تحت الأرض وتغلغلت في مجرى صدعي في نفس منطقة حوض الجوف[٣٣٤]. كما تضيف مقالات أخرى في هذا الموضوع أن الباز أطلق اسم "نهر

---

(٣٣٠) - زكي محمد علي فارسي، أطلس الخرائط للملكة العربية السعودية، الإصدار- ١.

(331)- "The Kuwait River،" Biblical Archaeology Review، Vol. 22، No. 4، July/August 1996، p. 55.)

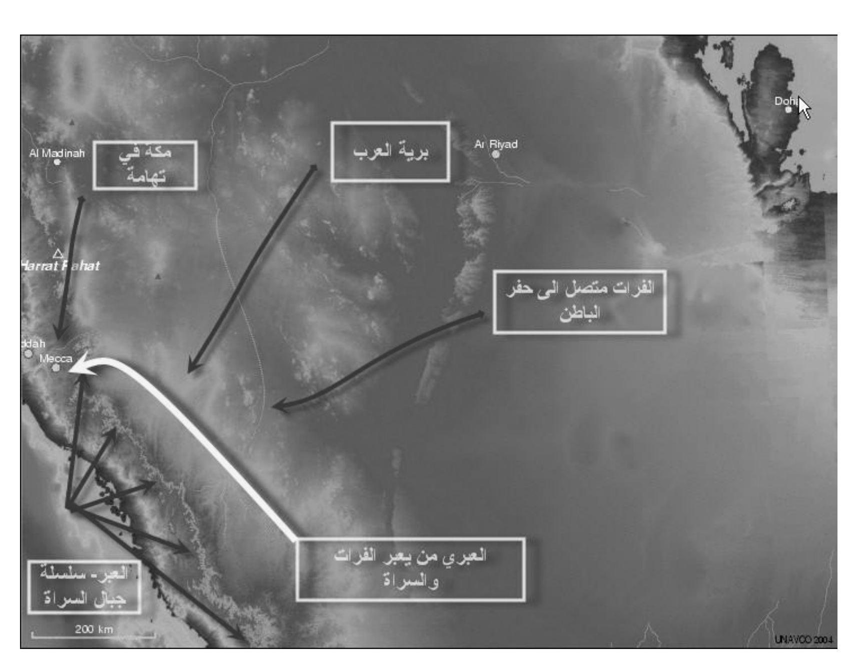
(٣٣٢) - لم نجد الصور الفضائية المذكورة في المصدر إلا أنه يكاد يكون مؤكداً أن ما أرفقناه من صور فضائية في هذا البحث هي التي درسها الباز أو شبيهة بها.

(333)- NEWLY DISCOVERED - THE FIRST RIVER OF EDEN!
http://www.rogerswebsite.com/others/The-First-River-of-Eden.htm

(334)- James A. Sauer، "The River Runs Dry،" Biblical Archaeology Review، Vol. 22، No. 4، July/August 1996، pp. 52-54، 57، 64

الكويت" على هذا النهر الجاف[٣٣٥] فيزيد الباز بذلك إرباكاً جغرافياً تاريخياً على الإرباك الحاصل، وإن كان بحسن نية منه لأنه يجهل أنه اكتشف نهر فرات الجنة الممتد من عسير إلى العراق.

وبأية حال، فقد تلقفت النخب المسيحية خبر هذا الاكتشاف، وهي ما انفكت تبحث عن موقع جنة آدم بخلاف ما هو عليه اهتمام المسلمين، حيث أن هذا الاكتشاف قد يهديهم إلى نهر جيحون أوسيحون المفقودين لاعتقادهم أن موقع باقي الأنهار المذكورة في التوراة، أي النيل والفرات، محسوم لصالح فرات العراق ونيل القبط حيث جمهورية مصر العربية اليوم. وكُتبت المقالات والتحليلات حول أن هذا النهر الجاف ربما يكون أحد الأنهار المفقودة لتكتمل بذلك دلائل التعرف على موقع الجنة التي يعتقدون، في ضوء "السبعونية"، أنها في العراق.



صورة رقم ٢٠: منطقة العبور والمتمثلة بسلسلة جبال السراة بتهامة

---

(335)- INVESTIGATING GENESIS SERIES
http://www.creationism.org/caesar/eden.htm

ولكن ما إن درس المتخصصون في النصوص التوراتية موقع النهر الجاف بالنسبة لتفاصيل أخرى وردت في "السبعونية" نفسها حتى تركوا هذه الاحتمالية لتضاربها مع ما جاء في نصوص توراتية كثيرة مختلفة. كما تجدر الاشارة إلى أن المسح الأرضي، ناهيك عن المسح الفضائي، للتضاريس السطحية في الجزيرة العربية دلّ على وجود أكثر من نهر عملاق وبحيرات كما كشف أندرو تومسون في رسومات أرفقها بكتابه أصل الجزيرة العربية كما هو واضح من الخريطة[٣٣٦] المعروضه في الصفحة التالية.

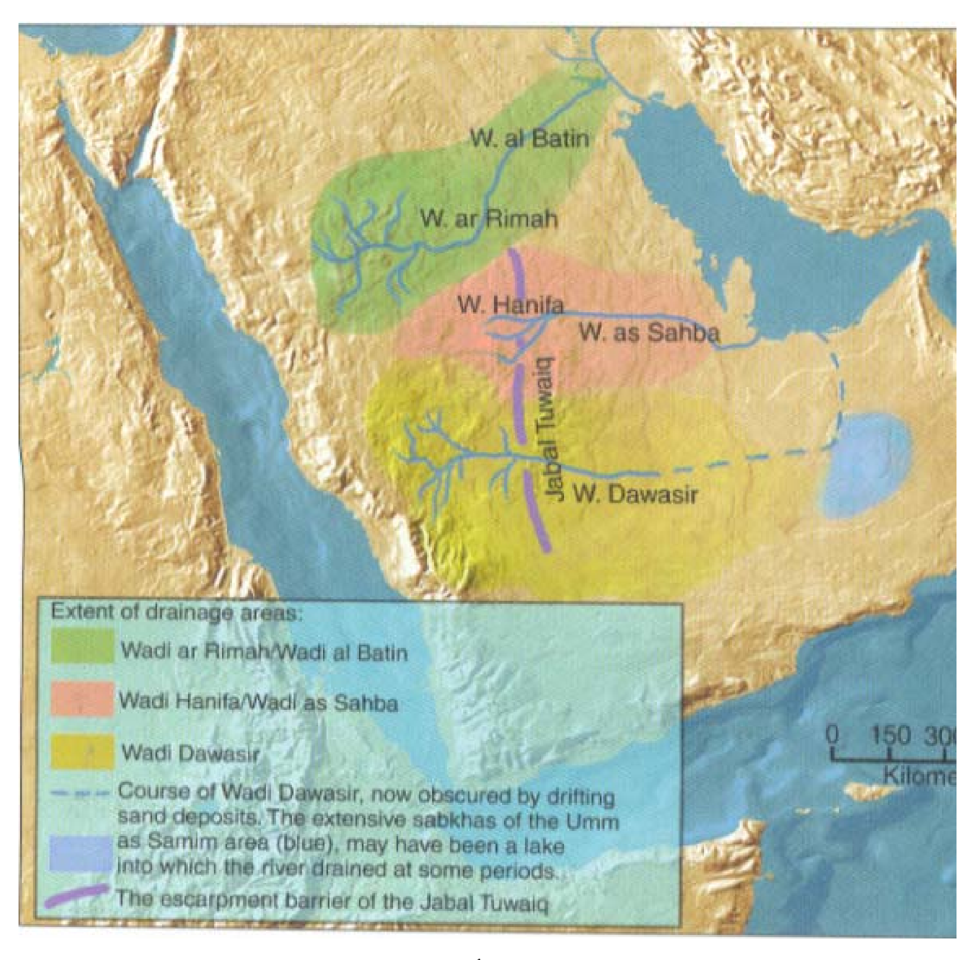
وأخيراً ذكر الدكتور أحمد داوود في إحدى مقالاته ما يكاد يتفق تماماً مع ما طرحناه هنا بشأن الموقع الحقيقي لنهر الفرات مع اختلاف بسيط وهو أن الفرات على خرائط اليوم هو ثراد وليس ثرات، وأن حاران هي اليوم حوران وليس كما جاء في رأي داوود حيث يقول "**وحينما هدد نمرود إبراهيم ـ حسب ما تقول التوراة ـ بالحرق، هرب إلى مركز العشيرة عند أبيه في "حاران" على وادي الفرات، الذي كان ينبع من بلاد غامد ويتجه شرقاً ويرفده وادي كارا، ويرفد وادي كارا وادي طوى (وتلفظ طوي بالسريانية)، وليس في الوطن العربي وادي طوى غير ذلك الوادي**"[٣٣٧].

---

(336) - Origons of Arabia- Andrew Thompson، Stacy Intrnational – p34- London- ISBN 1900988046

(337) – مجلة العهد ٢٨-٧-٢٠٠٠:

http://64.233.179.104/search?q=cache:MLB8WZeHOTEJ:www.moqawama.net/arabic/feauters/yaqoum2.htm



خريطة لاندرو تمسون تكشف تواجد ٣ من الأنهار الجافة والعملاقة بالجزيرة العربية إلى جانب بحيرة كبيرة بالربع الخالي

"العبرية" وعبور إبراهيم (ع) الفرات وجبال السراة إلى مكة

لقد حيّر تعبير "العبري والعبرية" (Hebrew) الباحثين في علوم السلالات والألسن. ذلك أن العبرية كلغة أو بالأصح كلهجة، لم يكن لها وجود قبل عهد إبراهيم (ع) ولكنه يستخدم اليوم كدلالة على دين وأمة وعرق ولغة. وهذا ما حدا بالباحث الفرنسي بيير روسي إلى أن يقول "**يصعب أن نعرف العبرانيين بواسطة المكان أو الزمان أو بمعونة علم الاجتماع أو الأديان**"(٣٣٨).

ما من شكّ أن إبراهيم (ع) نفسه كان يتحدث بلسان آبائه المقيمين في حوران النجدية، الذين يتحدثون اللسان السرياني كما أسلفنا. وحتى لو كان آباء إبراهيم (ع) مقيمين في أور الكلدانية كما جاء في التوراة المحرّفة فإن ذلك أيضاً يُؤكد بما لا يدعو للشكّ أن آباء إبراهيم (ع) لم يكونوا يتحدثون العبرية بل السريانية. فمن أين جاءت هذه اللهجة؟ وكيف أصبحت تستخدم كتعبير عن دين وسلالة وأمة ولغة؟! لن نجيب على هذا السؤال فهناك أبحاث متخصصة في هذا الجانب، ولكن ما سوف نتطرق إليه هو حقيقة منشأ مفردة "عبري" لأهميتها في بحث جغرافيا الأنبياء. فالتراث العربي يحوي بعض الحقائق بهذا الشأن وقد طالها التشويش اليهودي، ولكن بشيء من الغربلة يمكننا إدراك حقيقة أصل هذه المفردة "**قال هشام الكلبي ما أخذ على غربي الفرات إلى برية العرب يسمى العبر وإليه ينسب العبريون من اليهود لأنهم لم يكونوا عبروا الفرات حينئذ وقال محمد بن جرير إنما نطق إبراهيم عليه السلام بالعبرانية حين عبر النهر فاراً من النمرود وقد كان النمرود قال للذين أرسلهم خلفه إذا وجدتم فتى يتكلم بالسريانية فردوه فلما أدركوه استنطقوه فحول الله لسانه عبرانيًا وذلك حين عبر النهر فسميت العبرانية لذلك وكان النمرود ببابل وقال هشام في كتاب عربه لما أمر إبراهيم بالهجرة قال إني مهاجر إلى ربي أنطقه بلسان لم يكن قبله وسمي العبراني من أجل أنه عبر إلى طاعة الله فكان إبراهيم عبرانيًا**"(٣٣٩).

---

(٣٣٨) – بيير روسي، مدينة إيزيس .. التاريخ الحقيقي للعرب، ص٢٣.

(٣٣٩) – الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٧٨؛ بألفاظ مختلفة: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٦٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦، ص١٩٢؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٢٤٠.

وبغض النظر عن الانتقال المفاجئ للسان إبراهيم (ع) من اللهجة السريانية إلى "العبرية"، نفهم من التراث العربي أنه من كان يعبر الفرات في الجزيرة العربية [٣٤٠] كان يوصف بالعابر وهي كلمة عربية فصحى تطلق على الرحالة العابرين إلى البرية العربية من جهة النهر كقولنا "عابر سبيل". ويلقي البكري الأندلسي مزيداً من الضوء على حدود برية العرب حيث يقول "**وتهامة: ماساير البحر، منها مكة والعبر والطور والجزيرة. فالعبر: ما أخذ على الفرات إلى برية العرب**"[٣٤١] .

لذا نفهم من كلام المؤرخين أن برية العرب هي المنطقة الواقعة بين نهر الفرات الأصلي وتهامة. ولا يخفى أن تهامة تشمل أيضاً الشريط المنخفض والواقع بين سلسلة جبال السراة وساحل البحر الأحمر والممتد طولاً من عسير إلى شمال مكة. فلو طبقنا كلام المؤرخين على صورة الأقمار الصناعية التي تحوي الفرات الممتد من جبال السراة إلى حفر الباطن- (انظر الصورة رقم ٢٠)[٣٤٢].

تتضح لنا منطقة العبور التي يوصف من يعبرها بالعبراني. **لذا يمكننا القول إن سكان مكة أو التهاميين عموماً كانوا يسمّون كلَّ من يصل أراضيهم عابراً من برية العرب شرقاً إلى الجبال حيث الأفياء والظلال والمياه غرباً بالعابر أو العابري أو العبراني**. وما كان نبي الله إبراهيم (ع) إلا أحد هؤلاء العابرين بالنسبة لسكان منطقة مكة حيث أتاهم غريباً مع زوجته وابن أخيه لوط (ع) وغنماتهم طالباً الإذن كي يسكن بينهم فاستقر به المقام أول أيامه في ديار الغربة تحت أشجار مملوكة لشخص يدعى

---

[٣٤٠] - وهنا المقصود الفرات الأصلي الواقع في جزيرة العرب وليس ذاك المتعارف عليه في العراق لأن تطبيقات الخبر تعود إلى عهد إبراهيم مع ذكر بعض المؤرخين عبور إبراهيم الفرات من "حران" أي حوران. انظر: جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص٣٢٣.

[٣٤١] - البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، ج١، ص١٠.

[٣٤٢] - سبق عرض الخريطة المعنية مع ذكر مصدرها وقد أضيف خط متقّطع بين نهاية الاتصال الطبيعي للنهر بواسطة المؤلفين لغرض التوضيح بإظهار النهر في حالة اتصاله، وهو الوضع الطبيعي للنهر قبل أن تتقطع أوصاله بفعل البراكين والزلازل المصاحبة لطوفان نوح وغيره من العوارض الطبيعية.

نمرة ﰲ حقول عفرون بن صوحر ﰲ وادي عرفة تحديداً. ولأنه غريب مقيم ﰲ بقعة صغيرة من أراضيهم فقد أطلق عليه أهل عرفة ما يطلقونه على كل من يُقدم عليهم من جهة السراة، أي نعت "عابر سبيل" أو "عبراني" أو "عبري" لتمييزه عن أهل الأرض الأصليين. وصار هذا لقبه بينهم مختصاً به وحده دون بنيه كما تنص التوراة "**فَأَتَى مَنْ نَجَا وَأَخْبَرَ إِبْرَامَ الْعِبْرَانِيَّ**.."(التكوين ١٤ :١٣). فأبرام هو الغريب إبراهيم (ع). ونعت "عبراني" هو النعت الذي أطلقه عليه أهل عرفة كممارسة اجتماعية متعارف عليها تُطبق على كلّ من يأتيهم من جهة الجبال، ولم ينتقل هذا النعت إلى أبنائه لأنهم من مواليد مكة وليس حوران كأبيهم فلم يأتوا من وراء الجبال كما كان حال أبيهم إبراهيم (ع)، فلم نسمع بإسحاق العبراني ولا إسماعيل العبراني ولا حتى يعقوب العبراني. فقد أطلق لقب إسماعيلين على أبناء إسماعيل وإسرائيليين على أبناء يعقوب ولم يرد ذكر "عبرانيين" فيما يتصل بأبنائه لأنهم ولدوا أو تربوا ﰲ أرض الحجاز. وبدأ هذا النعت يظهر مجدداً مع يوسف (ع) لأغراض تحريفية. وما يؤكد أن نعت "عبري" لم يكن محصوراً ﰲ بني إسرائيل أو حتى إبراهيم (ع) نفسه وإنما كان نعتاً لكل من يعبر الجبال والنهر الكبير، وهو ما اتضح جلياً ﰲ التوراة عينها.

فعندما يذكر موسى التشريعات الملزمة لبني إسرائيل نجد تعليمات موّجهة لبني إسرائيل تميز العبرانيين عن الإسرائيليين كما يتضح جلياً ﰲ المقطع التوراتي التالي: "**إِذَا اشْتَرَيْتَ عَبْداً عِبْرَانِيّاً فَسِتَّ سِنِينَ يَخْدِمُ وَفِي السَّابِعَةِ يَخْرُجُ حُرّاً مَجَّاناً أن دَخَلَ وَحْدَهُ فَوَحْدَهُ يَخْرُجُ. إِنَّ كَانَ بَعْلَ امْرَأَةٍ تَخْرُجُ امْرَأَتُهُ مَعَهُ إن أَعْطَاهُ سَيِّدُهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ بَنِينَ أَوْ بَنَاتٍ فَالْمَرْأَةُ وَأَوْلاَدُهَا يَكُونُونَ لِسَيِّدِه وَهُوَ يَخْرُجُ وَحْدَهُ وَلَكِنْ إن قَالَ الْعَبْدُ: أحبُّ سَيِّدِي وَامْرَأَتِي وَأَوْلادي لا أَخْرُجُ حُرّاً يُقَدِّمُهُ سَيِّدُهُ إلى اللهِ وَيُقَرِّبُهُ إلى الْبَابِ أَوْ إلى الْقَائِمَةِ وَيَثْقُبُ سَيِّدُهُ أُذْنَهُ بِالْمِثْقَبِ فَيَخْدِمُهُ إلى الأَبَدِ**."(الخروج ٢١-٢ :٦). إن هذا التوجيه يميّز بوضوح بين من ينتمون إلى عشيرة بني إسرائيل والعبيد من الناس الذين يمكن أن يكونوا عبرانيين، أي أجانب، عبروا الجبال إلى حيث يوجد الإسرائيليون. فهؤلاء كانوا يباعون ويشترون بيع العبيد وهو ما يُحرم على بني إسرائيل فعله ببني عشيرتهم من الإسرائيليين. فهل هناك حاجة إلى أكثر من

هذا الوضوح لنعلم أن مفردة "عبري" لا علاقة لها بأي عرق أو جنس بل هي صفة لحدث يلازم من أحدثه!

ترحيل اسم إبراهيم (ع) إلى القبط

تروي التوراة السريانية إن إبراهيم (ع) انتقل إلى منطقة تدعى مصر وظلت مصر هذه مجهولة الموقع إلا لدى من يهمه الأمر من الماضين. ثم جاءت التوراة "السبعونية" كما سبق أن ذكرنا لتعلن للعالم بسلطان القوة الإغريقية أن منطقة مصر الواردة في التوراة هي عينها مملكة القبط العظمى. فتمَّ بكلِّ وحشية واستهانة بتراث الأمم اختزال مملكة القبط بحضارتها وتاريخها ومجدها الممتد في أعماق الزمن، إلى منطقة خدماتية تكاد تكون ميكروسكوبية تغطي بضع هكتارات من الأرض بجنوب مكة، وبالكاد تنفع لأن تكون قرية صغيرة في ضاحية إحدى مدن مملكة القبط في ذلك الزمان. وإليك التفاصيل، فقصة رحلة إبراهيم (ع) إلى مصر وأسبابها وتبعاتها كما ترويها التوراة هي كالتالي "**ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إلى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إيلٍ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتُ إيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايُ مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ. ثُمَّ ارْتَحَلَ إبْرَامُ ارْتِحَالاً مُتَوَالِياً نَحْوَ الْجَنُوبِ. وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ فَانحَدَرَ إبْرَامُ إلى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ لأن الْجُوعَ فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيداً. وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ أن يَدْخُلَ مِصْرَ إنهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: «إنِي قَدْ عَلِمْتُ أنك امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ. فَيَكُونُ إذَا رَاكِ الْمِصْرِيُّونَ أنهُمْ يَقُولُونَ: هَذِهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ. قُولِي إنكِ أخْتِي لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أجْلِكِ». فَحَدَثَ لَمَّا دَخَلَ إبْرَامُ إلى مِصْرَ أن الْمِصْرِيِّينَ رَأوُا الْمَرْأةَ أنَّهَا حَسَنَةٌ جِدّاً. وَرَآهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ فَأُخِذَتِ الْمَرْأةُ إلى بَيْتِ فِرْعَوْنَ فَصَنَعَ إلى إبْرَامَ خَيْراً بِسَبَبِهَا وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإمَاءٌ وَأتُنٌ وَجِمَالٌ**"(التكوين ١٢ :٨-١٦).

وبيت إيل المذكور أعلاه هو عينه موقع المسجد الحرام في بطن مكة كما أثبتنا مسبقاً، ولكن ماذا فعل فريق "السبعونية" بهذه الحقيقة؟ لقد تمّ إسقاط بيت إيل على إحدى قرى فلسطين القديمة تُدعى اليوم قرية بيتين. وبمرور الزمن أصبحت تلك

ثقافة تتناقلها الأجيال حتى الفلسطينيين المعاصرين أنفسهم يتناقلون المقولة التوراتية المحرّفة بجميع تحريفاتها جيلاً بعد جيل.(٣٤٣) ونفهم من المقتبس التوراتي أعلاه، بالإضافة إلى إسقاطات "السبعونية" الجغرافية، أن إبراهيم (ع) سافر مرة أخرى بخيامه وعائلته والغنمات التي يرعاها، ولكن وجهته هذه المرة كانت منطقة تدعى مصر، وهي التي أشاعت يد التزوير في التراث العالمي أنها القبط العظمى، بل مدينة منوف تحديداً قرب القاهرة، كما نصّ الدس اليهودي في التراث العربي. بيد أن هذه المسافة تقدّر بما يقارب ٤٥٠ كيلومتراً عن مدينة الخليل بفلسطين، ويُزعم أن إبراهيم (ع) قطعها كلها بأحماله وأثقاله في ليلة واحده! أما الدليل الذي يستند إليه هذا الطرح فهو ما جاء في الإنجيل بخصوص أحداث قصة يوسف النجار ومريم العذراء بعد إنجابها نبي الله عيسى (ع)، حيث طلب الرب من يوسف النجار أن ينصرف إلى مصر من بيت لحم والذي يبدوا انه يبعد بضع كيلومترات عن بيت إيل كما جاء في سياق النص الإنجيلي التالي: "**وَبَعْدَمَا انصَرَفُوا إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إلى مصرَ وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لان هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ ان يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ». فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانصَرَفَ إلى مصرَ**"(متى ٢: ١٣-١٤). إذن فمصر هذه تقع على مسافة قريبة جدا من بيت أيل ويمكن أن تصل إليها امرأة تحمل طفلاً رضيعاً مشياً في ليلة واحدة. وهذا الطرح الإنجيلي أقرب للحقيقة منه للتحريف التوراتي "السبعيني" كما سيتضح لاحقاً. ومع ذلك فقد وضع عمال صيانة تزوير "السبعونية" عبر الحقب المتلاحقة خريطة لهذه الرحلة الوهمية بين فلسطين وعاصمة القبط آنذاك وأضافوا لها لمسات تفصيلية وأسماء مدن وقرى(٣٤٤) ثم نشروا هذه الخريطة بكل ما يعتريها من تناقض وتضارب

---

(٣٤٣) – انظر هذا المقتبس المنقول من موقع فلسطيني "قرية بيتين وتقع إلى الشمال الشرقي من مدينة رام الله. وتبعد عنها ٥ كم. وترتفع ٨٩٤ م عن سطح البحر. يرجع أصل تسميتها إلى كلمة (بيت إيل) ومعناها بيت الله. وكانت قديماً محل أقامة ملوك الكنعانيين. وعندما هاجر النبي إبراهيم إلى فلسطين نصب خيامه قرب بيت إيل. وقد أطلق عليها الفرنجة اسم (بيثل). تبلغ مساحة أراضيها ٤٧٦٤ دونماً. وتحيط بها أراضي قرى برقة. البيرة. ودير دبوان.. صادرت سلطات الاحتلال جزءاً من أراضيها. وأقامت عليها مستعمرة (بيت إيل أ) ومستعمرة (بيت إيل ب)."

(344) Egyptmyway: http://www.egyptmyway.com/maps/holy_family_map.html

مع العقل والمنطق متكلين على حول وقوة "هذا من عند اللّه"، فانتشرت انتشاراً واسعاً في العالم القديم لتجد طريقها إلى وعي أبناء اليوم وثقافتهم.

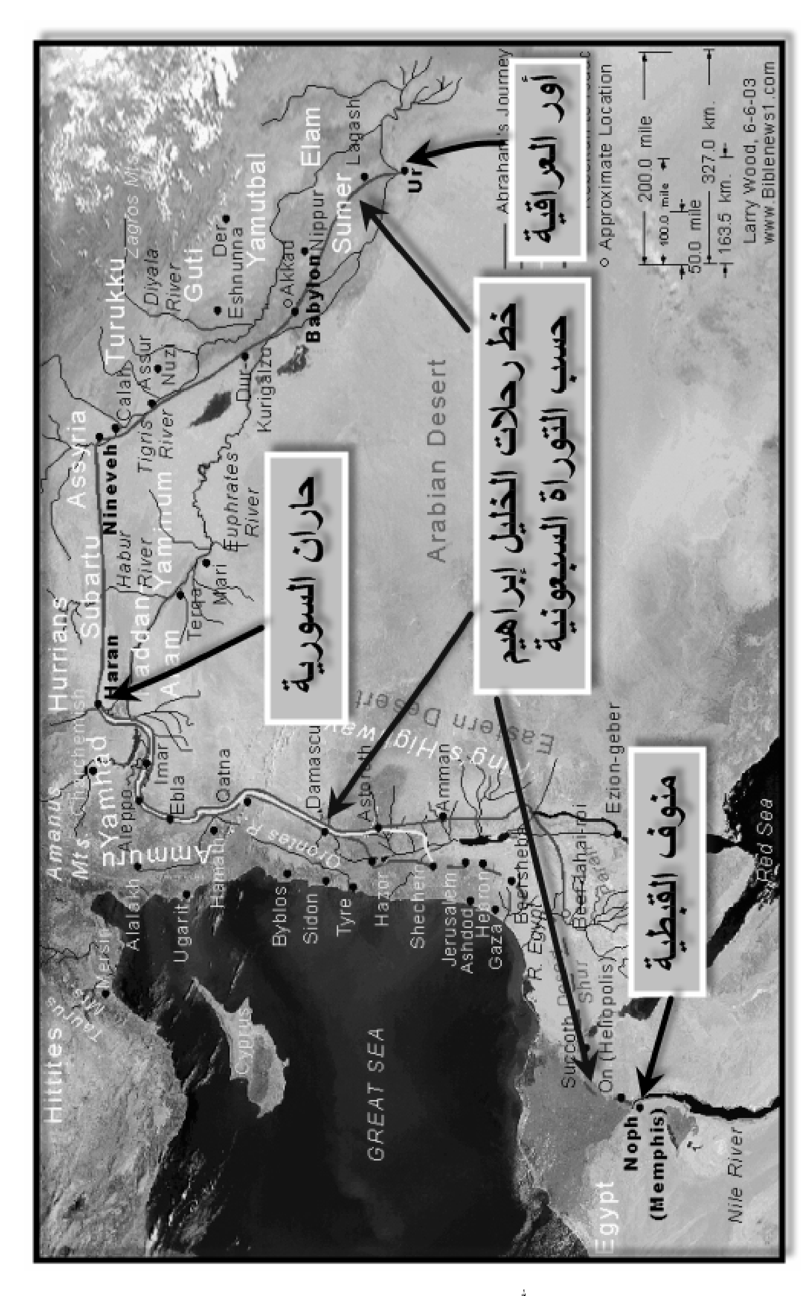
ولكن إلى أي بلاد رحّلت التوراة إبراهيم (ع) بعد مصر؟ "**فَصَعِدَ إِبْرَامُ مِنْ مِصْرَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ وَلُوطٌ مَعَهُ إلى الْجَنُوبِ وَكَانَ إِبْرَامُ غَنِيّا جِدّا فِي الْمَوَاشِي وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَسَارَ فِي رِحْلاته مِنَ الْجَنُوبِ إلى بَيْتِ إِيلَ إلى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ خَيْمَتُهُ فِيهِ فِي الْبَدَاءَةِ بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَايَ إلى مَكَانِ الْمَذْبَحِ الَّذِي عَمِلَهُ هُنَاكَ أَوَّلا. وَدَعَا هُنَاكَ أَبْرَامُ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلُوطٌ السَّائِرُ مَعَ إِبْرَامَ كَانَ لَهُ أَيْضاً غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخِيَامٌ**."(التكوين١٣ : ١-٥) وبالنظر في الخرائط نعلم أنه لا يمكن الخروج من القبط بالتوجه إلى الجنوب، مما يعني أن إبراهيم ولوط عليهما السلام قد تجولا بما لديهما من أبقار وأغنام داخل القبط قبل أن يتوجها شمالاً إلى بيت إيل حيث نصب خيمته أول ما وصل هناك من أور الكلدانية. فيكون مجمل رحلات نبي اللّه إبراهيم (ع) بين آسيا وأفريقيا يفوق ٢٦٠٠ (كلم) كما يبدو في خرائطهم التوراتية - انظر الخريطة[٣٤٥] رقم ٤٢- المنتشرة في العالم بما فيه ديار المسلمين. وليس هناك بالطبع أي ذكر لرحلة نبي اللّه إبراهيم (ع) إلى مكة ولا بيت اللّه في خرائطهم وكأن هذه الآية (**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**)(البقرة:١٢٧) لا تعني اليهود ولا المسلمين الذين ما انفكوا يروجون لرحلات إبراهيم (ع) اليهودية في برامج التلفاز والمناهج الدراسية والكتب التاريخية. فهل آن الأوان لاستيعاب حجم الكارثة الأسطورية التي سطرتها "السبعونية" لنا وللعالم أجمع قبل ٢٣٠٠ سنة؟

أين تقع مصر القرآن؟

ورد ذكر كلمة مصر في القرآن الكريم خمس مرات. ثلاث مرات في سياق الحديث عن يوسف (ع) ومرتين في سياق الحديث عن موسى (ع). فهل يوجد في القرآن ما يشير إلى أن موقع مصر هي القبط كما هو مشاع؟

---

[345]-The Austin Graduate School of Theology
http://www.austingrad.edu/media/Abraham's20%Journey20%(JPEG).jpg



خريطة رقم ٤٢: رحلات نبي الله إبراهيم الجغرافية كما هندستها التوراة السبعونية

مصر يوسف – إنشاء الشركات التجارية

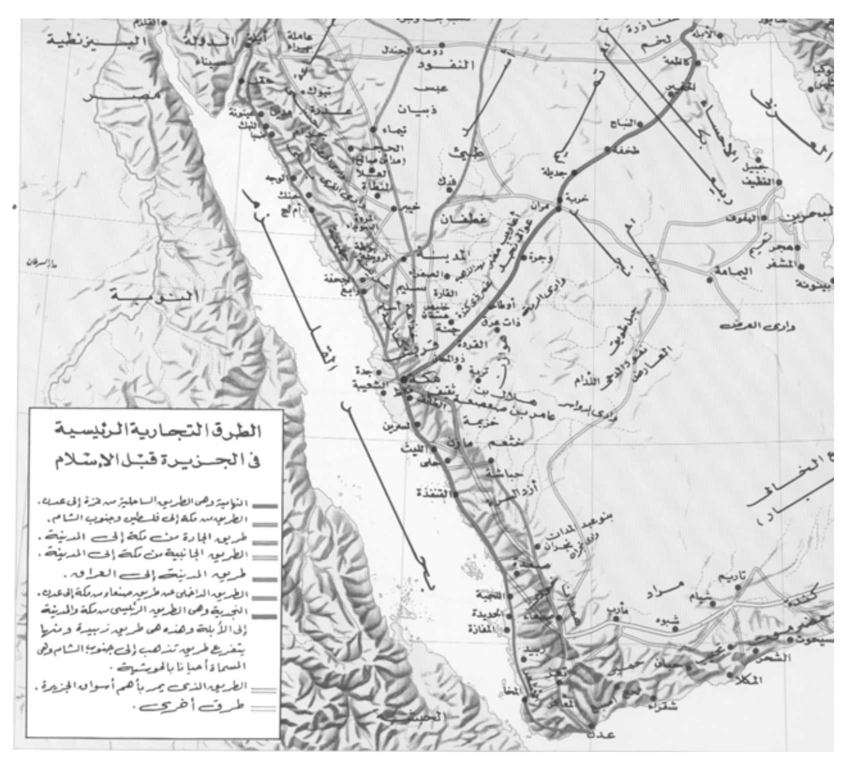
جاء ذكر مصر من ناحية التسلسل الزمني ابتداءً بقصة يوسف (ع)، ومن الآيات التي تعنى بهذه الحيثية (**قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**)(يوسف:١٠). فهذه الآية تدلنا على حقيقة أن يعقوب (ع) وأبناءه كانوا يسكنون على مقربة من خط عبور القوافل وذلك ليقينهم بضرورة مرور سيارة – قافلة رحّالة أو قافلة تجارية – بين الحين والآخر على الخط، فتعمدوا إلقاء يوسف (ع) في جب، أي بئر ماء، على هذا الخط الذي يقصده المسافرون للتزود بالمياه. وبذلك يختفي يوسف (ع) من حياتهم برحيله قسراً مع من يلتقطه من الجب. وما يهمنا هنا هو إمكانية تقريب الموقع الجغرافي الذي كان يعيش فيه يعقوب (ع) وأبناؤه، وذلك بالتعرف على مواقع الخطوط التجارية المتاخمة لمكة لأنه وُلد تقريباً في زمن جده إبراهيم (ع) المقيم هو وأبناءه بمكة. ثم جاء القرآن الكريم بهذا الخبر (**وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ**)(يوسف:١٦).

فما تؤكده هذه الآية أن إخوان يوسف لم يكونوا بعيدين عن طريق القوافل حيث رجعوا في المساء بعد أن تخلصوا من أخيهم يوسف في ذات اليوم. وبعد فعلتهم تلك أخبر القرآن الكريم أنه (**وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**)(يوسف:١٩). فكما توقع إخوان يوسف وخططوا له، جاءت سيارة لترتوي من الماء فوجدوا الغلام في قعر الجب. ومفردات (**يَا بُشْرَى، وبِضَاعَةً**) الواردة في الآية تبّين طبيعة الذين التقطوه من الجب. فقد كانت عقليتهم تجارية وكانوا في رحلة تجارية وحصلوا على بضاعة آدمية من دون مقابل، فكانت لهم بشرى سارة. فيمكن لنا الاستدلال أن هذا الخط الذي سلكته السيارة كان واقعاً طريقاً تجارياً، ويعني ذلك أنها جادة معروفة ولا بدّ أن تكون إحدى الطرق المرسومة في الخريطة[٣٤٦] رقم ٤٣، وليس طريقاً وعرة مثل تلك المستخدمة بشكل مؤقت لأغراض المباغتة العسكرية. (**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ**) (يوسف:٢). تعني مفردة "**شروه**" في اللسان العربي عكس مفردة

---

[٣٤٦] – حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٥٩.

"اشتروه". فالأولى تعني بيع والثانية تعني شراء، كما في قوله تعالى (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**) (البقرة:٢٠٧). فبيع يوسف (ع) بثمن بخس كما أخبر القران الكريم، فيدلّ على أن التجار سارعوا إلى بيعه في أقرب فرصة بعد استملاكه ولعل ذلك لسببين؛ الأول هو التخلص من عبء تكاليف النقل من أكل وشرب وحمل لبضاعة حيّة، والثاني أن هذا العبد قد استُملك مجاناً فلم يُدفع في ثمنه أي مبلغ، فالعقلية التجارية تحتم عرضه للبيع بما يأتي من ثمن قبل أن تغلب التكلفة المكسب. لذا نفهم من الآية ٢٠ من سورة يوسف أن يوسف (ع) لم يبقَ في عهدة التجار مسافة السفر بين الشام والقبط كما يدّعي فريق "السبعونية"، وهي مسافة تستغرق أسابيع، وإنما عرضوه للبيع في أقرب سوق على طريقهم وهذا ما لم يحسب إخوان يوسف حسابه.



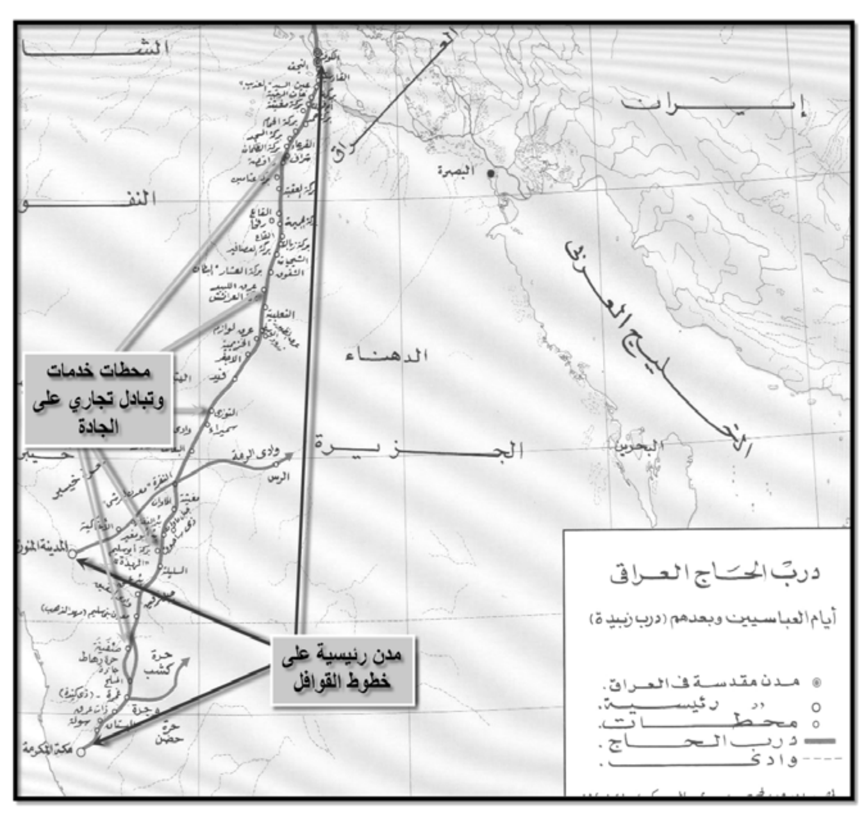
خريطة رقم ٤٣: شبكة الطرق التجارية المعروفة بالجزيرة العربية.

إذ لم يخطر ببالهم أن يوسف (ع) لن يبعد جغرافياً كثيراً عن المكان الذي رموه فيه! ولكن أين عرضه التجار للبيع؟ (**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**) (يوسف:٢١).

من سياق هذه الآية ندرك أن التجار عرضوا يوسف (ع) للبيع في مكان يدعى مصر حيث تمّت صفقة البيع لصالح شخص جاء إلى مصر هذه من قريته. هذا الاستدلال يتضح جلياً بتباين المعنى بين قوله تعالى "**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ**" وبين إمكانية قوله تعالى "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ لاِمْرَأَتِهِ.." فالصيغة الثانية توضح ضمناً بأن الشراء حدث في محيط إقامة المشتري المعتاد أي من سوق القرية فلا داعي هنا لذكر اسم موقع مكان البيع والشراء مادام هو المكان المعتاد لهذا النشاط. ولكن جاء الخبر بالصيغة الأولى بمعنى أن هناك تباين بين مكان إقامة المشتري وبين مكان الشراء، فجاء ذكر اسم مكان البيع والشراء "مصر" مما يدل أن هذا المكان واقعا يختلف عن المكان المعتاد للتبضع بالنسبة للمشتري.

لذا نفهم من مجمل الآيات أن هناك شخصا ما جاء من قريته إلى مصر واشترى عبداً بثمن زهيد من تجار القوافل ورجع إلى قريته ليوصي زوجته برعاية المملوك الصغير. هذا التباين الجغرافي بين مكان البيع ومكان الإقامة الذي كشفته لنا الآية ٢٠ من سورة يوسف يدعونا إلي مزيد من البحث فلنا أن نتساءل هنا، أين كان تجار القوافل يبيعون ويشترون بضائعهم في ذلك الزمان؟ طبعاً في كل القرى والمدن التي يمرون بها. ولكن هل كلّ القرى كانت تقع على الخطوط التجارية؟ طبعا لا، فالقرى والمضارب يمكن لها أن تقع بمحاذاة الطريق التجارية ولكن ليس بالضرورة عليها، كما كانت مضارب يعقوب (ع) حيث خرج الإخوان صباحاً إلى موقع الجب حيث الخط التجاري وعادوا إلى مضاربهم مساءً مما يدل على أن الجادة لا تمرّ مباشرة بمضارب خيام يعقوب (ع). فهل هذا يعني أن القوافل التجارية كانت تخرج من الخط الرئيسي (الجادة) لتمرّ بكل القرى الصغيرة والكبيرة لتبيع وتشتري منها؟ هذا هو الحال الآن مع الخطوط السريعة وكثرة شركات النقل وتوفر المركبات والسوّاق والطرق الفرعية ومن الخطأ التفكير أن هذا ما كان عليه الحال في الماضي البعيد. وهذا يقودنا إلى التعرف

على نظام المحطات التجارية المعروفة في علوم اقتصاد الحضارات البائدة حيث تنزل القوافل في قرى محددة تُعتبر محطات على الخط التجاري (انظر خريطة[٣٤٧] رقم ٤٤).

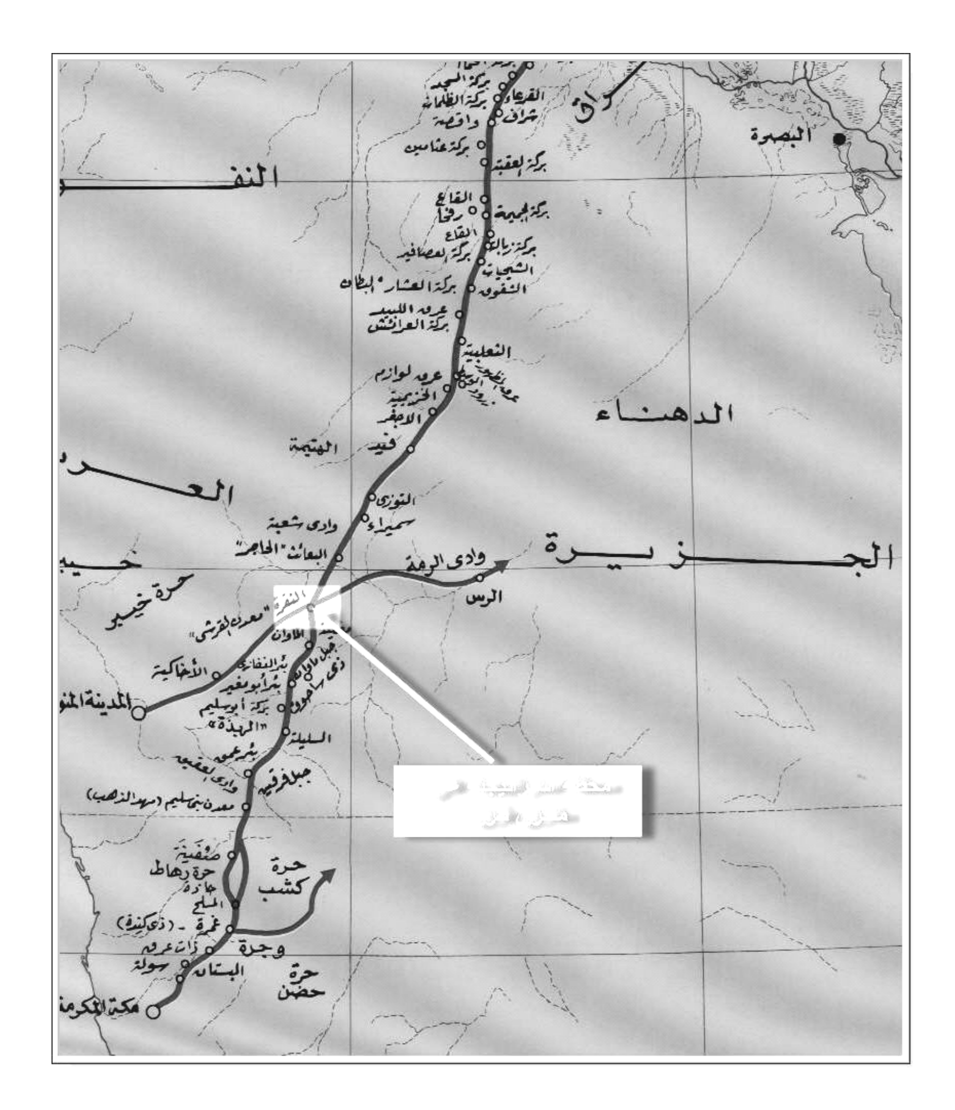


خريطة رقم ٤٤: مجموعة من المحطات التجارية على أحد الطرق التجارية باجزيرة العربية

وتمتاز هذه المحطات بوفرة المياه والعلف للإبل والأمان للبضائع والتجار، ويقصدها التجار للراحة والتبادل التجاري مع سكان القرى والمضارب المحيطة والقريبة من هذه المحطات والتي يعبّر عنها في بعض كتب التراث بالمراحل على طريق السفر. كما تمّ استخدام نفس الخطوط التجارية لخدمات قوافل الحجاج قبل وبعد

(٣٤٧) – حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٤٩.

الإسلام. فالمعروف أن القوافل التجارية أثناء سفرها عبر القارات لا تستطيع أن تحمل معها خزانات المياه والعلف على ظهور الإبل إلى جانب البضائع التي تحقق كثرتها على ظهور الإبل أرباحاً أوفر. لذا كانت المحطات الخدماتية هي الحلّ لهذا النوع من النشاط التجاري. والقرى التي تحولت إلى محطات تجارية كانت تعتبر مراكز حيوية للتجار ولسكان القرى والأرياف القاطنين خارج المدن والمملكات الكبيرة. كما تزداد أهمية هذه المحطات كلّما ازداد عدد رواد القوافل التجارية وتنوعت بضاعتها الدولية. فالمحطة التي تقع على موقع استراتيجي كمفترق طرق بين جادتين رئيسيتين أو أكثر (انظر الخريطة رقم ٤٥) تكتسب أهمية أكبر من غيرها بسبب حجم وتنوع البضائع التي تردها من جهات مختلفة من الجزيرة العربية لأن الطرق التجارية كانت كثيرة ومنتشرة في أرجاء شبة الجزيرة.



خريطة رقم ٤٥: المحطات الإستراتيجية تتميز بموقعها على مفترق الطرق على شبكة الطرق التجارية

وهذا النوع من المحطات يستقطب بشكل عام فئتين من سكان القرى المحيطين بها . الفئة الأولى تقصدالمحطات حاملةً منتجاتها من الصوف ومنسوجات وأعمال يدوية ومنتجات زراعية للبيع على تجار القوافل وشراء احتياجاتها ثم العودة إلى قراها القريبة. والذي اشترى يوسف (ع) هو من هذه الفئة وهي الأكثر لأنها تشكل

زبائن القوافل التجارية العابرة. أما الفئة الثانية فتشمل من يعمل أو يقيم في هذه المحطات لتوفير خدمات للتجار من شحن وتفريغ وعناية بالإبل وتوفير العلف والمياه والمرابط والغفارة وغيرها من خدمات.

وكلّما ازدادت أهمية المحطة استراتيجيا ازداد حظها في أن تتحول إلى مدينة تجارية بل حتى إلى مملكة صغيرة خصوصاً إذا كانت واقعة على ميناء بحري أو مفترق طرق حساس على خطوط الشبكة العالمية القديمة المشهورة مثل طريق البخور وطريق الحرير وطريق التوابل. والعكس صحيح، أي إذا تحول الخط التجاري عن محطة أو مملكة ما، فسوف تتهاوى تلك المحطة بشكل تلقائي كما حدث لمملكة الأنباط وعاصمتهم البتراء في شمال الجزيرة العربية، وهي مملكة نشأت كمحطة تجارية ثم تهاوت بعد تحول القوافل عنها نتيجة لازدهار الملاحة البحرية التي فتحت خيارات أخرى أكثر تنافسية.

والمتتبع لتاريخ الحركة التجارية في العالم القديم يعلم أن الحركة التجارية كانت مزدهرة قبل أيام إبراهيم (ع) بسبب تبادل شعوب[٣٤٨] القبط وليبيا والصين والهند والبون وفارس وبابل منتجاتهم وبضاعتهم مع بعضهم البعض، وكانت الجزيرة العربية كلّها تعتبر موقعاً استراتيجياً في وسط العالم مما حدا بالدول المتاجرة لتفريغ بضائعها القادمة من الهند وسيلان على سواحلها اليمنية ومنها قانا[٣٤٩] لتنقل براً إلى القبط والشام وأوربا عن طريق القوافل التجارية. وبقيت هذه الخطوط التجارية قائمة، كما

---

[٣٤٨] - "كانت الهند وجزر المحيط مصدرا للذهب والقصدير والحجارة الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل والأفاوية كالبهار والفلفل والقطن. أما أفريقيا الشرقية والحبشة فكانت مصدراً للعطور والأطياب وخشب الأنيوس وريش النعام والعاج والذهب من زمبابوي. وكانت سيقطرة مصدراً للعود والند، وشواطئ الخليج والبحرين مصدراً للؤلؤ. وفي المقابل كانت الشام مصدر الزيت والكثير من المحصولات الزراعية. وكانت آسيا مصدراً للمنسوجات الكتانية والقطنية والأرجوان والميعة و الزعفران والآنية من الحديد والصفر أي النحاس وسبائك الفضة..." عدنان ترسيسي، بلاد سبا وحضارات العرب الأولى، ص٦٣.

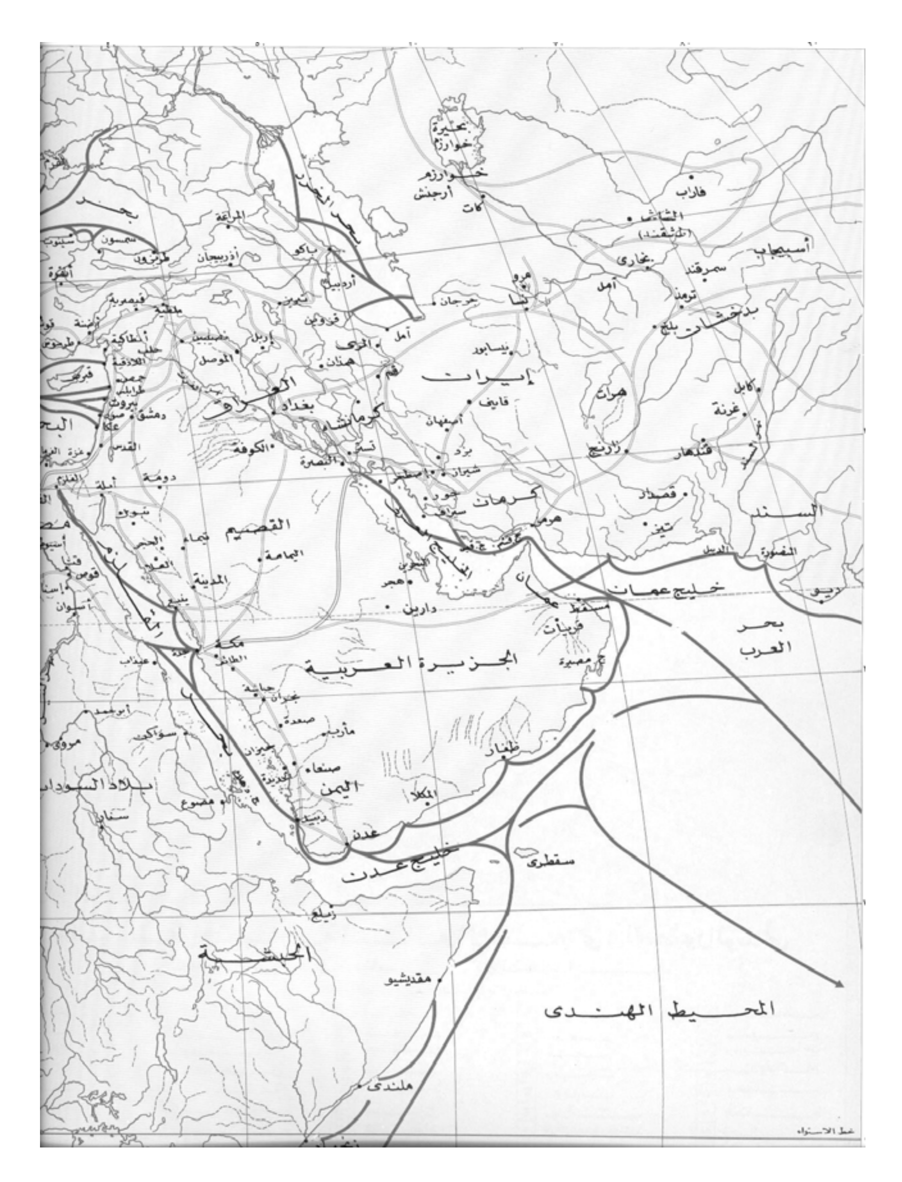
[349]- The South Arabian Caravan Kingdoms - http://www.fathom.com/course/21701787/session1.html

يتبين من الخريطة[٣٥٠]رقم ٤٦، حتى عهد رسول الله (ص) – رحلة الشتاء والصيف- بل إن خاتم المرسلين (ص) نفسه، ومن قبله زوجته أم المؤمنين خديجة حتى قبيل البعثة، كان يعمل في التجارة على خط الطيب والبخور التجاري بين اليمن والشام مرورا بمكة. وبقيت هذه الخطوط التجارية في حالة توسع بعد الإسلام حتى بلغت ما نعرفه اليوم من خطوط عالمية سُنَّت لها قوانين دولية بعد أن اقتتلت الدول العظمى لبسط سيطرتها على هذه المنافذ البحرية والبرية، وكانت آخرها الإمبراطورية البريطانية التي جاهدت للسيطرة على خط الهند العربي البحري التجاري.

ونفهم مما سبق أن هذه المحطات على اختلاف أحجامها ومواضعها هي مرافق غاية في الأهمية الاقتصادية عالمياً ومحلياً، وهي متناثرة على الخطوط التجارية وفيها يتم البيع والشراء. ويبدو أنها كانت تعرف سريانياً بالأمصار لورود هذا المسمى "مصر" في القرآن الكريم ومصريم في التوراة. أمَّا يوسف (ع) فقد سكن في قرية قريبة جداً من أحد هذه الأمصار حيث تمّ بيعه. ونحن نستخدم مفردة "قرية" هنا استناداً إلى الوصف عينه الذي أطلقه القرآن الكريم على مكان إقامة يوسف (ع) (**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**)(يوسف/٨٢).

---

[٣٥٠] – حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٣٨٧.



خريطة رقم ٤٦: خطوط التجارة العالمية القديمة حتى عهد رسول الله (ص)

ويواصل القرآن إخبارنا بما حدث في حوار بين أحد الأشخاص ويوسف (ع) **(يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ**

سَبْعَ سنينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُمْ فَذَرُوهُ في سُنبُله إلاَّ قَليلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ❁ ثُمَّ يَأْتي من بَعْد ذَلكَ سَبْعٌ شدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إلاَّ قَليلاً مِّمَّا تُحْصنُونَ❁ ثُمَّ يَأْتي من بَعْد ذَلكَ عَامٌ فيه يُغَاثُ النَّاسُ وَفيه يَعْصرُونَ❁ وَقَالَ الْمَلكُ ائْتُوني به فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجعْ إلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَة اللاَّتي قَطَّعْنَ أَيْديَهُنَّ إنَّ رَبِّي بكَيْدهنَّ عَليمٌ)(يوسف:٥٥). يُستشف من هذه الآيات أن القرية التي سكنها يوسف (ع) كانت زراعية وأنها تقع في منطقة يمكن أن تيبس ويصيبها القحط نتيجة شح المياه لفترة قد تمتد سبع سنين. وهو ما لا يمكن حدوثه في منطقة يفترض أن بها النيل وجداوله وفروعه كمصدر مياه لا ينضب.

ويعني هذا أن قرية يوسف ومصرها كانت تعتمد على مياه الأمطار الموسمية التي يمكن أن تتأخر أو تنقطع بضع سنين. لذلك فإن هذا الخبر يؤكد طرحنا حول حقيقة أن مصر القرآن ليست هي القبط كما أشاع أئمة اليهود في العالم القديم. وقد التفت إلى هذه الحقيقة أحد المسيحيين المتصهينين الذي أثبت حسب ظنه وجود تناقض في القرآن الكريم حين مرّ على قوله سبحانه (**عَامٌ فيه يُغَاثُ النَّاسُ**) فزعم أن محمداً (ص) يظن أن "مصر" تُروى بماء الأمطار، بينما هي تروى بماء النيل المنحدر من بحيرات فيكتوريا العظمى. وهكذا قام بتخطئة خاتم المرسلين مستنداً إلى التفسير المعروف للآية وأخذ يعيّر المسلمين ويسخر منهم لقبولهم هذا التناقض الفاضح. وهنا لا يسعنا إلا أن نقول إن هذا المتصهين وأمثاله سيظل لهم على أتباع محمد (ص) سبيل مادام أصحاب محمد (ص) يقتبسون من أطروحات "السبعونية" العتيقة لتفسير كتاب الله، حيث وضعوا أنفسهم بذلك في زاوية لا يحسدون عليها. فالقرآن الكريم ذكر بوضوح أن مصر هي التى جفت ولم يذكر أن القبط (بلاد وادي النيل) هي المعنية بالجفاف. وكان الأجدى بنا الوقوف منذ زمن بعيد عند هذه الآية ونظيراتها التي تشير إلى أن مصر ليست هي القبط كما كان يُعتقد في الماضي البعيد والحاضر المعاصر ومن ثم تعديل المسار في ضوء الآيات وهداها.

كما يجب أن نلتفت أيضاً إلى حقيقة أن مفردة "ملك" الوارد ذكرها في قصة البقرات تعني مالك الشيء والمتصرف فيه سوى أكان ملك بيت أو ملك ضيعة أو قرية أو مدينة وليس فقط ما تعارفنا عليه اليوم حصراً على رئاسة الدول والإمبراطوريات

الضخمة وهذا المعنى هو ما يُفهم من هذه الآية (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ**) (المائدة:٢٠). فلم يرد في التاريخ أن قوم موسى (ع) وهم بنو إسرائيل كانت لهم دولة ولا مملكة في الحقبة بين زمن يعقوب حيث لم يتعدّ عددهم ١٢ نفساً وبين زمن موسى (ع) حيث بلغ عددهم بضع مئات من الأنفس وهي حقبة تبلغ في أقصى مداها ٢٠٠ عام تقريباً. فكيف يكون لهم مملكة وما هم إلا عشيرة تعجز في عددها عن بلوغ تصنيف حتى قبيلة؟ ومع ذلك فإن الآية الكريمة تشير إلى أنه كان فيهم ملوك وليس ملكاً واحداً، مما يدلّ على أن مفهوم مفردة "ملك" في ذلك الوقت هو مُلك اليمين من أراضي زراعية ومواشي وغيرها وليس فقط ملك الدول كما هو سائد في أذهاننا اليوم. ويعطينا ذلك فكرة عن حال بني إسرائيل الاقتصادي بين عهد يوسف وموسى عليهما السلام، حيث كان امتلاك قطعة أرض بالنسبة لهم يُعتبر قفزة وفضلاً عظيماً بالمقارنة مع حالهم الرعوي السابق، وهم مع ذلك يعلنون بكل جرأة أن أجدادهم بنو الأهرامات في هذه الحقبة، والأعجب والأمرّ أن تجد بين المسلمين من يستمع لهذا القول وكأنه لا يوجد بينهم كتاب معرفي يسمى القرآن الكريم يكشف كل صغيرة وكبيرة.

من جانب آخر تشير الآيات أعلاه إلى أن يوسف (ع) اقترح على الملك تسليمه زمام إدارة مستودعات السلع الزراعية (**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**)(يوسف:٥٥). وهو كما يبدو من سياق الآيات نظام تخزين مركزي للمنتجات الزراعية وطريقة تخزين لحمايتها من التلف استعداداً لسبع سنين من القحط قبل أن يأتي العام الذي يغاث فيه الناس بعد ضنك الجفاف. ونظام التخزين هذا وضعه الصدّيق يوسف (ع) فأحدث طفرة في اقتصاد القرية والمنطقة وهو نظام لم يكن معمولاً به من قبل وإلا فلماذا لم يخطر ببال أحد التخزين رغم التكرار الطبيعي لتأخر الأمطار الموسمية. وهذا يجعلنا نتساءل، أين سيتمّ إنشاء مخازن مركزية لمنتجات سبع سنوات في أرض مجتمع قائم على بنية زراعية رعوية؟ كيف سيتم توفير الحماية للمخزون من الغارات والنهب والاعتداء في حالة حدوث المجاعة المتوقعة في المنطقة؟ كيف ستدار عملية التوزيع وقبلها عملية التخزين وحفظ حصص الأفراد

حيث المزارعون هم مالكوا هذه المنتجات المخزونة؟ ثم كيف تمّ إقناع المزارعين بتسليم الجزء الأكبر من محاصيل الأرض ولمدة سبع سنوات متوالية كي تُحفظ في مخازن لا عهد لهم بها ودون مردودٍ آني؟ خلاصة القول أن اقتراح يوسف (ع) للملك لن ينجح ما لم يضع يوسف (ع) جهازاً إدارياً لوجستياً للقيام بهذه المهمة الطويلة الأمد. ولأن يوسف (ع) كان عالماً بكل هذه التحديات فقد تصدّر بنفسه لهذه المهمة فقال للملك (**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إني حَفِيظٌ عَلِيمٌ**)(يوسف:٥٥). فعبارة "حَفِيظٌ عَلِيمٌ" هي مضمون نشاط يوسف (ع) اللوجستي والإداري. فأول ما كان يتوجب على يوسف (ع) القيام به هو تصميم وتنفيذ البنية التحتية الضرورية لنجاح هذا المشروع الجديد على القرية بل على المنطقة وذلك باستصلاح المزيد من الأراضي الزراعية "**تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا**" وإدخالها في آلية الإنتاج.

ومن جهة أخرى إقامة أبنية المخازن والموانع الأمنية لحفظ هذه المخازن من أسوار حصينة ذات أبواب متعددة لاستيعاب جوع الناس وليس سكان قريته فقط. وشمل ذلك توفير جنود حماية تابعة للسلطة المالكة، وهو هنا الملك، وذلك ضدّ الفوضى والغوغائية التي قد تنشأ نتيجة الجوع المتوقع والذي سيستشري في المنطقة. ثم أنشأ نظاماً إدارياً لتدوين الحصص والأسهم ووضع نظاماً استثمارياً مساهما للمنتجات لإقناع المزارعين بالمشاركة في المشروع ولضمان حقوقهم وقيمة أسهمهم في هذه الشركة التكافلية واعتمد نظام التوزيع وسنَّ قوانين الكيل.

ثم جاءت سنوات الجفاف السبع فسقط الناس القاطنون في المنطقة المحيطة بقرية يوسف (ع) في ضنك الجفاف ومن ثم في مهالك الجوع، ومن ضمنهم يعقوب (ع) وأبناؤه، مما يدل على أن يوسف (ع) كان يسكن في نفس محيط تأثير الأمطار الموسمية كما كان أبوه يعقوب (ع)، وهو دليلٌ على أن مصر وقرية يوسف (ع) قريبة جغرافياً من مضارب يعقوب (ع). وهو ما لا يستقيم أيضاً والطرح "السبعيني" الذي يدّعي أن يوسف (ع) كان في القبط ويعقوب (ع) في الشام. فلو مزجنا جغرافيا الأنبياء "السبعونية" مع ما جاء في القرآن من حقيقة جفاف منطقتي يعقوب (ع) ويوسف (ع) لخرجنا بطرح مشوّه هو أن القبط ونيلها والشام وأنهارها قد جفت من شحّ الأمطار في عهد يوسف (ع) ولمدة سبع سنين؟! ولك أن تحكم على هذا الطرح بعد أن تتدبر

فيه. على كل حال، فإن شركة يوسف (ع) التكافلية لم تنقذ في أيام القحط قريته فحسب بل غدت قريته ومصرها مقصد الناس للتزود بالحبوب والمقايضة. وكان ممن قصد القرية مجموعة من البدو (**وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ* وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ**)(يوسف:٥٩). وتدلّ هذه الآية على أن عزيز القرية، وهو هنا يوسف (ع)، كان هو الذي يتصدر التوزيع، ويكيل بالمكيال، وبيده الإدارة العامة ويدخل عليه فئات ومستويات مختلفة من الناس وهو ما لا نقرؤه في برتوكولات مملكة القبط حيث يتجاوز خدم الملك القبطي وحشمه وجواريه الألف من الخلق، وهو محاط بوزراء وجنرالات حرب وبلاط ضخم من الحجّاب والحرس على وزن إمبراطورية كسرى فارس وإمبراطورية هرقل الروم. فلا يمكن أن يكون دخول مجموعة مغمورة من البدو على كبار موظفي مملكة القبط بهذه البساطة التي نقرؤها في قصة يوسف (ع)، مما يدلّ مجدداً على أن الأحداث كانت في قرية صغيرة برزت للعيان ببركات شركة يوسف (ع) التكافلية المساهمة بعد أن صارت ملجأ لكشف الضرّ والاستعطاف (**فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ**)(يوسف/٨٨). كما ونجد دلالة بداوة إخوان يوسف (ع) في هذه الآية (**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**)(يوسف:١٠٠). والبدو هم عادة أقوام يقطنون ضواحي القرى والمدن ويبدون على المدن لبيع المواشي والألبان والمنسوجات الصوفية ويشترون الحبوب والأواني والسلاح وغيرها. وهذه دلالة أخرى على قرب مضارب يعقوب (ع) من قرية يوسف (ع). كما يمكن الاستدلال على صغر حجم قرية يوسف (ع) من هذه الآية (**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**)(يوسف/٦٧). وهل كانت للقبط العظيمة أبواب أو مداخل؟ نعم يكون ذلك للمدن أو القرى المحصّنة لا لمناطق تمثل إمبراطوريات عظيمة، هذا باستثناء

الصين – انظر الصورة رقم ٢٠أ – التي شكل تسويرها أعجوبة من العجائب السبع لم يشاركها أحد في هذا من قبل ولا من بعد. فتصوّر لو أن القبط كانت مسوّرة كما كان حال الصين فكيف يمكن أن يتلاقى إخوان يوسف (ع) إذا دخلوا من مناطق مختلفة من مملكة القبط تبعد عن بعضها البعض مئات الكيلومترات إن لم تكن ألوفاً؟ إنها عملية محفوفة بالمخاطر سواء كانت على البضاعة أو على أنفسهم وهي تؤدي إلى عكس النتيجة التي قصدها أبوهم يعقوب (ع) وهو توفير الأمن لهم لا العكس. والحقيقة التي يستسيغها العقل هي أن قرية يوسف (ع) كانت تحوي بناء حصيناً صغيراً كالذي في الصورة رقم ٢١، ليحوي المخازن المركزية ويتسع لاستيعاب الناس والجمال للتحميل وللبيع والتوزيع. وتوجد اليوم الكثير من الآثار لهذا النوع من التحصينات الصغيرة منتشرة في العالم وفي الجزيرة العربية.

ومن جهة أخرى لو كانت مصر المقصودة هي مملكة القبط العظمى، فلماذا الخوف على إخوة يوسف (ع) أساساً فلن يعرفهم أحد بسبب كبر الرقعة الجغرافية. ولم يكن في زمنهم بطبيعة الحال التكنولوجيا المعاصرة للصور والمنشورات على الإنترنت أو التلفزيون والراديو لكي يخافوا من انكشاف أمرهم. وهذا ما يفيد بأن المنطقة صغيرة جغرافياً حيث يمكن معرفة الناس بسهولة ويسر فتطلب الأمر التباعد توخياً للأمن. وهناك آية أخرى تكشف قرب مضارب يعقوب من مصر يوسف (ع) هي التالية (**فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ**)(يوسف:٦٠).



صورة ٢١: صورة تخيلية لشكل مصر يوسف (ع) بعد تسويره بحصن متعدد الأبواب



صورة رقم ٢٠أ: تحصين القبط بسور متعدد الأبواب سيكون أقرب إلى شكل سور الصين العظيم المتعدد الأبواب

ففي هذا الآية اشترط يوسف (ع) على إخوته أن لا يقتربوا منه شخصياً وهو في مكان إقامته، مما يوحي بسهولة وإمكانية الوصول إليه بل الاقتراب منه، ما لم يأتوه بأخيه معهم. وأخيراً هناك آية تفصل بين مصر- المحطة التجارية - وقرية يوسف المجاورة لهذه المحطة. وقد احتار المفسرون في تفسير هذه الآية بعد أن فرضوا على أنفسهم ثقافة سبعينية مفادها أن مصر هي مملكة القبط العظمى وهي مسكن يوسف (ع) في ذات الوقت، والآية هي (**فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ**)(يوسف:٩٩). فهذه الآية توضح التسلسل التالي للأحداث:

١- دخل أهل يوسف القرية " فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ".

٢- فأسكن أبويه في القرية "آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ".

٣- ثم طلب منهم أن يدخلوا مصر "ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ".

فإذا كانت القرية هي عينها مملكة القبط العظمى فكيف يطلب منهم دخولها بعد أن دخلوها وسكنوها بالفعل كما تصرح الآية بكل وضوح؟ احتار المفسرون، كما أشرنا سلفاً، في هذا التسلسل الذي لا يستقيم مع الثقافة "السبعونية" التي ألزموا أنفسهم بها. وها هو ابن كثير يلخص لنا بعضاً من طبيعة النقاش الذي دار حول هذه الآية تحديداً ونتائجه "**وقد أشكل قوله "آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر" على كثير من المفسرين فقال بعضهم هذا من المقدم والمؤخر ومعنى الكلام" وقال ادخلوا مصر إن شاء الله أمنين" وآوى إليه أبويه ورفعهما على العرش ورد ابن جرير هذا وأجاد في ذلك ثم اختار ما حكاه عن السدي أن يوسف آوى إليه أبويه لما تلقاهما ثم لما وصلوا باب البلد قال "ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين" وفى هذا نظر أيضاً لأن الإيواء إنما يكون في المنزل كقوله "آوى إليه أخاه" وفي الحديث "من أوى محدثا" وما المانع أن يكون قال لهم بعدما دخلوا عليه وآواهم إليه ادخلوا مصر وضمنه اسكنوا مصر إن شاء الله آمنين أي مما كنتم فيه من الجهد والقحط؟ وقوله "آوى إليه أبويه" قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما كان أبوه وخالته وكانت أمه قد ماتت قديماً. وقال محمد بن إسحاق وابن جرير كان أبوه وأمه يعيشان قال ابن جرير ولم يقم دليل على موت أمه وظاهر القرآن يدل على حياتها وهذا الذي نصره هو المنصور الذي يدل عليه السياق**"[٣٥١].

يتضح أن هناك من "المفسرين" من كان مستعداً للَيّ قواعد المنطق والمعايير الأساسية العقلية في فهم الآيات كي تستقيم مع الفهم "السبعيني" الأصل القائم في أذهانهم. بينما من المفترض أن تكون الآيات هي الحاكمة على الفهم القائم وليس العكس. فنجد كلاماً يستعصي على الفهم مثل "**فقال بعضهم هذا من المقدم**

---

(351) - ابن كثير، التفسير، ج٢، ص٥٠٨.

والمؤخر" الذي يعني أن يوسف (ع) قال واقعاً ادخلوا مصر ثم آوى إليه أبويه بعد ذلك. بينما القرآن أخبر بعكس هذا الترتيب، أي آوى إليه أبويه أوّلاً ثم بعد ذلك قال لهم ادخلوا مصر، فأوقع ذلك تناقضاً! وللخروج من هذا المأزق المتولّد جراء التناقض بين ثقافة "السبعونية" المشاعة والمهيمنة على وعي المفسرين وثقافتهم وبين الأخبار القرآنية، وضع بعض المفسرين مخارج تعسفية تحولت إلى مناهج تفسيرية تسمح لهم بالاحتفاظ بمفاهيم "السبعونية" الموروثة إلى جانب نصّ القرآن الجديد. ولم تلبث هذه المخارج أن تحولت إلى مناهج تفسيرية بعد أن أثبتت نجاحاً في الهروب من المأزق، وذلك مضمون قاعدة "**المقدم والمؤخر**". ليس هذا فحسب بل إن هناك من سّن قواعد لغويّة مبنية على هذه المناهج كما نقراه في هذا المقتبس "..**كما قال ادخلوا مصر إن شاء الله ولم يصرف لأنّه اسم المدينة فهو مذكر سمي به مؤنث**"[٣٥٢] ولك أن تتدبر في باقي المقتبس أعلاه لتتعرف على طبيعة باقي المخارج المستخدمة لتفسير الآية المعنية.

أمّا ما نطرحه هنا من فهم لهذه الآية بعد أن جعلناها الحاكمة على الوقائع، فهو أن مصر هي المحطة التجارية المجاورة الواقعة على الجادة وهي ملتقى التجار وزبائن المنطقة. وقد طلب يوسف (ع) من إخوته أن يأتوه جميعاً (**وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**)(يوسف:٩٣). فما إن وصلوا جميعاً ودخلوا عليه في مكان سكنه، وهي القرية الزراعية السكنية التي يحتمل وقوعها على مدرجات جبلية خصبة، وهي بطبيعة الحال مجاورة لمصر المنطقة، أي المحطة التجارية الواقعة على الجادة بجوار سفوح الجبال حيث تمّ بناء الصوامع أو المخازن لسهولة النقل والتوزيع بواسطة قوافل الإبل. لذا فإن مصر المنطقة تقع خارج القرية السكنية ومجاورة لها. أي إنهما قريتان متصلتان، قرية (حصن) مسوّرة تجارية لها أبواب متواضعة في طريق القوافل وتعرف بمصر، ويدير شؤونها العزيز وهو قيّم المخازن التجارية ولكنه تابع لملك القرية السكنية، والثانية قرية داخلية سكنيّة يحكمها الملك وفيها المراعي والمزارع. وقد أسكن يوسف (ع) أبويه في القرية حيث يقيم كما ذكر القرآن الكريم (**آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ**) وعرض على إخوته القادرين على العمل في التجارة ترك حياة البداوة ورعي الأغنام

---

[٣٥٢] - ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٧٦.

استكمالاً لتغيير نمط حياتهم السابق وتحضرهم وهذا هو المقصود بقول يوسف (**ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**) أي ادخلوا كعمال في مصر القرية حيث الصوامع وشؤون الحرس والتوزيع والتخزين والحركة التجارية. ومفردة "**آمِنِينَ**" تعود على طبيعة العمل في التجارة في ذلك الزمان والأجواء العدوانية والمخاطر التي كانت تتسم بها الأمصار التجارية كما أوضح يعقوب (ع) عندما طلب من أبنائه الدخول من أبواب متفرقة حين دخولهم مخازن مصر. ويمكن القول أن علاقة اليهود الملحوظة بالتجارة والتجار والثروات والمصارف والمصاري والأمصار والشركات الدولية حتى يومنا هذا وتواجدهم الملحوظ في أهم الأمصار التجارية المسكونة المعاصرة كنيويورك وهونغ كونغ وشيكاغو وسويسرا وباريس، كان منشؤه البعيد الأمد هو توجيه يوسف (ع) لبني إسرائيل (**ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**). فاكتشفوا بعد أن كانوا رعاة غنم ما في التجارة من خيرات وكان القرار من يومها الاستئثار بهذه الصنعة وإن أمكن احتكارها.

مما سبق نخلص إلى أن قرية يوسف (ع) ومصرها كانت قريبة من مضارب أبيه يعقوب (ع)، بل نجد هذه الحقيقة في التوراة نفسها من خلال حوار يعقوب (ع) وبنيه بعد عودتهم من مصر أيام القحط وعزمهم العودة مرة أخرى للاستزادة من الكيل، فها هم يقولون لأبيهم يعقوب (ع) "**لولا مجادلتك إيانا لذهبنا ورجعنا مرّتين**"(التكوين ٤٣-١٠) فهل هذا الكلام يقال لمسافة بين الشام والقبط؟! فمضارب يعقوب (ع) ذاتها لم تكن بعيدة عن مسكن أبيه إسحاق وجده إبراهيم (ع). ومسكن إبراهيم (ع) كان ببطن مكة المكرمة كما فصلنا مسبقاً. ومصر هي إحدى المحطات التجارية القريبة من قرية يوسف (ع). والأمصار كانت ولا زالت منتشرة في كلّ الجزيرة العربية بل في العالم أجمع لضرورات النقل التجاري والمتاجرة. فعليه ندرك أن يوسف ويعقوب وإسحاق (ع) كانوا بجوار مكة ولا علاقة لهم لا بالشام ولا بالقبط كما روج أئمة اليهود في "السبعونية".

إبراهيم (ع) في مصر

والآن بعد أن وضعنا مفهوماً جديداً لمفردة "مصر"، فلو عرجنا مرة أخرى سريعاً لقصة أحداث نبي الله إبراهيم (ع) كما تقررها التوراة عند دخوله مصر هرباً من الجفاف وخروجه منها ولوط بثرواتٍ غريبة كما جاء في التوراة "... **وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ**

وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ"(التكوين ١٢-١٦) لفهمنا بتعريفنا الجديد لمصر القرآن كيف أمكن لإبراهيم (ع) تحقيق ثروة طائلة وهو أمر لا يتحقق بهذه السرعة إلا بالغزو أو بالتجارة الحرة في أسواق مزدهرة. ويبدو واضحاً أن اليهود قد دأبوا على إخفاء حقيقة الثروات المتولدة من العمل التجاري احتكاراً لأنفسهم ما أمكن، فخرجوا للناس بتفسير وقح لمكاسب إبراهيم (ع) السريعة مخترعين قصة جمال سارة وإعجاب فرعون بها ومن ثمَّ تعويض إبراهيم (ع) بمكاسب بعد أن اكتشف أنها زوجه وليست أخته كما ادعى إبراهيم (ع). ولم يتوانَ اليهود عن هذه الوقاحة والجرأة على الأنبياء فقط لصرف الناس عن الاقتداء بعمل إبراهيم (ع) فأخفوا سرَّ اكتساب الثروات الطائلة ومكانها.

دور إبراهيم (ع) في تمصير مكة

(**لإِيلَافِ قُرَيْشٍ* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ* فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**)(قريش:٤). كانت مكة حتى عهد الرسول (ص) تمتهن التجارة فلم تكن لديها مقومات الزراعة ولم تزل كذلك حتى يومنا هذا. فاشتغلت قبائل وادي مكة حتى زمن قريش بالتجارة على خطّ التوابل والبخور القديم لوقوعها على هذا الخط الممتد من اليمن إلى الشام. فمتى تحولت مكة الى مصر تجاري؟ ظاهر الحال أنه أيام وصول إبراهيم (ع) الى منطقة مكة كانت الخطوط التجارية تمر بوادي عرفة وليس ببطن الوادي حيث بيت الله وذلك لانعدام الماء والزرع والناس فيه. فكان أول من سكن الوادي وهو بهذه الحال إسماعيل (ع) وأمه هاجر. ومع ظهور ماء زمزم بدأ الوضع يتغير. ودلت الطير ركاب القوافل على التغيرات التي حدث في الوادي كما نقل التراث العربي "**فلما رأت الطير الماء حلقت عليه فمر ركب من اليمن يريد السفر فلما رأوا الطير قالوا ما حلقت الطير إلا على ماء**"[٣٥٣] فهذه كانت بدايات اكتشاف الناس لظهور الماء في بطن الوادي المهجور. وما أن أعلن إبراهيم (ع) الحج وبدأ الناس يلبّون دعوة النبي العربي السرياني اللسان،

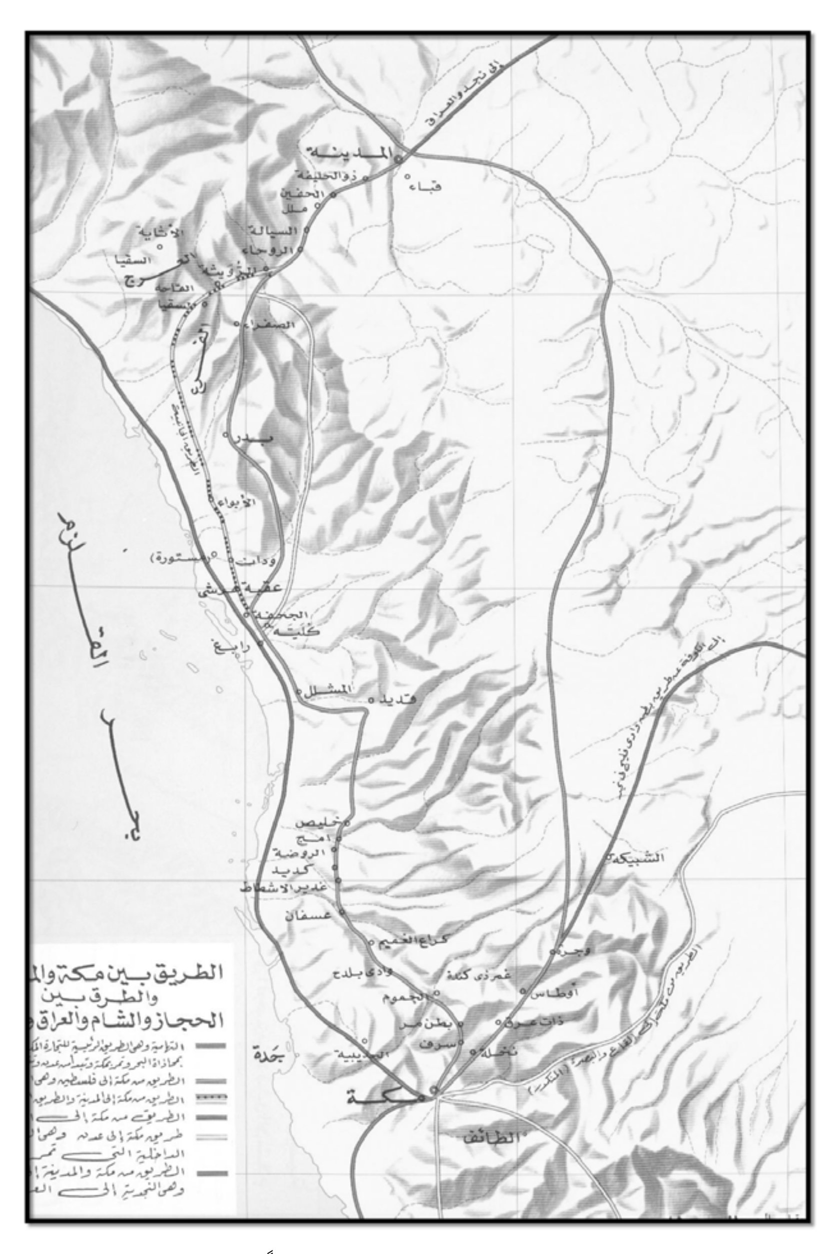
---

[٣٥٣] - المحقق السبزواري، ذخيرة المعاد، ج٣، ص٥٤٧.

حتى اتخذ بعض الناس بطن الوادي سكناً لهم مما مهد لقيام محطة خدمات للقوافل والحجاج فتمصر بطن الوادي مع الوقت حتى غدا محطة استراتيجية غاية في الأهمية كما هو واضح من الخريطة[٣٥٤] رقم ٤٧ . فصارت أهم الغلات تُنقل على ظهور الإبل من سواحل المهرة في اليمن إلى حضرموت العليا الداخلية ثمَّ إلى منطقة صرواح وقرنو ومعين شرقي اليمن ثمَّ إلى نجران ومنها إلى خميس مشيط ثمَّ إلى أبها أو بيشا لتصل إلى مكة أو ينبع ثمَّ من هناك إلى يثرب ومن يثرب إلى تدمر أو البتراء ومن هناك إلى فينيقيا أو فلسطين أو إيلات ثمَّ إلى القبط[٣٥٥]. والدارس لهذه المحطات على خطّ التجارة لن يجد صعوبة في ملاحظة أن اليهود كانوا يتمركزون في أهمها وأكبرها ولو لحقبة معينة من تاريخ هذه الأمصار التجارية. وخلاصة القول أن إبراهيم (ع) بحكمته والطريقة التي وضع بها يده على بطن الوادي، وذلك بإسكان زوجته وابنه فيه، قد مهّد لتملك الماء الذي ظهر في الوادي ومن ثمَّ وفر فرصة جريان الماء وانتعاش الوادي تمهيداً لفتحه للعودة إلى الله حجاً وإنابة وتوبة. ومن يومها غدا بطن مكة مصراً من الأمصار في الجزيرة العربية بل من أهمها .

[٣٥٤] – حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٣٦.

[٣٥٥] – عدنان ترسيسي، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، ص٦٢.



خريطة رقم ٤٧: تحولت مكة بعد عهد إبراهيم (ع) إلى مصراً أو محطة تجارية إستراتيجية وبقي الحال كما هو إلى اليوم

مصر موسى (ع) والاقتصاد العالمي

"**هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام**"[٣٥٦] هذا اسم ونسب كليم الله كما أورده ابن كثير. وما يهمنا هو أن بين يوسف والكليم (ع) ثلاثة آباء حيث أن لاوى هو أحد إخوان يوسف (ع) الأحد عشر ومن نفس جيله. ولم يرد في كتاب الله أن موسى (ع) وقومه كانوا من سكان مصر إلا لاحقاً، كما لم يرد أن يوسف (ع) وأهله سكنوا القبط وذلك ما فصلناه سلفاً، وهو ما يخالف التفسير الشائع بيننا اليوم.

(**وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ* فَقَالُواْ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ* وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**) (يونس:٨٧-٨٤). توضح هذه الآيات أن موسى بدأ في دعوة بني إسرائيل وهم مقيمون في قرية ما، فآذى فرعون المؤمنين منهم فطلبوا النجاة، ثم جاء الوحي بأن يجعل للمؤمنين ملاجئ أخرى وهي بيوت تبنى في مصر المحاذية. ولا توحي الآيات بأنهم رحلوا أو هاجروا إلى مصر بل ما توحيه هو أن تكون لهم بيوت أخرى في موقع آخر يسميها القرآن على لسان قوم موسى بمصر بالإضافة إلى بيوتهم في قريتهم شريطة أن يجعلوا كلّ البيتين قبلة. وما نفهمه من القبلة هنا هو الصلاة في بيوت القرية والتبشير بدعوة موسى (ع) في بيوت مصر-كما جاء في ذيل الآية أعلاه (**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**). ففي مصر توجد قوافل المسافرين، فهي المكان والفرصة المناسبين لنشر أخبار الوحي الجديدة باستخدام أحدث وسائل الإعلام في ذلك الزمان وهم الرحّالة بين الأقطار. فجعل لهم في مصر وطريقها بيوتاً خدماتية تستقطب رواد الطريق (قبلة). فتيسر بذلك لمؤمني بني إسرائيل القيام بحملات تبشيرية تنتشر عبر القارات ليعلم العالم أن نبياً قد بُعث في أرض العرب يحمل رسالة من السماء.

---

[٣٥٦] - ابن كثير، قصص الأنبياء، ج٢، ص٣.

وكما هو متوقع، فإن هذه الآية من الآيات التي دار حولها الكثير من النقاش بين المفسرين بسبب انحصار تفكيرهم في الثقافة الوهمية القائلة إن مصر هي القبط كما يكشف لنا ابن الجوزي: "**وفي المراد بمصر قولان أحدهما إنه البلد المعروف بمصر قاله الضحاك. والثاني إنها الإسكندرية قاله مجاهد. وفي البيوت قولان أحدهما إنها المساجد قاله الضحاك والثاني القصور قاله مجاهد. وفي قوله بيوتكم قبلة أربعة أقوال أحدها اجعلوها مساجد رواه مجاهد وعكرمة والضحاك عن ابن عباس، وبه قال النخعي وابن زيد. وقد ذكرنا أن فرعون أمر بهدم مساجدهم فقيل لهم اجعلوا بيوتكم قبلة بدلاً من المساجد. والثاني اجعلوها قبل القبلة رواه العوفي عن ابن عباس وروى الضحاك عن ابن عباس قال قبل مكة وقال مجاهد أمروا أن يجعلوها مستقبلة الكعبة وبه قال مقاتل وقتادة والفراء. والثالث اجعلوها يقابل بعضها بعضًا وهو مروي عن ابن عباس أيضا وبه قال سعيد بن جبير والرابع واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلاة فهي قبلة اليهود إلى اليوم قاله ابن بحر. فإن قيل البيوت جمع فكيف قال قبلة على التوحيد فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال من قال المراد بالقبلة الكعبة قال وحدت القبلة لتوحيد الكعبة قال ويجوز أن يكون أراد اجعلوا بيوتكم قبلاً فاكتفى بالواحد عن الجمع كما قال العباس بن مرداس ويجوز أن يكون وحد قبلة لأنه أجراها مجرى المصدر فيكون المعنى واجعلوا بيوتكم إقبالاً على الله وقصداً لما كنتم تستعملونه في المساجد ويجوز أن يكون وحدها والمعنى واجعلوا بيوتكم شيئا قبلة ومكانا قبلة ومحلة قبلة**"[٣٥٧] هذه عيّنة من ما دار بين العلماء المتقدمين وخلاصة النتائج التي بلورت ثقافة الأجيال التي خلفتهم وصولاً إلينا.

أما الآية الأخرى التي جاء فيها ذكر مصر موسى (ع) فهي التي بدأنا بها هذا البحث (**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ**)(الزخرف: ٥١). فهنا يخبرنا الله تعالى أن قرية فرعون بها أنهار وليس نهراً واحداً، بينما قرية يوسف (ع) كان نصيبها جفاف سبع سنوات عجاف. وهو ما يجعلنا نتساءل عمّا إذا كانت منطقة يوسف (ع) تختلف عن منطقة موسى (ع) أم لا بسبب تباين معالم الأرض الطبيعية. وهي فرضية ممكنة في ضوء

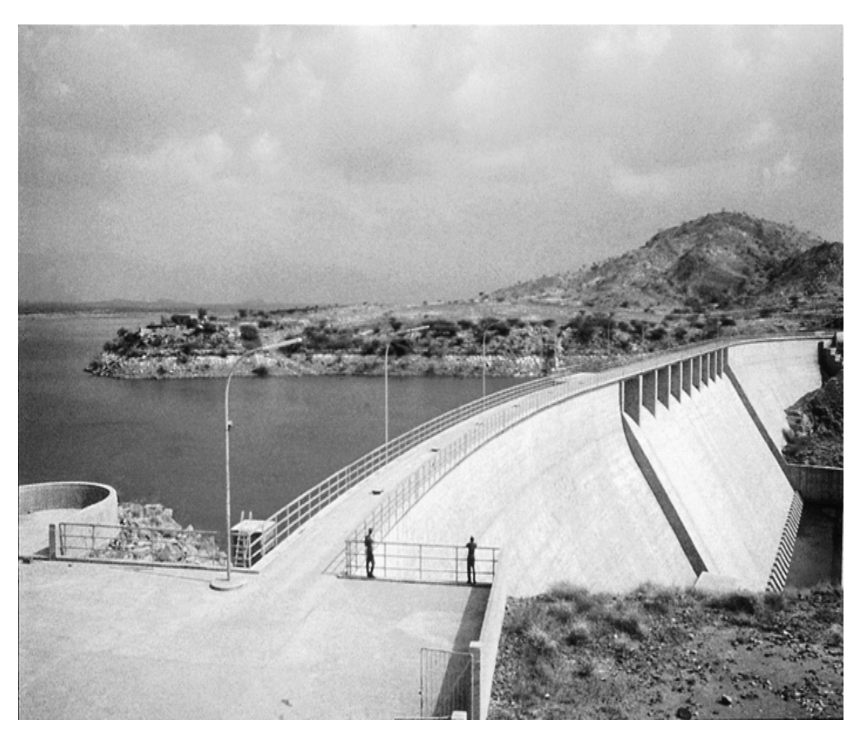
---

(٣٥٧) – ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٤٧.

طرحنا الجديد عن طبيعة مصر الحقيقية المذكورة في القرآن الكريم. فالأمصار، كما أسلفنا، محطاتٌ تجارية نشطة بالنسبة للقرى والمضارب المحيطة بها لذا يمكن أن توجد عشرات الأمصار وليس مصراً واحدة فقط كما غُرس في ثقافتنا. فمن الممكن أن تكون مصر يوسف (ع) في أرض غير التى تقع فيها مصر موسى (ع) وإن كانت كلتاهما في الجزيرة العربية. ولكن هناك آيات أخرى تدعونا إلى التريث وإلى المزيد من التدبر قبل أن نجزم بأن مصر يوسف (ع) ليست نفسها مصر فرعون. والآيات المعنية هي (**يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ* وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ* مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ* وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ* يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ* وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ**)(غافر:٣٤). فهنا ينقل لنا الكتاب خبراً على لسان مؤمن من آل فرعون مفاده أن يوسف عليه السلام قد جاء من قبل بالبينات إلى أجداد قوم فرعون. أي أن يوسف (ع) كان موجوداً في نفس المنطقة بل كان مبعوثاً في أجداد آل فرعون مما يعني أن مصر موسى هي عينها مصر يوسف عليهم السلام. فكيف يمكن إذن أن يجف بلد سبع سنين وهو يحوي أنهاراً؟ وهو ما يحدو بنا إلى مراجعة فهمنا لمفردة "نهر". فما هو مهيمن على فهمنا اليوم هو أن الأنهار مسطحات مائية متلازمة بالضرورة مع منابع جوفية، كما هو الحال مع ما يُعرف اليوم بنهر النيل أو دجلة أو الفرات وغيرها من الأنهار الكبيرة. ولكن هذا الحصر لعبارة "نهر" غير دقيق فهناك الكثير من الأنهار الكبيرة والصغيرة التي تكونت نتيجة تجمع مياه الأمطار الموسمية أو نتيجة ذوبان الثلوج المتراكمة على قمم الجبال لتنحدر هذه المياه في وديان عدة مشكلة أنهاراً كثيرة يتفاوت حجمها وتدفقها. بل يوجد اليوم وفي الجزيرة العربية بحيرات ضخمة تم تكوينها ببناء سدود على وديان بيشة النهرية لتجميع مياه الأمطار المنحدرة من أعلى جبال السراة في عسير، انظر الصورة[٣٥٨] **٢٢**. وعليه يمكن القول أن الأنهار التى ادّعى

[358] - CHARLES BRAY's Saudi Arabia Journal

فرعـون وجودهـا في مصـره لم تكـن بالضـرورة مسـتديمة علـى مـدار السـنة كنـهر النيـل القبطي والفرات العراقي بل يمكن أن تكون مجموعة أنهار تحمل مياه الأمطار مـن أعـالي الجبال، وهي لذلك معرضـة للجفاف في حال تـأخر هطـول الأمطار الموسمية. ولكن في المقابل يذكر كتاب الله وجود اليم في منطقة موسى (ع) كما يوجد بحر أيضاً (**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**)(يونس:٩٠). وهـذا البحر هـو الـذي انشـق لموسـى (ع) وهـو الـذي غـرق فيـه فرعـون (**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ**) (البقرة:٥٠).



صورة رقم ٢٢: سد الملك فهد ببيشة لتخزين مياه الأمطار مشكلا بحيرة كبيرة ووادي نهري طويل وهذا ليس هو السد الوحيد بالمملكة

---

http://www.greatestcities.com/users/cbray5003/Middle_East/Saudi_Arabia/

كما يجب الالتفات إلى أن مفردة "بحر" في القرآن تحمل معنى غزارة المياه وليس نوعها، فنجد أن القرآن ينصّ على وجود بحار عذبة وأخرى مالحة كما نقرأ في هاتين الآيتين (**وَهُوَ الَّذي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا**) (الفرقان:٥٣). (**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)(فاطر/١٢). فهل توجد بحار عذبة كما يذكر كتاب الله؟ أم إننا اختزلنا مفردة بحر في وعينا للتعبير عن الأحواض المائية المالحة الكبيرة كالبحر الأحمر والأبيض ..الخ.

والواضح من مجمل الآيات السالفة أن هذا الاختزال غير دقيق وذلك لأن ما تعارفنا عليه ببحيرات يقع ضمن مسمى بحر في المنطوق القرآني. أما بالنسبة لليم فيذكر الكتاب أن فرعون غرق فيه (**وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ* فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ* فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**)(الأعراف:١٣٦). فهل غرق فرعون في اليم أم غرق في البحر مع التزامنا بقاعدة[٣٥٩] أنّه لا ترادف في كتاب الله؟ فإذا كان في منطقة موسى (ع) بحيرة ويم فكيف يمكن لهما أن يجفا سبع سنين مع افتراض أن مصر يوسف هي عينها مصر موسى (ع)؟ إن ما أتينا به على عجالة من تساؤلات واستفهامات هو لغرض استثارة بعض الآيات واستنطاقها في محاولة لتعيين معالم مصر يوسف ومصر موسى (ع) ودراسة حتمية تطابقهما أو احتمالية اختلافهما ولهذا الموضوع بحث خاص سيصدر لاحقاً.

عوداً إلى محور البحث، لقد ادّعى فرعون ملكية مصر، فكيف يمكن لشخص أن يملك محطة تجارية؟ إن المتدبر في شؤون فرعون يدرك أنه ذو عقلية تجارية محضة، فحتى المعتقدات الربانية يقيسها بمعايير مادية كما نستشف من منطقه ومعايير

---

[٣٥٩] - للاطلاع على منهج جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية في تفسير كتاب الله يرجى الرجوع إلى إحدى إصداراتها وهو بحث: "مفاتح الكتاب والعقل".

ترجيحاتـه (**فَلَـوْلاَ أُلْقِـيَ عَلَيْـهِ أَسْـوِرَةٌ مِـنْ ذَهَـبٍ أَوْ جَـاءَ مَعَـهُ الْمَلاَئِكَـةُ مُقْتَرِنِينَ**)(الزخرف:٥٣). كما إنـه يمتلك وحاشـيته أمـوالاً طائلـة (**وَقَالَ مُوسَـى رَبَّنَا إِنكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَـةً وَأَمْـوَالاً فِـي الْحَيَاةِ الـدُّنْيَا رَبَّنَـا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَـا اطْمِـسْ عَلَـى أَمْـوَالِهِمْ وَاشْـدُدْ عَلَـى قُلُـوبِهِمْ فَـلاَ يُؤْمِنُـوا حَتَّـى يَـرَوُا الْعَـذَابَ الأَلِيمَ**)(يونس:٨٨). وهذا يدل على أنّ فرعون كان نشطاً تجارياً ولن يكون لـه ذلـك مـا لم تقع قريته علـى مصـر استراتيجي يمتد نفـوذه للسيطرة علـى منافـذه المدرة للأمـوال. وكـي نسـتوعب أهميـة مصـر فرعـون لا بـدَّ لنـا أن نلـمّ ببعض العلاقـات التجاريـة الـتي كانـت مسـيطرة عالميـاً في حقبـة مـا قبـل الميلاد. وتتمثـل أقـدم وثـائق مؤرخـة بهـذا الخصوص في ما أرّخه أحد تجار الأقباط حـوالي سـنة ٤٠-٧٠ ق.م حيث يـذكر حقيقـة أن البخور والطيب الذي كان يُنتج في اليمن ويُصدّر للروم والقبط كـان يُحمـل إلى قانـا اليمنية حيث يُخزن ثم يُصدّر بواسـطة قوافـل الجمـال إلى شـبوة عاصـمة حضـرموت. وينقـل بلـيني (Pliny)[٣٦٠] في هـذا الصـدد أنّ رجـال الـدين في معابـد شـبوة كـانوا يقتطعـون قسـراً كميـة مـن البخـور مـن كل شـحنة لاسـتخداماتهم الشخصـية دون دفـع الثمن للتجار. ثم يُشحن الباقي على ظهور الجمال إلى تمنـى عاصـمة قطبان. وكان كلّ تـاجر يحـاول التهـرب مـن دفـع حصـة رجـال الـدين عـن طريـق الالتفـاف حـول الجـادة التجارية يتعرض للعقاب بل للقتل أحياناً. وفي تمنـى يدفع التجـار ضـرائب للملـك قبـل أن تغـادر قوافلـهم شمـالاً إلى مـين ونجـران حيـث تنقسـم الجـادة إلى قسـمين أحـدهما يتجه نحو العـراق والآخـر نحـو البـتراء وغـزة في الشـام والقسـم الآخـر هـو جـادة تهامـة الممتدة من اليمن إلى أقصى الشام مروراً بمكة.

ويضـيف بلـيني أن الجـادة بـين شـبوة وغـزة تمتـد مسـافة ٢٧٥٠ كيلـومتر وتقطعهـا الجمـال في شـهرين أو ثلاثـة أشـهر وتحـوي ٦٥ محطـة. وفي كل محطـة (مصـر) يـدفع التاجر للماء والعلف وعمال الشحن والسكن للراحة والطعام ومـا شـابه مـا قيمتـه ٦٨٨ دينـاراً (denarii) لكـل جمـل، ممـا يرفـع قيمـة البخـور عنـد وصـوله إلى الزبـون

---

[٣٦٠] - مؤرخ روماني عاش في القرن الأول قبل الميلاد.

الروماني إلى ما يقارب ٦ دنانير للرطل الواحد[٣٦١]، وهو مبلغ طائل في ذلك الزمن. فذلك ما يتعلق بتجارة البخور وحدها، أضف إلى ذلك تجارة التوابل والذهب والمر واللبان والزعفران والمنسوجات والفخار والحبوب والقطن وغيرها من المنتجات وكلّها تمر بهذه المحطات وتدفع مقابل الخدمات إلى جانب المتاجرة والصفقات والمقايضة. ويكون هذا المرفق الحيوي تابعاً لشيخ قبيلة له سلطة وجنود لفرض نفوذه على الصفقات والخدمات وتسخير العمالة بما تمليه عليه مصلحته الشخصية مع المحافظة على تدفق القوافل إلى مصره. وكان فرعون أحد هؤلاء المسيطرين على مصرٍ من الأمصار الاستراتيجية وله أن يدّعي أنه مالك الزمام فيه، فهو صاحب البنية التحتية التي تدير هذا المصر. ومن المفيد هنا أن نشير إلى أن من ضمن العقوبات التي أنزلها الله تعالى بفرعون نقصاً في تدفق القوافل على مصره (**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**)(الأعراف: ١٣٠). والثمرات هي المنتوجات بأنواعها ويمكن أن تُحمل كبضائع للتصدير والاستيراد ومنها اشتقت مفردة الاستثمار التجاري. فالثمرات ليست بالضرورة نتاج زراعة الزارع فحسب، كقوله تعالى بشأن مكة وهي المنطقة التي لا تملك مقومات الزراعة (**وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**)(القصص:٥٧). وجاءت الثمرات معّرفة للدلالة على نقصها بعد اعتياد تدفقها على فرعون وحاشيته. كما ويصف القرآن الكريم فرعون بذي الأوتاد (**وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ**)(الفجر: ١٠)، ومفردة ذو تعني مالك الشيء أو صاحبه وهي تستخدم بكثرة في عسير اليمنية لتعيين ملكية القصور والمحافل والمناطق، فيقال ذو سلحان وذو جيشان وذو ريدان[٣٦٢] الخ.

أما الأوتاد فهي تعبر عن القرى المحيطة بمصر فرعون، فسكانها هم زبائن المصر المحليون ولهم منتجاتهم الزراعية واليدوية التي تشكل محرّك الخط التجاري وأنشطته التوريدية والتصديرية. فكلّما ازداد عدد هذه القرى الواقعة في تقاطع المصالح مع

---

[361]- The British museum - http://www.fathom.com/course/21701787/session2.html

[٣٦٢] – عدنان ترسيسي، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، ص٧٠.

مصر كلّما ازداد كذلك المردود المالي لفرعون وتوسعت مظلته التجارية. وتدلنا هذه الآية ضمناً على أن فرعون قام ببناء وصيانة بنية تحتية لوجستية في مصره، ولعلها شملت الطرق الفرعية السالكة والخفر والمخازن المحمية وغيرها، وذلك بقصد جذب القرى المحيطة وتشجيعها على التعامل معه وضمان هيمنته على المنطقة تجارياً. وكانت هذه القرى تخضع لإرادة فرعون، كما يتضح في الآيات الخاصة بتجميع السحرة والحشد لمواجهة موسى(ع) (**قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ* يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ* قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ**)(الأعراف:١١١). فمن الواضح أن هذه المدائن، أي المناطق المأهولة بالسكان، تقع ضمن إطار تقاطع المصالح مع فرعون وهي قريبة منه جغرافياً لتستجيب له. ولعل الصورة المقابلة اليوم لتعبير "الأوتاد" هو مفهوم "الأسواق" المحلية منها والعالمية، حيث دأبت القوى الاستعمارية في الماضي القريب على الاحتلال القسري لدول العالم الضعيفة بقصد توفير أسواق حصرية تابعة للمستعمر يبيع فيها منتجات مكنته الصناعية، هذا إلى جانب توفير المواد الخام مجاناً أو بأبخس الأثمان لتشغيل هذه المكنة الصناعية، كما فعلت بريطانيا في الهند على سبيل المثال. فكلّما ازداد عدد الأسواق السكانية الواقعة تحت هيمنة قوة مركزية ازدهرت تلك القوة واتسع نفوذها. أما اليوم فلا تزال الحاجة إلى الأسواق الاستهلاكية العالمية قائمة وقوية ومزدهرة ولكن تغير أسلوب التعامل معها من احتلال عسكري وهيمنة مطلقة إلى تعاون مبني على قواعد لوجستية وعلاقات سياسية وتشريعات قانونية دولية ومهادنات جمركية، وإن شابها تجاوزات واستضعاف واحتكار ومراوغة شرعية قانونية لصالح الأقوى.

أما بالنسبة للكثافة السكانية في المدائن التي كانت تحيط بمصر فرعون فيمكن استشفافها من قول فرعون نفسه حين حشر الناس لاعتراض طريق من يصفهم بالشرذمة من بني إسرائيل بعد أن هربوا من قرية فرعون (**فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ* إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ**) (الشعراء:٥٤). وهذا يعني أن فرعون قد جمع من عدة مدائن جمعاً من المقاتلين أو المعارضين يفوق في أحسن الحالات تعداد شرذمة قليلة من بني إسرائيل. ويدل ذلك على أن هذه المدائن عبارة عن عدة قرى

وأرياف تقع جميعها في محيط تأثير مصر فرعون التجاري، كما تدل على أن فرعون ليس أحد ملوك القبط مادام يحتاج إلى المساعدة كي يقاتل جماعة يصفها هو نفسه بـ"قليلون"، في حين أن تاريخ القبط يدل على أن جيوشهم كانت تقتحم البلدان والممالك العظيمة وتخضعها لسلطانها فكيف يحتاج هذا الجيش وزعيمه إلى المؤازرة لمطاردة نساء وأطفال وبعض الرجال؟!

أما الآية الأخيرة التي تذكر مصر موسى في القرآن فقد جاءت لتذكّر بأحداث وقعت بعد خروجه مع بني إسرائيل بعيداً عن قريتهم باتجاه الأرض المقدسة (**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ**)(البقرة:٦١). لقد طلب بنو إسرائيل من موسى (ع) عدة أنواع من المحاصيل الزراعية، والتشكيلة التي طلبوها لا يمكن أن تتوفر في موسم زراعي واحد عدا البقول[٣٦٣] كما هو واضح في الجدول أدناه. وهو ما يدل على أن ما طلبوه إذا كان الحصول عليه ممكناً فلا بدَّ أن يكون مخزوناً أو منقولاً كصادرات من بلدان أخرى، إلا القثاء الذي يتلف بعد حصاده[٣٦٤] ما لم يستهلك في

---

[٣٦٣] - رزنامة حائل لزراعة المحاصيل الزراعية:

http://www.barzan.ws/hail/seasons/p4.htm

[٣٦٤] - تقسم الخضروات حسب موسم زراعتها وحصادها إلى قسمين رئيسيين هما الخضروات الصيفية ، والخضروات الشتوية. ويصنف البصل والثوم ضمن الخضروات الشتوية التي يبدأ موسم زراعتها مع بداية شهر سبتمبر ، حيث تبدأ درجة حرارة التربة والهواء بالانخفاض. ويصبح البصل جاهزاً للحصاد مع بداية السنة ويلزم تجفيفه لمدة شهر تقريباً قبل التسويق، ويسوق الثوم بعد ثمانية أشهر من زرعه مع بداية الشهر السادس ، وقد يفسر ذلك سبب ارتفاع سعره مقارنة مع قريبه البصل. أما القثاء فيصنف من الخضروات الصيفية التي تزرع مع بداية شهر مارس أو أبريل لتكون الثمار جاهزة للحصاد خلال أشهر الصيف ابتداء من شهر يونيو، ويمكن لنبتة القثاء الاستمرار في إنتاج الثمار لعدة أشهر إذا بقيت سليمة. ويندرج العدس تحت المحاصيل الشتوية ويتوافق موسم زرعه وحصاده مع البصل. ويلاحظ أن محاصيل البصل والثوم والعدس يمكن أن

فترة قصيرة. وتفيد هذه المعطيات في تحديد الموسم الذي خرج فيه بنو إسرائيل مع موسى (ع).

ولكن ماذا كان جواب موسى (ع) عندما طلبوا هذه التشكيلة من المحصولات المتعددة المواسم؟ هل يرسلهم إلى أرض تنتج هذه المحصولات وتبيعها في أسواقها؟ كلا فهذه المحاصيل لا توجد إلا في مخازن الأمصار وأسواقها الدولية المصدر وهي مترامية على الخط التجاري. فكانت كلمته (**اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ**) أي انزلوا أحد الأمصار التجارية القريبة من موقعكم فتجدون طلبتكم هناك. أمّا هو عليه السلام فقد واصل المسير مع من بقي معه من بني إسرائيل باتجاه الأرض المقدسة التي لم يدخلها قط بل دخل بمن معه في التيه. وفي هذه الآية اختلف المفسرون بين ما جاء في القرآن كما يقرأونه والذي يعني اهبطوا إلى مصر من الأمصار المترامية وبين ما اختلط بمفاهيمهم من ثقافة التوراة ألا وهي اهبطوا مصر فرعون بمعنى القبط. ولأهمية هذا الفرق ننقل كلام الطبري في تفسيره لشموليته في عرض المناقشات التي دارت حول هذه الآية بين المؤرخين والتي بلغت حدّ الشكّ في كيفية قراءة الآيات "..**ثم اختلف القراء في قراءة قوله مصراً فقرأه عامة القراء مصراً بتنوين المصر وإجرائه وقرأه بعضهم بترك التنوين وحذف الألف منه فأما الذين نونوه وأجروه فإنهم عنوا به مصراً من الأمصار لا مصر بعينها فتأويله على قراءتهم اهبطوا مصراً من الأمصار**".

الرقم	المحصول	فترة النمو	وقت الزراعة	وقت الحصاد
١	القثاء	٢-٣ أشهر	مارس – أبريل	مايو- يونيو
٢	البصل	٣-٥ أشهر	سبتمبر - نوفمبر	يناير- مارس
٣	الثوم	٨ أشهر	سبتمبر - نوفمبر	أبريل- يونيو
٤	العدس	٣-٤ أشهر	نوفمبر	فبراير- مارس

تخزن بعد حصادها وتجفيفها للاستهلاك خلال السنة إلا القثاء فيجب استهلاكه خلال فترة قصيرة من الحصاد.

وقبل أن نكمل المقتبس لا بدَّ لنا من وقفة تدبرية! فقد كشف لنا الطبري أن القرآن كان يُقاد ولا يقود في تفسير الآية حيث كان هناك من القراء من يريد لمصر أن تكون هي القبط فتركوا التنوين في كلام الله وأسقطوا الألف من مفردة "مصراً"، بينما الذين أردوا لها أن تكون مصراً من الأمصار أبقوا المفردة كما نزلت على رسول الله (ص). ولك أن تتساءل هل كانت الثقافة "السبعونية" مهيمنة في الأذهان والمجتمعات إلى درجة أن أصبحت هي الأصل المسّلم بصحته ونصّ القرآن الشريف هو الفرع والتابع، فصار كلام الله عز وجل يُفسّر على ضوء المعلومات المسبقة دون فحص فسادها من صحتها، فهذا باب تدبر ندعو القارئ للوقوف عليه وتقدير عواقبه على الأمّة! ولنواصل كلام الطبري "**لإنكم في البدو والذي طلبتم لا يكون في البوادي والفيافي وإنما يكون في القرى والأمصار فإن لكم إذا هبطتموه ما سألتم من العيش وقد يجوز أن يكون بعض من قرأ ذلك بالإجراء والتنوين كان تأويل الكلام عنده اهبطوا مصرا البلدة التي تعرف بهذا الاسم وهي مصر التي خرجوا عنها غير أنه أجراها ونونها إتباعًا منه خط المصحف لأن في المصحف ألفا ثابتة في مصر فيكون سبيل قراءته ذلك بالإجراء والتنوين سبيل من قرأ قواريرا قواريرا من فضة منونة إتباعًا منه خط المصحف وأما الذي لم ينون مصر فإنه لا شكَّ أنه عنى مصر التي تعرف بهذا الاسم بعينها دون سائر البلدان غيرها وقد اختلف أهل التأويل في ذلك نظير اختلاف القراء في قراءته فحدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة اهبطوا مصرا أي مصرًا من الأمصار فان لكم ما سألتم وحدثني موسى بن هارون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي اهبطوا مصرا من الأمصار فإن لكم ما سألتم فلما خرجوا من التيه رفع المن والسلوى وأكلوا البقول وحدثني المثنى قال حدثني آدم قال ثنا أبو جعفر عن قتادة في قوله اهبطوا مصرا قال يعني مصرًا من الأمصار وحدثنا القاسم بن الحسن قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن بن جريج عن مجاهد اهبطوا مصرا قال مصرًا من الأمصار زعموا أنهم لم يرجعوا إلى مصر حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا بن وهب قال قال بن زيد اهبطوا مصرا قال مصراً من**

الأمصار ومصر لا تجري في الكلام فقيل أي مصر فقال الأرض المقدسة التي في قوله اهبطوا مصرا قال يعني به مصر فرعون. حدثت عن عمار بن الحسن عن بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ومن حجة من قال إن الله جل ثناؤه إنما عنى بقوله اهبطوا مصرا مصراً من الأمصار دون مصر فرعون بعينها إن الله جعل أرض الشام لبني إسرائيل مساكن بعد أن أخرجهم من مصر وإنما ابتلاهم بالتيه بامتناعهم على موسى في حرب الجبابرة إذ قال لهم (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ❁ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ)(المائدة:٢٢) إلى قوله (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)(المائدة:٢٤). فحرم الله جلَّ وعزَّ على قائل ذلك فيما ذكر لنا دخولها حتى هلكوا في التيه وابتلاهم بالتيهان في الأرض أربعين سنة ثم أهبط ذريتهم الشام فأسكنهم الأرض المقدسة وجعل هلاك الجبابرة على أيديهم مع يوشع بن نون بعد وفاة موسى بن عمران. فرأينا الله جل وعز قد أخبر عنهم إنه كتب لهم الأرض المقدسة ولم يخبرنا عنهم إنه ردهم إلى مصر بعد إخراجه إياهم منها فيجوز لنا أن نقرأ اهبطوا مصر ونتأوله أنه ردهم إليها قالوا فإن احتج محتج بقول الله جل ثناؤه (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ❁ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ❁ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)(الشعراء:٥٧-٥٩). قيل لهم فإن الله جل ثناؤه إنما أورثهم ذلك فملكهم إياها ولم يردهم إليها وجعل مساكنهم الشام وأما الذين قالوا إن الله إنما عنى بقوله جل وعز اهبطوا مصر فإن من حجتهم التي احتجوا بها الآية التي قال فيها (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ❁ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ❁ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) وقوله (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ❁ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ❁ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ❁ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ)(الدخان٢٥-٢٨). قالوا فأخبر الله جلَّ ثناؤه أنه قد ورثهم ذلك وجعلها لهم فلم يكونوا يرثونها ثم لا ينتفعون بها قالوا ولا يكونون منتفعين بها إلا بمصير بعضهم إليها وإلا فلا وجه للانتفاع بها إن لم يصيروا أو يصر بعضهم إليها.."

وهنا نود أن نتداخل مع الطبري مرة أخرى قبل أن نكمل المقتبس من كلامه. فما أورده الطبري من إشكال لا يزال قائماً حسب الفهم الشائع ومصدره إخبار الله تعالى بأن بني إسرائيل قد أورثوا أرض فرعون بعد أن خرجوا منها مع موسى (ع) وبعد أن أغرق الله فرعون وجنوده. فكيف يكون ذلك وهم لم يعودوا إلى أرض فرعون بل دخلوا في التيه حسب ترتيب آيات أخرى؟ ولحلّ هذا الإشكال وضع المفسرون مرة أخرى مخارج تعسفية مختلفة على نحو ما أورد الطبري أعلاه. فلو قرأنا القرآن كما نزل لا كما تريد له الثقافة "السبعونية" لوجدنا الجواب حاضراً كما تنبئ به الآيات التالية (**فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ* وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ* فَقَالُواْ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**)(يونس:٨٣-٨٦). فهذه الآيات تشرح بوضوح أنه لم يؤمن لموسى كل بني إسرائيل، هذا يعني بالضرورة أنه خرج معه المؤمنون منهم فقط وبقي الآخرون في القرية ومصرها المجاور حتى وصلهم خبر غرق فرعون وجنوده ونجاة موسى (ع) ومن معه فصارت الأرض التي فضلوها على الخروج مع موسى (ع) من نصيبهم لسنة سنَّها الله تعالى (**مَنْ كَان يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَان يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**)(الشورى:٢٠). فهكذا أورث الله بني إسرائيل الأرض، وهذا هو حل الإشكال القديم الحديث. وفيما يلي تتمة المقتبس مع الطبري "**قالوا وأخرى إنّها في قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود اهبطوا مصر بغير ألف قالوا ففي ذلك الدلالة البينة إنها مصر بعينها والذي نقول به في ذلك أنه لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين ولا خبر به عن الرسول يقطع مجيئه العذر وأهل التأويل متنازعون تأويله فأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال إن موسى سأل ربه أن يعطي قومه ما سألوه من نبات الأرض على ما بينه الله جل وعز في كتابه وهم في الأرض تائهون فاستجاب الله لموسى دعاءه وأمره أن يهبط بمن معه من قومه قرارًا من الأرض التي تنبت لهم ما سأل لهم من ذلك إذ كان الذي**

سألوه لا تنبته إلا القرى والأمصار وإنه قد أعطاهم ذلك إذ صاروا إليه وجائز أن يكون ذلك القرار مصر وجائز أن يكون الشام فأما القراءة فإنها بالألف والتنوين اهبطوا مصرًا وهي القراءة التي لا يجوز عندي غيرها لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين واتفاق قراءة القراء على ذلك ولم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه إلا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة فيما جاءت به من القراءة مستفيضًا بينها"[٣٦٥].

من المقتبس المطّول أعلاه، والذي يشاطرنا الطبري فيه الرأي وكثيرون غيره، ندرك أن التوجه العام بين المفسرين الذين جعلوا القرآن هو الحاكم الفصل هو أن "مصراً" في الآية أعلاه هي واقعاً مصرٌ من الأمصار وليست وادي النيل كما هو مشاع في الثقافة العامة. كما أكد الطبري أن خطوط مصاحف المسلمين كلّها تظهر "مصراً" وليس "مصر". فكيف وصل الحال بمن اعتمدنا على قولهم وافترضنا رجاحة رأيهم إلى مناقشة متن القرآن وحروفه وليّها كي تستقيم والطرح القائم في مفاهيم الناس والمفسرين؟! وماذا يعني هذا الكلام الوارد في المقتبس أعلاه "**فرأينا الله جل وعزَّ قد أخبر عنهم أنه كتب لهم الأرض المقدسة ولم يخبرنا عنهم أنه ردهم إلى مصر بعد إخراجه إياهم منها فيجوز لنا أن نقرأ اهبطوا مصر ونتأوله أنه ردهم إليها**"؟ هل هكذا فسّر كتاب الله؟ وهل هكذا بنيت ثقافة المسلم المعاصر التي تأسست على تقبل آراء كل سلفٍ تكلم في آيات الله سبحانه؟ ثم من أين جاء خبر أن الله كتب الأرض المقدسة لبني إسرائيل؟ فنحن ما علمنا أن الله يوزع القيعان على بني الإنسان أياً كانوا. والآية المعنية تقول (**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**)(المائدة:٢١) ولا تقول "يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتبها الله لكم" أليس هناك فرق بين "كتب" و"كتبها" للمتدبرين؟! سنلزم القلم بالوقوف عن تحليل كلام المفسرين فهو جدير بأن يقام له بحث بذاته وسنعود إلى ما يعنينا النظر فيه. فخلاصة المقتبس أعلاه تفيد أن هناك أكثر من مصر كما ينص القرآن وهذا عين ما

---

[٣٦٥] – الطبري، التفسير، ج١، ص٣١٣.

نطرحه كبديل لثقافة "السبعونية" المهيمنة على وعي العالم والتي اختصرت الأمصار في مصر واحدة ثم أسقطتها زوراً وبهتاناً على مملكة القبط العظمى.

كم كان عدد بني إسرائيل؟

وقبل أن نختم بحث مصر موسى (ع) ينبغي لنا النظر في عدد نفوس بني إسرائيل أيام فرعون حيث ذكرنا أنهم عشيرة سكان قرية صغيرة وليس مملكة القبط العظمى. ففي هذا الشأن ينقل المقدسي خبر عدد عشيرة بني إسرائيل كما روي عن اليهود في عهده فيقول "**قالوا ودخل يعقوب مصر وهم ثمانون إنسانا وخرج موسى ببني إسرائيل وهم ستمائة ألف ونيف**"[٣٦٦] وقد جاء هذا الخبر في التوراة عينها بهذه الصيغة "**وَكانت جَمِيعُ نُفُوسِ الْخَارِجِينَ مِنْ صُلْبِ يَعْقُوبَ سَبْعِينَ نَفْسا. (وَلَكِنْ يُوسُفُ كَان فِي مِصْرَ)**"(الخروج ١: ٥) إذن فذلك هو عدد أفراد العائلة التي دخلت قرية يوسف (ع) ومنهم من عمل بالتجارة في مصر القرية كما أسلفنا، فكيف انتهى عددهم إلى ما يربو على نصف مليون نسمة بعد أربعة آباء[٣٦٧] فقط حين ظهر موسى (ع) من بني إسرائيل في عهد فرعون؟ ولا بد أن ثمة نظر في هذا الطرح، فلو افترضنا أن سن الخامسة والعشرين هو سنّ تكوين النواة العائلية وأن نسبة النمو السكاني هي ١٠٪، فإن الفترة الزمنية لأربعة آباء تقدر بقرن واحد فقط. وهذا يعني أن عدد بني إسرائيل في زمن فرعون سيبلغ ٧٠٠ شخص تقريباً لا أكثر[٣٦٨]. ولو طرحنا من هذا العدد **٥٠** شخصاً مثلاً نفترض أنهم لقوا حتفهم نتيجة تنكيل فرعون ببني إسرائيل وتقتيله

---

(٣٦٦)- المقدسي، البدء والتاريخ، ج٣، ص٦٩.

(٣٦٧)- موسى كما سبق الذكر هو حفيد حفيد يعقوب كما يتضح من ترتيب الآباء الوارد في نسب موسى التالي: "هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام". ابن كثير، قصص الأنبياء، ج٢، ص٣.

(٣٦٨) - وحسب تقدير آخر: ٧٠ فرداً الأوائل تقسيم ٢ (لتكوين زوج عائلة إسرائيليّة) ضرب ٥ أبناء كحدّ أقصى مبالغ فيه لكلّ عائلة مكرّراً الناتج بدلاً من الـ ٧٠ ، ٤ مرّات لأنهم أربعة أجيال، يُصبح الناتج قريباً من ٢٨٠٠ فرد أي أقصى ما يمكن أن يصل إليه عددهم لو بالغنا هو ٣٠٠٠ فرد وهو مازال بعيداً جداً عن الرقم المعلن للعالمين القديم والحديث.

أولادهم واستحيائه نسائهم إلى جانب موت الشيخوخة والمرض، فلا يبقى حينئذ سوى **٦٥٠** شخصاً هم عدد بني إسرائيل في آخر عهد فرعون. فمن أين أتى رقم **٦٥٠٠٠٠** نسمة؟ أيكون هناك من أضاف **ثلاثة** أصفار للرقم الحقيقي؟ والواقع أن الكثير من المؤرخين استهجنوا هذا العدد المهول، فها هو ابن خلدون يقول في هذا الصدد "**أحصاهم موسى في التيه وعدَّ من يطيق حمل السلاح من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف ويزيدون وقد ذكرنا ما في هذا العدد من الوهم والغلو في مقدمة الكتاب فلا نطول به ووقوعه في نص التوراة لا يقضى بتحقيق هذا العدد لأن المقام للمبالغة فلا تكون أعداده نصوصًا**"[٣٦٩]. فستمائة شخص تقريباً هو العدد التقريبي الإجمالي الذي يمكن قبوله منطقياً لبني إسرائيل أيام موسى (ع)، وهي العشيرة التي تشير إليها التوراة التى بين أيدينا بلفظة "شعب" لدرجة أن هذا "الشعب" أقلق رعميس (رمسيس) ملك مملكة القبط العظمى حتى كان من فرط قلقه من هذا "الشعب" - كما تنقل التوراة- أن يهتم هو شخصياً بجمع ومتابعة المعلومات الاستخبارية الخاصة بمعدلات نمو هذا "الشعب" الإسرائيلي. فقد ورد في التوراة أنه كان يجتمع شخصياً بسيدتين إسرائيليتين هما شفرة وعوفة- وهما قابلتا "الشعب" الإسرائيلي[٣٧٠] — بغية التعرف على عدد مواليد هذا "الشعب" ووضع سبلاً لإيقاف النمو السكاني الإسرائيلي الملحوظ بعد أن فاقوا عدد الأقباط أو كادوا. فتروي التوراة بهذا الصدد "**ثمَّ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ فَقَالَ لِشَعْبِهِ: «هُوَذَا بَنُو اسْرَائِيلَ شَعْبٌ اكْثَرُ وَاعْظَمُ مِنَّا. هَلُمَّ نَحْتَالُ لَهُمْ لِئَلا يَنْمُوا فَيَكُونَ اذَا حَدَثَتْ حَرْبٌ انهُمْ يَنْضَمُّونَ إلى اعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ مِنَ الارْضِ» فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذِلُّوهُمْ بِاثْقَالِهِمْ فَبَنُوا لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْ مَخَازِنَ: فِيثُومَ وَرَعَمْسِيسَ**"[٣٧١].

كما لا يفوتنا أنه آمن بموسى مجموعة من هؤلاء الـ ٦٥٠ إسرائيلياً كما نصَّ القرآن الكريم، وهي النسبة الأقل مصداقاً لقوله تعالى (**أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ**

---

[٣٦٩] - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٤١.

[٣٧٠]- "وَكَلَّمَ مَلِكُ مِصْرَ قَابِلَتَيِ الْعِبْرَانِيَّاتِ اللَّتَيْنِ اسْمُ احْدَاهُمَا شِفْرَةُ وَاسْمُ الاخْرَى فُوعَه وَقَالَ: «حِينَمَا تُوَلِّدَانِ الْعِبْرَانِيَّاتِ وَتَنْظُرَانِهِنَّ عَلَى الْكَرَاسِيِّ - ان كَانَ ابْنا فَاقْتُلاهُ وَان كَانَ بِنْتا فَتَحْيَا»." (الخروج ١ :١٥).

[٣٧١] سفر الخروج.

فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ)(البقرة:١٠٠). فلو أن ربع هؤلاء آمنوا وخرجوا مع موسى (ع) لكان عدد الذين خرجوا ١٦٥ شخصاً تقريبا بين نساء وأطفال ورجال وشيوخ. ويكون عدد الذين بقوا من بني إسرائيل في قرية فرعون قرابة ٥٠٠ شخص يقابلهم نفس العدد من قوم فرعون (المصريين) أو أقل أو أكثر. فهذا هو مجمل سكان قرية موسى (ع) ومصرها الحقيقيين وليس التهويل والتعظيم والتضخيم السكاني الإسرائيلي الذي أسقطه فريق "السبعونية" في وعي الناس بحول وقوة "هذا من عند الله". ولا تقف الحقيقة المغيبة عن وعي الناس عند التعداد الحقيقي لني إسرائيل، وإنما حتى هؤلاء الـ ١٦٥ شخصاً الذين رافقوا موسى (ع) تم فرزهم أيضاً في المسيرة إلى الأرض المقدسة حيث طلب جمعٌ منهم البصل والثوم والعدس والقثاء والبقل بدل صحبة النبي المرسل فيهم، فأمرهم موسى (ع) بترك ركب المهاجرين إلى الله والهبوط من أعالي الجبال إلى أقرب مصرٍ إليهم، فضربت عليهم الذلة والمسكنة. ولم يكن موسى (ع) مع الهابطين من أعالي جبال السراة في عسير وإنما واصل الطريق مع من بقي منهم إلى الأرض المقدسة التي لم يدخلوها قط وإنما دخلوا التيه، وذلك بعد أن رفضوا دخول الأرض المقدسة، فلم يبقَ في نهاية الخط على الطريقة الموسوية إلا اثنين هما كما جاء على لسان موسى في القرآن الكريم (**قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**)(المائدة:٢٥).

وإنّ من سخرية الأقدار أن نضطر إلى تسخيف عقولنا إذ نسلّم بأن هؤلاء الـ ٧٠٠، وهم مجموع عشيرة بني إسرائيل بأطفالهم ونسائهم وشيوخهم، قد بنو هرماً أو هرمين في الجيزة قبل أن يغادر بعضهم أرض القبط مع موسى (ع) باتجاه البحر الأحمر حسب ما أوقع التراث اليهودي المحرّف والمهيمن على العالم، وذلك في ظل حيرة التراث العربي المتلوث ببعض تحريفات "السبعونية" بعد أن غدا تاريخ القبط العظمى وحضارتها نهباً لكل من هبَّ ودبَّ أمام ناظرنا حتى بلغ استهتار المستفيدين من التحريف القديم أن يدّعوا بكل جرأة ما نقرؤه في هذا المقتبس "**وأول رئيس وزراء إسرائيلي زار الأهرامات هو مناحيم بيغن في نهاية السبعينات بينما كانت إسرائيل تفاوض على أول معاهدة سلام مع دولة عربية وقعت في ١٩٧٩. وفي تلك الفترة، ذكرت الصحافة المصرية أن مناحيم بيغن قال لدى رؤيته الأهرامات هذا ما فعله**

أجدادنا، ما أثار غضب المسؤولين المصريين"[٣٧٢] كما نقل نفس الخبر مختار السويفي في كتابه أم الحضارات[٣٧٣]. وما نقوله هنا هو أنه لا يسع المسئولون "المصريون" إلا الغضب لأنهم مكبلون بنعت "مصري" بعد أن تنكروا بحسن نية منهم لنعتهم الأصيل "قبطي". وسوف يبقي هذا حالهم في حيرة وغضب وتناقض حتى يخلعوا عن أكتافهم ما ألبسهم الكهنة السبعون منذ حوالي سنة ٣٠٠ قبل الميلاد إلى اليوم ويسترجعوا هويتهم القبطية الأصيلة وينفضوا عن ملوكهم الموحدين سمة فرعون المصري ثم يقرؤون تاريخهم المشرق العريق بعيون جديدة. بعدها يخرجون للعالم بحلة الأصالة المفقودة في صفحات الزمن السحيق.

ومادمنا في معرض الكلام عن النمو السكاني لبني إسرائيل إضافة لمن تهود من شعوب العالم، تجدر الإشارة إلى أن أدق وأقدم تعداد سكاني منشور[٣٧٤] هو الذي قام به الكاهن بنيامين في سنة ١١٧٥م. ويمكن الاطلاع على الإحصاءات الواردة في هذا التعداد على هذا الموقع[٣٧٥]. فقد جاب بنيامين العالمين الشرقي والغربي وحصر تعداد اليهود في العالم آنذاك وكانت النتيجة هي وجود ٤٦٥٠٠٠ يهودي في الوطن العربي والجزيرة العربية واليمن تحديداً من أصل ما مجموعه ٩٧٥٠٠٠ يهودي في العالم وهذا يعني أن ما يقارب ٥٠٪ من يهود العالم كانوا حتى قبل ٨٠٠ سنة تقريباً يستوطنون بلاد العرب. فإذا كان تعداد اليهود أقل من مليون نسمة بعد مرور ما يقارب ٢٧٧٥ سنة، أي منذ زمن يعقوب (١٦٠٠ ق.م) حيث النواة الأولى لعائلة بني إسرائيل (٧٠ نفسا) إلى عام الإحصاء في سنة ١١٧٥ م، فكيف يمكن إذن أن يقفز عدد

---

[٣٧٢] - شالوم يسأل في مصر : من بنى الأهرامات، القاهرة، القناة : ٢٠٠٤/٣/١٢ :

http://www.alqanat.com/news/shownews.asp?id=35431

[٣٧٣] - مختار السويفي، أم الحضارات، ص١٢٧ .

[374] - Binyamin of Tudela, Itinerario (Sefer Massa'ot), Luisè, Rimini, 1988

[375] - NUMERICS OF HEBREWS WORLDWIDE DISTRIBUTION AROUND 1170 AD ACCORDING TO BINYAMIN OF TUDELA –(Emilio Spedicato) http://itis.volta.alessandria.it/episteme/ep2sped.htm

بني إسرائيل من ٧٠ نفسا إلى أكثر من نصف مليون من الرجال والشباب عدا النساء والشيوخ والأطفال في غضون ٣٠٠ سنة على أقصى تقدير، وهو عدد السنين الواقعة بين زمن يعقوب وزمن حفيد حفيده موسى (ع)؟ كما أن تواجد معظم اليهود في الجزيرة العربية ليس صدفة بل هو استمرار طبيعي لمكوثهم في موطن العرب حيث كان آباؤهم يشكلون قبائل وبطوناً عربية متناثرة، شأنهم شأن كل القبائل العربية القاطنة إلى اليوم في اليمن والجزيرة العربية مثلهم مثل الدواسر والشمر والمطيري والأوس والخزرج والكنانيين وبني بكر وبين هاشم وبني وائل وبني تميم وبني هاجر وبني سعد وبني هلال وبني أمية وبني مالك وبني لام وبني العباس وبني شليم وبني سماك وغيرهم. ولكن بعضا من بني يعقوب (إسرائيل) تنكروا لهويتهم العربية الأصيلة فميزوا أنفسهم عن باقي القبائل العربية حسداً من عند أنفسهم وعلواً على العباد في الجزيرة العربية، لا لشئ إلا نزول التوراة عن طريق بني إسحاق كما نزل القرآن عن طريق بني هاشم فحملوا ذلك الفضل محمل التشريف لا التكليف وعمدوا إلى التوراة ليحملوها بما كتبت أيديهم على التنويه لهم بهذا التميز ثقافياً وميدانياً وتراثياً، خصوصا بعد أن أثاروا عداء جمهور القبائل الأمية بسبب ما أحدثوه من فساد اقتصادي في المنطقة بعد ابتداعهم النظام الربوي كما سيتضح لاحقاً.

"مصر" في التوراة المحرّفة

لا يمكن لفريق "السبعونية" أن يوقع تحريفاً بهذا الحجم دون أن يرتكب أخطاء هنا وهناك تكشف فعلته. فقد قام فريق "السبعونية"، كما أوضحنا، باستبدال مفردة "مصر" بمفردة "قبط" في ترجمته للتوراة "السبعونية". ولكن القبط هي المملكة العظمى المعروفة عالمياً ومصر تعني سوقاً مركزية باللهجة السريانية كما جاء على لسان فرعون. فماذا يستطيع أن يفعل فريق "السبعونية" إذا ورد دخول بني إسرائيل محطة من المحطات الخدماتية على الطريق أي "مصراً" أثناء رحلتهم المفبركة من القبط إلى الشام؟ هل يستبدلون مصر الواردة بمعنى "السوق" بمفردة "القبط" والتي تعني المملكة العظمى التي انطلقوا منها؟ طبعاً لا، لأن ذلك سيكشف لقراء "السبعونية" أن هناك مناطق عدة تسمى "قبط" بين طريق الرحلة المفبركة، مما سيفسد عليهم

عملية التحريف المدروسة. وبما أن القرآن أخبر عن بني إسرائيل أنَّهم هبطوا من أعالي الجبال إلى مصر، أي إلى أحد الأسواق المركزية، بعد خروجهم من قرية فرعون، فيلزم أن يرد ذكر "مصر" في التوراة دون تغيير، ما لم يتم تحويرها أو حذفها تماماً من التوراة المحرّفة. وللتحقق من هذا الأمر نرجع إلى القرآن لنتتبع متى هبط بنو إسرائيل إلى مصراً، ثم نتتبع نفس الأحداث في التوراة المحرّفة لنجد ماذا فعلوا بمفردة "مصر" هذه. يذكر القرآن أن بني إسرائيل هبطوا مصراً بعد حادثة العجل وبعد وعد اللّه لموسى (ع) في الجبل كما جاء في سورة البقرة (٥١-٦٠) وفي المقابل نقرأ في التوراة المحرّفة نفس الأحداث حتى نصل إلى هذا المقطع "**وَبَنُو إِسْرَائِيل ارْتَحَلُوا مِنْ آبَارِ بَنِي يَعْقَان إلى مُوسِيرَ. هُنَاكَ مَاتَ هَارُونُ وَهُنَاكَ دُفِنَ. فَكَهَنَ أَلِعَازَارُ ابْنُهُ عِوَضاً عَنْهُ.**"(٣٧٦) ومُوسير هذه هي الترجمة للمفردة سريانية التي تلفظ (Mosera)(٣٧٧) أي "مُصرا" أو (mosayraw') (٣٧٨) "مُصروا" أو(٣٧٩) "(môsêrâh)" أي "مُصراه". وكان الأجدى بمترجمي التوراة إلى اللسان الفصيح كتابة "مُصرا" بدل ليّها إلى "مُوسير" لتلقفها عين كل قارئ للقرآن.

فواضح هنا أن "مُوسير" هي عينها مُصِرا (Mosera) وهي منطقة لضآلة مساحتها الجغرافية تقاس جغرافياً بالتناسب مع مواقع ميكروسكوبية، كعقبان أو مغاور أو آبار قبيلة كقبيلة بني يعقان كما جاء في المقطع التوراتي أعلاه. والجدير بالذكر أن لفظ الجادة أو الطريق التجاري باللسان السرياني مُشتقٌ من مصر ويلفظ "مصلوا" (mes-il-law)(٣٨٠) وهي غير "الطريق" العادي والتي تلفظ "دريق" (deh'-rek)(٣٨١) و"التجارة"

(376) - التثنية ١٠-٦:

http://www.hebrewoldtestament.com/index2.htm

(377)- King James BibleWith Strongs Dictionary

http://www.htmlbible.com/sacrednamebiblecom/kjvstrongs/index2.htm

(378)- King James BibleWith Strongs Dictionary المصدر نفسه

(379) - King James BibleWith Strongs Dictionary المصدر نفسه

(380) - King James BibleWith Strongs Dictionary المصدر نفسه

(381) - King James BibleWith Strongs Dictionary المصدر نفسه

تلفظ (mis-khawr') [٣٨٢] أي "مصـخر". فهـل كـل هـذا التشـابه اللفظـي لمفـردة "مصر" السريانية ومشتقاتها التجارية هي محض صدفة؟

"مصر" سوق من أسواق العرب

لم تكن مصر إذن سوى سوقاً من الأسواق العربيـة الكبيرة بمفهومنـا اليـوم، مثلمـا أوضحنا، وليس لها علاقة بمملكة القبط. وهـذه الأسـواق منتشـرة بكثـرة في الجزيـرة العربية وأشهرها هـي أكثرها إستراتيجية وأهمية للخدمات التجاريـة، فأضـخم وأشـهر الأمصار العالمية اليوم هـي إمـارة دبـي في دولـة الإمـارات العربيـة ونيويـورك في أمريكـا وهونج كونج في شرق آسيا وسويسـرا في أوربـا ثـم تليهـا مئـات الأمصـار الأخـرى. وكـل هذه الأمصـار نشـأت مـن قـرى صـغيرة قبـل أن تتحـول إلى مواقـع ذات تـأثير اقتصـادي عالمي تدر أموالاً طائلة على ملاكها وقاطنيهـا ولهـا خـدمات مـؤثرة في تطـور الاقتصـاد القطري والعالمي أو تدهوره. وبسبب أهمية وسعة مساحة الجزيرة العربية في الماضـي، حيث كانت الحركة التجارية نشـطة أيضـاً، لا يمكـن أن نتصـور أنـه كانـت توجـد مصـراً واحدة فقط، وهو ما تثبته الآثار أيضاً. فقد وجد عـالم الآثـار النمسـاوي إدوارد غـلازر (Eduard Glaster) نقشـاً عُثـر عليـه بـاليمن يحمـل الـرقم (G11155) ووجـد ضـمن نقوشـه هـذه العبـارة "**عمصـدق.. كـبري مصـرن ومعـن مصـرن**"، وتعـني "**عـم صدق حاكم لمصر ومعن المصرية**" [٣٨٣]. ولولا هيمنة الثقافة التوراتية "السبعونية" الـتي أسقطت مصر قسراً على القبط لأمكن لعلماء الآثـار المعاصـرين حسـم مسـألة الموقـع الجغرافي لمصر القرآن منذ أمد بعيد.

كما ورد ذكر مصر في الجزيرة العربية أيضـاً في كتـاب "المكتبـة" للكاتـب الإغريقـي أبولودورس (Appollodorus) الذي يعـود تـاريخ تأليفـه إلى القـرن الأوّل أو الثـاني قبـل

---

[382] - The First Book of the Kings Chapter 10 - strong 4536 http://www.htmlbible.com/sacrednamebiblecom/kjvstrongs/index2.htm

[٣٨٣] - زياد منى، جغرافيا التوراة، ص٥٥.

الميلاد[٣٨٤]. كما عُثر في العراق على آثار تشير إلى استلام سرجون الثاني (**٧٢١-٧٠٥ ق.م**) ضريبة من "**في- ير- عو مو- صو-** ري (Musri)"[٣٨٥] فما كان من أنصار التوراة إلا أن ادّعوا أن ذلك تأكيد لما جاء في التوراة من أن بلاد وادي النيل هي القبط وملوكها هم الفراعنة، وكأن سرجون الثاني وغيره من ملوك الأرض لم يعرفوا من بلدان الدنيا إلا بلاد وادي النيل. بينما الواقع أنه لم يرد في تاريخ بلاد وادي النيل أن سرجون الثاني سيطر عليها أصلاً. وما يتناقله المؤرخون الغربيون والشرقيون بهذا الشأن تنحصر مصادره في استنتاجات مشتقة من نصوص توراتية محرّفة لا غير، وذلك بعد هيمنة الثقافة القائلة إن القبط هي مصر التوراة. فصار حتى المؤرخين العرب المعاصرين يسندون، بحسن نية، استنتاجاتهم المنشورة بشأن تاريخ بلدانهم وأجدادهم إلى مقتبسات توراتية فيُضعفون بذلك القيمة العلمية لكتبهم القيمة، كما نجد نموذجاً في هذا المقتبس لكاتب معاصر "**إذ نعرف من التوراة (الملوك الثاني ١٧) أنّه بعد فتح الملك تيجلات بلسر الثالث لبعض البلاد السورية في عام ٧٢٥ ق.م ورجوعه إلى بلاده، تحالف هوشع ملك إسرائيل مع ملك مصر**"[٣٨٦]. وفي ظل غياب أي معلومات ميدانية ملموسة على الأرض تجد هذا المقتبس عينه وأمثاله في الكثير من الكتب الغربية كمصدر معرفي يُعتدّ به في كتابة تاريخ القبط والآشوريين خلال الحقبة المعنية. أمّا فيما يخص الأثر المهم الذي يحوي ذكر "فرعون مصوري" فهو لا ينطبق على وادي النيل، كما يؤكد زياد منى في المصدر السابق، وهو أيضاً ما يذهب إليه جيمس هنري حيث يعزى (Musri) المذكورة في الآثار الآشورية إلى بلاد غير معروفة بعد تقع في شمال بلاد العرب ويشبه اسمها اسم مصر وهو الاسم المتعارف عليه اليوم لبلاد وادي النيل حسب قول هنري[٣٨٧].

---

(384) - Bibliotica 2:1،4 -Appolodorus

(٣٨٥) - زياد منى، جغرافيا التوراة، ص٧٥.

(٣٨٦) - أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص٤٣٣.

(٣٨٧) - جيمس هنري برستد، تاريخ مصر، ص٥١٠.

بل إن هناك من تجاوز الجزم بانتفاء علاقة الأثر المذكور بوادي النيل من أمثال (Cheyne ،Hommel ،Winckler) وخلصوا بعد دراسة كل الخيوط المتعلقة بهذا الأثر المهم إلى وجوب نقل جغرافيا التوراة من القبط إلى شمال الجزيرة العربية، وذلك بعد أن تبين لهم أن ذاك هو السبيل الوحيد لرفع التناقضات المتراكمة بين روايات التوراة وأسماء القرى الواردة فيها وبين شهادة الآثار الميدانية. ولكن لا حياة لمن تنادي بعد أن غرق العالم في ثقافة "السبعونية"[٣٨٨]. أمّا العالم التوراتي المعاصر ميكل ساندرس (Michael S. Sanders) فيطعن في ترجمة مفردة "فرعون" الواردة في الأثر الآشوري ويقول إن من قام بالترجمة تطغى على ثقافته السبقيات التوراتية مما أثر على ترجمته وجعله يترجم بيرى (Pir'u) إلى (Pharaoh) أي "فرهوا" والتي تعني باللسان العربي فرعون[٣٨٩]. ونحن نرجح هذا الرأي لأن لفظة "فرعون" وأصلها "فرع" لم نجد لها موطناً إلا في جبال السراة الواقعة بين اليمن والطائف كما سيتضح لاحقاً. أضف إلى ذلك أن العرب ذكروا غزو نبوخذ نصر – وهو أول ملوك الكلدان بعد انهيار دولة سرجون الآشورية– لمنطقة اليمن وسببه حكام بني إسرائيل كما نقرأ في التراث العربي "**إن بخت نصر أمر بغزو أهل حضور وأهل باعربايا ، الذين ليس لأبوابهم إغلاق ، فسار نحوهم واستعرض العرب بالسيف حتى انتهى إلى حضور . وكان الذي أمر بختنصر بغزوهم وقتلهم، فيما ذكر والله أعلم، إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى ابراخيا بن احنيا بن زربايل بن شاثيل ، وهو من ولد يهوذا بن يعقوب ، بأمره أن يأمر بختنصر بغزو الذين ذكرنا. فسار حتى انتهى إلى أرض اليمن إلى موضع منها يقال له حضور، وكان يسكنها بنو إسماعيل بن إبراهيم ، وهم قدمان ، ورعوايل ، ويامن ، وهم أصحاب الرس الذين قتلوا نبيهم حنظلة بن صفوان ، فبيتهم بختنصر وهم لا يعلمون ، فجعل يقتلهم . فخرجوا هاربين. ففيهم نزل، والله أعلم فلما احسوا بأسنا إذا هم منها يركضون " إلى قوله عز وجل : " فما**

(388) - THE NORTH-ARABIAN MUSRI AND THE OLD TESTAMENT- http://www.newadvent.org/cathen/01663a.htm

(389) - PHARAOHS and CAMELS Only in Arabia! http://www.biblemysteries.com/lectures/pharaohscamels.htm

زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين"[٣٩٠]. وهنا نقرأ أن ثمة نبياً تعرض للقتل بين القوم المعنيين في اليمن، بيد أننا نعلم أن الأنبياء لم يُبعثوا قبل البعثة المحمدية إلا في بني إسرائيل وهذا يدلنا على أن القوم المعنيين هم بنو إسرائيل وليسوا بني إسماعيل كما جاء في المقتبس.

عوداً إلى مصر وأسواق العرب فقد انطلقنا في تحليلنا لمعالم مصر من حقيقة أن يوسف (ع) تمَّ بيعه في أحد الأمصار (**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لأَمْرَأَتِه أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى ان يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا**)(يوسف:٢١). ومصر التي بيع فيها يوسف (ع) تقع بجوار مكة حيث مسكن جده إبراهيم (ع) . فهل كانت هناك أسواق قرب مكة قبل تمصيرها؟ وماذا كان يباع فيها؟ يمكن استشفاف إجابة لهذا السؤال بالتدبر في هذه الرواية: "**فجاءت خيل من تهامة وأغارت على طيئ فسبت زيداً فصاروا به إلى سوق عكاظ فرآه النبي (ص) من قبل أن يبعث فقال لخديجة يا خديجة رأيت في السوق غلاماً من صفته كيت وكيت يصف عقلاً وأدباً وجمالاً لو أن لي مالاً لاشتريته فأمرت ورقة بن نوفل فاشتراه من مالها فقال لها النبي (ص) يا خديجة هبي لي هذا الغلام بطيبة من نفسك قالت يا محمد إني أرى غلاماً وضياً وأحب أن أتبناه وأخاف أن تبيعه أو تهبه قال ما أردت إلا لأتبناه فقالت به فديت يا محمد قال فربياه..**"[٣٩١]. هل ترى تشابهاً بين قصة يوسف (ع) وزيد؟ وبين مصر وسوق عكاظ؟ وبين قرية محمد (ص) وهي هنا مكة، ومصر المجاورة لمكة وهي هنا سوق عكاظ؟ وهل ثمة ما يثير الاستغراب في تسلسل الأحداث وجغرافيتها ومكان البيع والشراء والمسافات؟ ولكن ماذا تفعل إذا دخل في الصورة شخص أو أشخاص من أمثال جوزف سميث ليكتب لنا تاريخنا فيعلمنا أن زيداً سُبي من الطائف وحُمل على ظهور الإبل شهوراً إلى القبط ليباع هناك بثمن بخس! ربما سيسخر من هذا الهراء جيل أو جيلان ممن حضر أو عاش في زمن قريب من الحادثة. ولكن هذا الوهم

---

[٣٩٠]- البغدادي، كتاب المحبر، ص٦؛ بألفاظ مختلفة: ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، ج١، ص٣٩٧.

[٣٩١] - ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٩١، ص٥٢٩؛ القرطبي، التفسير، ج٢، ص٤١٣.

سـرعان مـا سـيتحول إلى ثقافـة مقدسـة يصـعب بـل يحـرم حتـى النقـاش فيهـا أو ـﻓ مصـدرها بعـد أن يُخـط هـذا الهـراء بـالقلم ويُقـدم للنـاس تحـت غطـاء "هـذا مـن عنـد اللّه"، ثم تصدّق هذا الكلام سلطة سياسية لمصـالح آنيـة أو يقـرّه شـيخ أو مـؤرخ محـترم بيننا، فيدخل بذلك بعض الكتب التاريخية الإسلامية عن طريقـه ويتلبس بـرداء "هـذا مـن عنـد اللّه" الإسـلامي، ثـم يخـرج مـن بيننـا مريـدون لهذا الشـيخ أو ذاك كمـا جـرت العـادة فيرّوجـون لكلامـه ويتفـاخرون بالتـدارس بـين يديـه ويسـاهمون ـﻓ نشـر الخطـأ التاريخي وتأصيله. فكيف سيبدو الوضع إذا استمر تداول المدسوس المحـرّف كحقيقـة متناقلة بعد جيل أو جيلين أو عشرة أو عشرين جيلاً؟ فمن سيسخر ممن حينذاك؟

قلنـا إن التـوراة المحّرفـة أشـارت إلى رجـوع إبـراهيم ولـوط (ع) مـن جنـوب مصـر (بمعنى القبط) بثروة طائلة، ونحن نقـول بـل عـاد مـن جنـوب عرفـة بثـروة طائلـة. كمـا نـرفض روايـة كتّـاب التـوراة بشـأن حصـول إبـراهيم (ع) علـى ثروتـه عـن طريـق جمـال سـارة. فمـا هـي الأسـواق المعروفـة الـتي يـذكر تـاريخ العـرب وجودهـا ـﻓ جنـوب عرفـة ومكة؟ نجد الإجابـة ـﻓ الـتراث، كمـا ـﻓ هـذا المقتـبس **"أسـواق العـرب عشـرة أسـواق يجتمعون بها ـﻓ تجاراتهم، ويجتمع فيها سائر النـاس، ويـأمنون فيهـا علـى دمـائهم وأمـوالهم، فمنـها:(١) دومـة الجنـدل، يقـوم ـﻓ شـهر ربيـع الاول، ورؤسـاؤها غسـان وكلـب أي الحـيين غلـب قـام ثـم (٢) المشـقر بهجـر يقـوم سـوفها ـﻓ جمـادى الاولى، تقوم بها بنو تيم رهط المنذر بـن سـاوى. ثـم (٣) صـحار يقـوم ـﻓ رجـب ـﻓ أول يـوم من رجب، ولايحتاج فيها إلى خفارة، ثم يرتحلون من صحار إلى (٤) ريا يعشـرهم فيها الجلندى وآل الجلندى. ثم (٥) سوق الشحر شحر مهـرة، فيقـوم سـوقها تحـت ظل الجبل الذي عليه قبر هود الـنبي، ولم تكـن بهـا خفـارة، وكانـت مهـرة تقـوم بهـا. ثم (٦) سوق عدن يقوم ـﻓ أول يوم من شهر رمضان ويعشـرهم بهـا الابنـاء، ومنـها كان يحمل الطيب إلى سائر الآفاق. ثم (٧) سوق صنعاء يقوم ـﻓ النصف من شـهر رمضان يعشرهم بها الابناء. ثم (٨) سوق الرابية بحضرموت، ولم يكن يوصل إليها إلا بخفـارة لأنهـا لم تكـن أرض مملكـة، وكـان مـن عـز فيهـا بـز، وكانـت كنـدة تخفـر فيها. ثم (٩) سوق عكـاظ بـأعلى نجـد يقـوم ـﻓ ذي القعـدة، وينـزلها قـريش وسـائر العرب إلا إن أكثرها مضر وبهـا كانـت مفـاخرة العـرب، وحمـالاتهم، ومهادنـاتهم. ثـم**

(١٠) سوق ذي المجاز، وكانت ترتحل من سوق عكاظ وسوق ذي المجاز إلى مكة لحجهم"[٣٩٢] تلك أشهر الأسواق التي حفظتها ذاكرة العرب ومن ضمنها ما يقع على خطوط التوابل والبخور "الطيب" في أقصى الجنوب من الجزيرة-اليمن. ومنها ما كان يقع بجوار عرفة حيث أقام إبراهيم (ع) تحت أشجار نمرة كما يخبرنا الحموي "**قال الواقدي: عكاظ بين نخلة والطائف وذو المجاز خلف عرفة ومجنة بمر الظهران، وهذه أسواق قريش والعرب ولم يكن فيه أعظم من عكاظ**"[٣٩٣].

وبالنظر في الخريطة[٣٩٤] رقم ٤٨ ندرك أن أشهر هذه الأسواق يقع جنوب شرق مكة وعلى مسافة بريد من الطائف كما ذكر المؤرخون وهي سوق عكاظ حيث أهم فرص الصفقات التجارية خصوصاً مع تجمع العرب الموسمي بها من جميع أقطار الجزيرة العربية ومرور القوافل بها طوال العام لوقوعها على الخط التهامي والجبلي بين مكة واليمن . وما زالت آثار هذه السوق – (انظر صورة[٣٩٥] رقم **٢٣**) – قائمة على مساحة إجمالية تبلغ **١٠٥٧٢** متر^{٢} على بعد **٤٥** كلم جنوب شرق الطائف[٣٩٦]. وورد ذكر الخفارة في كلام اليعقوبي عند الحديث عن الأسواق التي لا تقع ضمن مملكة محصنة. والخفارة هي أجهزة حماية تتألف من حرس أو جند توفر الحراسة والحماية لقاء أجر، وتتكفل القبيلة برئاسة شيخها المسيطر على السوق بتوفير الجند لحفظ بضائع التجار وأموال الزبائن وخفر القوافل عند دخولها تخوم المصر وتسخير الأيدي العاملة في المصر لخدمتها . ولولا توفر هذه الخدمة الحيوية لخسرت القبيلة المعنية السوق وتدفق عائداتها . وهذا أحد أسباب احتفاظ فرعون بالجند، حتى أن

---

[٣٩٢] – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١ ، ص٢٧٠ .

[٣٩٣] – ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤ ، ص١٤٢ .

[٣٩٤] – حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٥٩ .

[٣٩٥]– أيمن فودة، ذاكرة المكان ملامح من جغرافيا وطبيعة وتراث المملكة العربية السعودية، ص١٥٥ .

[٣٩٦]– أيمن فودة، ذاكرة المكان ملامح من جغرافيا وطبيعة وتراث المملكة العربية السعودية، ص١٥٥ .

ذكر هؤلاء الجند ملازم له في كتاب الله دون الإشارة إلى خوضه حروب قبلية أو دولية (**وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أنهم إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ❖ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَان عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**)(القصص:٣٩-٤٠). ويذكر التراث خطورة التواجد في هذه الأسواق رغم أجهزة الحماية هذه، فكما ينقل اليعقوبي والاسترابادي "**قالوا : كانت سوق عكاظ يتوافون بها من كل جهة، ولا يأتيها أحد إلا ببرقع، ويعتم على برقعه خشية أن يؤسر فيكثر فداؤه، فكان أول عربي استقبح ذلك وكشف القناع طريف ابن تميم العنبري لما رآهم يتطلعون في وجهه ويتفرسون في شمائله، قال: قبح الله من وطن نفسه على الأسر، وأنشد يقول:**

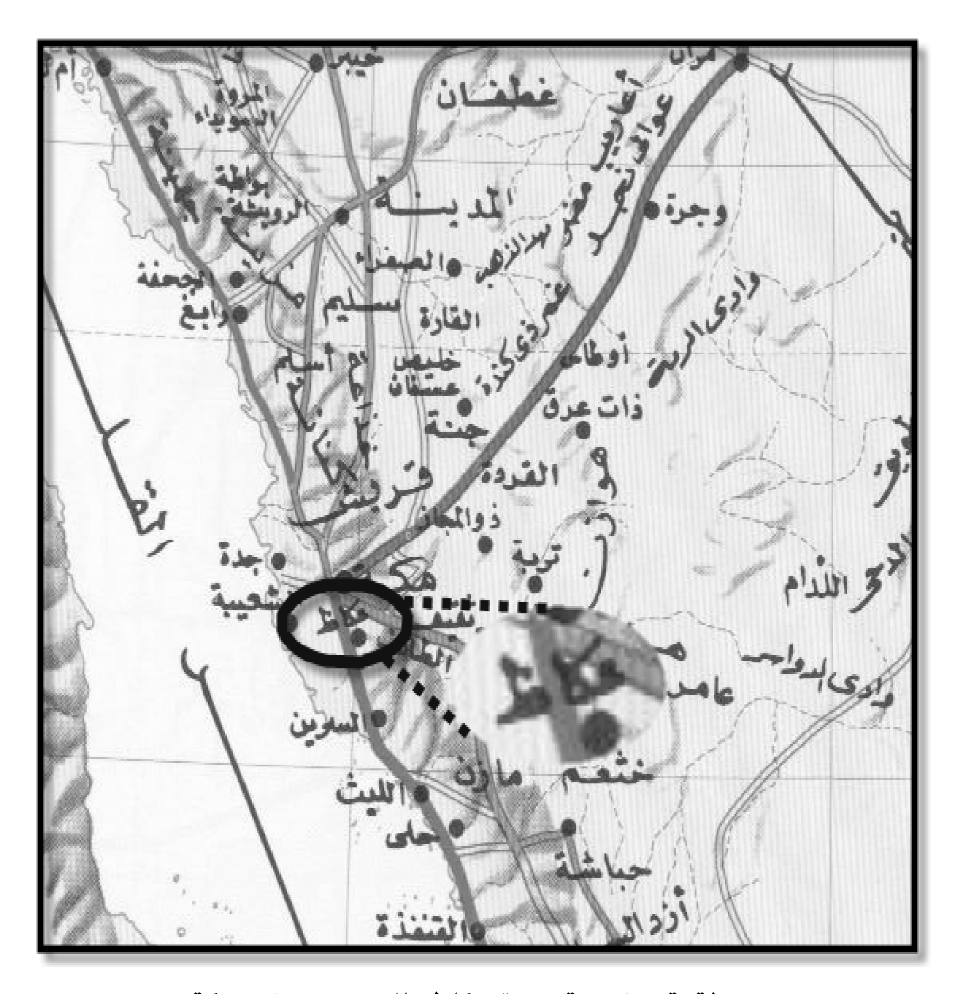
أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلي عريفهم يتوسم "[٣٩٧]

ويبدو أن أئمة اليهود استغلوا معرفتهم بهذه الأجواء العدائية والخطرة في بعض الأسواق، فاختلقوا قصة استلطاف شيخ المصر وسبيه لسارة[٣٩٨] والتي لعل عمرها ناهز السبعين آنذاك، كي يفسروا للناس مكاسب إبراهيم (ع) في مصر كما جاء في التوراة المحّرفة. ونحن هنا لا نجزم أن سوق عكاظ هي المصر التى تاجر فيها إبراهيم بعد أن استوطن مكة والمشاعر الحرام، وإنما نقول إن عكاظ هي أحد الأمصار الشهيرة القريبة من مكة ولا يُستبعد أن تكون أحد الأمصار التي كان يتردد عليها ولعلها المصر التي اشترى منها زوجه هاجر. فموضوع تعيين الأمصار المهمة في تاريخ الأنبياء مازال قيد البحث والتدقيق.

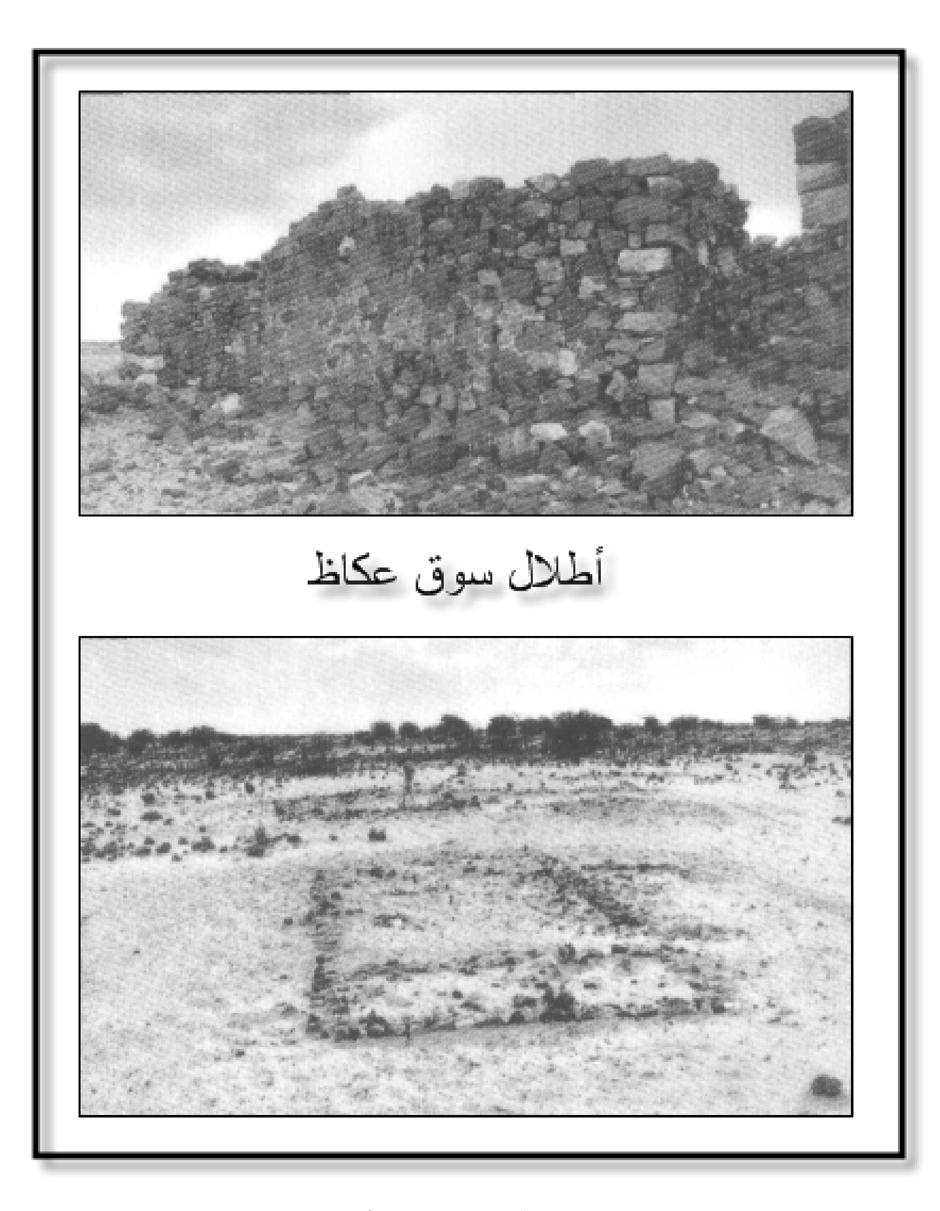
---

(٣٩٧) – الاسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج٤، ص٣٧٢.

(٣٩٨) – جاء في سفر التكوين ١٢ :١٠-١٦" وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الارْضِ فَانحَدَرَ ابْرَامُ إلى مصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ لان الْجُوعَ في الارْضِ كَان شَديدا .وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ ان يَدْخُلَ مصْرَ انهُ قَالَ لسَارَايَ امْرَاتِه: «انِي قَدْ عَلِمْتُ انكِ امْرَاةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ. فَيَكُونُ اذَا رَاكِ الْمِصْرِيُّونَ انهُمْ يَقُولُونَ: هَذِه امْرَاتُهُ. فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ. قُولِي انكِ اخْتِي لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ اجْلِكِ». فَحَدَثَ لَمَّا دَخَلَ ابْرَامُ إلى مصْرَ ان الْمِصْرِيِّينَ رَاوُا الْمَرْاةَ انهَا حَسَنَةٌ جدّاً . وَرَاهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ فَاخِذَتِ الْمَرْاةُ إلى بَيْتِ فِرْعَوْنَ فَصَنَعَ إلى ابْرَامَ خَيْرا بِسَبَبِهَا وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَامَاءٌ وَاتُنٌ وَجِمَالٌ" .



خريطة رقم ٤٨: موقع سوق عكاظ بالقرب من جنوب مكة



صورة رقم ٢٣: بقايا آثار سوق عكاظ بجنوب مكة

عشيرة مصر أم مملكة مصر؟

وقبل أن ننتقل إلى موضوع آخر نود أن نشير إلى نقطة مهمة هي أن التوراة ذكرت سهواً في أحد مقاطعها مفردة مصريم في سياقها الحقيقي أي بمعنى العشيرة أو القبيلة، كما نقرأ في المقطع التوراتي التالي "**وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ لاَ يَصْعَدُ مِنْ قَبَائِلِ الأَرْضِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَسْجُدَ لِلْمَلِكِ رَبِّ الْجُنُود لاَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ مَطَرٌ. وأن لاَ تَصْعَدْ وَلاَ تَأْتِ قَبِيلَةُ مِصْرَ وَلاَ مَطَرٌ عَلَيْهَا تَكُنْ عَلَيْهَا الضَّرْبَةُ الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا الرَّبُّ الأُمَمَ الَّذِينَ لاَ يَصْعَدُونَ لِيُعَيِّدُوا عِيدَ الْمَظَالِّ**"(زكريا ١٨ :١٤). وقد تتبعنا لفظ "مصر" الوارد في المقطع أعلاه فوجدناه يلفظ سريانياً "مصريم" بمعنى أن المقصود هو مصر موسى عليه السلام التي وردت في هذا المقطع بوصفها قبيلة وليست مملكة القبط العظمى. ولمزيد من التأكيد وجدنا أن مترجمي "السبعونية" قد أدرجوا مصريم الواردة في المقطع أعلاه ضمن حملة التحريف حيث حُرّفت من مصريم إلى القبط وخرجت جميع الترجمات الغربية المعاصرة مؤصلة هذا التحريف كما نقرأ في الترجمات الغربية المعاصرة:

"**And it shall be ،that whoso will not come up of all the families of the earth unto Jerusalem to worship the King ،the LORD of hosts ، even upon them shall be no rain. And if the family of Egypt go not up ،and come not ،that have no rain; there shall be the plague ، wherewith the LORD will smite the heathen that come not up to keep the feast of tabernacles**[٣٩٩]".

ويدل ذلك على أن مصريم المنعوتة بوصف القبيلة في الأصل والترجمة هي عينها مصر موسى (ع). فهل كانت القبط أو ما نعرفها اليوم بجمهورية مصر العربية توصف بالـ "قبيلة" أيام موسى وداوود عليهم السلام؟ وأي الخبريين أصح، أن مصر أو مصريم كان واقعاً اسم قبيلة؟ أم الثقافة القائمة والتي تروج إلى أن مصر موسى (ع) هي مملكة القبط العظمى؟

---

[٣٩٩] - زكريا ١٤-١٨.

هناك أيضاً لفتة مهمة وهي أنه لو تدبرنا الأمر من منطلق أن لفظ مصريم كان في الواقع اسم قبيلة تعمل في التجارة والأسواق ورجعنا إلى مقتبس اليعقوبي السابق الذي يؤكد فيه أن أكثر جمهور سوق عكاظ هم من قبيلة مضر، فهذا يعني إن مضر هم أصحاب الغلبة في هذه السوق ومن المرجح أن يكون شيخ هذه السوق مضرياً. وبما أن لسان السريان لا يحوي حرف الضاد لاقتصاره على ٢٢ حرفاً فقط من الحروف العربية، فإن لفظ "الضاد" يُستبدل في اللسان السرياني بحرف الزاء أو الصاد فيقال لمضر سريانياً "مزر" أو "مصر". ولذلك فإذا أرد العرب الناطقون بالسريانية القول إنهم ذاهبون إلى سوق قبيلة مضر فسيكون تعبيرهم اللفظي "إني ذاهب إلى سوق مزر أو مصر"، وكلاهما لفظ مستخدم إلى اليوم. فتوراة اللسان العربي تستخدم لفظ "مصر" وتوراة اللسان الغربي تستخدم لفظ مزر(Mizer) ولعل هذا هو منشأ كلمة "مصريم" السريانية والتي افترست مملكة القبط العظمى. ونحن لا نجزم هنا أن قبيلة مضر هي منشأ الاسم الشهير "مصريم"، فهي مسألة تحتاج المزيد من البحث والتدقيق لإثبات صحتها أو نفيها. ولكن ما نصّر عليه هو ضرورة فتح الباب لدراسة التراث العربي بعد أن عبث به المغرضون.

نهر النيل في التوراة المعاصرة – استمرار عملية التحريف

المؤكد هو أن مصر يوسف وموسى (ع) تقع أو تقعان في الجزيرة العربية وفي محيط مكة تحديداً. ولكن الثقافة "السبعونية" المزوّرة تمكنت، بدعمٍ من السلطة السياسية آنذاك، من الانتشار في العالم القديم وامتدت إلى العالم المعاصر بعد تثبيت جغرافيا وهمية لحركة الأنبياء أضلت الإنسانية حتى اللحظة عن جادة الطريق. وإن المتتبع لترجمات التوراة المعاصرة والتي تشكل ثقافة شعوب العالمين الشرقي والغربي فيما يتعلق بتحديد نهر النيل كموقع جغرافي لأحداث موسى (ع) وفرعون، يلحظ كيف تمَّ إسقاط اسم النيل على أحد الأنهار التوراتية في ثقافة الناس إلى اليوم. "فالسبعونية" لم تذكر النيل كاسم لنهر القبط أو لأي نهر آخر في أي حدث من أحداث الأنبياء، وإنما تذكر في ترجماتها "نهر" فقط من غير إضافة "النيل" إلى الترجمة ومثال على ذلك ما جاء في هذا النص التوراتي "السبعيني" ومعناه بالعربي:

"Ἐγένετο δὲ μετὰ δύο ἔτη ἡμερῶν Φαραω εἶδεν ἐνύπνιον. ᾤετο ἑστάναι ἐπὶ τοῦ ποταμοῦ"(٤٠٠)

"**وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ سَنَتَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ أن فِرْعَوْنَ رَأى حُلْماً وإذا هُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ النَّهْرِ**" (التكوين ٤١:١)

وهذا نقل أمين لما جاء في التوراة السريانية بهذا الخصوص. ومع ذلك نجد اليوم ترجمات توراتية بلغات حية قرر محرّروها إضافة اسم النيل إلى أنهار التوراة تطوعاً ومن غير أي مرجع تاريخي "كالسبعونية" المحرّفة والمعتمدة لديهم. ونُسبت هذه الإضافة تلقائياً إلى السماء بعد إخراج هذا النص المعّدل تحت اسم التوراة المقدسة. ففي ترجمة عربية أخرى لنفس النص أعلاه يقرأ الناس معلومة أكثر تحديداً بعد إضافة اسم النيل إلى النهر:

"**وَبَعْدَ انقِضَاءِ سَنَتَيْنِ رَأَى فِرْعَوْنُ حُلْماً، وَإِذَا بِهِ وَاقِفٌ بِجُوَارِ نَهْرِ النِّيلِ**"(٤٠١)

وإن هذه الإضافة التي قد تبدو سطحية في ظاهرها تُرسّخ في ثقافة الإنسان المعاصر المشوشة أصلاً وتوجهها بما لا يحتمل الشك إلى أن الأحداث التاريخية قد وقعت جغرافياً في القبط وعلى نهر النيل تحديداً وليس على أي نهر آخر في أي بلد آخر من بلدان العالم. أمّا بالنسبة للإنسان الغربي فقد تم التكفل بأمره أيضاً، وذلك بتوفير ترجمات تغذية بثقافة ترسيخية محرّفة ومشوشة تزيده بعداً عن الحقائق السماوية. فمرة يجد اسم النيل مضافاً إلى نهر التوراة ومرة أخرى يختفي، وذلك حسب اجتهاد أو تحريف الجهة التى وفرت له الترجمة. فعلى سبيل المثال يمكننا استعراض ترجمة نفس النصّ التوراتي المذكور أعلاه في مجموعة من ترجمات التوراة المنتشرة في العالم الغربي اليوم، كما يلي:

---

(400) – LXX Gen 41:1

(٤٠١) – سفر التكوين٤١ :١ ترجمة دار الكتاب المقدس الدولية:

http://www.ibs.org/bibles/arabic

في ترجمة نموذج الإنجيل الأمريكي ١٩٠١ تظهر مفردة نهر مجردة من إضافة النيل:

(ASV) And it came to pass at the end of two full years ،that Pharaoh dreamed: and ،behold ،he stood by the river[٤٠٢].

بينما في ترجمة الإنجيل بلغة الإنجليزية المبّسطة ١٩٦٥ أضيف اسم النيل إلى النهر:

(BBE) Now after two years had gone by ،Pharaoh had a dream; and in his dream he was by the side of the Nile[٤٠٣] ؛

ثم اختفى اسم النيل من ترجمة إنجيل كينك جيمس:

(KJV) And it came to pass at the end of two full years, that Pharaoh dreamed: and, behold, he stood by the river[٤٠٤].

ليعاود ظهوره في ترجمة الإنجيل الإنجليزي الحديث:

(CEV) Two years later the king of Egypt dreamed he was standing beside the Nile River[٤٠٥].

ثم ها هو يختفي من ترجمة الدربي الفرنسية:

(FDB) Et il arriva ،au bout de deux années révolues ،que le Pharaon songea ،et voici ،il se tenait près du fleuve[٤٠٦].

---

(402) – The American Standard Version of the Holy Bible

http://ebible.org/bible/asv/Genesis.htm

(403) – The Bible in Basic English Genesis، Chapter 41

http://bible.christiansunite.com/bibles.cgi?v=bbe&b=Ge&c=41

(404)- Gen 41:1 King James Version of the Bible

http://www.cforc.com/kjv/Genesis/index.html

(405)- Contemporary English bible

http://bible.gospelcom.net/passage/?book_id=1&chapter=41&version=31

ثم يظهر في ترجمة لوثر الألمانية:

(GLB) Und nach zwei Jahren hatte Pharao einen Traum ،wie er stünde am Nil (٤٠٧)

فيبدو أننا نعيش فترة انتقالية ستليها بعد عقد أو عقدين حقبة تُضاف فيها مفردة "النيل" إلى النهر في كل نسخ وترجمات التوراة في العالم، فيُغلق بذلك منفذ آخر يمكن من خلاله طرح التساؤلات التي قد تشغل الكثير من المتدبرين. وهكذا عزيزي القارئ يصل الخبر المحّرف إلى وعي أجيال الناس في العالم ويغزو مدارسهم وكنائسهم ومعابدهم ومساجدهم ويستقر في محصلة معلوماتهم. أما مصدر هذا الوهم كله فيكمن في إسقاط مصر على القبط في التوراة "السبعونية" بعد أن أخرجت للعالم تحت غطاء "هذا من عند الله".

أين كانت قرية مصر موسى (ع)؟

(**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَان عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**)(يوسف:١٠٩). إن هذه الآية الشريفة تصرح بما لا يدع مجالاً للتأويل أن كل المرسلين قبل محمد (ص) كانوا من أهل القرى. والقرى هذه تقع في محيط قرية رئيسية عّرفها الكتاب الكريم بأم القرى (**وَمَا كَان رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**)(القصص:٥٩). وهناك آية أخرى تدلنا بوضوح أين تقع أم القرى المركزية ومن هو الرسول الذي بعثه الله فيها وما هو الكتاب الذي أنزل إليه (**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**)(الشورى:٧). وفي آية أخرى نقرأ خطاباً منزلاً على النبي الكريم (**وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ**

---

(406)- BIBLES http://www.theophilos.sk/lib01.htm -

(407)- BIBLES http://www.theophilos.sk/lib01.htm

حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ)(الأنعام:٩٢). ومن أم القرى وما حولها من القرى تنطلق الرسالة العالمية إلى الجنس الإنساني قاطبة حول الكرة الأرضية (**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّه إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**)(الأعراف:١٥٨).

تدلنا مجمل الآيات أعلاه على أن مكة هي أم القرى التي بُعث فيها محمد بن عبد الله (ص) رسولاً ليكون لها ولما حولها من القرى نذيراً. فلا بدّ إذن بنصّ الكتاب المنّزل أن تكون مكة وبناتها المحيطات بها من القرى المجاورة منطلقاً لكل المرسلين من الأولين والآخرين. فكما ثبت لنا سلفاً أن إبراهيم (ع) بُعث في حوران النجدية التي تقع على مسافة نحو ٣٠٠ كيلومتر من مكة، فهي إذن قرية تابعة لمكة. فأين تقع قرية موسى وزكريا وعيسى ويحيى وداوود وأيوب وسليمان وذو الكفل وإدريس وهود وصالح وشعيب ونوح وآدم (ع).. الخ إلى جانب كل نبي لم تُقصّ علينا قصته؟ والإجابة أنهم كلهم بُعثوا بنص القرآن في القرى وأمهم مكة، أي أن جميع المرسلين بعثوا في مكة وما حولها حصرياً. ولا علاقة للقبط أو الشام أو روما أو العراق أو أي بلد آخر في الدنيا غير مكة والقرى المجاورة لها بمواقع التنزيل السماوي. فأين تقع قرية موسى (ع) في ضوء هذا الفهم الجديد القديم؟

غزو نوبخت نصر للحجاز - عام التفرق

"فحصدتهم سيوف بختنصر. وقد كان الله عزوجل، وهو أعلم، أمر ارميا بن حلقيا، وكان نبى اسرائيل في ذلك الزمان، أن يأتي مكة فيخرج منها معد بن عدنان الذى من ولده محمد صلى الله عليه الذى يبعثه في آخر الزمان . فانطلق، فأخرجه وهو شاب، فأتى به الشام حتى إذا أقلع بختنصر عن العرب، رده إلى مكة، وأرض العرب خاوية فولد لمعد بها أولاد. فلما كثروا، اقتسموا تهامة أسباعا ! لكل قوم سبع. فلما كثروا تضايقوا وتنافسوا ووقعت بينهم الحروب وانتشروا يطلبون المراعى والاتساع. فظهروا عن تهامة إلى النجود . ولهذا قصص طوال في تفرقهم ومجالهم. فكان تاريخ العرب من عام التفرق، وخروج ولد معد من مكة. ثم

ارّخوا من عام الغدر. فكان ذلك تاريخ قريش إلى عام الفيل"[٤٠٨] إن عام التفرق هذا الذي يذكره البغدادي هو العام الذي زلزل فيه نبوخت نصر الحجاز ووضع يده عليها وعلى أهلها من مكة إلى حضور باليمن وهي المنطقة التهامية التي كانت تمر بها أهم خطوط التجارة العالمية آنذاك قبل أن تصل إلى العراق والشام والقبط وأوروبا .

وكان يسيطر على أهم أمصارها أبناء بني إسرائيل الذين تخصصوا في استيطان الأمصار التجارية منذ زمن يوسف (ع) حتى يومنا هذا وأخذوا يملون على مركز اقتصاد العالم القديم - الجزيرة العربية — ومركز العالم الحديث — نيويورك - قواعد اقتصاده التي مثلت بذور نشأة النظام الرأسمالي وابتدعوا النظام الربوي في الأسواق الاستراتيجية والذي من أثره إيقاع الأضرار على كل الأمم التي تنتظر وصول البضائع عبر قوافل التجارة، لتجد أسعارها لا تُحتمل كما أوضح لنا بليني سابقاً . وهذا يفسر لنا التحذير القرآني الذي خاطب بني إسرائيل مراراً على لسان أنبياء اللّه والذي يحمل البعد الاقتصادي في الدعوة كما جاء على لسان شعيب لقومه (**أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ* وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ* وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**)(الشعراء:١٨٣). وفي آية أخرى نقرأ (**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ* وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**)(الأعراف:٨٦-٨٥). وقد جاء في تفسير "**وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ**" كما ينقل ابن كثير عن ابن عباس "**ولا تقعدوا بكل صراط توعدون أي تتوعدون الناس بأخذ أموالهم من مكوس وغير ذلك وتخيفون السبل. قال السدى في تفسيره عن الصحابة: "ولا تقعدوا بكل صراط توعدون" إنهم كانوا يأخذون العشور من أموال المارة. وقال إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس قال: كانوا قومًا طغاة بغاة يجلسون على الطريق،**

---

[٤٠٨] - البغدادي، كتاب المحبر، ص٥ .

يبخسون الناس، يعنى يعشرونهم وكانوا أول من سنَّ ذلك"[٤٠٩] ولفظة "مكوس" المذكورة في المقتبس – جمع مكس – هي لفظة عربية جاءت على لسان ابن عباس وتعني ضريبة البضاعة[٤١٠] وقد اندثر استخدامها بين العرب اليوم ولكنها مازالت تستخدم في الغرب بعد أن تحورت من ماكس إلى تاكس (Tax). ويتضح هذا المعنى أكثر في ضوء المعجم القانوني للفاروقي حيث يقول "**مكس أو رسم تسويق بضاعة : جعل معلوم يدفع لصاحب السوق أو المسؤول عنها نظير ما يعرض فيها للبيع. جسر مكس: بتقاضي رسم معين ممن يعبره (toll-bridge) جابي ضرائب أو مكوس، ماكس أو (toll-gatherer)**"[٤١١] ويحاول التجار استرجاع هذه الضرائب الجائرة على البضائع والمتراكمة أثناء تنقلها برفع سعر السلعة التي تحتسب في نهاية المطاف على المستهلك والدول المستقبلة لهذه البضائع مما يسبب تضخم الأسعار وغلاءها مما ينعكس سلباً على اقتصاد الدول. ولتقريب الصورة ينقل لنا الجبرتي أثر المكس على الاقتصاد كما حدث في إحدى حقب القاهرة "**إنه تقيد بأبواب القاهرة بعض من نصارى القبط ومعهم بعض من العسكر فصاروا يأخذون دراهم من كل من وجدوا معه شيئًا سواء كان داخلاً أو خارجًا بحسب اجتهادهم وكذلك ما يجلب من الأرياف وزاد تعديهم فعم الضرر وعظم الخطب وغلت الأسعار وكل من ورد بشيء يبيعه يشتط في ثمنه ويحتج بأنه دفع عليه كذا وكذا من دراهم المكس فلا يسع المشتري إلا التسليم لقوله والتصديق له وقبول عذره والسبب في ذلك أن الذين تقيدوا بديوان العشور بساحل بولاق دسَّ عليهم بعض المتقيدين معهم من الأقباط بأن كثيراً من المتاجر التي يؤخذ عليها العشور يذهب بها أربابها من**

---

[٤٠٩] – ابن كثير، قصص الأنبياء، ج٢، ص٢٧٧.

[٤١٠] – "والمَكْسُ: ما يأْخذه العَشّار؛ يقول: كلُّ من باع شيئاً أُخِذَ منه الخَراجُ أَو العُشر وهذا مما أنف منه. وقد قيل في الإتاوة: إنها الرَّشْوة، وقيل: كل ما أُخذ بكُرْه أَو قُسم على قوم من الجباية وغيرها إِتاوة؛ وخص بعضهم به الرَّشْوة على الماء، وجمعها أُتًى نادر كأنه جمع أُتْوَة، وفي قوله مكس درهم أي نقصان درهم بعد وجوبه . و مَكَسَ في البيع يَمْكِسُ، بالكسر، مَكْساً و مَكَسَ الشيءُ . نقص . و مُكِس الرجل: نُقِصَ في بيع ونحوه". ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٢٢١.

[٤١١] – الفاروقي، المعجم القانوني، ج٢، ص٦٩٨.

طريق البر ويدخلون بها في أوقات الغفلة تحاشيًا عن دفع ما عليها وبذلك لا يجتمع المال المقرر بالديوان"[٤١٢].

ما نطرحه هنا هو أن سبب مجيء نبوخت نصر إلى المنطقة الاقتصادية في الجزيرة العربية كان تحديداً لعزل من أشاعوا بطمعهم الربوي الفساد الاقتصادي العالمي آنذاك فأثّروا بذلك على الاقتصاد العراقي عن بعد، وشكلوا خطورة على مرفق مهم من مرافق الدولة. والجدير بالذكر معرفة أول ما فعله نبوخت نصر لمهاجمة بني إسرائيل في الحجاز والذين كانوا في الأيام الخوالي يعدون من صلب العرب الحجازيين، وهو ما يتجلى في هذا الخبر عن الطبري "**فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليهم بالتجارات والبياعات ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم حيرًا على النجف وحصنه ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرساً وحفظة ثم نادى في الناس بالغزو فتهابوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت إليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين"**[٤١٣] بعدها انطلق إلى جبال عسير في سنة ٥٨٦ ق.م حيث كان موطن نشاط بني إسرائيل التجاري وما بقي من مملكة النبي داوود (ع)، وأوقع فيهم وفي من تحالف معهم من الأميين السيف وشتتهم وسبى شيوخهم إلى بابل، وسمي ذلك العام بعام التفرق. وقد أورد البغدادي ما أحدث ذلك الغزو من تغيير سكاني في العرب الكتابيين- بني إسرائيل- والعرب الأميين بمنطقة الحجاز وعسير وأخذ كل العرب يؤرخون تواريخهم إبتداءً من حدث تلك السنة حتى عام الغدر انتقالاً إلى عام الفيل فالهجرة النبوية إلى يومنا هذا.

أزمة أرض والأرض الموعودة الأولى- التزوير الأوّل

عاد جيل جديد من بني إسرائيل إلى عسير بعد ٧٠ عاماً تقريباً من السبي والغربة وهم يعلمون أن مصر البركة في جبال السراة العسيرية والواقعة جنوبي مكة

---

[٤١٢] - الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص٥٠٧.

[٤١٣] - ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، ج١، ص٣٩٧.

ستؤول مرة أخرى إلى الأميين من قبائل المنطقة، فابتدعوا وثيقة "الأرض الموعودة" وهم ببابل[٤١٤] عن طريق وضع قراطيس التوراة السريانية ككتاب مقدس يجمع بني إسرائيل ثقافياً. وفي هذا الصدد يقول الصليبي "**وقام في بابل، بعد عزرا، من استمرّ في العمل على جمع المدونات الإسرائيلية الموروثة، وإعادة ترتيب محتوياتها، والإضافة إليها، حتى اكتمل هذا العمل في أواخر القرن الرابع أو بداية القرن الثالث قبل الميلاد. وبذلك أصبح لليهود "كتاب مقدس" متفق على مضمونه ويبدو أن المؤسسة الصادوقية التى أشرفت على إخراج هذا الكتاب حرصت على أن يأتي هذا الإخراج مقبولاً ليس فقط من اليهود التابعين لتعليم عزرا بل الذين بقوا يعقدون الآمال على "مسيح" من بيت داوود يعيد الملك إلى إسرائيل وذلك بالإبقاء على الأسفار المحببة لدى هؤلاء ومنها أسفار الأنبياء من أمثال حجّي وزكريا والذين انتصروا لزربابل في زمانه**"[٤١٥]. فقد حرّفوا التوراة في هذا الكتاب لتكون وسيلتهم لاسترداد مصر التجارية . وكان تبرير هذا الجيل الجديد العقائدي لفعلهم الشنيع هذا وهم يعلمون مدى خطورته على ميثاقهم مع الله هو قولهم "**سيُغفر لنا**" كما جاء في كتاب الله (**فَخَلَفَ من بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مُّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**)(الأعراف:١٦٩). فقسّموا من خلال هذا الكتاب السرياني الجزء التهامي من الأرض الحجازية على مجموع عشائرهم من بني يعقوب بعد أن جاءوا إلى عسير بوثيقة عقارية مزورة اسمها سفر يشوع الذي يكاد يكون مكرساً لأطروحة[٤١٦]

---

(414) -The Ark of the Covenant and the Temple of Solomon- http://www.cassiopaea.org/cass/biblewho1.htm

(٤١٥) - كمال الصليبي، البحث عن يسوع، ص٣١.

(٤١٦) - سفر يشوع ١٨-٢٠ " وَبَعْدَ أن تَمَّ اسْتِيلاَءُ الإِسْرَائِيلِيِّينَ عَلَى الأَرْضِ اجْتَمَعُوا فِي شِيلُوهَ، حَيْثُ نَصَبُوا خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ. ٢ وَكَانَ هُنَاكَ سَبْعُ أَسْبَاطٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَتَسَلَّمُوا بَعْدُ نَصِيبَهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ. ٣ فَقَالَ يَشُوعُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «حَتَّى مَتَى أَنتُمْ مُتَقَاعِسُونَ عَنِ الشُّرُوعِ فِي امْتِلاَكِ الأَرْضِ الَّتِي وَهَبَهَا لَكُمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ؟ ٤ انْتَخِبُوا ثَلاَثَةَ رِجَالٍ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ، فَأُرْسِلَهُمْ لاِسْتِكْشَافِ

الأَرْض وَتَخْطيطهَا بمُوْجب انصبَتهمْ، ثُمَّ يَرْجعُوا إلَيَّ. ٥ وَلْيَقْسمُوهَا إلى سَبْعَة أقْسَام، فَيَمْكُثَ سبْطُ يَهُوذَا ضمْنَ حُدُوده منَ الْجَنُوب، وَيُقيمَ بَيْتُ يُوسُفَ في مَنَاطقهم الْمُعَيَّنَة شمَالاً. ٦ أمَّا انتُمْ فَتُخَطِّطُونَ الأرْضَ وَتَقْسمُونَهَا إلى سَبْعَة أقْسَام وَتُسَجِّلُونَهَا، ثُمَّ تَأْتُونَ إلَيَّ فَأُلْقي بَيْنَكُمُ الْقُرْعَةَ هَهُنَا أمَامَ الرَّبِّ إلَهنَا. ٧ لانهُ لَنْ يَرثَ اللاَّويُونَ نَصيباً مَعَكُمْ إذْ ان كَهَنُوتَ الرَّبِّ هُوَ نَصيبُهُمْ. أمَّا سبْطَا جَاد وَرَأُوبَيْنَ وَنصْفُ سبْط مَنَسَّى فَقَدْ تَسَلَّمُوا نَصيبَهُمْ شَرْقيَّ نَهر الأرْدُنِّ، الَّذي وَهَبَهُ لَهُمْ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ». ٨ فَانطَلَقَ الرِّجَالُ لاسْتكْشَاف الأرْض وَتَخْطيطهَا وَتَسْجيلهَا عَمَلاً بوَصيَّة يَشُوعَ، ثُمَّ الْعَوْدَة إلَيْه ليُلْقيَ عَلَيْهَا الْقُرْعَةَ في مَحْضَر الرَّبِّ في شيلُوهَ. ٩ فَسَارَ الرِّجَالُ وَتَجَوَّلُوا في الأرْض وَخَطَّطُوهَا وَسَجَّلُوهَا في كتَاب حَسَبَ مَا فيهَا منْ مُدُن بَعْدَ ان قَسَمُوهَا إلى سَبْعَة أقْسَام، ثُمَّ جَاءُوا إلى يَشُوعَ إلى الْمُخَيَّم في شيلُوهَ. ١٠ فَأَلْقَى يَشُوعُ بَيْنَهُمُ الْقُرْعَةَ في شيلُوهَ في مَحْضَر الرَّبِّ، حَيْثُ قَسَمَ الأرْضَ عَلَى بَني إسْرَائيلَ وَفْقاً لأسْبَاطهمْ.

أرض سبط بنيامين

وَهَذَا هُوَ ميرَاثُ سبْط بَنْيَامينَ حَسَبَ عَشَائرهمْ. وَقَعَ نَصيبُهُمْ بَيْنَ ميرَاث سبْطَيْ يَهُوذَا وَيُوسُفَ. ١٢ فَامْتَدَّتْ حُدُودُهُمْ شمَالاً منَ الأرْدُنِّ، وَاسْتَمَرَّتْ صَاعدَةً بإزَاء أريحَا شمَالاً باتِّجَاه الْجَبَل غَرْباً حَتَّى صَحْرَاء بَيْت آونَ. ١٣ وَمنْ هُنَاكَ سَارَتْ إلى جَانب لُوزَ الْجَنُوبي، الَّتي هيَ بَيْتُ إيلَ. ثُمَّ انحَدَرَت الْحُدُودُ إلى عَطَارُوتَ إدَّارَ عَلَى الْجَبَل الْقَائم إلى جَنُوبيِّ بَيْت حُورُونَ السُّفْلَى. ١٤ وَامْتَدَّ التُّخْمُ مُلْتَفّاً نَاحيَةَ الْغَرْب إلى جَنُوبيِّ الْجَبَل الْمُقَابل لبَيْت حُورُونَ وَانتهَاءً بقَرْيَة بَعْل، الَّتي هيَ قَرْيَةُ يَعَاريمَ، الْمَدينَةُ التَّابعَةُ ليَهُوذَا. هَذه هيَ الْحُدُودُ الْغَرْبيَّةُ. ١٥ أمَّا الْحُدُودُ الْجَنُوبيَّةُ فَتَبْدَأُ منْ أقْصَى قَرْيَة يَعَاريمَ باتِّجَاه الْغَرْب حَتَّى تَصلَ إلى مَنْبَع ميَاه نَفْتُوحَ. ١٦ ثُمَّ تَنْحَدرُ حَتَّى سَفْح الْجَبَل الْمُطلِّ عَلَى وَادي ابْن هنُّومَ، الْوَاقع شمَاليَّ وَادي الرَّفَائيِّينَ مُخْتَرقَةً وَادي هنُّومَ مُرُوراً بجَنُوبيِّ مَدينَة أُورُشَليمَ (حَيْثُ يَسْكُنُ الْيَبُوسيُّونَ) إلى ان تَصلَ إلى عَيْن رُوجَلَ. ١٧ ثُمَّ تَمْتَدُّ شمَالاً إلى عَيْن شَمْس فَجَليلُوتَ مُقَابلَ عَقَبَة أَدُمِّيمَ نُزُولاً إلى حَجَر بُوهَنَ بْن رَأُوبَيْنَ. ١٨ حَيْثُ تَمُرُّ بالسَّهْل الشِّمَاليِّ لبَيْت عَرَبَةَ، ثُمَّ تَنْحَدرُ نَحْوَ الْعَرَبَة، ١٩ وَتَتَّجهُ شمَالاً إلى بَيْت حُجْلَةَ وَتَنْتَهي عنْدَ اللِّسَان الشِّمَاليِّ للْبَحْر الْمَيِّت حَيْثُ يَصُبُّ نَهْرُ الأرْدُنِّ. هَذه هيَ الْحُدُودُ الْجَنُوبيَّةُ. ٢٠ أمَّا الْحَدُّ الشَّرْقيُّ فَكَانَ نَهْرَ الأرْدُنِّ. هَذه هيَ أرْضُ سبْط بَنْيَامينَ . ٢١ وَهَذه هيَ مُدُنُ سبْط بَنْيَامينَ حَسَبَ عَشَائرهمْ: أريحَا وَبَيْتُ حُجْلَةَ وَوَادي قَصيصَ، ٢٢وَبَيْتُ الْعَرَبَة وَصَمَارَايمُ وَبَيْتُ إيلَ، ٢٣ وَالْعَوِّيمُ وَالْفَارَةُ وَعَفْرَةُ، ٢٤ وَكَفْرُ الْعَمُونيِّ وَالْعُفْني وَجَبَعُ، وَهيَ في جُمْلَتهَا ستَّ عَشْرَةَ مَدينَةً مَعَ ضيَاعهَا. ٢٥وَأَيْضاً جبْعُونُ وَالرَّامَةُ وَبَئيرُوتُ، ٢٦ وَالْمصْفَاةُ وَالْكَفيرَةُ وَالْمُوصَةُ، ٢٧ وَرَاقَمُ وَيرَفْئيلُ وَتَرَالَةُ، ٢٨ وَصَيْلَعُ وَآلَفُ وَالْيَبُوسيُّ الَّتي هيَ أُورُشَليمُ وَجبْعَةُ وَقرْيَةُ. وَهيَ في جُمْلَتهَا أرْبَعَ عَشْرَةَ مَدينَةً مَعَ ضيَاعهَا. هَذَا هُوَ ميرَاثُ سبْط بَنْيَامينَ حَسَبَ عَشَائرهمْ.

نصيب سبط شمعون

أَمَّا الْقُرْعَةُ الثَّانِيَةُ فَكَانَتْ لِسِبْطِ شِمْعُونَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ، فَكَانَ مِيرَاثُهُمْ ضِمْنَ مِنْطَقَةِ يَهُوذَا، ٢وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى بِئْرِ سَبْعٍ وَشَبَعَ وَمُولاَدَةَ، ٣وَحَصَرَ شُوعَالَ وَبَالَةَ وَعَاصَمَ، ٤وَأَلْتُولَدَ وَبَتُولَ وَحُرْمَةَ، ٥وَصِقْلَغَ وَبَيْتَ الْمَرْكَبُوتِ وَحَصَرَ سُوسَةَ، ٦وَبَيْتَ لَبَاوُتَ وَشَارُوحَيْنَ. وَهِيَ فِي جُمْلَتِهَا ثَلاَثَ عَشْرَةَ مَدِينَةً مَعَ ضِيَاعِهَا. ٧ثُمَّ عَيْنَ وَرِمُّونَ وَعَاتَرَ وَعَاشَانَ. وَهِيَ فِي جُمْلَتِهَا أَرْبَعُ مُدُنٍ مَعَ ضِيَاعِهَا. ٨وَجَمِيعِ الضِّيَاعِ الْمُحِيطَةِ بِهَذِهِ الْمُدُنِ الَّتِي تَمْتَدُّ جَنُوباً حَتَّى بَعْلَةِ بِئْرِ الْمَعْرُوفَةِ بِرَامَةِ الْجَنُوبِ. هَذَا هُوَ مِيرَاثُ سِبْطِ شِمْعُونَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ. ٩وَهَكَذَا حَصَلَ الشِّمْعُونِيُّونَ عَلَى مِيرَاثِهِمْ مِنْ نَصِيبِ سِبْطِ يَهُوذَا لأَنَّ نَصِيبَ يَهُوذَا كَانَ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ. لِذَلِكَ وَرِثَ أَبْنَاءُ شِمْعُونَ مُلْكَهُمْ دَاخِلَ مِنْطَقَةِ يَهُوذَا.

نصيب سبط زبولون

وَجَاءَتِ الْقُرْعَةُ الثَّالِثَةُ لِسِبْطِ زَبُولُونَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ، فَكَانَتْ حُدُودُ مُلْكِهِمْ عِنْدَ سَارِيدَ، ١١إِذِ اتَّجَهَتْ حُدُودُهُمْ غَرْباً إِلَى مَرْعَلَةَ وَوَصَلَتْ إِلَى دَبَّاشَةَ فَالْوَادِي الْمُقَابِلِ لِيَقْنَعَامَ. ١٢ثُمَّ دَارَتْ مِنْ سَارِيدَ شَرْقاً حَوْلَ تُخُومِ كِسْلُوتَ تَابُورَ وَعَبَرَتْ إِلَى الدَّبْرَةِ حَتَّى بَلَغَتْ صُعُداً إِلَى يَافِيعَ. ١٣وَمِنْ هُنَاكَ اتَّجَهَتْ شَرْقاً إِلَى جَتَّ حَافَرَ فَعِتَّ قَاصِينَ، وَاسْتَمَرَّتْ إِلَى رِمُّونَ وَنَيْعَةَ، ١٤الَّتِي الْتَفَّتْ حَوْلَهَا الْحُدُودُ نَحْوَ الشِّمَالِ إِلَى حَنَّاثُونَ حَتَّى انْتَهَتْ عِنْدَ وَادِي يَفْتَحْئِيلَ ١٥فَضْلاً عَنْ قَطَّةَ وَنَهْلاَلَ وَشِمْرُونَ وَيِدَالَةَ وَبَيْتِ لَحْمٍ. فَكَانَتْ فِي جُمْلَتِهَا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَدِينَةً مَعَ ضِيَاعِهَا. ١٦هَذَا هُوَ نَصِيبُ سِبْطِ زَبُولُونَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ مِنَ الْمُدُنِ وَضِيَاعِهَا.

نصيب سبط يساكر

وَجَاءَتِ الْقُرْعَةُ الرَّابِعَةُ لِسِبْطِ يَسَّاكَرَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ. ١٨فَامْتَدَّتْ حُدُودُهُمْ إِلَى يَزْرَعِيلَ وَالْكِسْلُوتَ وَشُونَمَ، ١٩وَحَفَارَايِمَ وَشِيئُونَ وَانَاحَرَةَ، ٢٠وَرَبِّيتَ وَقِشْيُونَ وَآبَصَ، ٢١وَرَمَةَ وَعَيْنِ جَنِّيمَ وَعَيْنِ حَدَّةَ وَبَيْتِ فَصِّيصَ. ٢٢وَبَلَغَتِ الْحُدُودُ تَابُورَ وَشَحْصِيمَةَ وَبَيْتَ شَمْسٍ وَانْتَهَتْ عِنْدَ نَهْرِ الأُرْدُنِّ، فَكَانَتْ فِي جُمْلَتِهَا سِتَّ عَشْرَةَ مَدِينَةً مَعَ ضِيَاعِهَا. ٢٣هَذَا هُوَ مِيرَاثُ سِبْطِ يَسَّاكَرَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ مَعَ الْمُدُنِ وَضِيَاعِهَا.

نصيب سبط أشير

وَجَاءَتِ الْقُرْعَةُ الْخَامِسَةُ لِسِبْطِ أَشِيرَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ. ٢٥فَشَمَلَتْ حُدُودُهُمْ مُدُنَ حَلْقَةَ وَحَلِي وَبَاطَنَ وَأَكْشَافَ. ٢٦وَأَلَمَّلَكَ وَعَمْعَادَ وَمِشْآلَ، وَوَصَلَتْ غَرْباً إِلَى الْكَرْمَلِ وَشِيحُورِ لِبْنَةَ. ٢٧أَمَّا شَرْقاً فَقَدِ امْتَدَّتْ إِلَى بَيْتِ دَاجُونَ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى تُخُومِ زَبُولُونَ وَإِلَى وَادِي يَفْتَحْئِيلَ شِمَالِيَّ بَيْتِ الْعَامِقِ وَنَعِيئِيلَ، ثُمَّ اتَّجَهَتْ شِمَالاً نَحْوَ كَابُولَ ٢٨وَعَبْرُونَ وَرَحُوبَ وَقَانَةَ إِلَى صَيْدُونَ الْعَظِيمَةِ. ٢٩ثُمَّ رَجَعَتِ الْحُدُودُ إِلَى الرَّامَةِ وَإِلَى الْمَدِينَةِ الْمُحَصَّنَةِ صُورٍ، ثُمَّ اسْتَدَارَتْ نَحْوَ حُوصَةَ وَانْتَهَتْ عِنْدَ الْبَحْرِ

"الأرض الموعودة المقدسة" وجعلوها لبني إسرائيل دون بني إبراهيم لعلمهم أن في الأرض قسم من بني إبراهيم أيضاً. فميزوا عشائرهم عن بني عمهم إسماعيل طمعاً في استرجاع المواقع الاستراتيجية بخداع الأميين.

فكما ذكر البغدادي في المقتبس أعلاه اقتسموا تهامة إلى سبعة أقسام، حيث جعلوا سفر يشوع يقسم الأرض سبعة أقسامٍ على عوائل بني يعقوب. ولا يمكن القول

الأَبْيَض الْمُتَوَسِّط في كُورَة أَكْزِيبَ ٣٠وَعُمَّةَ وَأَفِيقَ وَرَحُوبَ. فَكَانَتْ في جُمْلَتِهَا اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ مَدِينَةً مَعَ ضِيَاعِهَا. ٣١هَذَا هُوَ نَصِيبُ سِبْطِ أَشِيرَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ مَعَ الْمُدُنِ وَضِيَاعِهَا.

نصيب سبط نفتالي

وَجَاءَت الْقُرْعَةُ السَّادِسَةُ لِسِبْطِ نَفْتَالِي حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ، ٣٣فَكَانَتْ حُدُودُهُمْ تَمْتَدُّ مِنْ حَالَفَ إِلى شَجَرَةِ الْبَلُّوط فِي صَعَنَنِّيمَ إِلى أَدَامِي النَّاقِب وَيَبْنِئِيلَ حَتَّى لَقُّومَ، وَانتَهَتْ عِنْدَ نَهْرِ الأُرْدُنِّ. ٣٤ثُمَّ ارْتَدَّت الْحُدُودُ غَرْباً إِلى أَزْنُوت تَابُورَ وَاتَّجَهَتْ مِنْ هُنَاكَ إِلى حُقُّوقَ حَتَّى بَلَغَتْ حُدُودَ زَبُولُونَ جَنُوباً، وَوَصَلَتْ إِلى أَشِيرَ غَرْباً وَإِلى حُدُود يَهُوذَا عِنْدَ نَهْرِ الأُرْدُنِّ شَرْقاً. ٣٥وَضَمَّتْ حُدُودُهَا مُدُناً مُحَصَّنَةً هِيَ: الصِّدِّيمُ وَصَيْرُ وَحَمَّةُ وَرَقَّةُ وَكِنَّارَةُ، ٣٦وَأَدَامَةُ وَالرَّامَةُ وَحَاصُورُ، ٣٧وَقَادَشُ وَإِذْرَعِي وَعَيْنُ حَاصُورَ، ٣٨وَيِرْأُونُ وَمَجْدَلُ إِيلَ وَحُورِيمُ وَبَيْتُ عَنَاةَ وَبَيْتُ شَمْسٍ، وَهِيَ فِي جُمْلَتِهَا تِسْعَ عَشْرَةَ مَدِينَةً مَعَ ضِيَاعِهَا. ٣٩هَذَا هُوَ مِيرَاثُ سِبْطِ نَفْتَالِي حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ مَعَ الْمُدُنِ وَضِيَاعِهَا.

نصيب سبط دان

وَجَاءَت الْقُرْعَةُ السَّابِعَةُ لِسِبْطِ دَان حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ. ٤١وَشَمَلَتْ حُدُودُهُمْ مُدُنَ صَرْعَةَ وَأَشْتَأُولَ وَعِيرَ شَمْسٍ. ٤٢وَشَعَلَبِّينَ وَأَيَّلُونَ وَيِتْلَةَ ٤٣وَإِيلُونَ وَتِمْنَةَ وَعَقْرُونَ، ٤٤وَإِلْتَقْيَهَ وَجِبَّثُونَ وَبَعْلَةَ، ٤٥وَيَهُودَا وَبَنِي بَرَقَ وَجَتِّ رِمُّونَ، ٤٦وَمِيَاه الْيَرْقُونَ وَالرَّقُّونَ مَعَ الْحُدُود الْمُقَابِلَة لِيَافَا. ٤٧غَيْرَ ان الدَّانِيِّينَ وَاجَهُوا مَصَاعِبَ فِي تَمَلُّك مِنْطَقَتِهِمْ، فَهَاجَمُوا مَدِينَةَ لَشَمَ وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا وَقَضَوْا عَلَيْهَا بِحَدِّ السَّيْف، ثُمَّ أَقَامُوا فِيهَا وَدَعُوهَا دَان كَاسْمِ دَان أَبِيهِمْ. ٤٨هَذَا هُوَ نَصِيبُ سِبْطِ دَان حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ مَعَ الْمُدُنِ وَضِيَاعِهَا.

نصيب يشوع بن نون

وَلَمَّا تَمَّ تَوْزِيعُ الأَرْض بِمُوجب تَخْطِيط حُدُودِهَا، أَعْطَى بَنُو إِسْرَائِيلَ يَشُوعَ بْنَ نُون مِيرَاثاً بَيْنَهُمْ. ٥٠عَمَلاً بِأَمْرِ الرَّبِّ، فَوَهَبُوهُ مَدِينَةَ تِمْنَةَ سَارَحَ الَّتِي فِي جَبَلِ أَفْرَايِمَ الَّتِي طَلَبَهَا، فَبَنَى الْمَدِينَةَ وَسَكَنَ فِيهَا. ٥١فَكَانَتْ هَذِه هِيَ الانصبَةُ الَّتِي قَسَمَهَا أَلِيعَازَارُ الْكَاهِنُ وَيَشُوعُ بْنُ نُون وَرُؤَسَاءُ أَسْبَاط إِسْرَائِيلَ بِالْقُرْعَةِ فِي شِيلُوهَ فِي مَحْضَرِ الرَّبِّ، عِنْدَ بَاب خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، وَانتَهَوْا مِنْ قِسْمَةِ الارْضِ.

إنهم تمكنوا من الحصول على قسمة سفر يشوع الضيزى لأن المساحة المطلوبة أكبر من أن تكون خالية من السكان. فتجمهروا في مكان ما في تهامة بعد عودتهم من السبي حتى ضاق عليهم المكان فتقاتلوا فيما بينهم "**فظهروا عن تهامة إلى النجود**"[٤١٧] كما أورد البغدادي. وفي يقيننا أنهم انتشروا في أمصار الجزيرة العربية كجاليات وعوائل وفقدوا تجمعهم وميثاقهم الإلهي بعد جرأتهم على الله ورسله وتقولهم على الله ما لم ينزل به سلطاناً.

ومن أهم الأمصار التي نزحوا إليها كجاليات مصر يثرب التي تقع على مفترق طرق تجاري فهي مصر استراتيجية، ومنهم من مكث فيها جيلاً بعد جيل حتى البعثة النبوية المحمدية. وكان لهم وجود كذلك في مكة التي كانت تُعرف بمكربة، وكان لهم وجود في خيبر، وتيماء، ومنهم من انتقل شمالاً إلى غزة فبنوا لهم هناك هيكلاً شبيهاً بالهيكل الأصل- الذي أقامه داوود (ع) بجبال عسير- ودعوه بهيكل سليمان تيمناً، وهو ما ابتلي به المسلمون إلى اليوم. كما أن منهم من هاجر إلى القبط ومنهم من عاد إلى بابل ومنهم من هاجر إلى فارس، ومنهم من استقر في اليمن حيث أهم الأمصار القريبة من موانئ بحر العرب وبنوا هناك هيكل سليمان تيمناً أيضاً ولا زالت آثاره قائمة حتى اليوم في مدينة مأرب القديمة كما هو واضح في الصورة رقم ٢٤، والتي نقل لنا الدكتور عدنان ترسيسي رسمها[٤١٨]. كما يذكر ابن العبري أن حونيا رئيس كهنة اليهود بنى هيكلاً في القبط أيضاً وذلك في زمن بطلميوس أفيفانوس الذي تلا زمن وضع "السبعونية"[٤١٩]. وظل الحلم يراود قياداتهم وكهنتهم للمّ شمل اليهود من الشتات بتحقيق حلم سفر يشوع الوهمي منذ ذلك الزمان.

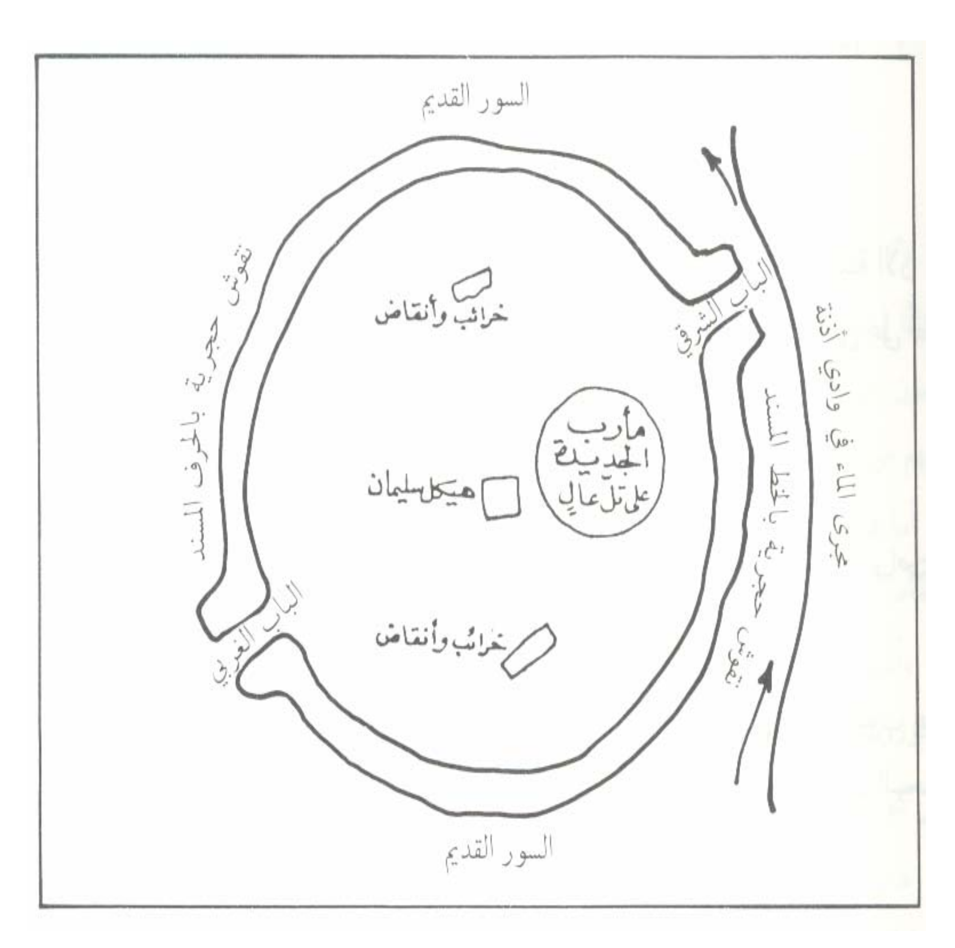
---

[٤١٧] - الفيروز آبادى، القاموس المحيط، ج١، ص ٣٤٠: "النجد : ما أشرف من الأرض ، ج : انجد وانجاد ونجاد ونجود ونجد، وجمع النجود : أنجدة، و = الطريق الواضح المرتفع، وما خالف الغور، أي : تهامة، وتضم جيمه مذكر، أعلاه تهامة واليمن، وأسفله العراق والشام، وأوله من جهة الحجاز ذات عرق "

[٤١٨]- عدنان ترسيسي، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، ص٢٦٣.

[٤١٩] - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣١.

بعد أن استوطنت بعض الجاليات اليهودية أمصار الشام كما ذكرنا آنفاً وبنوا فيها هيكل سليمان المّقلد كما فعلوا في اليمن والقبط ليذكرهم بالماضي المجيد في الحجاز، سنحت الفرصة في عهد بطليموس حاكم القبط الإغريقي عام ٢٨٢ ق.م والذي أبدى استعداده لجعل بلاد القبط المحتلة حديثاً محجاً للناس لتدرّ على خزائن الدولة المزيد من المال.



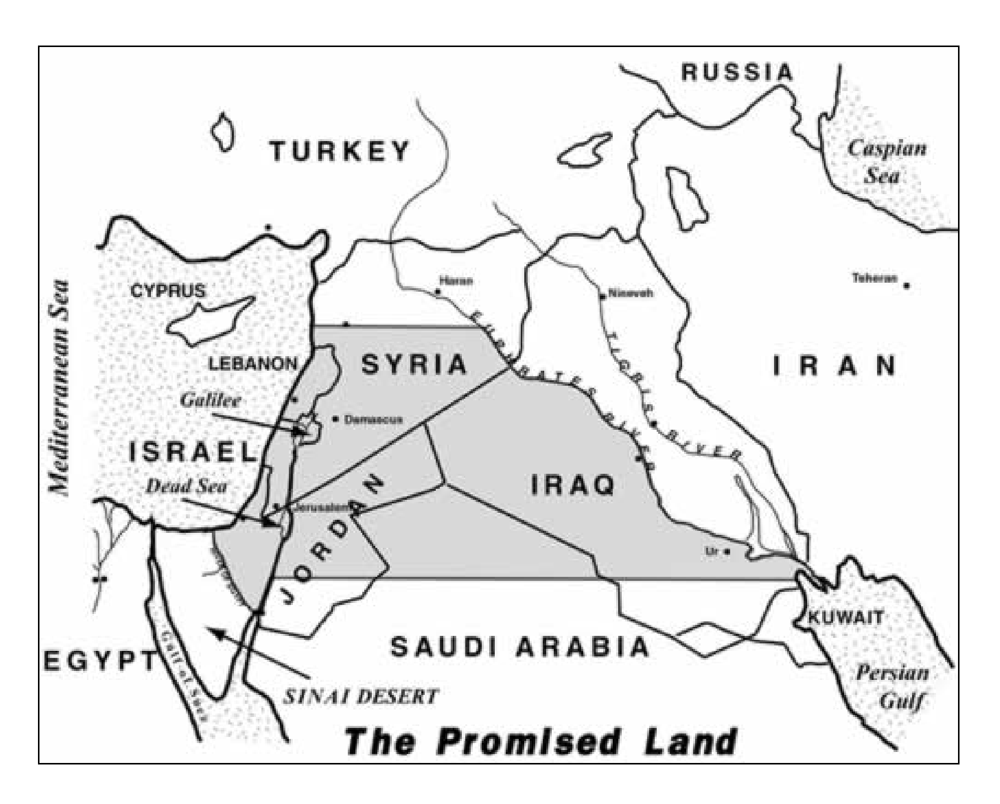
الصورة رقم ٢٤: رسم لبقايا لآثار أحد هياكل سليمان (ع) التيمنية في اليمن

وأبدى أئمة اليهود في المقابل استعداداً للتعاون عن طريق مباركة مملكة القبط المحتلة بإسقاط أسماء بعض الأنبياء فيها وتحويلها إلى أرض قدسية وطأتها أقدام إبراهيم وموسى ويوسف (ع) لا سيما أن بها نهراً يمكن إسقاط أحداث موسى (ع) عليه منذ أن كان رضيعاً إلى حادثة شقّ اليم. وبذلك تمّ اجتماع الكهنة ليخرجوا على الناس بكتاب اسمه "السبعونية" حوّل مصر الواردة في التوراة السريانية إلى القبط وحوّل المصريين إلى الأقباط واستغلوا ظاهرة التيمن بتحويل حوران نجد إلى حاران الشام، ويم الجزيرة إلى فرات العراق، وكسد أو قصد إلى أور، وأخفوا ما لا يمكن تحويره وأضافوا ما تلزم إضافته ودّونوا كلَّ ذلك بعد خلطه بكلام اللّه في كتاب يوناني الرسم أسقطوا عليه اسم التوراة وألبسوه رداء "هذا من عند اللّه"، فدخل العالم بذلك في التيه منذ سنة ٢٨٢ قبل الميلاد إلى يومنا هذا. وهكذا وضعوا أيدلوجية الأرض الموعودة (انظر الخريطة رقم ٤٩) المعروفة في العالم بل حتى بين المسلمين والذين يكادون يعترفون بها على خجل بسبب تواتر أقوال بعض مؤرخينا بشأن صحتها بعد أن اعتمدوا عن حسن نية جغرافيا أنبياء التوراة.

والخلاصة أن سفر يشوع وغيره ترك سجلاً جيداً للتعرف على أسماء الأراضي التي كانوا يحلمون بها في تهامة. ولكن لم يتعّرف أحد على هذه الأسماء الواردة في الأسفار المحرّفة طوال هذه المدة لاعتقاد الناس والمتخصصين أن الأرض الموعودة تقع في الشام وفي فلسطين تحديداً كما روجت التوراة المحّرفة منذ عهد "السبعونية". بيد أن هناك من تنبه لهذه الحقيقة ومنهم زياد منى وكمال الصليبي وأحمد داوود ومن قبلهم فيلكوسكي (Immanuel Velikovsky) الذي أشار في أحد كتاباته أن قادس (Kadesh Barnea) هي مكة المكرمة ومدين موسى هي المدينة المنورة[٤٢٠] ولعل هناك من نحا هذا المنحى ممن كان قبلهم ولكن صوتهم لم يصلنا.

---

[420]- Considerations on the Exodus Debate- http://www.specialtyinterests.net/kadesh_barnea.html



خريطة رقم ٤٩: جّل هدف تزوير التوراة السبعونية القديم وعبثها بكلام الله هو الوصول إلى هذه الخريطة والتي تحدد الأرض الموعودة التوراتية لبني اليهود وحدودها من الفرات العراقي إلى النيل القبطي

كل أراضي سفر يشوع بعسير

خلافاً لبحث فيلكوسكي المقتضب، وضع زياد منى في كتابه جغرافيا التوراة -مصر وبنو إسرائيل في عسير، جداول جغرافية - تاريخية مفصّلة لمجموعة كبيرة من الأراضي التي ورد ذكرها في سفر يشوع وذلك بعد أن اهتدى لتشابه غريب يأخذ بالأعناق بين ما جاء في السفر المعني ومسميات قرى ومناطق مازالت قائمة في منطقة عسير بالجزيرة العربية والتي تنسجم أكثر من تلك المسميات في الشام التي تفتقر إلى

المصداقية بالنسبة لعمرها التاريخي المفترض والمحشورة والملوية لفظا لتبدو منسجمة مع ما جاء في التوراة المحرّفة. والجدير بالذكر أن كمال الصليبي في كتابة – "التوراة جاءت من جزيرة العرب" – سبق في تحديد "الأرض الموعودة الأولى" كما فصّلها الفريق اليهودي البابلي ولكن بتعيين أسماء العشائر المتناثرة في الجزيرة العربية بمنهجية لغوية، ووصل إلى نتيجة مفادها أن الأراضي المعنية في التوراة هي أراضٍ تقع في جزيرة العرب وفي جبال السراة التهامية وتحديداً في منطقة عسير. كما وصل الى نفس النتيجة الدكتور أحمد داوود إذ عرّف معالم مملكة داوود تراثياً وحدد موقع مدينة أورشليم التي تبيّن له أنها مجرد مغارة تقع على تقاطع خط تجاري قديم قرب مدينة الباحة جنوب مكة. ووصل إلى نتيجة مفادها أن بني إسرائيل ما هم إلا عشيرة من بضع مئات من العرب السريانين الذين كانوا يقطنون منطقة عسير منذ أيام موسى(ع).

ورسم أحمد داوود خريطة ما يسمى بالأرض الموعودة الأولى في منطقة عسير بعد أن كشف زيفها في كتابة القيم "العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود". فيمكن القول إن هذه الكتب القيمة الثلاثة شكّلت بداية النهاية لكابوس التزوير العالمي التاريخي الذي طالما دأب أئمة اليهود في العمل على أن لا ينكشف أمره في يوم ما. ونحن ببحثنا هذا نضيف بعداً آخر للقضية حيث عمدنا إلى تحليل ونسف المعتقد الشائع بأن القرآن وتراث العرب قد زكيا جغرافيا كهنة اليهود الغابرين المشاعة في العالم. كما تتبعنا مصادره وطريقة اختراقه وكيفية استقراره في وعي النخب الماضية وتواريخ حدوثه ومكامن قوته والتي وجدنا أنها انبثقت من التوراة السبعونية الإغريقية المحرّفة وتمحورت حول تكبيل عقول الناس بقيد "هذا من عند اللّه" اليهودية لينحروها ثقافياً على مذبح الأرض الموعودة.

موقع مصر موسى في سراة غامد

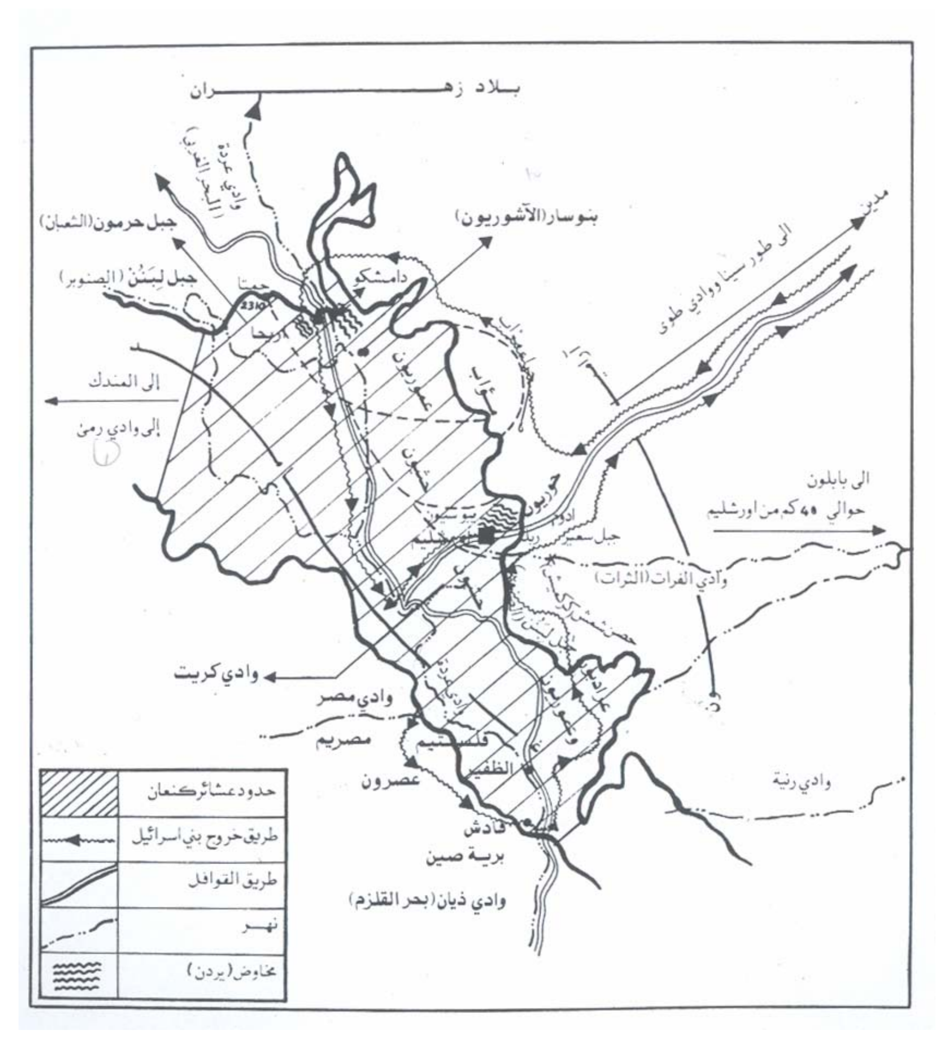
حدد أحمد داوود موقع مصر موسى بتعيين المواقع الجغرافية التي وردت ضمن تقسيمات التوراة لبني إسرائيل، فوجد أنها تقع في أعالي جبال السراة بمنطقة غامد في الجزيرة العربية. واعتمد المؤلف آلية تفكيك النصوص التوراتية ودراسة الراويات

التراثية العربية الخاصة بتاريخ المنطقة للتمكن من تعيين المنطقة المطلوبة. كما أنه رسم خريطة تحدد المنطقة التي رغب أئمة اليهود تأمينها لصالحهم، كما يتضح في الصورة[٤٢١] رقم ٢٥. ويظهر في المنطقة المعنية طريق تجارية لقوافل الإبل مما يدل على وجود حركة تجارية في هذه المنطقة وهو شرط أساسي لتعيين أي مصر كما أوضحنا في هذا البحث. وقد تتبعنا الموقع الذي يقترحه المؤلف على الخرائط الحديثة، كما في الخريطة رقم ٥٠ التي تظهر أن أورشليم تقع قرب مدينة الباحة، كما يقترح أحمد داوود. إضافة لذلك، حدد المؤلف مساحة وموقع كل قسيمة سكنية عيّنها أئمة اليهود لأسباطهم بالنسبة لموقع مغارة أورشليم حسب ما جاء في التوراة .

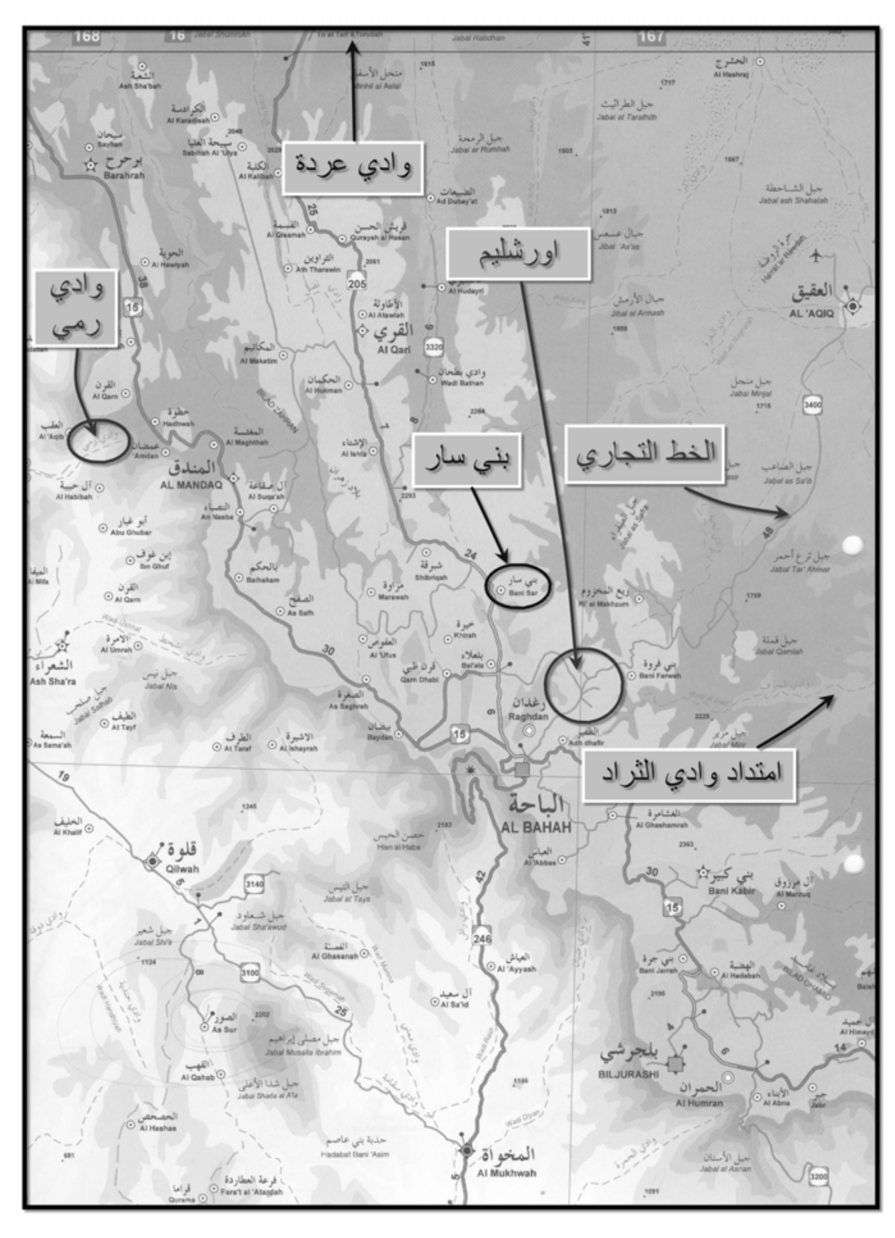
موقع مصر موسى في عسير

عالج الصليبي الموقع بتحديده منطقة "الأرض الموعودة الأولى" لإبراهيم وموسى (ع) كما جاءت في سفر التكوين ١٥ :١٩-٢١ وسفر العدد ٣٤، إذ قام بتحليل أسماء عشر قبائل كانت موجودة على الأرض قبل الوعد الملّفق لإبراهيم، إلى جانب أسماء أراضي ومعالم جغرافية جاءت ضمن وعد موسى (ع). وكانت المفاجأة التي توصل إليها الصليبى أن الأسماء الواردة في التوراة ما هي إلا أسماء عربية لقبائل عربية كانت تستوطن جبال عسير ولا تزال أسماؤها مرتبطة بالقرى والمناطق التي كانوا مقيمين فيها. ليس ذلك فحسب بل إن كل اسم توراتي يقابله أكثر من اسم لقبائل عربية، وهو ما يبدو أن سببه يرجع إلى عادة التيمن القديمة.

[٤٢١] – أحمد داوود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، ص٢٤



صورة رقم ٢٥: الأرض الموعودة الأولى بجبال السراة بالجزيرة العربية بجنوب مكة وهي تحوي مصر يوسف (ع) كما حددها الدكتور أحمد داوود – انظر خريطة رقم ٢٦ لموقع التحديد على الخرائط الحديثة



خريطة رقم ٥٠: موقع اورشليم ومصر بجبال السراة على الخرائط الحديثة

كما حددها أحمد داوود

وقد أورد الصليبي جميع الاحتمالات ومبرراتها حسب المنهج اللفظي الذي اعتمده في آلية التحليل. ويستعرض الجدول التالي عينة من الأسماء العربية المقابلة لتسميات القبائل التي ورد ذكرها في التوراة حسب تحليل الصليبي.

الموقع	أحد الأسماء العربية المقابلة حسب تحليل كمال الصليبي	الاسم التوراتي
جنوب الطائف	قبيلة القواينة	القينيون
منطقة جيزان	القنازير	القنزيون
تهامة غامد	القوادمة	القدمونيون
منطقة الليث	الحاثة	الحثيون
منطقة بني شهر	ال فرزان	الفرزيون
منطقة جيزان	الرفة	الرفائيون
تهامة زهران	الامرة	الاموريون
وادي بيشة	ال كنعان	الكنعانيون
منطقة القنفذة	الجريش	الجرجاشيون
وادي أضم	يباسة	اليبوسيون

وقد أضاف الصليبي دراسة لحدود أرض موسى (ع) الموعودة كما وردت في سفر العدد ٣٤ ووجدها تقع في تهامة عسير أيضا. ويذكر الصليبي أن أورشليم عاصمة مملكة نبي الله داوود (ع) كانت تقع في جبال عسير شمال أبها على مسافة ٣٥ كم شمال مدينة النماص تحديداً حيث تقع قرية ال شريم إلى اليوم. وال شريم هذه تقع إلى جانب قرية ال سلمة التي تبعد عن مدينة النماص مسافة ٣٢ كم. ويمكن لمقارنة

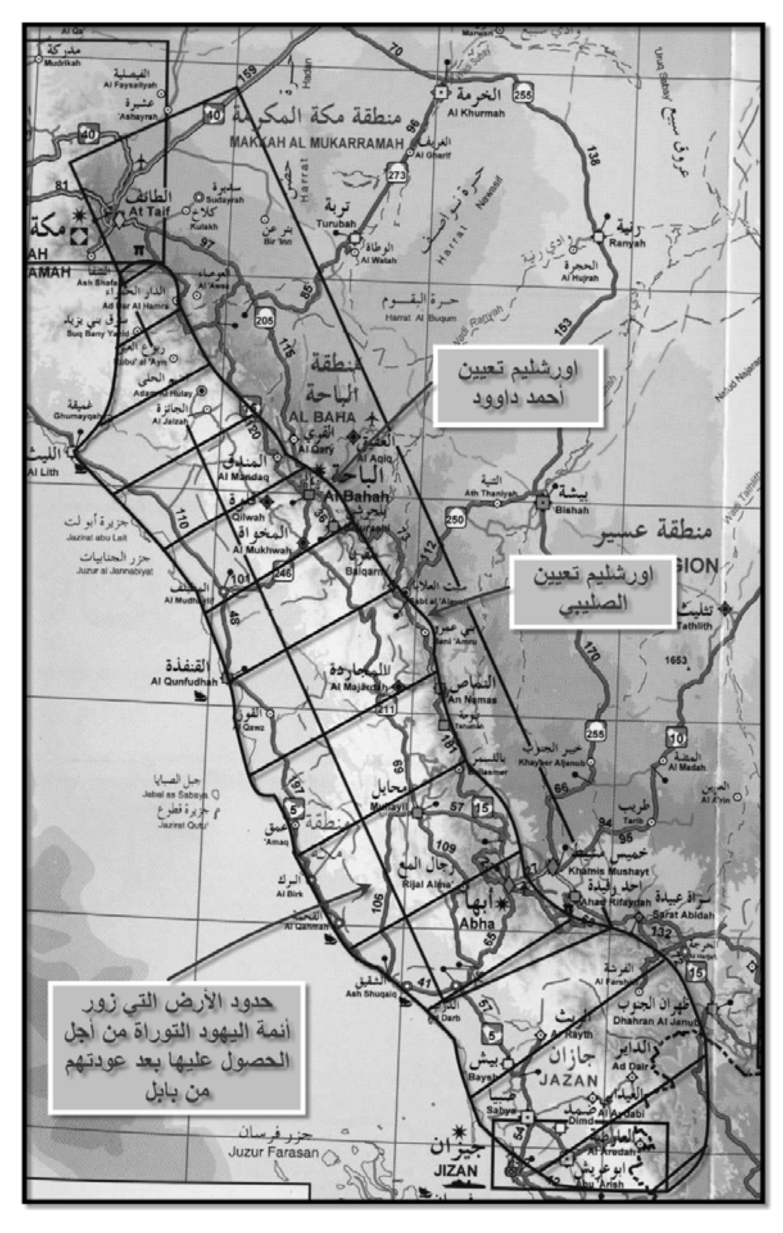
مواقع أحمد داوود والصليبي[٤٢٢] في الخريطة رقم ٥١. ويضيف الصليبي ملاحظة مهمة في هذا الشأن تتعلق بمفهوم مصر ومركزها التجاري فيقول "**والسبب في اختيار مكان مثل ال شريم ليصبح عاصمة لهذه المملكة (مملكة نبي الله داوود(ع))- وقوع البلدة على امتداد الطريق الرئيسية الجبلية شرق جرف عسير، وهي الطريق التي تتصل عند نقاط عدة بطرق القوافل الداخلية شرقًا، وبالطريق الساحلي غرباً، والتي مازالت تستخدم كطريق رئيسية بين الطائف وحدود اليمن إلى اليوم**"[٤٢٣]. ويتطابق شرح الصليبي للطريق التى تتصل عند نقاط عدة بطرق القوافل مع ما أطلقنا عليه الأمصار الاستراتيجية التي تمثل مأكل الكتف لمن يروم تحقيق أقصى الأرباح التجارية بسبب تنوع البضائع الواردة والمتقاطعة.

والجدير بالذكر أنه بإمكاننا معاينة حدود الأراضي التي لفقها أئمة اليهود في وعد إبراهيم على الخرائط الحديثة كما ضبطها الصليبي في كتابه. كما تجدر الإشارة إلى أن وعد الله لإبراهيم (ع) بالاستقرار في أرض رعوية تكفيه وعائلته الصغيرة، وهي التي حوّلها اليهود فيما بعد إلى أيديولوجيا أسطورية، كان يتعلق بأرض يمكن رؤيتها بمدّ البصر كما جاء في الوعد التوراتي المحّرف "**وَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَامَ بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عَنْهُ: «ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أنتَ فِيهِ شِمَالا وَجَنُوبا وَشَرْقا وَغَرْبا لأن جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أنتَ تَرَى لَكَ اعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إلى الأَبَدِ.**"(التكوين ١٣ :١٥) وإن هذه الأراضي التي رآها جدنا النبي الكريم بعينيه البشرية الطاعنة في السن تبلغ كما شاء كتبة التوراة ببابل نحو ٥٥٠ كم طولا و١٢٠ كم عرضا (انظر الخريطة رقم ٥١).

---

[٤٢٢] - كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص١٨٣.

[٤٢٣] - كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص١٩٢.



خريطة رقم ٥١: حدود الأرض الموعودة الأولى والتي لفقها أئمة اليهود في وعد إبراهيم تقع بالجزيرة العربية وبعد أن فشلوا من الحصول عليها قامت التوراة السبعونية بوضع ارض موعودة ثانية من الفراتالعراقي إلى النيل القبط

وليس من قبيل الصدفة أن تحوي هذه الأرض الموعودة المزعومة معظم وأهم خطوط قوافل البخور التجارية المدرة للأموال وأرض الذهب والمعادن وأكثر الأمصار استراتيجية في المنطقة المعروفة بالعربية السعيدة لكثرة خيراتها . فقد فعلوها من قبل مع عفرون بن صوحر حين اغتصبوا حقله بالكامل لسدّ حاجة إبراهيم إلى موضع قبر يقبر فيه جثمان زوجته سارة ، ثم لم يلبثوا أن طالبوا بتهامة بكاملها كي يسكن فيها بضع مئات من بني إسرائيل. وقبل أن ننتقل إلى نقطة أخرى لابد من الإشارة إلى جهود علماء اليهود المعاصرين في عمليات صيانة التزوير القديم. فجغرافيا الخطوط التجارية القديمة، وبخاصة طريق التوابل والبخور الذي يمتد من اليمن إلى الشام، يتواتر ذكره في تاريخ اليهود القدماء مما يفضح جنسيتهم الحقيقة وكونهم عرباً من أعراب الجزيرة العربية وليس من أوروبا الشرقية أو الخزر كما هو شاهد اليوم، أضف إلى ذلك تمركزهم التلقائي على امتداد الخط التجاري مرورا بالحجاز وعسير وتخوم مكة، مما يسبب إرباكاً في جغرافيا التوراة المحرفة التي تعوّل على الشام في كل صغيرة وكبيرة. ولتدارك هذا الخلل قبل أن تتضح ملامحه للباحثين المتحررين من قيد "هذا من عند الله"، سعت اللجان المختصة بصيانة التزوير إلى إحداث المزيد من التزوير في التراث العربي بنقل خط البخور والتوابل من امتداده المعروف بين اليمن والشام إلى موقع أخر. وهاك الخبر كما نقلته عدة مصادر "**وذكرت أليكسو أخيراً أن لجنة التراث العالمي رفضت خلال مؤتمر افتتحته في ٢٨ الشهر الماضي (سنة ٢٠٠٤) في سوزهو شرقي الصين طلبا تقدمت به إسرائيل لتمرير "طريق البخور" عبر صحراء النقب وبالتالي، أبقت اللجنة على المسار الحالي لطريق البخور الذي يمر باليمن وشبه الجزيرة العربية ليصل بعدها إلى المشرق والمغرب العربيين**"[٤٢٤].

---

(٤٢٤) – شبكة العربي الموحد الاخبارية– "إدراج موقعين عربيين على قائمة التراث العالمي – Jul 3, 2004، ١٨ :٢٢– www.4uarab.com

احتمالات أخرى لموقع مصر موسى (ع)

يقول الدكتور أيمن فودة "**ويعتقد أن وجود أبها يعود إلى عهد النبي سليمان (ع) وكان اسمها في ذلك الوقت (هيفا) أو (إيفا) أو (أبقا) ويُختلف في سبب التسمية، والغالب أن الوادي الذي تقع فيه كان يسمى أبها**"[٤٢٥] ومدينة أبها تبعد عن مكة ٥٦٠ كم تقريباً، وتقع على جبال السراة شأنها شأن الباحة والنماص ولكن من جهة الجنوب. ولا نقول إن أبها منافس لطرح الصليبي وداوود، ولكن ما نود قوله هو أن ذاكرة الشعوب القاطنة في جبال السراة بالمملكة العربية السعودية تحوي إلى اليوم بقايا تراث عريق يحمل في طياته أسماء الأنبياء مثل سليمان وداوود وهود وصالح وشعيب وعمران (ع) الخ، كما كشف لنا فودة، ولكن ما من أحد يعير هذه الذاكرة أي اهتمام أو تحقيق وكأن أقوال شعوب منطقة جبال السراة مجرد هذيان تراثي لا يُعتد به، في حين تمّ البتّ في جغرافيا الأنبياء لصالح الأخبار المشاعة بين الناس والتي يعود مصدرها إلى "السبعونية" مروراً بالكثير من المؤرخين العرب الذين نقلوا هذه الأخبار الملوثة عن حسن نية. أمّا الآن ومع تراكم الشواهد والأدلة التي تنسف البنيان العنكبوتي للتوراة المحرفة وكثرة الدلائل التى تشير إلى جبال السراة كموقع لحركة الأنبياء الجغرافية الحقيقية، فقد وجب استكشاف جبال السراة بالاستعانة بعلوم الآثار بعد أن بدأت تلك الجبال تنادي بنداء الحقّ المغيب.

من هو فرعون؟

وأخيراً آن الأوان كي نتعرف على هوية فرعون الشخصية بعد أن تبين لنا أنه شخصية حجازية أو نجدية عاشت في الجزيرة العربية وليس القبط، وعلى جبال السراة بالقرب من مدينة الباحة أو النماص أو أبها تحديداً حيث جرت أحداث جملة من الأنبياء ومن بينهم موسى (ع). وفرعون كان الشخص المتسلط على إحدى أهم محطات أو أمصار تلك المنطقة التجارية، فهو أقرب إلى شخصية شيخ التجار منه إلى

---

[٤٢٥] - أيمن فودة، ذاكرة المكان لملامح من جغرافيا وطبيعة وتراث المملكة العربية السعودية، ص١٣ .

ملك سياسي لدولة عظمى. وكان هذا الطاغوت يُلقب بفرعون، تصغير كلمة فَرّعُ[٤٢٦]، وهي كلمة عربية أصيلة تعني أعلى القوم أو أعلى الشيء[٤٢٧]. وهذا يعني أن مفردة "فرعون" ليست اسماً وإنما لقباً لشيخ المنطقة وزعيمها. وكان فرعون هذا متزوجاً من سيدة مؤمنة تحمل اسماً حجازياً محضاً ذكره رسول الله (ص) في بعض الأحاديث واسمها كما ورد في تراثنا هو "..**امرأة فرعون آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد، الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف (ع) وقيل إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى (ع) وقيل بل كانت عمته**"[٤٢٨].

فكل الدلائل العقلية والتراثية والجغرافية تشير إلى أن فرعون موسى كان أحد سكان جبال السراة في عسير، وقد شغل حيزاً من ذاكرة العرب لما جرى من أحداث إعجازية في عهده على يد موسى (ع). فلابدَّ إذن أن تحفظ ذاكرة العرب اسم هذا الطاغوت كما حفظت لنا اسم زوجته. فهل يوجد في ذاكرة العرب اسم فرعون؟ فهاك هذا الخبر: "**قلت لموسى بن جعفر عليه السلام: أخبرني عن قول الله عز وجل لموسى وهارون: (إذهبا إلى فرعون إنّه طغى، فقولا له قولا لينا، لعله يتذكر أو يخشى)؟ فقال أما قوله: فقولا له قولا لينا - أي كنياه وقولا له يا أبا مصعب وكان اسم فرعون: أبا مصعب الوليد بن مصعب**"[٤٢٩]. إذن، ففرعون له اسم حجازي خالص كما ينبغي له أن يكون. ولدى الحموي مزيد من المعلومات إذ يصف لنا شكله وما ادُعي في نسبه فيقول "**فلما هلك صار بعده فرعون موسى، عليه السلام، وقيل: كان من العرب من بلي وكان أبرش قصيراً يطا في لحيته، ملكها خمسمائة عام ثم**

---

[٤٢٦] - وللعلم فإنّ السريانية سمّته "فرعو/پرعو" والواو الأخيرة للمفرد بدل الضمة كما في توراة الكهنة أي "فرع/فارع" لا فرعون التي هي تصغير "فرع".

[٤٢٧] - ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٢٤٦ .

[٤٢٨] - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦١، ص٢٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٢٧٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٣، ص٥١.

[٤٢٩] - ابن منظور، لسان العرب، ج٣١، ص٣٢٣؛ الجوهري، الصحاح،ج٦، ص٢١٧٧؛ الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٦٧.

غرقه الله وأهلكه وهو الوليد بن مصعب، وزعم قوم أنه كان من قبط مصر ولم **يكن من العمالقة**"[٤٣٠] ففرعون إذن هو الوليد بن مصعب، ويبدو أن الحموي يستنكر إلحاق نسب فرعون إلى القبط وليس العمالقة وهم من القبائل التي سكنت مكة ومحيطها كما جاء في كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور أحمد أمين حيث ينقل أن الإخباريين يذكرون أن "..**العماليق سكنوا مكة والمدينة والحجاز وقد علوا علوا كبيرًا وقد قاتلهم موسى وسكنوا اليهود الحجاز بعد العماليق**"[٤٣١]. كما وورد ذكر العمالقة في التوراة كشعب ملعون تحت مسمى عماليق (Amalek[٤٣٢]) ويبدو أن فرعون كان ينتمي لهذه القبيلة المشهورة في تاريخ العرب القديم ولا يوجد في القبط ذكر للعماليق بخلاف الجزيرة العربية. وفي رواية أخرى للطبري يتضح أن موسى عاش في عهد طاغوتين "**وتراءى الله بطور سيناء وله ثمانون سنة وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني وكانت امرأته آسية ابنة مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول فلما نودي موسى علم أن قابوس بن مصعب قد مات وقام أخوه الوليد بن مصعب مكانه وكان أعتى من قابوس وأكفر وأفجر وأمر بأن يأتيه هو وأخوه هارون بالرسالة**"[٤٣٣]. ولسنا هنا بصدد التحقق من عدد الذين سيطروا على مصر فرعون التجارية في زمن موسى (ع) بل ما يهمنا هو معرفة الأسماء والتمعن في مقاطعها، مما يثبت قطعاً أنها أسماء حجازية محضة وليست قبطية كمقاطع خو- فو، جد- كا- رع، رع- ميس، مر- نبتاح وغيرها من أسماء ملوك القبط. ويذكر صاحب الكامل في التاريخ نسب فرعون بمزيد من التفصيل "**ثم ملك بعده مصر قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق**"[٤٣٤].

---

[٤٣٠] - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٤٠.

[٤٣١] - أحمد أمين سليم، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص١٢١.

[٤٣٢] - سفر الخروج ١٧ :٨.

[٤٣٣] - ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، ج١، ص٢٣١.

[٤٣٤] - الشيباني، الكامل في التاريخ، ج١، ص١١٢.

وقد أحصينا عدد المصادر التراثية التي تورد اسمي قابوس بن مصعب أو الوليد بن مصعب كاسمٍ لفرعون موسى فوجدناها أكثر من ٥٠ مصدرًا[٤٣٥]، مما يدل على أن

---

[٤٣٥] – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٩٤؛

ابن كثير، التفسير، ج١، ص٩٤؛

الصدوق، علل الشرائع، ج١ ص٦٧؛

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٤٠؛

جرير الطبري ، تاريخ الطبري ج١، ص٢٣١ ؛

محمد الشيباني ، الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص ١١٢؛

الشيخ الصدوق ، معاني الأخبار ، ص٥٠ ؛

مولي محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي ، ج ٩ ص ٢٢٠ ؛

الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج ١١ ص ٣٧٣ ؛

علي بن يونس العاملي ، الصراط المستقيم ، ج ٢ ص ٤٥ ؛

العلامة المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٣١ ص ١٥؛

المناوي ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ج ٣ ص ١٢١؛

الشيخ الطوسي ، التبيان ، ج ١ ص ٢٢٠؛

الشيخ الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ج ١ ص ٢٠٣؛

الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ج ٢ ص ٢٢٣؛

الفيض الكاشاني ، التفسير الأصفى ، ج ٢ ص ٧٦٠؛

الشيخ الحويزي ، تفسير نور الثقلين ، ج ٣ ص ٣٨٠؛

السيد الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج ٤١ ص ١٦١؛

إبن جرير الطبري ، جامع البيان ، ج ١ ص ٣٨٥؛

ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج ١ ص ٦٥؛

القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج ١ ص ٣٨٣؛

الثعالبي ، تفسير الثعالبي ، ج ١ ص ٢٣٥؛

الشوكاني ، فتح القدير ، ج ١ ص ٨٢؛

الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٤؛

محمد بن حبيب البغدادي ، كتاب المحبر ، ص ٤٦٧؛

اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ص ١٨٦؛

المسعودي ، أخبار الزمان، ص ٢٦٩؛

القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ج ١ ص ٩٨؛

هذه المعلومة كانت معروفة بين القدماء حتى صدر الإسلام الأول ومن بعدها الحقبة الإسلامية، ولكن اعتراها التشويش والضبابية بسبب إقحام القبط والأقباط قسراً في المرويات مثلما روّجت التوراة "السبعونية" . لذا نجد حتى العلامة ابن خلدون يحاول إيجاد منفذ لهذا التشويش المستشري في زمانه فينقل الحقيقة كما يعرفها مضيفاً إليها أقوالٍ أشباه جوزيف سميث في ذلك الزمان، بغض النظر عن النوايا، ليفسر المرويات المبهمة الشائعة في زمانه ومفادها أن فرعون كان من بلاد القبط وليس من بلاد عسير "**وفرعون يوسف أيضا منهم وهو الريان بن الوليد بن فوران وفرعون موسى كذلك وهو الوليد بن مصعب بن أبى أهون بن الهلوان ويقال إنه قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران وكان الذى ملك مصر بعد الريان بن الوليد طاشم بن معدان وهذا كلام الجرجاني (وقال غيره) الريان فرعون يوسف وهو الذى تسميه القبط نقراوش**"[٤٣٦] . ولنا أن نسأل ابن خلدون،

الجزائري ، قصص الأنبياء، ص ٢٥٩ ؛
الجوهري ، الصحاح ، ج ٦ ص ٢١٧٧ ؛
ابن منظور ، لسان العرب، ج ٣١ ص ٣٢٣ ؛
محمد بن عبد القادر ، مختار الصحاح، ص ٢٥٩ ؛
الفيروز آبادى، القاموس المحيط، ج ٤ ص ٢٥٥ ؛
الشيخ الطريحي، مجمع البحرين، ج ٣ ص ٣٩١ ؛
الزبيدي، تاج العروس، ج ٧ ص ٢٥ ؛
المقدسي ، شذرات الذهب، ج٢ ص ٦٥ ؛
اليافعي ، مرآة الجنان، ج٢ ص ٩٦ ؛
أبو الفرج ، المنتظم، ج١ ص ٣٣٢ ؛
العليمي ، الإنس الجليل، ج١ ص ٧٤ ؛
جمال الدين الأتابكي ، النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٥٨ ؛
ابن اعين، فتوح مصر وأخبارها ، ج١ ص ٧٦ ؛
ابن الجوزي ، تلقيح فهوم أهل الأثر، ج١ ص ٣٣٢ ؛
المناوي ، فيض القدير ، ج٣ ص ٩٣ ؛
العيني ، عمدة القارئ، ج٢ ص ٥٩ ؛
السيد محمد الموسوي، الرحاب الندية في مذهب النصرانية و اليهودية، ص٢٨٢

[436]- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢ ، ص٢٨ .

ماذا تفيد المعلومات عن القبط ونقراوش في سياق الكلام؟ ولماذا يسمى شخصٌ نفسه الريان ويعرفه قومه بهذا الاسم بينما يسميه قوم آخرون لا شأن لهم به ولا شأن له بهم ويبعدون عنه عشرات المئات من الكيلومترات في نفس الحقبة الزمنية بنقراوش؟ إن ما يثير الدهشة بل الاستنكار أن هذه المعلومة كانت معروفة لدى اليهود كما نقلها القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هجرية إذ جاء عنه " **"فرعون" قيل إنّه اسم ذلك الملك بعينه وقيل اسم كل ملك من ملوك العمالقة مثل كسرى للفرس وقيصر للروم والنجاشي للحبشة وان اسم فرعون موسى قابوس في قول أهل الكتاب وقال وهب أسمه الوليد بن مصعب بن الريان ويكنى أبا مرة وهو من بني عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام قال السهيلي وكل من ولى القبط ومصر فهو فرعون وكان فارسيا من أهل اصطخر قال المسعودي لا يعرف لفرعون تفسير بالعربية قال الجوهري فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة وقد تفر عن وهو ذو فرعنة أي دهاء ونكر**"(٤٣٧)، فهل هناك من يسأل أهل الكتاب عن كيف اختفت هذه المعلومة من كتبهم وتراثهم بعد زمن القرطبي ومتى؟! وهل هناك من يسأل العرب لماذا اختفت هذه المعلومة من ثقافتهم ووعيهم رغم أنها منقوشة في كتبهم؟!

أمّا ملك يوسف فاسمه محفوظ في ذاكرة العرب الأصيلة أيضاً، وهو كما جاء في هذا المقتبس الوارد في ذكر أخبار الصّديق يوسف (ع) كما جاء على لسان الطبري والمجلسي وابن كثير "**فأقام في منزل العزيز ثلاث عشرة سنة فلما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون ملك مصر واسمه الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح وإن هذا الملك آمن ثم مات ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير ابن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح**"(٤٣٨)، ويترتب على ذلك بوضوح أن شيخ المصر (السوق) أيام نبي الله إبراهيم كان حجازياً أيضا فهل يعرف العرب لشيخ مصر إبراهيم (ع) اسماً حجازياً كذلك؟ يقول الشيباني في الكامل "**ثم إن إبراهيم والذين**

(٤٣٧) – الشوكاني، فتح القدير، ج١، ص٨٢؛ القرطبي، التفسير، ج١، ص٣٨٣.

(٤٣٨) – ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، ج١، ص٢٥٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٢٣٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢١، ص٢٨٢.

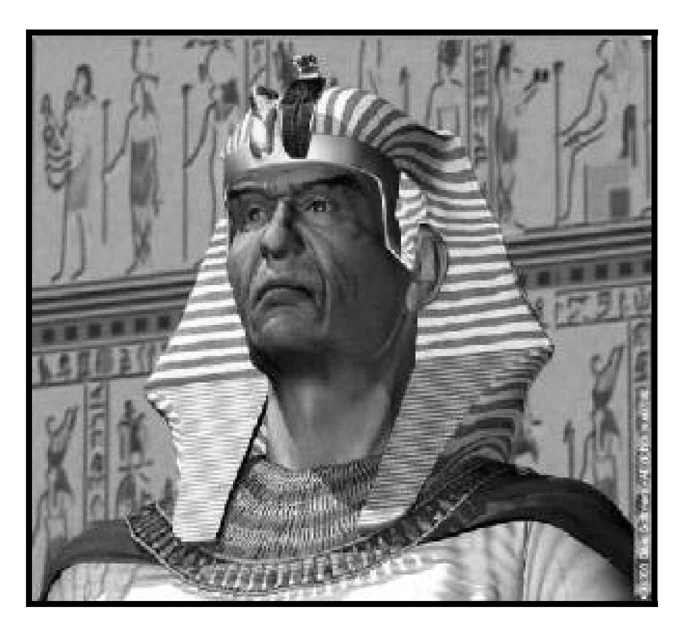
اتبعوا أمره أجمعوا على فراق قومهم فخرج مهاجرًا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عولج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح وقيل كان أخا الضحاك استعمله على مصر"[٤٣٩].

خلاصة القول إن فرعون موسى كانً حجازياً أو نجدياً كما ينبغي له أن يكون، وإنه ينحدر من قبائل العمالقة واسمه قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح. وكذلك كان ملك يوسف حجازياً لا يبعد عن زمن فرعون موسى إلا بُعد الجد عن أبناء أحفاده المباشرين كما أسلفنا، واسمه الريّان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن لاوُد بن سام بن نوح. تلك هي هوية فرعون موسى وملك يوسف الحقيقية التي نبحث عنها. وقد اجتهد المزورون للتأكد من إخفاء هذه الهوية عن العالمين القديم والحديث واستمرار بقائها مخفية حتى لا يُماط اللثام عن أصول التزوير الثاني الذي أوقعته "السبعونية". فلا يمكن تمرير تزوير "السبعونية" إذا علم الناس أن أحد ملوك القبط كان يسمى قابوس بن معاوية وآخر يسمى الريان بن الوليد وأن كليهما ملكا القبط. فطبيعة الاسمين وحدها تفضح التزوير.

وأخيراً عزيزي القارئ نعرض عليك في الصفحة التالية الصورتين اللتين انطلقنا منهما في بحثنا عن تصور شخص فرعون، فهل ستختار الصورة ذات الهيئة الحجازية أم ستختار تلك ذات الهيئة القبطية؟ وماذا سوف يكون دورك بعد أن تبين لك حجم الزيف الذي وقعنا فيه بعد أن نجح أئمة اليهود من حقننا والكثير من أجدادنا بحقنة مسكنة للعقل والمنطق من عقار "هذا من عند الله"؟ هل ستساهم معنا في إزاحة هذا الظلام وإرجاع الأمور إلى نصابها كما يريد كتاب الله أم ستواصل المسير في ظلام "السبعونية"؟ أم هل ستتوقف على أقل تقدير عن نقل المعلومات الخاطئة المشاعة إلى أبنائك وإخوانك وتواصل البحث حتى يتبن لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر؟

---

[٤٣٩] – الشيباني، الكامل في التاريخ، ج١، ص٧٧.



صورة تخيلية لفرعون



صورة تخيلية لفرعون

ملخص جغرافيا الأنبياء الحقيقية

يمكننا الآن تلخيص أهم محتويات هذا البحث في ما يخص جغرافيا الأنبياء الحقيقية في الحقبة الممتدة من إبراهيم (ع) إلى عهدنا هذا، وذلك بعد تصفيتها من عوالق التزوير والتحريف. كما يمكننا التعرف على أهم تبعات هذه الصورة المغيّبة عن العالم:

١. **مسقط رأس إبراهيم** (ع): ولد نبي الله إبراهيم في حوران النجدية الواقعة على مسافة ٣٠٠ كم تقريباً جنوب مكة في الجهة الشرقية من سهول جبال السراة.

٢. **إبراهيم** (ع) **وآباؤه في حوران**: دعا إبراهيم قومه إلى عبادة الله وحطم لاحقاً أصنام المعبد في حوران فألقي القبض عليه (**قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ**)(الأنبياء:٦٠-٦٢). وصدر الحكم بإعدام النبي الجليل حرقاً (**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**) فأنجاه الله تعالى (**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**)(الأنبياء:٦٨، ٦٩).

٣. **خروج إبراهيم** (ع) **من حوران إلى منطقة مكة**: بعد نجاته من النار قرر إبراهيم (ع) مغادرة موطن آبائه (**قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**)(الصافات:٩٧-٩٩). وأخبرنا الله تعالى أن إبراهيم (ع) توجه حينذاك مع لوط (ع) إلى الأرض المباركة للعالمين وهي مكة المكرمة (**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**) (الأنبياء:٧١) حيث سكن بدايةً في عرفة ولم يكن يعرف مكان البيت تحديداً حينها. فأقام وزوجته سارة في موقع مسجد نمرة الذي لم يزل قائماً في عرفة تخليداً لموقع سكن الخليل الأول. ومسجد نمرة كان يقع في حقل زراعي لشخص يسمى عفرون بن صوحر. فتحور هذا اللفظ إلى خبرون أو حبرون باللسان السرياني. كما تحور اسم وادي عرفة إلى عربة. ومن ثم أسقط الاسمان بعد تحويرهما على فلسطين.

٤ . **مـدة إقامـة إبـراهيم (ع) في منطقـة عرفـة وبطـن مكـة:** يوضـح تسلسل الآيات أن إبراهيم (ع) خرج من موطن آبائه وهو فتىً يافع (**قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ* قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ**)(الأنبياء:٥٩،٦٠). فقد ألقي في النار مباشرة بعد تحطيمه لأصنامهم وحال نجاته منها غادر نحو مكة. وهناك رُزق بابنه الأول بعد أن كبر وتقدم في السن (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**)(إبراهيم:٣٩). فهذا التسلسل يشير إلى أن إبراهيم سكن مكة مدة طويلة أي من سن الفتوة إلى الممات بعد أن تعدى المائة عام.

٥ . **إبـراهيم العـبري:** لُقب إبـراهيم (ع) ذو اللسـان السـرياني بـين أهـل منطقة وادي عرفة بـ"العابر" أو "العبري". وكانت عادتهم إطلاق هـذا الاسـم علـى كل من يعبر إليهم من الجهة الشرقية من وراء قمم جبال السراة. فاستغل اليهود هـذه الحقيقـة البدائيـة وذلـك بتحميـل لفظـة عـبري بـأكثر ممـا تعـني فجعلوهـا مفردة تعكس خصوصية تمت لشعب خاص ذو دين ولغة ومقومات أممية فريدة ثم تقمصوا هذا اللفظ وذلك لتمييز أنفسهم عن باقي العرب ولإضفاء كينونة وخصوصية مفتعلة لأنفسهم.

٦ . **هاجر المصرية – زوجة إبراهيم:** كان من ضمن الأعمال التي اشتغل بهـا إبـراهيم (ع) رعـي الأغنـام والتجـارة في الأسـواق المجـاورة لمكـة والـتي كانـت تعرف آنذاك بالأمصار ثم تحول اسمها في المنطقة لاحقاً إلى الأسواق، كسوق عكاظ وسوق ذو المجاز ومجنة وغيرها. وقد اشترى من أحد تلك الأمصار جارية وتزوجها لاحقاً وهي هاجر المصرية.

٧. **ولادة إسماعيل في عرفة:** دعا إبراهيم (ع) بعد إقامته في عرفة بهذا الدعاء (**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**)(الصافات:١٠٠). فاستجيبت دعوته بقدوم بكره إسماعيل (ع) بعد أن تقدم به السن (**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**) (الصافات:١٠١).

٨. **التواصل مع موطن الآباء في حوران:** لم يعتزل إبراهيم (ع) أهله في حوران أثناء إقامته في عرفة بل واصل دعوتهم حتى يئس من أبيه بعد أن

هدده بالقتل رجماً هذه المرة (**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا* قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**)(مريم:٤٦، ٤٧).

٩. **اعتزال إبراهيم في منطقة مكة**: قرر إبراهيم (ع) لاحقاً عدم التواصل مع قوم آبائه في حوران (**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**)(مريم:٤٨).

١٠. **انفصال لوط عن إبراهيم**: افترق لوط عن إبراهيم (ع) بسبب شح المراعي غير المملوكة في عرفة مما يدلّ على اكتظاظ المنطقة بالسكان. فتحرك لوط (ع) إلى أقرب منطقة من مكة توجد فيها مراع غير مملوكة. أما إبراهيم (ع) فدعا ربه أن يرزقه قطعة أرض في محل إقامته في عرفة ليستقر فيها في غربته ويرعى غنمه. فرزقه الله الأرض التي يحددها ببصره. ويبدو أنها كانت تحوي جدولاً نهرياً صغيراً، ولعله الوادي المعروف بوادي عردة المتاخم لوادي عرفة إلى اليوم.

١١. **التعرف على مكان البيت**: أذن الله لإبراهيم (ع) بالتعرف على مكان البيت العتيق في بطن وادي مكة الذي كان مهجوراً في ذلك الزمان لخلوه من مصادر المياه وكان يبعد قرابة **٢٢** كم عن مضارب خيام إبراهيم (ع) في عرفة (**وَإِذْ بَوَّأْنا لأَبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أن لاَ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود**)(الحج:٢٦). فأسكن إبراهيم زوجته وابنه إسماعيل(ع) ببطن الوادي (**رَبَّنَا إِنِي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**)(إبراهيم:٣٧). وبذلك وضع إبراهيم (ع) يده على بطن الوادي المقدس سلمياً تمهيداً لبناء البيت ليحيي تلك المنطقة ويعود إليها الناس كما كان الحال منذ زمن آدم إلى طوفان نوح (ع).

١٢. **عودة الماء إلى بطن الوادي**: بعد أن استجيبت دعوة النبي الجليل وظهر الماء بطريقة إعجازية تحت أقدام ابنه إسماعيل، زّم إبراهيم البئر وتملكه

كمقدمة لإشاعته للناس وإحياء المنطقة. وسُمي البئر ببئر سبعة أو شبعة، وهو يُعرف اليوم ببئر زمزم، كما سُمي بطن الوادي باسم البئر في ذلك الزمان حتى استعاد اسمه العريق لاحقاً وصار يعرف بمكة.

١٣. **تأسيس مذبح منى والعقبات**: كبر إسماعيل (ع) فكانت حادثة الرؤيا التي تلتها نية ذبح إسماعيل (**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ* سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ* كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ* وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ**) (الصافات:١٠٢-١١٢) اصطحب إبراهيم (ع) ابنه إسماعيل (ع) إلى وادي منى المحاذي لوادي عرفة كي ينفذ الرؤيا الإلهية فتركت هذه الحادثة العظيمة معالم العقبات أو الجمرات الثلاث القائمة في منى إلى اليوم قرب مذبح منى. وجميعها من شعائر الحج حتى اليوم وإلى يوم الدين.

١٤. **ولادة إسحاق ويعقوب** (ع) **بعد الاعتزال بمكة ونزول العذاب على قرية لوط** (ع): جاءت البشرى بمولد إسحاق بعد حادثة الذبح كما هو واضح من تسلسل الأحداث في الآيات أعلاه، وذلك عندما بعث الله الملائكة المرسلين لإنزال العذاب على قوم لوط عند موقع مسجد الخيف بالقرب من الجمرات الثلاث أو في نمرة حيث مضارب خيامه مكان مسجد نمرة. كما بشروه بمولوده الثاني إسحاق (ع) بعد أن تقدم هو وزوجه سارة في العمر (**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ* فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ* فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ* فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**)(الذاريات:٢٤- ٢٩). كما جاءت البشارة بإسحاق (ع) بعد أن قرر إبراهيم (ع) مقاطعة أبيه بحوران (**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا**)(مريم:٤٩).

١٥. **بنـاء البيـت وإعـلان الحـج**: أذن الله ببنـاء البيـت بعـد أن اسـتقر إبراهيم (ع) في موقعه قبل أن يكبر إسماعيـل (ع) (**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا انكَ أنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**)(البقرة:١٢٧). ثمَّ أعلن إبراهيم (ع) للناس قاطبة عن الحج الأكبر (**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّه فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأنعَام فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ* ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**)(الحج:٢٩). وبدأ إبراهيم (ع) يذكّر ويعلّم المقيمين والتجار الوافدين على وادي عرفة علوم التوحيد بعد أن كانوا قائمين على عبادة الكواكب والشمس في تلك المنطقة. كما ذكّر عرب الجزيرة بكل أطيافهم وألسنتهم وألوانهم فضل بيت الله الذي كان يُعرف باللسان السرياني ببيت إيل. وقد آمن جمعٌ من العرب بشتى لهجاتهم من السريان والفصحاء وغيرهم بالنبي السرياني الطاعن في السن وأخذوا عنه أصول الدين القيّم ومناسك الحج وصار من ثبت منهم على ذلك يُعرفون بالحنفاء حتى عهد خاتم المرسلين (ص). وسُمي بطن الوادي أيام إبراهيم (ع) ببرية بئر شبعة، وازدحم بطن الوادي بالناس لعودة المياه إليه. ونحن على يقين أن العرب قبل إبراهيم (ع) كانوا يعلمون قدسية الوادي منذ زمن آدم أبي الانسانية مرورا بآدم النبي[٤٤٠] وإدريس ونوح عليهم السلام ولكن انقطع الناس عنه بسبب انقطاع المياه عن الوادي نتيجة التغيرات التي أحدثها طوفان نوح (ع) بالمنطقة.

١٦. **تمصير إبراهيم (ع) لمكة**: ثم تحول بطن الوادي تدريجياً إلى مصر تجاري بعد أن تحولت إليه خطوط القوافل المجاورة لتوفر المياه وتكاثر الناس فيه بالمقارنة مع حقبة ما قبل إبراهيم (ع) (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ**

---

[٤٤٠] للاطلاع على حقيقة التفريق بين شخص آدم النبي وآدم أبي الانسانية يرجى الرجوع لبحث "بين آدمين" وهو احد اصدرات جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية

وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إلى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)(البقرة:١٢٦) فصار يُنقل إليه ومنه ثمرات البلدان على ظهور الإبل للتجارة.

١٧ . **مضارب يعقوب وجبّ يوسف**: سكن يعقوب (ع) وبنوه الإثنا عشر قرب خطوط القوافل بين مكة ويثرب وكان أقرب الى مكة منه إلى يثرب، وكان يمتهن الرعي فقط. ألقى إخوان يوسف أخاهم في جبّ على طريق السيارة (قوافل الإبل) وحُمل مع التجار إلى مصر قريب من مكة من جهة الجنوب على جبال السراة، وباعوه هناك بثمن بخس كي يتخلصوا من تكاليف النقل فكانوا في ثمنه من الزاهدين.

١٨ . **يوسف في قرية قرب المصر (السوق)**: استقر يوسف (ع) في قرية قرب المصر الذي بيع فيه. ثم تقلد منصب عزيز المصر واشتغل بالتجارة وكان شيخ القرية يُلقب بالملك واسمه الريّان بن الوليد بن ثروان بن أراشة. ويبدو من حواراته وأحداثه مع يوسف (ع) أنه كان من الموحدين الأحناف.

١٩ . **أولاد يعقوب والتجارة**: آوى يوسف (ع) إليه أبويه وإخوانه وأهلهم البالغ عددهم سبعون نفساً وهم النواة الأولى لمن يُعرفون ببني إسرائيل. بدأ بنو يعقوب العمل في مصر قرية يوسف (ع) حسب تعليمات يوسف (ع) فمارسوا التجارة وامتهنوها بعد أن أسس يوسف (ع) نظام الخزائن وأقام شركة تكافلية مساهمة انتشر نظامها في الأمصار بعد أن حقق نجاحات تجارية بسبب النظام التكافلي التجاري الجديد.

٢٠ . **المثوى الأخير**: ماتت سارة وإبراهيم وإسماعيل وأخوه إسحاق وهاجر (ع) في منطقة مكة، ونُقل إليها جثمان يعقوب ويوسف (ع). وأكثر الاحتمال أن تكون قبورهم بحجر إسماعيل المحاذي لبيت إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام والتي تحولت اليوم إلى الكعبة المشرفة.

٢١ . **مصر فرعون**: ارتدّ الكثير من أحفاد يعقوب عن دين آبائهم (**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**)(مريم:٥٩) وانشغلوا بالتجارة والمرابحة الربوية وصاروا يشكلون خطراً مهنياً على أصحاب

المصـر الأصـليين مـن العـرب الأمـيين. وتقـع مصـر فرعـون التجاريـة ـيْ جبـال السـراة بين مكة والنماص ـيْ بلاد غامد أو أبها.

٢٢. **قابوس هو فرعون موسى**: فرعـون رجـل حجـازي اسمـه قـابوس بـن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قـاران بـن عمـرو بـن عمـلاق بـن لاوذ بن سام بن نـوح. عُـرف بـين النـاس بفرعـون حيـث طغـى هـذا اللقـب علـى اسمـه وعلى مسماه السياسي كملك لمصر التجارية. غرق قابوس وجنـوده حـوالي سـنة ١٣٠٠ ق.م ـيْ يم ساف القريب من المصر بعد أن تبع موسى (ع) إلى داخل اليم.

٢٣. **اضطهاد بني يعقوب**: سـخّر قـابوس بـني إسـرائيل لمنافعـه الخاصـة وأخضـعهم لإرادتـه، فبعـث اللّه موسـى (ع) وهـو ابـن حفيـد أخ يوسـف –لآوي– لاستنقاذهم مما كانوا فيه وليرجعهم إلى الأرض المقدسة حيث موطن جدهم إبراهيم (ع) – مكة – وذلك لخدمة الرب والعمل على هداية الناس.

٢٤. **خروج بني يعقوب مع موسى (ع) من المصر**: آمن نفرٌ قليل مـن بـني إسـرائيل بموسـى (ع)، ويقدّر عـددهم بمائـة وخمسـين نفسـاً. خرجـوا مـع موسـى (ع) من المصر وأغرق اللّه قابوس وجنوده ـيْ أحد الأنهار القريبـة، ويُـدعى النـهر بيم ساف أو سوف. وتوجه موسى بمن تبعه نحو الشمال ـيْ اتجاه مكة ولكنـهم دخلوا التيه بعد أن رفضوا مقارعة قبائل العمالقة المسيطرين على منطقـة مكـة **(يَـا قَـوْمِ ادْخُلُـوا الأَرْضَ المُقَدَّسَـةَ الَّتِـي كَتَـبَ اللّـهُ لَكُـمْ**[٤٤١] **وَلاَ تَرْتَـدُّوا عَلَـى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴿ قَالُوا يَـا مُوسَـى إِنَّ فِيهَـا قَوْمًـا جَبَّـارِينَ وَإِنَّـا لَـن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُـونَ قَـالُواْ يَـا مُوسَـى إِنَّـا لَـن نَّـدْخُلَهَا أَبَـدًا مَّـا دَامُـواْ فِيهَـا فَاذْهَـبْ أَنـتَ وَرَبُّـكَ فَقَـاتلا إِنَّـا هَاهُنَـا قَاعِدُونَ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّـي لا أَمْلِـكُ إِلاَّ نَفْسِـي وَأَخِـي فَـافْرُقْ بَيْنَنَـا وَبَـيْنَ الْقَـوْمِ الْفَاسِقِينَ﴿ قَالَ فَإِنَّهَـا مُحَرَّمَـةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُـونَ فِـي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)**(المائدة:٢١-٢٦).

---

[٤٤١] - كتـب اللّه لـبني إسـرائيل دخـول مكـة ولم يكتـب مكـة لهـم حيـث قـال تعـالى" ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ " ولم يقل ادخلوا الأرض المقدسة التي كتبها اللّه لكم.

٢٥ . **وراثة بني إسرائيل والأميين لمصر**: ورث من تخلف من عشيرة بني إسرائيل مصر موسى (**فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ❁ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ❁ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**)(الشعراء:٥٨، ٥٩). وشاركهم وراثة مصر من كان موجوداً من عشائر الأميين العرب (**كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ❁ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ❁ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ❁ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ**)(الدخان:٢٥-٢٨) وبقوا جميعا فيها وحولها حتى عهد داوود وسليمان (ع) حيث أسس نبي الله داوود (ع) مملكة صغيرة في مغارة[٤٤٢] بقرية ال شريم حيث أقام معبداً لقومه وذلك حوالي سنة **١٠٠٥** ق.م.[٤٤٣].

٢٦ . **النشاط الاقتصادي في الجزيرة العربية**: كانت الحركة التجارية نشطة في الأمصار العربية قبل عهد داوود (ع) وبعده، وأخذ بنو إسرائيل يطمعون في تحقيق أرباح على حساب النظام الاقتصادي الدولي القائم مما رفع أسعار البضائع المصدرة والمستوردة المارة عبر مصرهم. فأثار ذلك غضب ملوك الدول العظمى في ذلك الوقت فهاجمهم شيشانق ملك القبط حوالي سنة **٩٤١** ق.م.[٤٤٤] ثم تبعه غزو ملوك أشور سنة **٧٢١** ق.م. ثم نبوخت نصر سنة **٥٨٦** ق.م. وهو الذي أزاحهم من المواقع الإستراتيجية في الأمصار التجارية وهدم معبد داوود (ع) وسباهم إلى بابل، فخلت الأمصار من زعمائها وورثها من بقي من العرب الأميين وضعفاء بني إسرائيل.

٢٧ . **التزوير الأول- الأرض الموعودة الأولى**: بات بنو إسرائيل يواجهون أزمة أرض حقيقية بعد سبيهم إلى بابل في عام التفرق على يد نبوخت نصر. فعمدوا وهم ببابل إلى جمع المدونات الإسرائيلية الموروثة وأعادوا ترتيب محتوياتها وأضافوا إليها حتى اكتمل هذا العمل في أواخر القرن الرابع أو بداية

---

[٤٤٢] - أحمد داوود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، ص٢٢٣.

[٤٤٣] - كمال الصليبي، البحث عن يسوع، ص١٨.

[٤٤٤] - زياد منى، جغرافيا التوراة، ص١٩.

القرن الثالث قبل الميلاد. وبذلك أصبح لليهود كتاب مقدّس[٤٤٥]. ومن ضمن ما يحوي هذا الكتاب المقدس توزيع الأراضي في جبال سراة عسير التي تمّ سبيهم من جزء ميكروسكوبي منها فأكرموا أنفسهم بالمطالبة بأرض تبلغ مساحتها **٥٥٠** كم طولاً و**٢٠٠** كم عرضاً، وتمتد من الطائف إلى حدود اليمن، وزعوها كقسائم سكنية لكل سبط من أسباط بني إسرائيل مما ساهم في قبول هذا الكتاب المقدس لدى جميع أطياف عشيرة بني إسرائيل. فغدا هذا الكتاب المقدس الذي أطلقوا عليه اسم التوراة يحوي وثيقة عقارية "مقدسة" يطالبون العالم بالالتزام بها وحجتهم أن تلك الوثيقة العقارية "**من عند الله**".

٢٨. **ترك أدلة التزوير الأول**: فشلت الوثيقة "العقارية المقدسة" في تأمين الأرض المطلوبة في عسير، فانتشروا أشتاتاً في بقاع الجزيرة العربية مع التركيز على استيطان الأمصار التجارية آنذاك كمكة وخيبر وتيماء ويثرب وشبوة ومأرب ومنوف بالقبط وغزة بالشام وغيرها من الأمصار الاستراتيجية، حرصاً على التواجد في التقاطعات التجارية لممارسة مهنة التجارة التي يبدو أنهم تخصصوا في امتهانها منذ زمن يوسف (ع) حتى يومنا هذا. أمّا الوثيقة العقارية المزورة التي تحوي أسماء المناطق والقرى والقبائل العسيرية فقد بقيت بين الناس حتى يومنا هذا شاهداً حياً على التزوير الأول لكتاب الله. ومع تطور علوم اللغات القديمة في القرن العشرين تمّ اكتشاف تطابق الأسماء التي وردت في أسفار التوراة المحرّفة مع تلك القائمة والبائدة في عسير. ويمكن القول إن كمال الصليبي وأحمد داوود وزياد منى هم الرواد في اكتشاف ما كان يخشى أئمة اليهود انكشافه ذات يوم.

٢٩. **إسقاط التسميات على أراضي الشتات**: كلما حلت جاليات يهودية وتكاثرت ونمت في مكان ما كانت تعمد إلى إطلاق أسماء تيمنية توراتية على هذا المكان. وهو ما يفسر وجود أكثر من مكان في جبال عسير يُدعى نمرة ومروة وغيرها، على سبيل المثال لا الحصر. كما يفسر ذلك وجود هيكل

[٤٤٥] – كمال الصليبي، البحث عن يسوع، ص٣١.

لسليمان في مأرب والقبط ناهيك عن بعض أسماء القرى في فلسطين وادّعاء وجود هيكل سليمان في موقع مسجد الصخرة.

٣٠. **التزوير الثاني - الأرض الموعودة الثانية:** بعد فشل التزوير الأول للسيطرة على أمصار عسير أعاد أئمة اليهود الكرّة ولكن هذه المرة لمحاولة السيطرة على أمصار الشام التي تكاثروا في بعضها. وسنحت الفرصة في عهد بطليموس ملك القبط الذي عرض على أئمة اليهود فرصة ترجمة التوراة السريانية إلى الإغريقية. فعمد سبعون كاهناً إلى إصدار "السبعونية" وذلك بوضع ترجمة محرّفة حذفوا فيها اسم "مصر" و"مصريين" حيثما وردا واستبدلاهما بمفردتي "القبط" و"القبطيين"، كما غيّروا "كسد" إلى "كلد" ، و"كوث" إلى "أور"، و"حوران" إلى "حاران".. الخ. ونقلوا أسماء الأنبياء إلى العراق والشام والقبط وأخفوا هوية فرعون موسى الحقيقة – قابوس- وأسقطوها تعسفاً على رعميس- أحد ملوك القبط. كما أخفوا هوية ملك يوسف (الريان بن مصعب). واستفادوا من ظاهرة التيّمن القائمة فأحلوا نهر الفرات التيمني بالعراق محل نهر الفرات الأصلي في الجزيرة العربية. وما لبثوا أن فرعنوا جميع ملوك القبط فأسقطوهم في الوثنية والتجبر، وهو ما كان يروق لبطليموس، كما كان يرضيه أن تبدو الأرض التي احتلها "مقدسة" في نظر الشعوب الأوربية لأسباب اقتصادية.

٣١. **حرق جسور العودة:** مع وضع التزوير الثاني قطع أئمة اليهود كل علاقة لليهود قاطبة بالجزيرة العربية بما تحوي من مقدسات أصيلة كمكة وجبال السراة حيث كان موسى وفرعون وكل الأنبياء (ع) والمسرح الحقيقي لأحداث النبوات. بل عمل أئمة اليهود على إخفاء كل حقيقة يمكن أن تكشف لعامة اليهود وللعالم هذه الفضيحة فينهار بذلك قناع التزوير الثاني القائم على أساس ترتيب مسرح ميداني جديد يوحي بأن الأرض المقدسة ومهابط الوحي هي في الشام والعراق والقبط. وهم ما اختاروا هذه البقع الأرضية الجديدة إلا بعد أن أدركوا أن لا أمل لهم في الاستحواذ على الأراضي الأصلية المقدسة. فأخرجوا أطروحة الأرض الموعودة الثانية، ولكن هذه المرة بأراضٍ جديدة أكبر

مساحة وإن كانت أقل نشط تجارياً وكانت آنذاك واقعة تحت الاحتلال الإغريقي. وما من شكّ أن أئمة اليهود الماضين والمعاصرين يدركون ويعون تماماً أن هذا التزوير إذا انكشف يوماً ما فسوف يشكل أكبر فضيحة كونية عرفتها الإنسانية قاطبة عبر التاريخ، وذلك بعد أن ألزموا أنفسهم بقدسية ما كتبت أيديهم ونشروه في العالم تحت هذا الادعاء جيلاً بعد جيل وهم يعلمون أن الله يرى ما يفعلون.

٣٢. **انتشار ثقافة التزوير في الغرب**: لم يكن هناك مخاطب للغرب غير "السبعونية" التي كُتبت بلغة القوة العظمى المهيمنة آنذاك. فغدا العالم الغربي ينهل علوم الوهم من التوراة المحرّفة بعد أن تمَّت ترجمتها إلى لغات غربية أخرى فيما بعد فانتشرت في الكتب وخطب المعابد والكنائس والمحافل. ووقع بذلك انفصام ثقافي ترسخ مع تعاقب الأجيال بين ما يعرفه الفرد الشرقي وما يعرفه الفرد الغربي. فلم يكن هناك في وعي الغربي أي مسميات كمصر وقابوس والريان ومكة وعسير بل كان هناك قبط وأقباط وأور وكلدان ومسيوبتنيا ..إلخ.

٣٣. **انتشار ثقافة التحريف في الشرق**: أمّا فيما يخص الشرق، فلم يكن من السهل إحلال كل هذه المفردات والمسميات الجديدة محل تلك الأصلية لأن الأحداث وقعت في أراضي الشرقيين. فتمت عملية التحريف والإسقاط بدلاً من الاستحداث والتزوير وذلك بغية خلق انسجام وتوافق بين ثقافة الغرب المستحدثة وثقافة الشرق الأصيلة. فتم تثقيف الأميين على أن مصر الراسخة في الذاكرة العربية تقع جغرافياً في القبط، وعليه فالمصريون هم الأقباط وما إلى ذلك من ترهات. وكانت هذه التخاريف موضع سخرية الشرقيين من يهود وأميين عرب عندما طُرحت أول مرة في أيام حكومة بطليموس في القبط. ولكنها لم تعد موضع استغراب أو تساؤل بعد كتابة هذا التحريف وتوثيقه ومرور ما يقارب ٨٠٠ سنة عليه، أي ما بين سنة ٢٨٢ ق.م. وسنة ٦٠٠ م قبيل البعثة النبوية في الحجاز. فاستقر هذا التحريف في وعي معظم أفراد أجيال العرب بشكل طبيعي ولم يلبث أن تحول إلى ثقافة عامة.

٣٤. **انتصار مرويات "السبعونية" على الثقافة القرآنية**: جاء القرآن الكريم ليكشف من ضمن ما كشف أن هناك تزويراً قد وقع من قبل، بل وفصّل نوع التزوير المعني وأفصح عن من أوقعه وكيف ولماذا، وأعطى الإجابات المصححة للمسار. ولكن انتشار ثقافة وهمية وشيوعها قرابة ثمانية قرون في العالم القديم كان أقوى من أن يُنتصر عليه في عدة سنوات من البعثة المحمدية. فكان لزاماً على المسلمين تصحيح المسار الجغرافي حسب ما ورد في القرآن الكريم. ولكن وقع المحذور وأخذ بعض المفسرين والمجتهدين في صدر الإسلام يقرؤون القرآن على خلفية ثقافة التوراة التي ورثوها من آبائهم. وأخذ اليهود يدخلون الإسلام ويعلمون المسلمين تراث الأنبياء بدلاً من العكس. وحدثت مشادات ثقافية كثيرة بين المسلمين واليهود المسلمين ولكن يبدو أن ثقافة التراث اليهودي انتصرت في آخر المطاف ولو حتى حين. فبقيت مصر كمفردة في الألسن ولكنها مازالت قبطاً في الوعي حتى أن المسلمين فتحوا مصر "السبعونية"- القبط- وهم يظنون أنهم فتحوا مصر القرآنية.

٣٥. **الحصار المقدس لثقافة القرآن**: كان القرآن الكريم ولا يزال مصدر التهديد الوحيد بين الناس المترصد لفضح التزوير والتحريف اليهودي للعالم. وحيث لا يمكن العبث بنصه كما حدث للتوراة والإنجيل، لأنه تعالى تعهد بحفظه، فقد عمد أئمة اليهود إلى احتوائه بفرض حصار على فهم الناس لهذا المصدر المعرفي الرباني القائم بين أمة محمد (ص) (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**)(فصلت:٢٦). فدخل بعض اليهود الإسلام، بل بنوا مسجد ضرار كنواة إفساد في عهد الرسول (ص) ولكن الرسول (ص) هدمه ليكفي المسلمين شر المصادر الثقافية الملوثة. ولكن ما أن انتقل الرسول الأعظم (ص) إلى جوار ربه حتى كثر دخولهم في الإسلام وأدخلوا الثقافة اليهودية المحّرفة معهم تحت اسم الإسلام، فتمكن مغرضهم بذلك من إدخال كل ما أمكنه من إسرائيليات نشرت التشويش والبلبلة الثقافية بين المسلمين. فما يكاد المسلم يقرأ حديثاً مثل "**لا تصدقوا اليهود ولا تكذبوهم**" الذي يخط منهج التحقق في كلّ قول يصدر من مصادر يهودية حتى يداهمه

حديث مثل" **حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**" فيلغي منهجية التحقق التى سنّها الحديث السابق. وهذان الحديثان وأشباههما من الأحاديث التي تملأ كتب المسلمين جميعها تحمل عنوان "قال رسول الله"، وهي ليست سوى مثال على مئات التناقضات المدسوسة عبر حقب متلاحقة. فلا يعرف المسلم بذلك ما هو تكليفه مما يشتت فكره ويتركه متحيراً ومتردداً. ويمكن للقارئ الكريم الرجوع إلى بحث "مسخ الصورة- سرقة وتحريف تراث الأمّة" الذي يلقي الضوء على تاريخ التزوير الذي خضع له تراث العرب ونماذجه.

٣٦. **الطموحات اليهودية المعاصرة**: في سنة **١٨٣٢م**، نشر جوزف سميث بذور التزوير المعاصر في أرض أمريكا الشمالية ليعيد التاريخ نفسه مرة أخرى بعد أن حقق نجاحات منقطعة النظير في بلاد العرب، فقد اعتادوا على قضم اليد التى تتعامل معهم منذ أيام عفرون بن صوحر الحثي الحجازي انتهاءً بالولايات المتحدة الأمريكية نفسها. فأصبح بعض الأمريكيين اليوم، وتحت قناع "هذا من عند الله"، يعتقدون أن بني إسرائيل كان لهم موطئ قدم في القارة الأمريكية. وسيدفع الأمريكيون الفاتورة في بضع قرون، وهو عينه ما يحدث للعرب اليوم الذين مازالوا يدفعون فواتير غفلة آبائهم بعد أن صاروا يقرؤون القرآن بعيون "السبعونية".

٣٧. **اغتصاب فلسطين**: وأخيرا في سنة **١٩٤٨** تمّ الاغتصاب الفعلي لأرضٍ من أهلها تحت عنوان الأرض الموعودة. وما كان ذلك ليحدث لولا التقاء مصالحٍ غربية استعمارية مع الطرح اليهودي القائم بغية تفريق عرب أفريقيا عن عرب آسيا كما جاء في أحد قرارات مؤتمر لندن[٤٤٦] سنة **١٩٠٥**. فأصبح لليهود أرض وإن فقدت مقوماتها المصرية التجارية فالمعونات الغربية كفيلة بإبقاء كيان الاستيطان قائما لتحقيق مآرب استراتيجية بعيدة الأمد، وذلك بإبقاء الأمة العربية مشرذمة جغرافياً وعقائدياً. ولكننا على يقين من أنهم

---

[٤٤٦] - للمزيد من المعلومات عن هذا المؤتمر الكارثي على الأمة العربية راجع بحث: مسخ الصورة، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

سيسعون جاهدين لتمصير فلسطين بجعلها محط تجّار وتجارة العالم العربي ليتسنى لهم بذلك تحقيق السيطرة التجارية العالمية.

٣٨. **انكسار القيد النفسي**: انكسر طوق "هذا من عند الله" اليهودي من حول النفس والعقل العربيين ووقع المحذور وانكشف التزوير العالمي. وبدأت بداية النهاية التدريجية لهذه الأسطورة الوهمية المؤدلجة بعد أن تطورت علوم الآثار وعلوم الألسن وتوفرت تقنيات التواصل والاتصال العالمي مما أدى إلى انفتاح العالم على مختلف المكتنزات التراثية الأممية بعد أن حصرها المغرضون في العلوم القادمة من لسان اليونان القديم. وخرج ثلاثة كتّاب عرب بتحاليل وأطروحات وأدلة تكشف التزوير القديم الحديث. أما الذين يريدون أن يبقى العالم تحت نير الظلام "السبعيني" والذين يخشون فضيحة الجريمة الكبرى، فقد عمدوا إلى وضع قيود أخرى سياسية هذه المرة تعمل عمل الطوق العقائدي المنحل لإخماد كل من يشير بالبنان لفعلة أئمة اليهود. وما اعتماد قانون "معاداة السامية" وتبعات نشر كتاب جارودي الذي كشف من خلاله تهويل محرقة اليهود المضخمة إلا مثال على دأب أئمة اليهود المعاصرين على صد نور الشمس المطلة بعد طول ظلام.

ذاك هو تسلسل أحداث الأنبياء العرب ومواقعها الجغرافية الحقيقية كبديل للوهم الذي أشاعه فريق "السبعونية" في العالم. ونحن إذ نتبنى هذا الطرح فإننا نأمل أن يوضع موضع الدراسة المتجردة لدى المهتمين بشؤون تاريخ المنطقة العربية لإثباته أو نفيه. ولا بد أن يصل هذا الملف الخطير في يوم ما إلى ذروة اهتمامات الجامعات الأكاديمية وطاولات المسؤولين في الجامعة العربية التي تحمل على عاتقها مسؤولية حفظ التراث العربي، للخروج بتوصيات ودراسات ميدانية تساهم في كشف الحقيقة المغيبة عن العالم قاطبة. ويتعين من ثمَّ البدء بإعادة تثقيف الأمة تمهيداً لعودتها إلى مكامن عزتها ومواطن رفعتها.

الخاتمة .. وبداية النهاية

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ* هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ* مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ* وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)(آل عمران:٦٤- ٧١).

هي رسالة محبة وسلام وعلم وهدى للعالم أجمع نختم بها هذا البحث عزيزي القارئ. ونأمل أن نكون قد أضفنا وإياك حجر أساس آخر لبداية النهاية، نهاية سطوة الوهم الأسطوري المؤدلج المسلط على رقاب العباد ورحلة التيه الثقافية التي أدخل فيها أئمة اليهود الإنسانية جمعاء، ابتداءً بأمة محمد (ص) وانتهاءً بالعالم قاطبة، وذلك بعد أن قست قلوبهم فسولت لهم أنفسهم المتاجرة بمعارف وحي السماء وتزوير المقدسات. وبذلك أثخنوا في التوراة الربانية حذفاً وإخفاءً وإضافة وتحويراً، حتى أغرقوا حضارات الدنيا ورسالات الأنبياء القديمة في مياه طوفان نوح (ع)، وكتبوا

تاريخاً جديداً لبني آدم يبدأ من بعد الطوفان. وقسموا الناس إلى أجناس راقية وأخرى هامشية وأخرى ملعونة. وتخيروا لأنفسهم في ما قسّموا أرقى الدرجات، وألزموا الناس بقبول هذا الوهم وتبعاته بزعمهم أن "هذا من عند الله"، فصدقهم الطيبون بحسن نية. ثم بعثروا أسماء الأنبياء في كل بلاد طمعوا فيها، ليكون لهم بذلك موطئ قدم فيها يطالبون به بعد أن يكبر على تزويرهم الصغير ويهرم عليه الكبير. فكان التزوير الأول ببابل سنة ٥٨٦ ق.م. هادفاً إلى اغتصاب تهامة عسير بأكملها من أيدي سكانها بعد أن تجرعوا عذاب السبي ومرارة الغربة بما كسبت أيديهم وهم أحباء الله كما يحلو لهم أن يعتقدوا. وعندما فشلوا في السيطرة على تهامة عسير، أتبعوا التزوير الأول بالتزوير الثاني سنة ٢٨٢ ق.م. ليمّهدوا به لاغتصاب بلاد الرافدين وسوريا والقبط عوضاً عن أراضي جبال السراة في عسير. وعندما فشلوا في ذلك أيضاً، انتهى بهم المطاف إلى اغتصاب أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م وهم مع ذلك لم يذوقوا طعم الأمن فيها حتى اليوم.

لقد كانت الأسطورة المقدسة سلاح أئمة اليهود لتحقيق هذه الطموحات العظيمة على ضعفهم وقلة عددهم وهم يعلمون فاعلية هذا السلاح في حين جهلنا نحن سطوة تأثيره الفتاك. فأخذنا نرميهم بالحجر وهم يلجمون مفكرينا ومنظرينا ومؤرخينا بالأسطورة المفبركة، ويجيشون العالم الغربي المغرّر به بالقدسية. فكانت لهم الغلبة ونحن لا نشكو من قلة ولا من نقص في عقل ولا حرمان من مداد السماء. لقد اخترقونا بالأسطورة الوهمية المقدسة كما اخترقوا تراث الأمم ووعيهم وثقافاتهم، فساقوا بالأسطورة رجالات دينهم ونخبهم وساستهم ونفخوا في وعيهم ومصادر علمهم جرعات مكثفة من الإسرائيليات ما يضمن عدم كشف اللثام عن الجريمة الكبرى التي اقترفوها في حق العالم قاطبة. فكان لهم بغفلتنا ما أرادوا ولكن حتى بداية النهاية. (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**)(المائدة:٧٧).

فلا بدّ لهذه الأمّة المحمدية أن تستعيد عافيتها وتنهض بتكليفها الرباني فتنفض عن وعيها غبار الغفلة وتعود لقراءة كتاب الله بمنهج سمح جديد، يستثير السور النورانية الأسيرة بأغلال مفاهيم السلف، وتهز جذوع آياتها لتساقط عليها رطباً جنياً. لا بدّ لها أن تتعلم كيف تقرأ كتاب الله كما نزل، وبعيون حاضرها لا بعيون ماضيها لترسم بذلك مستقبلها. وإلا فكيف يصح لهذا القرآن العظيم أن يكون صالحاً لكل زمان ومكان وهو أسير مفاهيم من خلا من الرجال. لا بدّ لهذه الأمة من مراجعة وفحص وتصحيح الكثير من المفاهيم القائمة وتصفية إرث اجتهادات وآراء مغلوطة ألزمنا بها أنفسنا ولم يلزمنا بها قائلها من آبائنا الماضين. ومن ضمن ما يجب علينا مراجعته فهمنا ووعينا لجغرافيا الأنبياء والمرسلين التي غفلنا عنها فجهلناها فتجاهلناها في حين عرف سر عظمتها وأهميتها من أساء استخدامها من أئمة اليهود، فسخروها لتحقيق مآرب قومية حاقدة نعيش والعالم بأسره تبعات مآسيها حتى هذه اللحظة. لا بدّ لهذه الأمّة أن تقف على مصادر معرفتها ومداد علومها وتجهر بصوت عقلها لتكشف لنفسها ولأجيالها ومن ثمّ للإنسانية جمعاء، بما فيهم اليهود والمسيحيون المغرّر بهم، الحقيقة المغيبة في غياهب العصور.

لا بدّ لهذه الأمّة أن تتلمس من جديد أطراف خيوط الاتصالات الربانية الأصيلة التي نزلت فيها وكادت أن تندرس عنها بعد أن شاب فهمها والتعاطي معها خبث التناقضات والمبهمات والضبابية الإسرائيلية فاستنكرها العقل القويم ورفضها القلب السليم ليؤول مآلها إلى الإهمال والنسيان والتجاهل حتى وصلنا إلى المحذور (**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**)(الفرقان: ٣٠).

لا بدّ لهذه الأمّة أن تكتب تاريخها بيدها وتعلمه للعالم وأن تستلهم منه علوم جميع الأنبياء والمرسلين المغيبين عن وعيها، فهم جالوا بعلومهم الربانية في أراضيها وعاشوا بين ظهرانيها فيستضيؤوا بعلومهم ويضيئوا العالم من حولهم. ولن يتحقق ذلك يقيناً ما لم تتحرر هذه الأمة من أسر ثقافة "هذا من عند الله" الإسرائيلية

المتفشية فيها حتى النخاع وتلتزم بقاعدة "هذا من عند الله" المحمدية. ولن يكون لها ذلك ما لم تقف على الأسباب التي جعلت ماءها يغور فتعيد النظر بكل شجاعة وصبر في المناهج الاستدلالية المتبعة حتى اليوم، والتي أدت بها إلى الانفصال عن منابع المعرفة القرآنية واستبدالها بوهم التزييف والتحريف اليهودي، فغدت عطشى وهي تحمل قربة ماء العالم قاطبة على كتفها. ولتبدأ نهاية رحلة التيه بنا وبك أنت عزيزي القارئ كقطرات مطر تتجمع من أحرار هذا الوطن العربي الكبير لتصبح الطوفان الرباني المرتقب الذي سيطهر هذه الأرض من سطوة الثقافة الشيطانية، فنكون بذلك وإياك ممن كتب الله لهم شرف التمهيد لبزوغ فجر الحضارة الفاضلة.

(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ❖وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ❖
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

قائمة المصادر والمراجع

أولاً – المصادر العربية والمترجمة:

١. ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ط٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢. ابن أبي جمهور (محمد الاحسائي)، **الأقطاب الفقهية على مذهب الأماميّة**/ تحقيق الحسون، ط١، قم: مكتبة المرعشي النجفي، ١٤١٠.

٣. ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**/ تحقيق محمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.

٤. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، ط٤، قم: مؤسسة اسماعيليان، ١٣٦٤ شمسي.

٥. ابن الجوزي (أبو الفرج جمال الدين القرشي)، **زاد المسير في علم التفسير**/ تحقيق محمد عبد الله، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧.

٦. ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد)، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، ط١، بيروت: دار الصادر، ١٣٥٨.

٧. ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، مصر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

٨. ابن جرير الطبري (أبي جعفر محمد)، **تاريخ الأمم والملوك** (تاريخ الطبري)/ تحقيق نخبة من العلماء الأجلاء بيروت: مؤسسة الأعلمي.

٩. ابن حبان (محمد) - **صحيح بن حبان**/ تحقيق الشيخ الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤.

١٠. ابن حنبل (أبي عبد الله أحمد بن محمد)، **المسند**، بيروت: دار صادر.

١١ . ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الهاشمي)، **الطبقات الكبرى/** تحقيق زياد محمد منصور، ط٢، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٨ .

١٢ . ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وأخبارها**، ليدن: ١٩٢٠ .

١٣ . ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق/** تحقيق علي شيري، دار الفكر، ١٤١٥ .

١٤ . ابن قاسم (يحي بن الحسين)، **الأحكام في الحلال والحرام**.

١٥ . ابن كثير (الحافظ أبي الفداء إسماعيل الدمشقي)، **قصص الأنبياء/** تحقيق مصطفى عبدالواحد، ط١، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٨ .

١٦ . ابن منظور، **لسان العرب**، ط١، أدب الحوزة، ١٤٠٥ .

١٧ . أبو الفداء (إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي)، **تفسير القرآن العظيم**، بيروت: دار لمعرفة، ١٤١٢ .

١٨ . أبو الفداء (إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي)، **البداية والنهاية**، بيروت: مكتبة المعارف.

١٩ . الأزدي (الربيع بن حبيب بن عمر البصري)، **مسند الربيع/** تحقق محمد إدريس، عاشور بن يوسف، ط١، بيروت - سلطنة عمان: دار الحكمة مكتبة الاستقامة، ١٤١٥ .

٢٠ . الاسترابادي (رضي النحوي)، **شرح شافية ابن الحاجب/** تحقيق محمد الحسن والزفزات ويحي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٥ .

٢١ . الأصبهاني (أبو نعيم)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ط٤، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ .

٢٢ . البخاري (محمد بن إسماعيل)، **صحيح البخاري**، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١ .

٢٣ . الكليني(أبي جعفر محمد بن يعقوب)، **الكافي**/ تحقيق علي أكبر الغفاري، بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٥/ ١٩٨٥ .

٢٤ . الأميني (عبد الحسين)، **الغدير**، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٧٩ .

٢٥ . الأندلسي (عبد الله بن عبد العزيز)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**/ تحقيق مصطفى السقا، ط٣، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣ .

٢٦ . الأندلسي (محمد بن جبير)، **رحلة ابن جبير**، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

٢٧ . الأنصاري (زكريا)، **فتح الوهاب**، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ .

٢٨ . بتلر (الفرد ج.)، **فتح العرب لمصر**، ط٢، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٦ .

٢٩ . برستد (جيمس هنري)، **تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى العصر الفارسي**/ ترجمة حسن كمال ؛ مراجعه محمد حسنين الغمراوي، مصر: مكتبة الأسرة، ١٩٩٩ .

٣٠ . البصري (الحسن بن يسار)، **فضائل مكة والسكن فيها**/ تحقيق سامي مكي العاني، الكويت: مكتبة الفلاح.

٣١ . البغدادي (محمد بن حبيب)، **المحبر**، ورقة الأصل الخطية.

٣٢ . البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر)، **فتوح البلدان**، القاهرة: مكتبة النهضة العربية، ١٣٧٩ .

٣٣ . البياضي (زين الدين العاملي)، **الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم**/ تحقيق محمد البهبودي، ط١، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ١٣٨٤ .

٣٤ . البيهقي (أحمد بن حسين بن علي)، **السنن الكبرى**، بيروت: دار الفكر.

٣٥. بييروسي، **مدينة إيزيس: التاريخ الحقيقي للعرب/** ترجمة فريد جحا، ط٣، دمشق: دار البشائر، ١٩٩٦.

٣٦. ترسيسي (عدنان)، **بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى اليمن**، ط٢، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٠.

٣٧. الترمذي (محمد بن عيسى)، **سنن الترمذي/** تحقق عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣.

٣٨. الثعالبي (عبد الرحمن مخلوف)،أبو سنة ومعوض وعبد الموجود، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨.

٣٩. الجبرتي (عبد الرحمن بن حسن)، **أبجد العلوم**، بيروت: دار الجيل.

٤٠. الجراحي (إسماعيل العجلوني)، **كشف الخفاء ومزيل الالباس**، ط٢، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨.

٤١. الجزائري (السيد نعمة الله)، **قصص الأنبياء**، ط٨، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٨/ ١٩٧٨.

٤٢. الحر العاملي، **تفصيل وسائل الشيعة**، ط٢، قم: نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٤٣. الحموي (ياقوت)، **معجم البلدان**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤٤. الحنفي (ابن نجيم المصري)، **البحر الرائق شرح كنز الدقائق/** تحقيق زكريا عميرات، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨.

٤٥. الخصيبي (الحسين)، **الهداية الكبرى**، ط٤، بيروت: مؤسسة البلاغ،١٤١١.

٤٦. داوود (أحمد)، **العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود**، ط١، دمشق: دار المستقبل، ١٩٩١.

٤٧ . الدمشقي (عبد الحي)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٨ . الدينوري (أبو حنيفة) **الأخبار الطوال**/ تحقيق عبد المنعم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠.

٤٩ . الراوندي (قطب الدين)، **قصص الأنبياء**/ تحقيق الميرزا غلام رضا عرفانيان، ط١، قم- مؤسسة الهادي، ١٤١٨.

٥٠ . الروحاني (محمد صادق)، **فقه الصادق**، ط٣، قم: مؤسسة دار الكتاب، ١٤١٤.

٥١ . الريشهري (محمدي)، **ميزان الحكمة**، ط١[منقحة]، قم: دار الحديث، ١٤١٦هـ.

٥٢ . الزبيدي (محمد مرتضى)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، بيروت: مكتبة الحياة.

٥٣ . الزعيلي (جمال الدين)، **نصب الراية لإحداث الهداية**/ تحقق أيمن صالح الشعباني، ط١، القاهرة-: دار الحديث، ١٤١٥.

٥٤ . زين الدين (حسن)، **منتقي الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان**، ط١، قم: جامعة مدرسين حوزة علمية، ١٤٠٣.

٥٥ . السبزواري، **ذخيرة المعاد**، طبعة حجرية، مؤسسة آل البيت.

٥٦ . سليم (أحمد أمين)، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت: مكتب كريدية اخوان.

٥٧ . السمعاني (أبو سعد عبد كريم التميمي)، **الأنساب**/ المحقق عبد الله عمر البارودي، ط١، بيروت: دار الجنان، ١٤٠٨.

٥٨ . السمهودي، **وفاء الوفا**.

٥٩. السواح (فراس)، **الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم**، ط٤، دار علاء الدين.

٦٠. السويفي (مختار)، **أم الحضارات ملامح عامّة لأول حضارة صنعها الإنسان**، ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

٦١. السيوطي (جلال الدين)، **الدار المنثور**، ط ١، دار المعرفة، ١٣٦٥.

٦٢. الشامي (محمد الصالحي)، **سبل الهدى في سيرة خير العباد**/ تحقيق عادل أحمد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤.

٦٣. الشريف الرضي (محمَّد بن الحسين بن موسى)، **نهج البلاغة**/ شرح محمد عبده، بيروت: دار المعرفة.

٦٤. الشعراني (سيدي عبد الوهاب)، **لواقح الأنوار القدسين في بيان العهود المحمدية**، ط ٢، مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٦٥. الشيباني (محمد)، **الكامل في التاريخ**، ط٢، بيروت: دار الكتب العالمية.

٦٦. صابر (حسن)، **متون الأهرام المصرية القديمة**، ط١، القاهرة: المجلس الأعلى الثقافي، ٢٠٠٢.

٦٧. الصدوق (أبي جعفر محمد بن علي القمي) **علل الشرائع**، ط٢، النجف: المكتبة الحيدرية ومطبعتها، ١٣٨٦/ ١٩٦٦.

٦٨. الصدوق (محمد بن علي بن بابويه)، **من لا يحضره الفقيه**/ تحقيق علي أكبر غفاري، ط٢، قم: جماعة المدرسين،١٤٠٤.

٦٩. الصليبي (كمال)، **البحث عن يسوع** (قراءة جديدة في الأناجيل)، ط١، عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.

٧٠. الصليبي (كمال)، **التوراة جاءت من جزيرة العرب**، ترجمة عفيف الرزاز، ط٧، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ٢٠٠١.

٧١. الطباطبائي (السيد محمد حسين)، **الميزان في تفسير القرآن**، ط٢، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٢/ ١٩٧٢.

٧٢. الطبرسي (أحمد)، **الإحتجاج/** تحقيق محمد الخرساني، دار النعمان.

٧٣. الطبري (أبو جعفر)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن/** تحقيق العطار، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥.

٧٤. الطبري (أحمد بن عبد الله)، **ذخائر العقبى من مناقب ذوي القربى**، مكتبة القدسي، ١٣٥٦.

٧٥. الطبري (أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن)، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، تحقيق لجنة من العلماء الأخصائيين، ط١، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤١٥.

٧٦. الطبري (محمد بن جرير)، **تفسير الطبري**، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥.

٧٧. الطريحي (فخر الدين)، مجمع البحرين/ تحقيق احمد الحسيني، ط٢، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٤٠٨.

٧٨. الطوسي (أبو جعفر محمد بن حسن)، **التبيان في تفسير القرآن/** تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، مطبعة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩.

٧٩. الطوسي (أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن)، **مصباح المتهجد**، ط١، بيروت: مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١/ ١٩٩١.

٨٠. العسقلاني (ابن الحجر)، **مقدمة فتح الباري**، ط٢، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

٨١. العسقلاني (ابن حجر)، **تلخيص الحبير**، دار الفكر.

٨٢. العصقري (خليفة بن خياط)، **تاريخ خليفة بن خياط**/ تحقيق سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤.

٨٣. العكش (منير)، **أمريكا والإبادات الجماعية**، ط١، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٢.

٨٤. العلامة الحلي، **منهى المطلب**/ تحقيق قسم الفقه بمجمع البحوث الإسلامية، ط١، مشهد- إيران: مؤسسة الطبع والنشر الرضوية المقدسة، ١٤١٥.

٨٥. الغوري (محمد هادي اليوسفي)، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، ط١، قم: مجمع الفكر الإسلامي، ١٤١٧.

٨٦. فارسي (زكي محمد علي)، **أطلس الخرائط للملكة العربية السعودية**، السعودية: مكتب المهندس الاستشاري.

٨٧. الفاروقي (حارث سليمان)، **المعجم القانوني**، ط٢، بيروت: مكتبة لبنان،١٤١٠.

٨٨. الفاكهي (محمد بن العباس)، **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**/ تحقيق عبد الملك دهيش، ط٢، بيروت: دار خضر، ١٤١٤.

٨٩. فخري (أحمد)، **مصر الفرعونية**، ط١، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

٩٠. فودة (أيمن)، **ذاكرة المكان** (ملامح من جغرافيا وطبيعة وتراث المملكة العربية السعودية)، ط١، جدة: ردمك، ١٤٢٤.

٩١. الفيروز آبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب)، **القاموس المحيط**، ط١، بيروت: دار الجيل.

٩٢. الفيض الكاشاني (محمد محسن)، **الأصفي في تفسير القرآن**، ط١، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ١٤١٨هـ.

٩٣ . الفيض الكاشاني (محمد محسن)، **تفسير الصافي**/ تحقيق الشيخ الأعلمي، ط٢، طهران: مكتبة الصدر،١٤١٦ .

٩٤ . القرطبي (عبد اللّه الأنصاري)، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٠٥ .

٩٥ . القمي (شاذان بن جبرائيل)، **الفضائل**، النجف (العراق): المكتبة الحيدرية، ١٩٦٢ .

٩٦ . اللواتي (محمد بن عبد اللّه بن محمد أبو عبد اللّه)، **تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار**/ تحقيق علي المنتصر الكتاني، ط٤، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ .

٩٧ . مؤنس (حسين)، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط١، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي.

٩٨ . الماحوزي، **الأربعين**/ تحقيق مهدي رجائي، ط١، قم: مؤسسة المحقق، ١٤١٧ .

٩٩ . المازندراني (مولى محمد صالح)، **شرح أصول الكافي**، قم.

١٠٠ . المتّقي الهندي (علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين)، **كنز العمال**/ تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٠١ . المجلسي (محمد باقر بن المولى محمد تقي)، **بحار الأنوار**، ط٢، بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣/ ١٩٨٣ .

١٠٢ . المحقق البحراني(يوسف)، **الحدائق الناضرة**/ تحقيق محمد الإيرواني، ط١، قم: جماعة المدرسيين، ١٤٠٩ .

١٠٣ . مسلم (ابن الحجاج النيسابوري)، **صحيح مسلم**، بيروت: دار الفكر.

١٠٤ . المقدسي (مطهر بن طاهر)، **البدء والتاريخ**، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

١٠٥ . المناوي (محمد)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**/ تحقيق احمد عبد السلام، ط١ ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ .

١٠٦ . المنى (زياد)، **جغرافيا التوراة مصر وبنو إسرائيل في عسير**، ط١ ، لندن: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٤ .

١٠٧ . الموسوي (تحسين آل شبيب)، **فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي**/ تحقيق الموسوي، ط١ ، قم: مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

١٠٨ . الموسوي (محمد صالح عدنان)، **الرحاب الندية في مذهب النصرانية واليهوديه**، ط١ ، بيروت: دار الاعلمي، ٢٠٠٥ .

١٠٩ . الميانجي (علي بن حسن علي الأحمدي)، **مكاتيب الرسول**، ط١ ، دار الحديث، ١٤١٩ .

١١٠ . نووي (محيى الدين)، **المجموع في شرح المهذب**، دار الفكر.

١١١ . النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي**، ط٢ ، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ .

١١٢ . النيسابوري (محمد الحاكم)، **المستدرك على الصحيحين**، ط١ ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ .

١١٣ . النيسابوري (محمد بن الفتال)، **روضة الواعظين**/ تحقيق السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، قم: منشورات الرضي.

١١٤ . هاشم البحراني، **مدينة المعاجز**/ تحقيق المولائي الهمداني، ط١ ، قم: مؤسسة المعارف الإسلامية،١٤١٣ .

١١٥ . الهيثمي (نور الدين)، **مجمع الزوائد ومنع الفوائد**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ .

١١٦ . اليحصبي (القاضي عياض)، **الشفا**: بتعريف حقوق المصطفى، بيروت: دار الفكر،١٤٠٩ .

١١٧ . اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح)، **تاريخ اليعقوبي**، قم: مؤسسة ونشر فرهنك أهل البيت.

١١٨ . المسعودي ، **التنبيه والاشراف**، دار الاعلمي: بيروت.

١١٩ . الإمام أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، دار صادر ، بيروت.

ثانياً – الإنترنيت:

كتب تراثية من على موقع الوراق–

http://www.alwaraq.com

١. ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** .

٢. ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** .

٣. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول** .

٤. ابن قيم الجوزية، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى** .

٥. أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر.**

٦. الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** .

٧. الازرقي، **أخبار مكة** .

٨. البشاري (المقدسي)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** .

٩ . الجبرتي، **عجائب الآثار** .

١٠ . الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار.**

١١ . الذهبي، **سير أعلام النبلاء.**

١٢ . السهيلي، **الروض الأنف.**

١٣ . الصفدي، **الوافي بالوفيات** .

١٤ . العصامي، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل.**

١٥ . المسعودي، **أخبار الزمان.**

١٦ . المقريزي، **المواعظ والاعتبار.**

١٧ . الهمداني، **صفة جزيرة العرب.**

١٨ . اليافعي، **مرآه الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان.**

ثالثاً- قائمة المصادر الأجنبية:

1. 101Myths of the Bible: How Ancient Scribes Invented Biblical History by Gary Greenberg – Sourcebook 2002- USA
2. Origons of Arabia- Andrew Thompson ‹Stacy Intrnational -London- ISBN 1900988046
3. The Bible Unearthed : Archaeology's New Vision of Ancient Israel and the Origin of Its Sacred Texts- by Neil Asher Silberman ‹Israel Finkelstein
4. The Discovery of the Nile – Gianni Guadalupi- New York- Stewart, tabori & chang
5. The Early History of God: Yahweh and the Other Deities in Ancient Israel (Biblical Resource Series) by Mark S. Smith- Wm. B. Eerdmans Publishing Company- ISBN: 080283972X
6. The Kuwait River‹" Biblical Archaeology Review ‹Vol. 22 ‹No. 4 ‹ July/August 1996(.
7. James A. Sauer ‹"The River Runs Dry‹" Biblical Archaeology Review ‹ Vol. 22 ‹No. 4 ‹July/August 1996‹

8. What Archaeology Can Tell Us About the Reality of Ancient Israel by William G. Dever- Eerdmans Pub Co- ISBN: 080282126X
9. What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It:؟
10. Who Were the Early Israelites and Where Did They Come From? by William G. Dever- Wm. B. Eerdmans Publishing Company (March 1, 2003)- ISBN: 0802809758
11. Who Wrote the Bible? by Richard E. Friedman - HarperSanFrancisco (May 7, 1997)- ISBN: 0060630353
12. Who Wrote the New Testament? : The Making of the Christian Myth by Burton L. Mack- HarperSanFrancisco (September 6, 1996)- ISBN: 0060655186

رابعاً - قائمة المصادر من الشبكة العالمية (الانترنت)

13. The Book of Mormon : I Nephi : 15 http://www.2think.org/hundredsheep/annotated/inep15.shtml
14. BOOK OF MORMON-Another Testament of Jesus Christ- http://scriptures.lds.org/bm/contents
15. What is the Book of Mormon About http://www.mormonchallenge.com/bomabout.htm
16. Mormonism's History http://www.carm.org/lds/beginning.htm
17. Joseph Smith and the Gold Plates- http://www.hismin.com/gold_plates.htm
18. Church of Jesus Christ Latter-day Saints –Utah http://www.lds.org/
19. THE BOOK OF ABRAHAM TRANSLATED FROM THE PAPYRUS ،BY JOSEPH SMITH-http://scriptures.lds.org/abr/contents
20. Church of LDS - FACSIMILE FROM THE BOOK OF ABRAHAM
21. http://scriptures.lds.org/abr/fac_1
22. The Book of Abraham Papyri and Joseph Smith - http://www.carm.org/lds/ldspapyri.htm
23. Mormons in Transition
24. http://www.irr.org/mit/pjs1.html
25. Book of Abraham Hoax -http://www.foxgrape.com/deveria.htm
26. Fall of the Book of Abraham http://www.utlm.org/onlineresources/fallofbookabraham.htm
27. The Book of Abraham Revisited- http://www.xmission.com/~research/about/abraham.htm
28. Mormons in Transition http://www.irr.org/mit/boamss1.html
29. Mormons in Transition http://www.irr.org/mit/Lamanites-DNA-Book-of-Mormon.html

30. USA Today -http://www.usatoday.com/news/religion/2004-04-26-mormon-usat_x.htm
31. Church Growth-Roger Loomis: http://www.lds4u.com/growth2/Index.htm
32. The Book of Mormon : I Nephi : 18 http://www.2think.org/hundredsheep/annotated/inep18.shtml
33. National Master Encyclopedia - http://www.nationmaster.com/encyclopedia/Pharoah
٣٤.علم الآثار يكشف زيف الحق التاريخي "الإسرائيلي
http://216.239.59.104/search?q=cache:gwceSXuBu30J:www.moqawama.net/arabic/articles/zaif.htm+%D8%A7%D8%AE%D8%B1%D8%AC%D9%88%D8%A7+%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%A9&hl=en
35. International bible society http://www.ibs.org/bibles/arabic
36. International bible society 2 http://www.ibs.org/bibles/arabic
٣٧.موقع الإسلام
http://sirah.al-islam.com/map-pic.asp?f=pica5
38. Khayma http://www.khayma.com/fahad1390/din/sirh/4.htm
39. Digital Egypt http://www.digitalegypt.ucl.ac.uk/chronology/
40. The Origin of the Name "Egypt", http://www.geocities.com/wally_mo/why_egypt.html
41. Wisdom of the Egyptians- Brian Brown http://www.sacred-texts.com/egy/woe/woe00.htm
42. The Origin of the Word, "Egypt"- by Nermin Sami and Jimmy Dunn
http://www.touregypt.net/featurestories/kmt.htm
http://www.touregypt.net/featurestories/nomes.htm
http://www.touregypt.net/featurestories/qiftkoptos.htm
http://www.touregypt.net/featurestories/titles.htm
http://touregypt.net/featurestories/memphis.htm
http://www.touregypt.net/memphis.htm
43. A Look into David Persuitte's Analysis of the Book of Abraham http://www2.ida.net/graphics/shirtail/bookof.htm
44. The prenomen
http://www.ancient-egypt.org/language/titulary/Prenomen
٤٥.موسوعة حكام مصر
http://www.rainbownet.com.eg/koll%20masry/Egypt%20Governor/7
46. Akhet – the horizon http://www.philae.nu/akhet/Nomes.html

47. Coins of roman Egypt
http://www.coinsofromanegypt.org/html/library/petrie/petrie_nomes.htm
48. Map of Egypt - Ancient & Modern Site Names http://www.kendall-bioresearch.co.uk/egyptmap.htm
49. The house of life http://www.philae.nu/PerAnkh/mappage.html
50. nome (Egypt) – Wikipedia http://www.answers.com/topic/nome-egypt
51. Writing in Egypt under Greek and Roman Rule
http://scriptorium.lib.duke.edu/papyrus/texts/rule.html http://www.henry-davis.com/MAPS/AncientWebPages/106D.html
52. Henry Davis Consulting
http://www.henry-davis.com/MAPS/AncientWebPages/118.html
http://www.henry-davis.com/MAPS/AncientWebPages/109.htm l
53. Antique Maps Leen Helmink
http://www.helmink.com/Antique_Map_Gastaldi_Ptolemy_Egypt/
54. Papyrus of Ani http://web.ukonline.co.uk/gavin.egypt/papyrus.htm
55. Legends of the Gods-The Egyptian Texts ،edited with Translations-
p220- E. A. Wallis Budge-[1912]. http://www.sacred-texts.com/egy/leg/leg42.htm
56. BACKGROUND INFORMATION
http://www.koptos.com/background_information.htm
57. Digital Egypt for Universities
http://www.digitalegypt.ucl.ac.uk/koptos/index.html
58. Ancient Egypt Mythology
http://www.egyptianmyths.net/mythbookthoth.htm
59. THE BOOK OF THE DEAD-E. A. WALLIS BUDGE
http://www.sacred-texts.com/egy/ebod/
60. Egypt the Birthplace of Greek Decorative Art.
http://digital.library.upenn.edu/women/edwards/edwards.html
61. Egypt: origin of the Greek culture
http://www.philipcoppens.com/egyptgreece.html
62. The free dictionary http://encyclopedia.thefreedictionary.com/Danaus
63. College of Charleston
http://www.cofc.edu/~piccione/graphics/kinglist.html
64. Arabic Bible & Arabic Scripture Audio
http://www.ibs.org/bibles/arabic/
٦٥. من صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم
http://www.islamiyyat.com/eigaz.htm
٦٦.الحضارة المصرية- اسم الملك وألقابه-

http://www.geocities.com/egyptianempires/logos.htm
67. Egyptology- Pharaoh's Royal Names
http://www.egyptologyonline.com/royal_names.htm
68. Egyptology online http://www.egyptologyonline.com/pharaohs.htm
69. Pyramid Texts http://www.pyramidtexts.com/utterance347.htm
70. Pyramid Texts- 2 http://www.pyramidtexts.com/utterance364.htm
71. oins of Roman Egypt
http://www.coinsofromanegypt.org/html/topics/maps/long.htm
http://www.coinsofromanegypt.org/html/topics/maps/danville.htm
٧٢. الفسطاط http://www.elmesafer.com/egypt/cairo/data/fostat.htm

٧٣.قاموس المحيط

http://lexicons.ajeeb.com/Results.asp
74. The Septuagint Online http://students.cua.edu/16kalvesmaki/lxx/
75. The Letter of Aristeas http://www.sentex.net/~tcc/farist.html
76. Endtime Ministries-Australian Bible College Course
http://www.despatch.cth.com.au/BCU/Hebrew1Appendix.html
77. History of the Bible
http://www.mazzaroth.com/ChapterThree/HistoryOfTheBible.htm
78. Jews veritual Library
http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/Judaism/
79. Transliteration Genesis
http://www.hebrewoldtestament.com/index2.htm
80. Omniglot a giud to writing stsyems
http://www.omniglot.com/writing/greek.htm
81. Native American Indian Tribes and Languages
http://www.native-languages.org/languages.htm#alpha
82. Indocom
http://www.indo.com/cgi-bin/dist?place1=mecca&place2
٨٣.إبراهيم الخليل نسله وعصره

http://www.alseyassah.com/alseyassah/opinion/view.asp?msgID=1
616
84. MESOPOTAMIA http://www.crystalinks.com/meso.html
٨٥. نشاءه الدولة الكلدانية

http://www.iraqiparty.com/pages/history.php
86. Jewish Encyclopedia by Richard Gottheil Wilhelm Bacher
http://www.jewishencyclopedia.com/view.jsp?artid=11&letter=I

87. THE EXODUS IN ARABIA
http://www.biblemysteries.com/lectures/firstmentionofkadesh.htm
88. Torah - Navigating the Bibl
http://bible.ort.org/books/torahd5.asp?action=displaypage&book=1&chapter=16&verse=14&portion=3
89. Cities of Ancient Israel
http://www.bible-history.com/geography/ancient-israel/hebron.html
http://www.bible-history.com/geography/ancient-israel/ephraim.htm
90. The First Book of Moses
http://www.htmlbible.com/sacrednamebiblecom/kjvstrongs/index2.htm
91. COLLECTED ESSAYS By Immanuel Velikovsky
http://www.varchive.org/ce/baalbek/kadeshbarnea.htm
92. The "Great and Terrible Wilderness صدق الله العظيم
http://www.varchive.org/ce/baalbek/desert.htm
93. Terraserver
http://www.terraserver.com/no_flash.asp
http://www.terraserver.com/
94. Saudi Aramoc World puplication
http://www.saudiaramcoworld.com/issue/200401/mapping.arabia.htm
95. Global Volcanisom Program
http://www.volcano.si.edu/world/volcano.cfm?vnum=0301-07=&VErupt=Y&VSources=Y&VRep=N&VWeekly=N&volpage=maps
96. Ancient Map Web List
http://www.henry-davis.com/MAPS/Ancient%20Web%20Pages/101.html
97. Ground Plan of the Sumerian City Nippur
http://www.prvni-civilizace.cz/maia/enlil/nippur.htm
98. The Nippur expedition
http://oi.uchicago.edu/OI/PROJ/NIP/PUB93/NSC/NSCFIG8.html
99. The Columbia Encyclopedia, Sixth Edition
http://www.bartleby.com/65/er/Erythrae.html
100. NEWLY DISCOVERED
http://www.rogerswebsite.com/others/The-First-River-of-Eden.htm
101. INVESTIGATING GENESIS SERIES
http://www.creationism.org/caesar/eden.htm

١٠٢ . مجلة العهد ٢٨-٧-٢٠٠٠:

http://64.233.179.104/search?q=cache:MLB8WZeHOTEJ:www.moqawama.net/arabic/feauters/yaqoum2.htm+%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D8%A7%D8%AA+%2B+%D8%A7%D8%AD%D9%85%D8%AF+%D8%AF%D8%A7%D9%88%D9%88%D8%AF&hl=en

١٠٣. الاغتراب اللبناني -

http://www.annaharonline.com/IGTIRAB/IG2001DEC6.HTM
104. The Austin Graduate School of Theology
http://www.austingrad.edu/media/Abraham's%20Journey%20(JPEG).jpg
105. The South Arabian Caravan Kingdoms-
http://www.fathom.com/course/21701787/session1.html
106. CHARLES BRAY's Saudi Arabia Journal
http://www.greatestcities.com/users/cbray5003/Middle_East/Saudi_Arabia/

١٠٧. رزنامة حائل لزراعة المحاصيل الزراعية

http://www.barzan.ws/hail/seasons/p4.htm

١٠٨. القاهرة- القناة : ٢٠٠٤/٣/١٢ (شالوم يسأل فى مصر : من بنى الأهرامات)-

http://www.alqanat.com/news/shownews.asp?id=35431
109. NUMERICS OF HEBREWS WORLDWIDE DISTRIBUTION AROUND 1170 AD ACCORDING TO BINYAMIN OF TUDELA -(Emilio Spedicato) http://itis.volta.alessandria.it/episteme/ep2sped.htm

١١٠. التثنية ١٠- ٦ http://www.hebrewoldtestament.com/index2.htm

111. King James BibleWith Strongs Dictionary
http://www.htmlbible.com/sacrednamebiblecom/kjvstrongs/index2.htm
http://www.htmlbible.com/sacrednamebiblecom/kjvstrongs/STRHEB41.htm
112. THE NORTH-ARABIAN MUSRI AND THE OLD TESTAMENT-
http://www.newadvent.org/cathen/01663a.htm
113. PHARAOHS and CAMELS Only in Arabia!
http://www.biblemysteries.com/lectures/pharaohscamels.htm

١١٤. سفر التكوين

http://www.ibs.org/bibles/arabic
115. The American Standard Version of the Holy bible
http://ebible.org/bible/asv/Genesis.htm
116. The Bible in Basic English Genesis
http://bible.christiansunite.com/bibles.cgi?v=bbe&b=Ge&c=41
117. King James Version of the Bible
http://www.cforc.com/kjv/Genesis/index.htm l
118. contemporary english bible

http://bible.gospelcom.net/passage/?book_id=1&chapter=41&version=31
119. BIBLES
http://www.theophilos.sk/lib01.htm
120. Considerations on the Exodus Debate-
http://www.specialtyinterests.net/kadesh_barnea.html
١٢١ . شبكة العربي الموحد الاخبارية- "إدراج موقعين عربيين على قائمة التراث العالمي -Jul 3, 2004،
www.4uarab.com
.١٠٨The Ark of the Covenant and the Temple of Solomon-
http://www.cassiopaea.org/cass/biblewho1.htm

ثالثاً - الإلكترونية:

أ - القرآن:

١ – سيمافور للتقنية، **مصحف النور للنشر المكتبي**، الإصدار الثاني، الرياض: المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١ .

ب - التوراة:

1-Rick Meyers,E-Sword, Ver 7.1.0,2000-2004, http://www.e-sword.net
2-Online Bible Millennium Edition. Version: 1.11.90, Mar 28, 2002, http://www.onlinebible.net ./

ج – أقراص مدمجة:

١ – مركز المعجم الفقهي، **برنامج المعجم**، الإصدار الثالث، قم المقدسة، ١٤٢١هـ.

٢ – مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، **المكتبة الألفية للسنة النبوية**، الإصدار ١,٥ ، الأردن (عمان): مركز التراث، ١٤١٩/ ١٩٩٩ .

٣- مركـز الـتراث لأبحـاث الحاسـب الآلي، **مكتبـة التـاريخ والحضـارة الإسلامية**، الإصدار ١,٥ ، الأردن (عمان): مركز التراث، ١٤١٩/ ١٩٩٩ .

٤- مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، **مكتبة السيرة النبوية**، الإصدار ١,٥ ، الأردن (عمان): مركز التراث، ١٤١٩/ ١٩٩٩ .

فهرس المحتويات

سلسلة عندما نطق السراة

١. مفاتح القرآن والعقل.

٢. التوحيد ... عقيدة الأمة منذ آدم.

٣. الأسطورة ... توثيق حضاري.

٤. الخلق الأول ... كما بدأكم تعودون.

٥. وعصى آدم ... الحقيقة دون قناع.

٦. بين آدمين ... آدم الإنسان وآدم الرسول.

٧. نداء السراة ... اختطاف جغرافيا الأنبياء.

٨. طوفان نوح ... بين الحقيقة والأوهام.

٩. مسخ الصورة ... سرقة وتحريف تراث الأمة.

١٠. اللسان العربي ... بعد فطري وارتباط كوني.

١١. جنة آدم ... تحت أقدام السراة.

١٢. ليلة القدر ... عيد الخليقة.

١٣. اليهود وتوراة الكهنة.

نداء السُراة

اختطاف جغرافيا الأنبياء

ماذا يحدث عندما تُغيّب حضارة عريقة؟ ماذا يحدث عندما يخطف تاريخ حقبة؟ ماذا يحدث عندما يُسلب تراث أمة؟ ماذا يحدث عندما تنتهك قدسية الإنسان، كل الإنسان؟ ماذا يحدث لو كل ذلك حدث؟ هل تموت الحقيقة؟ أم تتوارى عن الأنظار، لتعود ولو بعد حين، كعودة أصحاب الكهف إلى المدينة؟ فتُرى، هل يحتمل سكان المدينة أصحاب الكهف بالمدينة؟ أم مازال الظلام بالمدينة؟ وتُرى، هل تقبل بلاد وادي النيل بعودة حضارة القبط الغريبة؟ أم مازالت مصر بالمدينة؟ وهل يعود الأقباط المغرّبون لديارهم على ضفاف النيل؟ أما مازال المصريون بالمدينة؟ وهل تقبل نجد بعودة موطن آباء الخليل إبراهيم وبنيه إسحاق ويعقوب؟ أم مازال ذكراهم حبيس أور الكلدانية؟ وهل تقبل الحجاز بعودة إبراهيم وبنيه إسحاق ويعقوب؟ أم مازال ريح ذكراهم رهين القبط وحاران الشامية؟ وهل تقبل جبال عسير بعودة مصر يوسف؟ أم ستبقى رهينة بصحراء التيه اليهودية؟ وهل ستقبل وديان الجزيرة بنهر فراتها؟ أم سيبقي سجين ضفاف أحواض عراقية؟ وهل ستقبل قيعان تهامة بيم الكليم؟ أم سيبقى حبيس حروف التوراة السبعونية؟ وهل.. وهل.. فهل هناك من يسمع نداء لجبال السراة لتعود الحقيقة إلى المدينة؟ فهل تحتمل عودتها المدينة؟ أم مازال الظلام بالمدينة؟

جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية
Altajdeed Cultural & Social Society
نحو منهاج إصلاحي جديد